الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 27 AUGUST 1979.

العدد (٢٧) ـ رمضان ١٣٩٩ هـ / أغسطس ١٩٧٩ م (السنة الثالثة)



بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٢٧) رمضان ١٣٩٩هـ أغسطس ١٩٧٩م

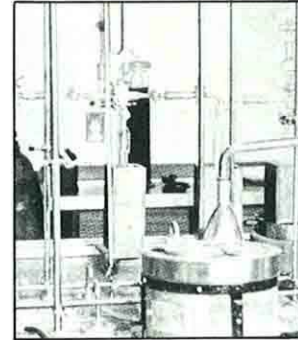
هذا العدد



★من المعروف أن أبا جعفر المنصور هو الذي بنى مدينة بغداد عام ١٤٥هـ.. أي قبل ما يقارب أكثر من اثني عشر قرناً.. رحلة مع تاريخ مدينة بغداد بالكلمة والصورة. ص (٣٥) ★



★الدراسات اللغوية، وصلت في السنوات الأخيرة إلى مرحلة متقدمة، فتزايدت الكتب الصادرة بصورة تدعو للاهتمام.. آفاق جديدة في العلوم اللغوية أحد الكتب الجديدة الصادرة في دراسة العلوم اللغوية. ص (٨٣) ★



★استخدامنا للمخصبات الكيميائية لزيادة كميات المحاصيل الزراعية وتحسين نوعياتها، إلى جانب استخدام الكيماويات لإبادة الآفات والأعشاب لزيادة الإنتاج الزراعي.. هذه المبيدات ما هي مضارها. ص (١٣٤) ★

ص

إبراهيم القطان



● من مواليد عام ١٩١٦م - عمان - الأردن .

● شهادة العالمية للغرباء في الأزهر ، شهادة كلية الشريعة ، تخصص القضاء الشرعي من الأزهر .

● عمل في القضاء خمس سنوات ، ثم انتقل إلى وزارة التربية مفتشاً لمادتي الدين واللغة العربية ، ثم عمل قاضياً للقضاة في الأردن ، ومحامياً .

● كما عمل سفيراً لبلاده في المغرب ، ثم محاضراً في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية ، فسفيراً لبلاده في الباكستان .

● يعمل حالياً قاضياً للقضاة في الأردن .

● زار أغلب البلدان العربية ، وأوربا ، وآسيا ، وإفريقيا .

● اشترك في عدد من المؤتمرات الإسلامية والأدبية .

● ألف واحداً وثلاثين كتاباً في النحو والصرف والقراءة العربية ، والدين للمدارس الابتدائية ، والإعدادية ، والثانوية . . وله مؤلف بعنوان « عثرات المنجد » في نحو ستمئة صفحة .

● ألقى عدداً من المحاضرات في الأدب والتراجم ، كما كتب عدداً من المقالات في المجلات .

● له تحت الطبع تفسير في ثلاثة مجلدات . . ومجموعة شعرية . . ومجموعة مقالات .

● عضو في مجمعي القاهرة ، والأردن ، إلى جانب عضويته في رابطة الكتّاب الأردنيين ، وجمعية الهلال الأحمر .

د . عمر عبد السلام تدمري



● من مواليد مدينة طرابلس - لبنان عام ١٩٤٠م .

● دكتوراه في التاريخ والحضارة مع مرتبة الشرف الأولى - جامعة الأزهر .

● عمل محاضراً في الجامعة اللبنانية - بيروت - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بقسمي التاريخ والآثار .

● له عدة مؤلفات مطبوعة عن الحياة الثقافية في طرابلس الشام ، وتاريخ وآثار مساجد طرابلس في العهد المملوكي ، وتاريخ طرابلس السياسي والحضاري (الجزء الأول) ، وله مؤلفات أخرى تحت الطبع .

● نشرت له بعض المقالات والأبحاث في عدد من الصحف والمجلات العربية .

● يعمل حالياً أستاذاً متفرغاً في الجامعة اللبنانية - فرع طرابلس للتاريخ الإسلامي ، ورئيساً لقسم الآثار في كلية الآداب والعلوم الإنسانية .

د . عبد اللطيف أبو السمود



● من مواليد الإسكندرية عام ١٩٢٨م .

● دكتوراه في الهندسة الكيميائية - جامعة فرانكفورت - ألمانيا .

● عمل مدرساً بكلية الهندسة - جامعة الإسكندرية ، فأستاذ مساعد ، ويعمل حالياً أستاذاً بنفس الكلية .

● حضر عدداً من المؤتمرات المتعلقة بالكيمياء ، والحاسب الالكتروني .

● يجيد اللغات الإنجليزية ، والفرنسية ، والإيطالية ، والألمانية ، وشيئاً من الإسبانية والروسية .

● نشرت له مجموعة من البحوث والمقالات في مجلات علمية متخصصة .

● عضو نقابة المهندسين .

د . محمد فتحي عثمان

● ولد بصعيد مصر سنة ١٩٢٨م .

● نال ليسانس وماجستير الآداب من جامعة القاهرة ، وليسانس الحقوق من جامعة الإسكندرية ، والدكتوراه من جامعة برنستون بالولايات المتحدة .



● قام بالتدريس في جامعات وهران بالجزائر ، والرياض بالسعودية ، وبرنستون بولاية نيوجرسي ، وتمبل بولاية بنسلفانيا .

● يعمل حالياً أستاذاً للحضارة والنظم الإسلامية في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

● له عدد من المؤلفات المطبوعة .

ياسر الفهد

● من مواليد مدينة يافا في فلسطين عام ١٩٣٩م .

● شهادة الإجازة في الأدب الإنجليزي .

● شهادة الدبلوم العامة في التربية .

● حضر عدة دورات تدريبية .

● عمل مدرساً لمادة اللغة الإنجليزية .

● ينشر مقالاته في عدد من المجلات العربية .

● له كتاب « مواقف مع الصحافة العربية » ، كما ترجم كتاب « التربية في بريطانيا » .

● يعمل حالياً في مديرية البحوث مشرفاً على أعمال الترجمة .

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

- إنشاء مركز ثقافي خارج المنطقة الأثرية في الدرعية بالسعودية .
- ندوة عالمية عن العمارة الإسلامية في الدمام .
- معرض للكتاب العربي في تونس .
- مهرجان للشباب العربي في المغرب الأقصى .
- مهرجان ثقافي لأدباء وكتاب البحرين .
- مسح أثري للمواقع الأثرية في الصحراء بالأردن .

- أول مؤتمر تمهيدي للصحافة الإسلامية في قبرص .
- ندوة عالمية عن صناعة المعجم في بريطانيا .
- مؤتمر عالمي للعلاقات التركية العربية .
- اللغة العربية في مؤتمر التنمية والتجارة الدولي .



★ أحمد قنديل ★

السعودية

أحمد قنديل .. إلى رحمة الله

انتقل إلى رحمة الله الأديب السعودي الشاعر الأستاذ أحمد قنديل على أثر نوبة قلبية، تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته.

والمعروف عن الأستاذ قنديل أنه كان من أنشط الأدباء نتاجاً، ويميل شعره ونثره إلى البساطة، وهو يُعد من الرعيل الأدبي الأول.

ولد في مدينة جدة عام ١٣٢٩ هـ، الموافق ١٩١٢ م، تلقى علومه في مدرسة الفلاح، وبعد تخرجه عمل مدرساً بها، ثم رئس تحرير جريدة «صوت الحجاز».

تنقل في عدة وظائف حكومية، كان آخرها مدير الحج العام تفرغ بعدها للأعمال الحرة، والكتابة في الصحافة شعراً ونثراً.

وقد عرف المرحوم بكتاباته الشعرية باللهجة العامية، وله زاوية يومية بالشعر الشعبي في جريدة «عكاظ»، يعالج من خلالها مشاكل اجتماعية.

من دواوينه المطبوعة بالشعر الشعبي «في المركاز»، «أبو عرام والبشكة»، ومن دواوينه بالشعر الفصيح «أوراق الصفراء»، «عروس البحر» الجزء الأول وهو خليط بين الفصيح والعامي، «شمعتي تكفي»، «نار»، «الراعي والمطر»، «قاطع الطريق»، «شعر .. ومشاعر»، «أغاريد»، «أصداء»، «أبراج».

ومن كتبه النثرية ودواوينه الشعرية التي تحت الطبع:

«عروس البحر» الجزء الثاني، «مكتي قبلتي» ملحمة شعرية، «الرمال الذهبية»، «الدمعات الخمس»، «الأصداف»، «الجبل الذي صار سهلاً».

وقد كان لوفاته رنة أسى وحزن في الوسط الأدبي للصلات المتينة التي تربطه بزملاء الحرف.

الطاقة في المجتمعات الحديثة

قامت جامعة الرياض بتنظيم **الندوة الثالثة عن الطاقة في المجتمعات الحديثة** ــ رخاء وتحديات ــ وذلك من ضمن النشاط الثقافي الذي تقوم به الجامعة، اشترك فيها سفير بريطانيا، وسفير الهند وعدد من المسؤولين المهتمين بهذا الشأن.

أدباء سعوديون في الخليج

قام وفد من الأدباء السعوديين بجولة شملت دول الخليج، ألقوا خلالها محاضرات وندوات للتعريف بالأدب السعودي والنهضة الفكرية والأدبية التي تعيشها المملكة العربية السعودية.

مسابقة لكتابة المقالة والقصة والشعر والرسم

أعلنت **جمعية الوفاء الخيرية النسائية بالرياض** عن تنظيمها لمسابقة تضم الكتابة في المقالة والقصة والشعر والرسم يشترك فيها ممن هم دون سن الخامسة عشرة، بمناسبة عام الطفولة الدولي.

مركز ثقافي خارج المنطقة الأثرية في الدرعية

قرر المجلس الأعلى للآثار إنشاء مركز ثقافي خارج المنطقة الأثرية في **(الدرعية)**.

دائرة معارف إسلامية

اقترح **المجلس العلمي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض** أن تقوم الجامعة بإعداد دائرة للمعارف الإسلامية.

ندوة الشباب الإسلامي

عقدت الأمانة العامة **للندوة العالمية للشباب الإسلامي** أول اجتماع لها في دورتها الثالثة بالرياض، وذلك بحضور رئيس الندوة ووزير التعليم العالي السعودي.

افتتاح مكتبة للطفل

افتتحت مكتبة خاصة للطفل **بمعهد العاصمة النموذجي بالرياض**، وذلك مساهمة في برنامج رعاية الطفولة ــ بمناسبة أسبوع الطفل في المملكة ــ وتحوي هذه المكتبة كتباً ودراسات عن الطفل وأهميته في المجتمع ووسائل تربيته وتعليمه.

مجلة (معهد شؤون الأقليات المسلمة)

صدر العدد الأول من **مجلة معهد شؤون الأقليات المسلمة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة**، احتوى على مجموعة من المقالات تتناول شؤون المسلمين في أنحاء العالم.

معاهد لتعليم اللغة العربية

قررت **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** افتتاح معهدين في ــ **موريتانيا، وإسبانيا** ــ وذلك بهدف تعليم اللغة العربية.

مؤتمر للأدب الإسلامي

تنوي **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** الإعداد لمؤتمر عن **(الأدب الإسلامي)**، والدعوة إليه ستشمل جميع الدول الإسلامية.

إنشاء مركزين للنشر والترجمة والتراث

ضمن الخطة التي تسعى إليها ــ الأمانة العامة للمجلس الأعلى للجامعات ــ إنشاء مركز وطني للتأليف والنشر، ليقوم بترجمة الكتب العالمية في جميع التخصصات إلى اللغة العربية، وكذلك ترجمة البحوث العلمية إلى العربية أيضاً.

أما **مركز إحياء التراث الإسلامي** فيعمل على إحياء التراث العلمي الإسلامي من مؤلفات ومخطوطات علمية.

ندوات ولقاءات فكرية

نظم **نادي مكة المكرمة الثقافي** ندوات ولقاءات فكرية ، وذلك ضمن نشاطه الفكري من خلال برامج ثقافية متنوعة يعمل على إعدادها كل شهر .

معرض للصحف الحائطية

أقامت إدارة الشؤون الثقافية برئاسة رعاية الشباب معرضاً للصحف الحائطية ضم اثنين وخمسين صحيفة من ستة وعشرين نادياً أدبياً وهو المعرض السنوي الرابع .

أبحاث الندوة العالمية الثانية في كتاب

أصدر **قسم الآثار بكلية الآداب بجامعة الرياض** ، كتاباً باللغتين العربية والإنجليزية يضم «خلاصة أبحاث الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية» المنعقدة بجامعة الرياض في شهر جمادى الأولى والتي كان موضوعها «الجزيرة العربية قبل الإسلام» .

ندوة عالمية عن العمارة الإسلامية

سوف تعقد **بجامعة الملك فيصل بالدمام** ، ندوة عالمية عن **العمارة الإسلامية والتخطيط**، في شهر صفر عام ١٤٠٠ هـ ، وذلك خلال الفترة من ١٨ ـ ٢٣ ، تشترك في تنظيم هذه الندوة كلية العمارة والتخطيط بالجامعة إلى جانب وزارة الأشغال العامة والإسكان ووزارة الشؤون البلدية والقروية ، وقد دُعي للمشاركة فيها أكثر من ٢٠٠ عالم من كافة أنحاء العالم الإسلامي والغربي .

كتب جديدة

● **«أخبار أبي العيناء اليمامي ، جمع ، تخريج ، دراسة»** ، تأليف **محمد ناصر العبودي**، نشر **دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة** .

● **«التبشير والاستعمار في نيجيريا»** ، تأليف خضر مصطفى ـ رسالة ماجستير من جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

● **«تنبيه الغافلين»** ، للإمام **أبي الليث السمرقندي** ، كتاب حققه **عبد العزيز الوكيل** صدر عن **دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع** .

● **«حياة وشعر دريد بن الصمة»** ، من وضع **مناحي ضاوي** ، ونشر **نادي الطائف الأدبي** .

ومن اصدارات النادي الأدبي بجدة :

● **«طبيب العائلة»** ، تأليف **الدكتور حسن نصيف** .

● **«من وحي الرسالة الخالدة»** ، تأليف **محمد علي قدس** ، الكتاب عبارة عن مجموعة أبحاث ومقالات إسلامية .

● **«الموسيقى العربية»** ، تأليف **حسن إسماعيل** ، الكتاب عبارة عن عرض للموسيقى العربية وتاريخها وآلاتها العديدة .

● **«تأويل مشكل الحديث»** ، تأليف **الإمام السيوطي** ، تحقيق **بسيوني الكومي**، صدر عن **دار الشروق بجدة** .

● **«سيرة الملك فيصل»** ، كتاب يقع في ثلاثة أجزاء يشترك في تأليفه

كلمة

الصيام تجاوز للنفس

﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ .

سخر الله للإنسان السماوات والأرض وما بينهما ، فجعله بذلك سيّد الكائنات وأسماها ، إذ منحه العقل يميّز به بين الحق والباطل ، أي يدرك به معنى الحياة . نعم ! إن التمييز بين الخير والشر هو درك لأسرار الحياة ونفاذ إلى جوهرها ، في حين تستوي الأشياء ومظاهر الكون ، عند الحيوان ، فهو محروم من «مفهوم» الحياة الذي وهبه الإنسان .

من هنا كانت طبيعة الإنسان صراعاً دائماً بين قطبين يتجاذبانه : الحيوانية المسطحة أي التي لا تنفرج عن تضاريس الحياة المترجّحة بين القطبين الجاذبين : الخير والشر ، والإنسانية التي تشدّه إلى أحد القطبين ، فتسمو به في معارج لا يتنوّرها إلا من شهدها .

والسموّ ، أيُّ سموّ ، لا يجري بيُسر ، وإنما هو نتيجة ضوابط ومجاهدات ترفعه ، إذا هو بلغ منها المدى ، إلى مستوى آخر من الحياة البدائية بمعنى الحركة المجرّدة .

هذه الضوابط التي ما فتىء الناس ، منذ خلقوا ، يثورون عليها ، ولا سيما في عصرنا حيث يسقطونها من حساباتهم ليعيشوا ، كما في زعمهم «على الطبيعة» ، هي التي توفر للإنسان التسامي والتعالي ، تماماً كما الطائرة التي لا ترتفع إلى ما فوق مستوى الدبيب إلا وفاق ضوابط معلومة ، وبعد قطع شوط من السير والمجاهدة .

من هنا ندرك أن الخير ثقيل على النفس لأنه يكلفها عناء ، والشر خفيف عليها لأنه جذب للطبيعة الحيوانية في الإنسان . وهذا معنى مخالفة النفس التي تميل إلى السهل اليسير ، أي إلى الهوى ، كما جاء في الآية الكريمة ١٣٥ من سورة النساء : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾** . وفي آية أخرى : **﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾** .

هكذا يتبيّن لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، فندرك أن الضوابط التي شرعها الله والحدود التي رسمها ليست إذلالاً للإنسان ، وإنما هي أشواط وأجواء تساعده على النهوض فالتسامي فوق طبيعة النفس الأمارة بالسوء .

من هذه الضوابط : **الصلاة والصوم** ، فرمضان الذي هو شهر الصيام والقيود ظاهراً هو شهر التحرر والتسامي في معناه العميق ، لأن الصائم ينتصر فيه على نفسه ، فتقوى إرادته ، وتصفو رؤيته ، وتشف نفسه ، ويحس بأنه إنسان آخر ، إذ هو ، بعد أن قهر هواه ، يتسامى ، فيكبّر الله على ما هداه ، كما جاء في آية الصيام الكريمة ، وقديماً قال الشاعر :

والنفسُ راغبةٌ إذا رَغَّبْتَها
وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنعُ !

وفي حديث نبوي شريف : **«حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات»** .

إلا أن كثيرين من الناس الذين يراعون ضوابط الله خلال شهر رمضان يتحلّلون منها إذا هو انقضى ، وكأن شيئاً لم يكن ! هؤلاء لم يتحرروا ولم يتساموا ، وإنما مثلهم كمثل الذي يدخل السجن فإذا أطلق سراحه عاد سيرته الأولى .

ينبغي لنا أن يستمر رمضان فينا بروحه وجوه ، فالصيام انتصار على الجسد والنفس ، ولا يجوز لنا أن نحوّل انتصارنا إلى هزيمة ، بعد انقضاء شهر من المجاهدة . ينبغي أن يكون رمضان معراجاً لنا نسمو به فوق شهوات الدنيا ، فنشعر بإنسانيتنا ، ونشعر إننا طينة خيّرة ، وليسأل كلٌ منا نفسه : هل أنا ، الآن ، إنسان آخر ؟

بقلم : د . فكتور الكك

عدد من الشخصيات الأدبية والسياسية .



★ محمد حسن عواد ★

ومن منشورات نادي الطائف الأدبي :

● « الشعر » ، اصدار لجنة الشعر بالنادي ، ويضم مجموعة أشعار لعدد من الشعراء المعاصرين بالسعودية .

● « ألوان من الأدب » ، ج ١ ، تأليف **شعبان جبريل عبد العال .**

ومن اصدارات نادي الرياض الأدبي :

● « **بلادنا والزيت** » ، جمع مادته وقدمه **عبد الله بن خميس .**

ومن اصدارات نادي جدة الأدبي :

● « **دور البنك الإسلامي للتنمية الاقتصادية** » ، كتاب يتضمن نص المحاضرة التي ألقاها **الدكتور أحمد محمد علي .**

● « **بسمة من بحيرات الدموع** » ، تأليف **عائشة زاهر أحمد .**

ومن اصدارات عمادة المكتبات بجامعة الرياض :

● « **ضوابط الإعلام في الشريعة الإسلامية** » .

● « **اتجاهات حديثة في تعليم العربية** » .

● « **مدخل إلى التحليل الرياضي** » .

● « **أزمة العصر** » ، تأليف **الدكتور محمد محمد حسين** ، صدر عن **دار عكاظ للطباعة والنشر .**

● « **ديوان العواد** » ، الجزء الثاني ويضم ثلاث قصائد ، ملحمة الساحة العظيمة ، وفي الأفق الملتهب ، رؤى أبولون .

● « **الخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي** » ، تأليف **الدكتور طه مصطفى أبو كريشة .**

● « **الجهالية في حظيرة الدين** » ، تأليف **الدكتور فاروق حماد** ، وهو الكتاب الأخير من اصدارات النادي .

● « **صدى الصمت** » ، تأليف الكاتب السعودي الراحل حمزة شحاته جمع عبد الحميد مشخص .

● « **معجم قبائل الحجاز** » ، تأليف **عاتق بن غيث البلادي** ، يقع في ٥٦٦ صفحة من الحجم الكبير .

● « **الثقلاء** » ، تأليف **محمد ناصر العبودي** ، عن نادي الرياض الأدبي ، عبارة عن نصوص مجموعة في ذم الثقلاء .

● « **فهرس المخطوطات** » ، عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض ، وهو خاص بالمخطوطات المتعلقة بالأعمال العامة والفلسفة .

● « **فهرس المخطوطات بالمكتبة المركزية** » ، عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، عبارة عن وصف لأكثر من ستمئة مخطوط ، مرتب حسب التصنيف العشري لديوي .

● « **محاضرات وندوات الموسم الثقافي** » ، كتاب صدر بهذا العنوان نشرته كلية العلوم بجامعة الرياض ، محتوياً على ٦٢٣ صفحة ، وذلك بمناسبة مرور عشرين عاماً على إنشاء هذه الكلية ، وقد تضمن عدداً من المحاضرات التي ألقيت عبر سنوات عديدة .

● « **محاضرات نادي جيزان** » ، كتاب صدر بهذا العنوان عن النادي الأدبي بجيزان مشتملاً على المحاضرات التي ألقيت فيه لعام ٩٧ / ١٣٩٨ هـ ، والتي ألقاها عدد من المحاضرين أمثال **عبد القدوس الأنصاري ومحمد حسن عواد** ، وغيرهما .

سوريــة

الأدب العربي في مواجهة التحديات

بهذا العنوان سيعقد **مؤتمر الأدباء العرب** القادم في **دمشق** باستضافة اتحاد الكتّاب العرب .

كتب جديدة

● « **الفكر الأخلاقي العربي** » ، ج ٢ ، تأليف **الدكتور ماجد فخري** ، صدر عن الدار الأهلية للنشر .

● « **سريال** » ، مجموعة شعرية للشاعر الراحل **أورخان ميسر** ، صدرت عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق ، مع مقدمة نقدية للشاعر ادونيس .

ومن اصدارات اتحاد الكتّاب العرب :

● « **البطل في مأزق** » ، مجموعة دراسات نقدية ، تأليف **محيي الدين صبحي .**

● « **الأقنعة** » ، مسرحية ، تأليف **علي عقلة عرسان** رئيس اتحاد الكتّاب .

● « **السلام يحاصر قرطاجنة** » ، مسرحية شعرية ، تأليف **خالد محيي الدين البرادعي .**

كما سيصدر الاتحاد :

● مجموعة قصصية « **الحضور في أكثر من مكان** » ، **لحسيب كيالي** ، ومجموعة قصصية ثانية « **الخروج من الكابوس** » ، **لفاروق مرعشي .**

● مجموعة مقالات عن المسرح السوري بعنوان « **التأسيس** » ، **لعبد الله أبو هيف .**

● مجموعة مقالات في أدب الحداثة بعنوان « **المنهج والمصطلح** » ، **لخلدون الشمعة .**

● ومجموعة مقالات تلخيصية بعنوان « **الأبيض والأسود** » ، **لمحمد أبو فضور .**

● « **صخب وطيور مشاكسة** » ، مجموعة شعرية **لأسعد جبوري** ، صدر عن اتحاد الكتاب العربي بدمشق ، تحاول هذه المجموعة أن تجرب أشكالا جديدة في الكتابة الشعرية .

● « **شرح مقصورة ابن دريد** » ، تحقيق **الدكتور فخر الدين قباوة** ، وقد صدر عن **المكتبة العربية للطباعة والنشر والتوزيع بحلب .**

جائزة لأحسن كتاب

أعلنت **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية** عن مسابقة «**الحضارة الإسلامية وأثرها في الحضارة الإنسانية**» وحددت جائزتها بمبلغ (٥٠٠٠) دولار أميريكي أو ما يعادلها تمنح لأحسن كتاب يتناول هذا الموضوع.

كتب جديدة

● «**منهج الواقعية في الإبداع الأدبي**»، تأليف **صلاح فضل**، **منشورات الهيئة المصرية للكتاب**، يناقش فيه نشأة المذهب الواقعي وتطوره والأسس الجمالية للواقعية ونقدها للمذاهب الأخرى.

● «**الإسلام ظهوره وانتشاره في العالم**»، تأليف **حامد عبد القادر**، صدر عن **دار النهضة للطبع والنشر**، يشتمل الكتاب على تاريخ مفصل لظهور الإسلام وانتشاره مع إحصاء لعدد المسلمين.

● «**الرؤيا المقيدة**»، تأليف **الدكتور شكري عياد**، عبارة عن دراسات في التفسير الحضاري للأدب العربي، يتحدث فيه عن الرواية العربية المعاصرة وعن مشكلة الذاتية في الشعر المعاصر.

● «**الفكر السياسي في الإسلام: شخصيات ومذاهب**»، تأليف **جلال شرف وعلي عبد المعطي**، صدر عن دار الجامعات المصرية بالإسكندرية.

● «**المجيد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق، دراسة، توثيق**»، كتاب عبارة عن رسالة دكتوراه قدمها **عبد العزيز محمد إسماعيل** لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر.

● «**الدعوة الإسلامية والإعلام الديني**»، تأليف **عبد الله محمود شحاته**، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، يقع في ٣٩٥ صفحة من الحجم الكبير.

● «**أضواء على المسرح المصري**»، تأليف **الدكتورة نادية رؤوف فرج**، عبارة عن دراسة بالإنجليزية للدراما المصرية في فترة الستينات.

● «**كتابات في الفن الشعبي**»، تأليف **حسن سليمان**، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● «**القصة والمجتمع**»، تأليف **يوسف الشاروني**.

● «**منهج الواقعية في الإبداع الأدبي.**»، تأليف صلاح فضل، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● «**يوسف السباعي في ذكراه الأولى**»، ألفه عدد من الأدباء المصريين والعرب.

● «**دور المخرج في المسرح المعاصر**»، تأليف **سعد أردش**، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» مع مقدمة للناقد المسرحي **الدكتور علي الراعي**.

● «**التربية الاجتماعية في الفكر الإسلامي، أصولها، بناؤها من القرآن والسنّة**»، تأليف الدكتورة زينب رضوان.

● «**التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**»، تأليف **شمس الدين السخاوي** المتوفي سنة ٩٠٢ هـ، تحقيق **أسعد طرابزوني الحسيني**، صدر ج ١، عن دار النشر للثقافة.



★ د. شكري عياد ★



★ د. عائشة عبد الرحمن ★

● «**أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام**»، تأليف **ابن الكلبي**، تحقيق **أحمد زكي**، صدر ضمن سلسلة ـ المكتبة العربية ـ التي تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● «**الإسرائيليات في الغزو الفكري**»، تأليف **الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطىء»**.

● «**الكسندر هاملتون**»، تأليف **ناتان سيشاشز**، ترجمة **محمد فرح**.

كتب جديدة

● «**اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر**»، تأليف **نهاد التكرلي**، كتيب صغير صدر ضمن الموسوعة الصغيرة التي تنشرها وزارة الثقافة والفنون العراقية.

● «**الشعر الفلسطيني الحديث**»، تأليف **خالد علي مصطفى**، صدر عن **وزارة الثقافة والفنون العراقية**.

● «**نقاد الأدب**»، صدر عن **وزارة الثقافة والفنون**، وهو كتاب يهتم بدراسة النقد الأدبي ومراحله وتاريخه.

● «**نحو لغة عربية سليمة**»، مجموعة أبحاث ودراسات علمية، تأليف لفيف من الأساتذة المشتغلين بتيسير العربية في الجامعات العربية المختلفة، صدر الكتاب عن وزارة الثقافة والفنون.

● «**فن التمثيل عند العرب**»، للدكتور **محمد حسن الأعرجي**.

● «**بحيرة البجع**»، تأليف **مي مطر**.

● «**المواسم الأخرى**»، مجموعة قصصية، تأليف **عبد الرحمن مجيد الربيعي**، صدرت عن دار الطليعة ببيروت.

● «**اللغة والحضارة**»، تأليف **الدكتور إبراهيم السامرائي**، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات.

● «**فهرست الكتب العربية**»، كتاب أصدره المركز الثقافي العراقي في لندن متضمناً فهرس مكتبة المركز.

● «**العراضة في الحكاية السلجوقية**»، باللغة الفارسية، تأليف **محمد بن النظام الحسيني** المتوفي سنة ٧٤٣ هـ، ترجمه إلى العربية **الدكتور عبد المنعم محمد حسنين**، طبع الكتاب على نفقة **جامعة بغداد**.

● «**لوعة الشمس**»، مجموعة شعرية للشاعر **جبرا إبراهيم جبرا**، صدرت عن دار رمزي للطباعة والنشر.

● «**البحر من ورائكم**»، مجموعة قصصية، تأليف **مؤنس الرزاز**، صدرت عن وزارة الثقافة والفنون.



★ إبراهيم الشنطي ★

الأردن

إبراهيم الشنطي في ذمة الله

انتقل إلى رحمة الله الأستاذ **إبراهيم الشنطي**، الصحافي والأديب الفلسطيني الكبير عن عمر يناهز التاسعة والستين، وقد كان رحمه الله من الرعيل الأول المهتم بالصحافة في الأردن وفلسطين، وقد أسس المرحوم في **القدس** سنة ١٩٣٤م، جريدة **(الدفاع)** التي استطاع بواسطتها استقطاب أقلام النخبة الوطنية في فلسطين خلال الانتداب البريطاني على فلسطين، وكان للفقيد مكانة مرموقة في الأوساط الثقافية والسياسية العربية، كما **تولى منصب نقيب الصحفيين الأردنيين** عند تأسيس النقابة سنة ١٩٦٩م.

ندوة عن الإسلام

أقيمت في الأردن ندوة عن «**الإسلام**»، وذلك **بمناسبة الإسراء والمعراج**، حضرها كبار زعماء المسلمين في العالم، هذا وقد دعت وزارة الأوقاف الأردنية حوالي (١٠٠) مسلم بارز بينهم خبراء اقتصاديون وزعماء دينيون وسياسيون وشخصيات أدبية لحضور هذه الندوة.

معرض كتاب المرأة

أقيم معرض كتاب المرأة تحت إشراف مديرية المكتبات والوثائق الوطنية، وقد ضم هذا المعرض أكثر من (٨٠٠) كتاب باللغتين العربية والإنجليزية.

معرض للأطفال

أقامت «جمعية أصدقاء الأطفال» بالتعاون مع (مكتبة عمان)، معرضاً كبيراً لكتب الأطفال، كما أقام مركز (هيا الثقافي) معرضاً لكتب الأطفال أيضاً.

مسح أثري للمواقع الأثرية في الصحراء

قامت دائرة الآثار العامة بمسح أثري للمواقع التي تعود إلى العصور الحجرية في الصحراء الشرقية في الأردن.



- **الكتاب: كيف حقق الإنسان إنسانيته؟**
- **المؤلف: الأستاذ غارودي** GARAUDY
- **الناشر: إفريقيا الفتاة** JEUNE AFRIQUE

الكتاب أشبه بموسوعة صغيرة موجزة النص لكنها نيِّرة الأسلوب، يجد المرء في قراءتها المتعة والفائدة.

لقد ظهر كتاب السيد روجه غارودي في الوقت الذي بدأت فيه المدنيات المختلفة بأن تتعارف ويزداد بعضها غنى ببعض، فجاء محققاً للآمال التي عقدت على تعارف الثقافات وتفاعلها.

إن الفصول المكتوبة عن الإسلام والمعروضة عرضاً جيداً بلا تحيز، تجعل القارىء يطمئن إلى صدق الكاتب ويعجب بقدرته على التغلغل في النفس الإسلامية والوصول إلى أعماق التفكير الإسلامي.

تحدَّث الكتاب عن الإسلام في ستة فصول، لكنها فصول متعاطفة يشير بعضها إلى بعض، لتذكِّر دوماً بأن **الإسلام دين جامع شامل محيط بكل جوانب الحياة بلا تفريق**. فهو يجعل المسلم يعيش حياته اليومية المادية والجسدية ممزوجة معجونة بحياته الروحية والفكرية والدينية ينهض بها كلها إيمان عميق واسع بوحدانية الله وعدله.

استمتعت بقراءة **الفصل المخصوص بالعلوم الإسلامية** ولا سيما بالإشارة إلى أن تقدم العلوم لا يشترط قصر البحث على علوم التقنية وعلى الاهتمام فقط بالنواحي المادية من حياة الإنسان وحياة الكون وإهمال الجوانب الأخرى للحياة التي هي من جوهر العلوم الإسلامية.

إن الصور التي تري القارىء نماذج من **الفن الإسلامي** جميلة جداً. ولا ريب أن حجم الكتاب لا يسمح بتقديم الكثير من النماذج عن الفن الإسلامي في عمارة المساجد. إنما الذي كنت أتمناه أن أجد في هذا المؤلف النفيس نماذج من فن بناء **المسجد الأقصى في القدس ومسجد الأمويين في دمشق ومسجد عقبة في القيروان**. وقد علمت أن في **لندن** سعياً لإخراج مجموعة من الصور الفنية للمساجد الإسلامية.

وفي رأيي أن الواجب يدعو إلى تعريف المسلمين بهذا الكتاب وتشجيع نقله إلى اللغة العربية وإلى اللغات الأخرى للشعوب الإسلامية في كل بلاد الأرض، لأن الثقافة الإسلامية ثقافة عالمية، فعلى المسلم إذن أن يتعرف إلى الثقافات المختلفة لتبقى ثقافته عالمية لا سيما وقد جمعت وعرضت عرضاً واضحاً جيداً في كتاب السيد غارودي. والقارىء المسلم لهذا الكتاب يدرك في الوقت نفسه المكانة التي تحتلها ثقافة الإسلام بين الثقافات العالمية الكبرى.

مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس
د. عبد الحليم خلدون الكناني

كتب جديدة

● «نداء الخليج»، ج ٢، للشاعر **سالم العويس**، صدر في الأردن.

● «مسافرة في الجراح»، ديوان شعري **لخالد المحادين**، صدر عن دار المسيرة.

● «الشعر في الإسلام»، تأليف **الدكتور أحمد فؤاد الغول**، صدر ضمن سلسلة (**أقلام الصحوة**)، وهو الكتاب الرابع للمؤلف.

● «مبادىء القياس النفسي ـ والتقييم التربوي للطالب الجامعي والمعلم العربي»، تأليف **الدكتور سبع محمد أبو لبدة**.

● «النشمي»، تأليف **جوليا صوالحة**.

● «أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث»، تأليف **الدكتور فهمي جدعان**، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات.

● «تعريب رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاته»، من اصدار مجمع اللغة العربية الأردني.

● «من القواعد العربية للأطفال»، ج ١، تأليف **واصف فاخوري**، الكتاب الأول من سلسلة الفن الثقافي للعلوم المدرسية.

● «العربات»، تأليف **يوسف حمزة**.

● «صرخة الغرباء»، للشاعر **علي علي محمد**.

● «حكايات السلحفاة»، قصص مترجمة للأطفال من تأليف **فخري قعوار**.

● «الدولة الإسلامية : دولة إنسانية»، تأليف **عبد الله غوشة**.



أسبوع ثقافي سينغالي وعراقي

أقيم في تونس الأسبوع الثقافي السينغالي العراقي، وذلك دعماً للثقافة المتبادلة بين هذين البلدين وتونس.

معـرض للكتاب العربي

أقيم بقاعة يحيى للفنون تحت إشراف الشركة التونسية للنشر والتوزيع **معرض للكتاب العربي** شاركت فيه بعض الدول العربية.

معرض تونسي جزائري للفن المعاصر

أقيم بقاعة يحيى للفنون، **المعرض التونسي الجزائري للفن المعاصر** ضم ٨٠ عملاً فنياً لأبرز الرسامين في هذين البلدين.

معـرض للكتاب

أقامت **وزارة الشؤون الثقافية التونسية** المعرض الدولي التاسع للكتاب العربي مشتملاً على (٧٠٠٠) عنوان، متوزعة على (٢٥٠,٠٠٠) كتاب، وقد اشترك فيه أكثر من (١٠٠) دار للطباعة والنشر والتوزيع تمثل (١٠) أقطار عربية.

كتب جديدة

● «الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية»، تأليف **الدكتور الهادي حمودة الغزي**، صدر عن **الدار التونسية للنشر والتوزيع والإعلام**.

● «في ربوع الأندلس»، تأليف **الدكتور عيسى الناعوري**، صدر عن **الدار العربية للكتاب** في كل من ليبيا وتونس.

● «الرحلة الحجازية» ج ١، تأليف **محمد السنوسي**، تحقيق **علي الشنوفي**، صدر عن الشركة التونسية للتوزيع.

ومن اصدارات الشركة التونسية للتوزيع :

● «ارشاد الأمة ومنهاج الأئمة»، تأليف **محمد عبد العزيز جعيط**.

● «دراسات في مصطلح السياسة عند العرب»، تأليف **أحمد عبد السلام**.

● «افتتاح الدعوة»، تأليف **القاضي النعمان**، تحقيق **الدكتور فرحات الدشراوي**.

● «تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي عبر العصور»، تأليف محمود عبد المولى.

● «النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح»، للمرحوم **محمد الطاهر بن عاشور**، صدر عن الدار العربية للكتاب.

● «التحرير والتنوير»، تأليف **محمد الطاهر بن عاشور**، صدر عن الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية الجزائرية للنشر.

● «الموسيقى العربية، تاريخها، أدبها»، تأليف **صالح المهدي**، صدر عن الدار التونسية للنشر.

● «الفنون الإسلامية في البلاد التونسية»، تأليف **سلمان مصطفى**، صدر عن المعهد القومي للآثار والفنون.

● «بدايات الصحافة التونسية ـ انبعاث الرائد»، تأليف **المنجي صميدة**، صدر عن المطبعة الرسمية.

● «أعمدة من دخان»، المجموعة القصصية الأولى، تأليف **نافلة ذهب**، نشر شركة صفاء للنشر والتوزيع.

● «من وحي الفكر»، تأليف **محمد المزالي**، صدر عن مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر (الطبعة الثانية).

● «أدب مطوب»، تأليف **منور صمادح**، ديوان شعري صدر عن دار بوسلامة للنشر.

● «مصائف الأطفال»، تأليف **محمد الطرابلسي**، ترجمة **الحبيب صفر**، تقديم محمد المزالي، صدر عن دار بوسلامة.

● «الأباضية بالجويد»، تأليف **صالح باجية**، صدر عن دار بوسلامة.

● «التقويم الاقتصادي للمغرب العربي، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب»، الناشر دار بوسلامة، ويقع في ١١٠٠ صفحة.



كتب جديدة

● «نظرية التكليف: آراء القاضي عبد الجبار الكلامية»، تأليف الدكتور عبد الكريم عثمان، صدر عن مؤسسة الرسالة.

● «الجسد حقيبة السفر»، ج ٢، من تأليف غادة السمان.

● «قلعة الأساطير»، الرواية الثانية، تأليف ليلى عسيران، صدرت عن دار النهار للنشر.

● «بحيرة الشيطان»، ج ٣، من تأليف غادة السمان.

● «أمسيات قرب قرية ديكانك»، تأليف نيقولاي غوغول، ترجمها عن الروسية، إبراهيم زكي خورشيد، صدرت في جزءين من سلسلة روايات الهلال.

● «ملاحم وأساطير من الأدب السامي»، نقلها عن السامية الدكتور أنيس فريحة، صدرت عن دار النهار للنشر.

● «الطائرات المدنية والعسكرية في العالم»، تأليف معين أحمد محمود، صدر عن دار الأندلس.

● «شعر بدر شاكر السياب»، تأليف حسن توفيق، صدر عن المؤسسة العربية.

● «الرجال الخطرون»، مجموعة قصصية، تأليف ياسين رفاعية، نشر دار الطليعة.

● «مصر والعروبة»، تأليف منح الصلح، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات.

● «ديوان محمد الفيتوري»، صدر عن دار العودة، المجلد الثاني.

● «لبنان ـ ماذا دهاك؟»، تأليف منير تقي الدين، من منشورات دار مكتبة الحياة.

● «باقات من الإسلام»، تأليف شوكت المنلا، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

وعن دار الشروق ـ صدرت الكتب الآتية:

● «مع الشعراء».

● «في حياتنا العقلية».

● «من زاوية فلسفية»، تأليف الدكتور زكي نجيب محمود.

● «منطق الطير»، تأليف فريد الدين العطار النيسابوري، تحقيق الدكتور بديع محمد جمعة، صدر عن دار الأندلس.

● «ملاحظات على وفيات الأعيان»، تأليف علي جواد الطاهر، صدر عن مؤسسة الرسالة.

لقاء شعري

أقام اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بالاشتراك مع اتحاد الكتاب الجزائريين ملتقى شعرياً بمقر الاتحاد.

كتب جديدة

● «تطور النثر الجزائري»، تأليف الدكتور عبد الله الركيبي.

● «بوعزطة»، مسرحية، كتبها عبد الرحمن ماضوي، وقدم لها الدكتور عبد الله شريط.

● «مدن وأماكن أخرى»، مجموعة شعرية باللغة الفرنسية، تأليف ماكد علولة، نشر بورجواس.

كتب جديدة

● «في نقد فكر التسوية»، تأليف بديعة أمين.

● «ألف، لام، ميم»، مجموعة شعرية، للشاعر محمد حمزة غنايم، صدرت عن مؤسسة الأسوار للطباعة.

● «دفاتر المطر»، ديوان شعري، للشاعرة ليلى السايح، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «قبلة على جبين الشمس»، المجموعة الشعرية السادسة للشاعر حلمي الزواتي.

● «المجموعة الشعرية الخامسة» للشاعر الفلسطيني محمد القبيسي، صدرت عن دار ابن رشد بلبنان.

● «دفاتر فلسطينية»، مجموعة شعرية، للشاعر معين بسيسو، صدرت بالألمانية وترجمت للروسية.

مهرجان للشباب العربي

أقيم في المغرب مهرجان للشباب العربي، اشترك فيه أربع وعشرون دولة عربية، ويهدف المهرجان إلى لقاء الشباب في كافة أرجاء الوطن العربي للتعارف والتعاون وتبادل الخبرات.

اشكالية اللغة في الأدب المغربي

نظم فرع اتحاد كتّاب المغرب بالدار البيضاء ندوة بعنوان «اشكالية اللغة في الأدب المغربي»، شارك فيها مجموعة من الكتّاب أمثال: محمد برادة، وإبراهيم الخطيب ومحمد البسريني.

أسبوع للطفل

نظم أسبوع ثقافي خاص بالطفل اشتمل على ندوات ومحاضرات وأفلام.

كتب جديدة

● «**الفارس والقمة**»، ديوان شعري **لمحمد حمدان**، صدر عن دار الرشاد الحديثة.

● «**العض على الحديد**»، مجموعة قصصية، تأليف **محمد عزيز الحبابي**، صدر عن الدار التونسية للنشر.

● «**منتخبات من نوادر المخطوطات**»، **لعبد الرحمن الفاسي**.

● «**المصطلح المشترك، دراسات في الأدب المغربي المعاصر**»، تأليف **إدريس النافوري**، صدر عن دار النشر المغربية.

● «**دليل مؤرخ المغرب الأقصى**»، تأليف **عبد السلام بن سودة**، صدر عن دار الكتاب للطباعة والنشر.

التقنيات التربوية

ينظم المركز العربي للتقنيات التربوية التابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم، ندوة **لقادة التقنيات التربوية في الوطن العربي**، يشترك فيها كل الجهات المهتمة بالتعليم والتربية في الوطن العربي.

كتب جديدة

● «**رحلة في بحر عاصف**»، مجموعة شعرية للشاعر **شهاب محمد**.

● «**الإسلام دين البشرية**»، الحلقة الخامسة من سلسلة «مفاهيم إسلامية»، التي تصدرها دار التوحيد.

● «**منهاج النجاة**»، تأليف **محمد مرتضي شاه**، تحقيق **غالب حسن**، كتاب يقع في ١٦٦ صفحة، ومن منشورات دار التوحيد.

● «**النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية**»، تأليف **محمود عبد الفضيل**، ومن منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وهو الكتاب السادس عشر من ضمن سلسلة «**عالم المعرفة**».

● «**التراجيديا والكوميديا**»، ترجمة **الدكتور علي أحمد محمود**، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وهو الكتاب الثامن عشر ضمن سلسلة «**عالم المعرفة**».

● «**أساليب النفي في العربية**»، تأليف **مصطفى النحاس**، صدر عن مؤسسة علي الجراح، ألقى المؤلف الضوء على أدوات النفي وما حدث لها من تطور في الاستعمال، يقع في ٣٠٨ صفحات.

ضمن سلسلة الكتب الثقافية التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بعنوان «عالم المعرفة» صدر الآتي:

● «**عن الموشحات الأندلسية**»، تأليف **الدكتور محمد زكريا عناني**.

● «**الملاحة وعلوم البحار عند العرب**»، تأليف **أنور عبد العليم**.

● «**الإنسان الحائر بين العلوم والخرافة**»، تأليف **الدكتور عبد المحسن صالح**.

● «**الفنان التشكيلي محمد الدمخي، حياته، أعماله**»، تأليف **عبد الرسول سلمان**.



* خالد البرادعي *



* يوسف الشاروني *

مجلة «دراسات»

صدر العدد الثاني من مجلة «**دراسات يمنية للبحوث والنشاطات الثقافية**» التي تصدر عن **مركز الدراسات والبحوث في صنعاء**.

كتب جديدة

● «**تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ والآثار**»، تأليف **وجيه الدين الحبيشي**، تحقيق **عبد الله يحيى الحبشي**، صدر عن مركز الدراسات اليمنية بصنعاء.

البحرين

مهرجان ثقافي

بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس **أسرة الأدباء والكتاب في البحرين**، تنوي الأسرة إقامة مهرجان ثقافي يتضمن سلسلة من الندوات والمحاضرات إلى جانب عرض مسرحي، ومعرض للكتاب.

أبو ظبي

مركز الوثائق والدراسات في الخليج والجزيرة

ستعقد في أبي ظبي الحلقة الرابعة لمركز الوثائق والدراسات في دول الخليج والجزيرة العربية، وذلك بدعوة من الإمارة، هذا وقد وجهت الدعوة إلى عدد من المثقفين والمهتمين بشؤون الخليج ودول المنطقة.

«زهرة الخليج».. مجلة جديدة

عن مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر بأبي ظبي صدرت مجلة «**زهرة الخليج**»، وهي **مجلة نسائية** أسبوعية ترأس تحريرها **عبلة النويسي**.

الإمارات العربية المتحدة

إنشاء مراكز ثقافية

تنوي وزارة الثقافة بدولة الإمارات إقامة مراكز ثقافية يشتمل كل منها على مسرح وقاعة سينما ومكتبة وقاعتي مطالعة للكبار والصغار، كما أن الوزارة لديها النيّة لتعميم المكتبات العامة في المدن والقرى وأحياء المدن الكبرى.

كتب جديدة

● «**ذلك الزمان**»، مجموعة قصصية، تأليف **عبد الرضا السجواني**، صدرت عن مطبوعات وزارة الإعلام والثقافة بالدولة.

مؤتمر تمهيدي للصحافة الإسلامية

عقد في مدينة لفكوشا بقبرص **المؤتمر التمهيدي للصحافة الإسلامية** في الفترة الواقعة بين ٢٦ ــ ٢٨ رجب ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٢١ ــ ٢٣ يونيو / حزيران ١٩٧٩ م ، بدعوة من **الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامية بمكة المكرمة** . وقد ناقش المؤتمرون عدداً من القضايا المتعلقة بالصحافة الإسلامية ، من أبرزها توثيق الصلات بين القائمين بالعمل في حقل الصحافة الإسلامية ، وقضية تطوير الصحافة ، كما ناقشوا مشاكل الصحافة الإسلامية المتمثلة في التوزيع والانتشار ، والتمويل ، والمنافسة ، وغيرها من القضايا الهامة منها إعداد الصحفي المسلم الجيد .

وقد اتخذ عدد من القرارات والتوصيات تمهيداً لمناقشتها من قبل **الأمانة العامة الدائمة لمؤتمر الصحافة الإسلامية** الذي سوف يعقد في المستقبل القريب .

حضر المؤتمر عدد من رؤساء وأصحاب الصحف في كل من **المملكة العربية السعودية ، والكويت ، ولبنان ، والمغرب ، ودولة الإمارات العربية المتحدة ، وتونس ، وتركيا ، وباكستان ، وسلطنة عمان ، وفرنسا ، وأميريكا ، وأندونيسيا ، وإنجلترا ، وكندا ، ودولة قبرص التركية الاتحادية ، والهند .**

كتب جديدة

● « **الفتوحات الإسلامية** » ، كتاب جديد من تأليف مجموعة من أساتذة التاريخ الإسلامي في عدد من الجامعات في باكستان .

بمناسبة

عام الطفل



هانز أندرسون .. والأطفال

بمناسبة العام الدولي للطفل ينبغي أن نذكر **هانز كريستيان أندرسون** أول من حكى حكايات الأطفال ، وقد كان أندرسون (١٨٠٥ ـ ١٨٧٥ م) ، كاتباً دانماركياً ذا خيال غزير .

كان أبوه صانع أحذية توفي أثناء طفولة هانز فتزوجت أمه رجلاً آخر وأصبح وحيداً يواجه الحياة بمفرده ، ولكن أباه كان ذا معرفة واسعة بالأساطير والحكايات الخرافية والشعبية ، فروى له مئات الحكايات . وهمس أبوه قبل وفاته في أذنه قائلاً إنه كان أجدر به أن يستغل ثقافته في عمل آخر سوى صناعة الأحذية . فأراد ابنه أن يستفيد من هذا التراث الضخم الذي رواه له والده في صغره من الحكايات الخرافية .

وليس ذلك بالغريب لأن معظم الأساطير والحكايات الخرافية الأوروبية نبعت غالبيتها من بلاد شمال أوروبا وبخاصة الدانمارك . ونحن نعرف بغير شك أن المسرحية الهامة التي ألفها **شكسبير** عن هاملت مستقاة من أسطورة دانماركية عن الأمير **أملتوس** وقد حورها شكسبير وطورها واستبعد منها أجزاء كثيرة ليجعلها موضوعاً درامياً .

وكان والد أندرسون يقضي الليل في قراءة الحكايات الشعبية . فطالع من بين ما طالعه **كتاب ألف ليلة وليلة** الذي عرفت أوروبا ترجمته ابتداء من القرن السادس عشر على يد **أنتوان جالان** المستشرق الفرنسي ، وكان يقرأ الكتاب بصوت مرتفع على مسمع من زوجته وابنه وغالباً ما كان ابنه هانز يتظاهر بالنوم ، ولكنه يظل يصغي لكل كلمة ينطق بها والده ، وظل ذلك يتكرر ليال طويلة .

وأثناء النهار كان الوالد مشغولا بعمله في صناعة الأحذية في حين كان هانز يتسلل إلى بيوت صانعات المنسوجات من السيدات المسنات . فاعتاد أن يصغي اليهن وهن يروين الحكايات تلو الحكايات من المأثورات الشعبية . ويقولون إن الدانمارك كانت مليئة بعدد من الحكايات الخرافية يعادل عدد الجماهير التي ترويها وتسمعها .

وبدأ أندرسون الابن يلتمس الحكايات الخرافية في كل موقع حتى ملأت حياته وتفكيره ، لكنه كان يقتبس الكثير من حكاياته من بعض الأحداث الواقعية ، فمثلاً **أسطورة الجنية** التي كانت تلحق الموت بكل من يراقصها أكملها هو بوقائع ومشاهدات من حياته الشخصية ، ولم ينس قصة سيدة أنيقة جاءت إلى محل والده وهو صغير وطلبت منه أن يصنع لها زوجاً من الأحذية الحمراء ولم تشأ أن ترد ثمنها إلى والده . وبقيت صورة الحزن التي ترتبت على ذلك في بيت أبيه الفقير حتى كتب حكاية بعنوان الأحذية الحمراء عندما أصبح كاتباً .

وتمثل نبوغه في ربط أحداث حياته اليومية وذكرياته عن أمه وأبيه التي سمعها منهما بحكاياته الخرافية . فوضع بعض أحداث حياة أمه في حكايته عن « **فتاة عيدان الثقاب** » . وكان أبوه يشير إلى بعض أشكال الجليد المجمد ويقول له إن هذا الشكل يشبه امرأة . وبعد سنوات من هذه الواقعة ألف حكايته عن **الملكة سنوهوايت** التي يراها الأطفال كفيلم سينمائي هذه الأيام .

ثم توجه الطفل هانز أندرسون إلى العاصمة **كوبنهاجن** في سن الرابعة عشرة إذ كان يطمح في أن يصبر ممثلاً وكاتباً . وأخذ يتردد على العاملين بالمسارح والفنانين والمؤلفين . وبعد أن صار على وشك الافلاس تماماً صادف أحد معلمي الموسيقى الذي سمع صوته في الإنشاد واهتم بأمره ، لكنه لم يلبث أن تغير صوته الطفولي عندما أصبح بالغاً شاباً . وفقد مصدر رزقه فأعانته إحدى الأميرات ببعض المال فاشترى العديد من الكتب ، ثم عاونوه على الالتحاق بإحدى المدارس فانشرح صدره وهو يجلس وسط أقرانه يروي لهم العديد من الحكايات .

وفي سنة ١٨٣٥ م ، أصدر هانز أندرسون أول مؤلفاته عن حكايات الأطفال ، وأصبح هانز أندرسون أشهر كاتب يعرفه الأطفال في جميع اللغات ، واستقبله الملك نفسه عندما صار كاتباً مشهوراً في الدانمارك واستغل قدراته الشاعرية في حكاية أقاصيص الأطفال وأصبح واحداً من الكتّاب الذين يذكرهم التاريخ وصار البيت الذي ولد فيه متحفاً باسمه .

د . عبد الفتاح الديدي

تركيا

مؤتمر عالمي للعلاقات التركية العربية

يعقد في جامعة (حاجه تبه) التركية مؤتمر عالمي يبحث في العلاقات — التركية العربية — في الماضي، والحاضر، والمستقبل. وقد دعي إليه عدد من كبار المختصين في شؤون العلاقات التركية العربية تاريخياً، وإسلامياً، وسياسياً، وثقافياً.

بريطانيا

ندوة عالمية عن صناعة المعجم

في **جامعة (إكستر)** في بريطانيا تحت إشراف **الجمعية البريطانية لعلم اللغة التطبيقي**، أقيمت ندوة عالمية عن **صناعة المعجم**، اشترك بها أكثر من ١٠٠ لغوي ومعجمي متخصص من جميع أنحاء العالم، وقدموا أبحاثاً ودراسات تناولت صناعة المعجم في مختلف مراحل التاريخ الإنساني، كما تناولت كيفية معالجة المصطلح العلمي في الحاسبات الالكترونية في العصر الحديث.

هانز أندرسون يحكي حكاياته للأطفال ★





★ جانب من جلسات المؤتمر التمهيدي للصحافة الإسلامية الذي انعقد في قبرص ★

مؤتمر عن الفنون الشعبية

يعقد في أدنبره مؤتمر عن **(الفنون الشعبية)**، وهو المؤتمر السابع للجمعية الدولية لدراسات القصص الشعبي، ويضم جميع المتخصصين في الفولكلورات والفنون الشعبية في جميع البلاد المهتمة بهذه الدراسة، وبعد هذا المؤتمر سوف يعقد المهرجان الدولي للدراما والموسيقى.

معرض عالمي للإعلانات

أقام **المركز الثقافي العراقي بلندن**، معرضاً عالمياً للإعلانات، كان موضوعه الرئيسي «**نضال العالم الثالث من أجل التحرر**»، وكان من ضمن الإعلانات إعلان لفت الانتباه وفاز بالجائزة وعنوانه «**العودة**»، وهو عبارة عن خطاب مرسل إلى **دولة فلسطين** لكن السلطات الإسرائيلية ترجعه إلى المرسل بحجة أنه لا يوجد عنوان كهذا، وكذلك عنوان آخر كتب عليه «**استيقظ أيها العالم الثالث**».

مدرسة إسلامية عربية في لندن

من ضمن نشاطات **المركز الثقافي الإسلامي بلندن**، قيامه بإنشاء مدرسة إسلامية عربية، وذلك لتعلم العلوم العربية والدين الإسلامي وكذا التاريخ الإسلامي إضافة للمواد التي تدرس في المدارس البريطانية، وذلك لأبناء المسلمين هناك.

سعودية تحاضر عن الإسلام

في مدينة **سان فرانسيسكو** بولاية كاليفورنيا، ألقت الطالبة السعودية **الجازي محمد آل فهد** محاضرة في الجامعة كان موضوعها: «**الإسلام وأصول الشريعة الإسلامية**».

أحدث الكتب

● «**الأصوات**»، تأليف لفيف من أساتذة الصوتيات في الجامعات الأميريكية.

● «**نظرية الفضيلة عند الغزالي**»، من ضمن منشورات **جامعة نيويورك** صدر باللغة الانجليزية ضمن السلسلة الصادرة عن الجامعة بعنوان «**دراسات في الفلسفة والعلوم الإسلامية**».

● «**جنون المال**»، كتاب صدر مؤخراً في نيويورك.

● «**البيئة وأثرها على الحياة السكانية**»، تأليف **توماس إميل**.

اشكالية الدراسات العربية

عقد في جامعة (**فانسان**) مؤتمر حول (**اشكالية الدراسات العربية**)، شارك فيه عدد من المستشرقين الفرنسيين وباحثين غربيين وكتّاب وشعراء عرب.

معرض لفنان تجريدي

أقيم في باريس معرض للرسام الإيطالي **ألبرتو مانيللي** أستاذ الفن التجريدي الذي تتميز أعماله بالألوان الهادئة، ضم المعرض ٤٥ لوحة رسمها الفنان في الفترة من ١٩١٤ ــ ١٩٧٠م.

أحدث الكتب

● «**المؤامرة**»، رواية للكاتب اليوناني **نيكولا يديس**، ترجمت للفرنسية.

● «**الرحلة إلى لبنان**»، رواية باللغة الفرنسية من تأليف **أنطوان ادوار**، صدرت عن **منشورات غاليمار بباريس**.

● «**الحركة الحديثة في الشعر العربي المعاصر ـ بحث في الإطار الاجتماعي، الثقافي والتوجهات والبنى الأدبية**»، تأليف **كمال خير بك**، صدرت باللغة الفرنسية عن منشورات فرنسا الاستشراقية.

● «**التنجيم العالمي**»، تأليف **أندريه باريو**.

● «**ألبرتو مورافيا**» دراسة حول الكاتب الإيطالي العالمي ألبرتو، وضعتها **فانيا لوكسيك**.

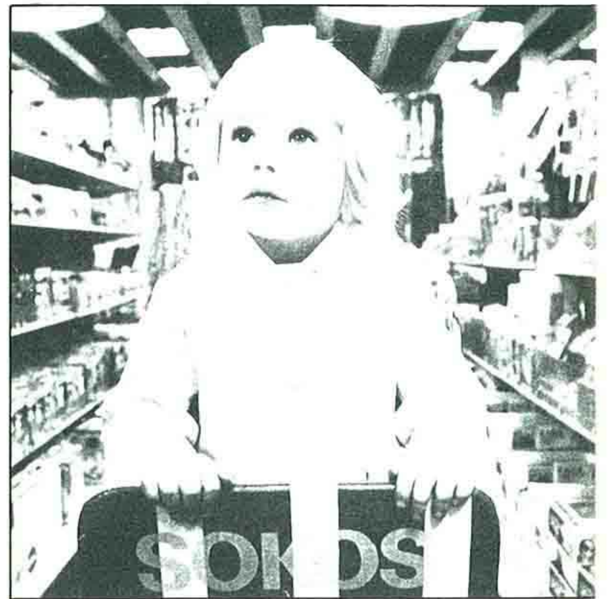
● «**مصيدة مثل فرانزكافكا**»، تأليف **مارتا روبير**.

● صدر في باريس مجلد ضخم ضم أعمال الأديب الفرنسي «**أندريه مالرو**» قدمه نخبة من أصدقائه.

● صدر في باريس المجلد الخامس من الأعمال الكاملة للروائي الفرنسي المعاصر «**جان جينيه**» ضم مسرحيتي «الزنوج» و«الأمل»، وخواطر نثرية عن ذكرياته وهو في السجن بعنوان «الطفل المجرم».

● «**الحب عبر التاريخ الفرنسي**»، تأليف **جوى برتون**، مكون من عشرة أجزاء يتحدث عن أشهر قصص الحب عبر التاريخ الفرنسي كما يعطي رؤية للتاريخ الفرنسي من خلال هذه القصص.

● «**نابليون بونابرت**»، تأليف **جورج بوردتوف**، في هذا الكتاب تحليل لشخصية نابليون من خلال أقواله.



★ الطفل في الدول المتقدمة ★



★ الطفل في الدول النامية ★

● «**آخر ملك في الملوك**»، تأليف **جونتران دي جويناك**، كتاب تدور أحداثه حول إمبراطور أثيوبيا السابق هيلاسلاسي.

● «**ماري كوري**»، تأليف **روبير رايد**، يتعرض الكتاب لحياة ونشأة العالمة الفرنسية مدام كوري مكتشفة الراديوم.

نـدوة دولـيـة

عقدت في جامعة (زيورخ) الألمانية نـدوة دولية مخصصة لأعمال الروائي الأيرلندي (جيمس جويس) وهو كاتب وشاعر أيرلندي ولد عام ١٨٨٢ وتوفي عام ١٩٤١م.

أحدث الكتب

● «**المفكرون في عصور الخلفاء**»، كتاب صدر في ألمانيا مركزاً على حياة عديد من العلماء العرب الذين لهم شهرة عالمية مثل: **الكندي، والبيروني، وابن رشد، وابن خلدون، وابن سيناء.**

أحدث الكتب

● «**المسرح عند هوفمنستال**»، صدر هذا الكتاب بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاة كاتبها الشهير «**هوجو فان هوفمنستال**»، والكتاب يتعرض للمسرحيتين الشهيرتين اللتين كتبهما وهما: الكترا، والفارس ذو الوردة.

اللغة العربية في مؤتمر التنمية والتجارة الدولي

بحث موضوع ادخال اللغة العربية ــ ضمن اللغات الرسمية المستخدمة ــ في مؤتمر التنمية والتجارة الدولي وهي الإنجليزية والفرنسية والإسبانية، وذلك في مشروع تقدمت به مجموعة الدول السبع والسبعين في المؤتمر.

أحدث الكتب

● «**النظم الاجتماعية والسياسية والحقوقية في الإسلام**»، تأليف **رأفت شنبور**، والكتاب باللغة الفرنسية، صدر في سويسرا.

● «**الأرض الإنسانية**»، دراسات للكاتب السويسري المعاصر **شارل فرديناند**، وهو عبارة عن مجموعة أبحاث في **علم الأجناس البشرية والعادات والتقاليد.**

أحدث الكتب

● رواية «**طواحين بيروت**»، **لتوفيق يوسف عواد** التي صدرت عن دار التقدم ترجمت للروسية.

اليوم و الغد

جهاز يمنع الموت اختناقاً

يتعرض الناس أثناء نشوب الحريق في البيت أو المكتب إلى الموت بسبب الاختناق بالغازات السامة الناتجة عن الحريق، وذلك إذا حالت النيران دون خروجهم من المكان. ولذلك فقد صنعت شركة (آنا هايم) في **كاليفورنيا**، جهازاً يحول دون الموت اختناقاً، اسمه **(جهاز الإسعاف بالهواء)** Emergency Escape Air، وقد صمم لاستخدامه في المنازل والمكاتب في حالة نشوب الحريق، لمساعدة ضحايا الحريق على النجاة دون استنشاق الدخان السام. والجهاز عبارة عن نسخة مبسطة من أجهزة الإسعاف بالأوكسجين الموجودة في المنشآت الصناعية. وهو يتألف من **خوذة** تلبس على الرأس، وتغطي الوجه مصنوعة من مادة **(البلاستيك)** الشفاف، ومتصلة عن طريق خرطوم بأسطوانة تحتوي على الهواء المضغوط الممزوج بالأوكسجين. وما على المرء إذا اضطر إلى استخدام الجهاز سوى أن يفتح صنبور الأسطوانة، وأن يلبس الخوذة البلاستيكية على رأسه ليتنفس هواء نقياً يكفيه لمدة خمس دقائق، وهي بالطبع خمس دقائق ثمينة في انتظار وصول فرقة الإطفاء إليه.

تلفزيون للمصابين بالصمم

ستبدأ محطات التلفزيون في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٨٠م، ببث برامج خاصة بالصم، وستبلغ ساعات الارسال عشرين ساعة أسبوعياً. ويمكن التقاط هذه البرامج بواسطة أجهزة التلفزيون العادية، ولن يلاحظ المشاهدون لتلك البرامج شيئاً مختلفاً. أما المصابون بالصمم، فإن أجهزتهم ستزود بجهاز يفك **الرموز** Coding Dvice، وبذلك يتحول الحديث إلى رموز يمكن رؤيتها على الشاشة ويستطيع المصابون بالصمم فهمها، وقد بدأت شركة (سيرز ريوبوك) في مدينة **شيكاغو** ببيع جهاز فك الرموز منذ الآن.

ورق لا يتأثر بتقلبات الطقس

يمكن للورق العادي المستخدم في طابعات الحاسب الإلكتروني **(الكمبيوتر)**، وأجهزة القياس العلمية، وآلات نقل المعلومات، أن يتأثر برطوبة الجو العالية أو انخفاضها. وقد تبين أن الهواء الجاف أو الرطب فوق حد الاعتدال يؤثر في الورق ويُحدث فيه تعرجات والتواءات تجعل الكتابة المطبوعة عليه غير مقروءة. لذا فقد قامت شركة (ماتسوشيتا) في مدينة **أوزاكا)** في **اليابان**، بإنتاج **نوع جديد من الورق يقاوم تقلبات الطقس من رطوبة أو جفاف**. ويصلح هذا الورق للعمل في درجات رطوبة نسبية تتراوح بين صفر إلى مئة في المئة، بالمقارنة بالورق العادي المستخدم حالياً والذي يصلح للعمل في درجات رطوبة نسبية تتراوح بين ٤٠٪ إلى ٧٠٪. وتقول الشركة المنتجة إن هذا النوع الجديد من الورق يصلح للآلات المستخدمة في المناخ الصحراوي والمناطق المدارية.

آلـة حاسبة للمكفوفين

ابتكرت إحدى الشركات آلة حاسبة صغيرة للمكفوفين تقدم النتائج على صورة أرقام بارزة، وتستطيع القيام بسبع وأربعين عملية حسابية. كما يجري المهندسون الألمان التجارب لإنتاج آلة للقراءة، تحول الحروف المطبوعة إلى حروف بارزة، تساعد المكفوفين على قراءتها.

أفكار منشورة أفكار منشورة

● إن هذه الحضارة خاطبت حس الإنسان ولم تخاطب روحه ، وملأت بطنه ولم تملأ غرائزه ، وهذبت مظهره ولم تهذب شعوره ، فصنعت المركب الفاره ، والمسكن الفاخر ، والملبس الجميل ولم تربّ العقل الناصح ، والعاطفة الكريمة ، والإنسان المهذب ، والخلق الرفيع .

مجلة « البلاغ » الكويتية

● قد ينفق المسلمون أموالا لإنشاء مراكز إسلامية كثرت في هذه الدنيا . . ولكن أين أثرها . . أين تأثيرها ؟ أنا لا أفرح بان يأتيني أي مركز برجل قد بلغ عمره أكثر من ثلاثين عاماً يعلن إسلامه ، أولا لقلة هؤلاء ، وثانياً ينبغي البحث عن الدوافع إليه . أما الأطفال والتلامذة فينبغي للدعاية المسلمة أن تصل إليهم . فمن السهل جداً تنمية الفطرة فيهم ، فالفطرة مسلمة ، فهل أسيء الظن أن أقول إن الإعلام المسلم في الدعاية إلى الإسلام هو دعاية مجردة لم تستطع أن تقاوم ما هو واقع في أندونيسيا ، وما هو واقع في إفريقيا .

محمد حسين زيدان ـ مجلة « اقرأ » السعودية

● الشخص المتعلم يجب ألا يكون محلي التفكير والاهتمامات ، بل يجب أن تتسع معرفته للحضارات والعصور الأخرى ، وأن يكون متفهماً للمشكلات الأخلاقية ومفكراً بها ، وأن تكون لديه معايير أخلاقية وجمالية رفيعة ، ويكون قادراً على رفض الادعاء والزيف في جميع صوره ، وأن يدافع عن آرائه بمنطق ، وقوة حجة .

هنري روزوفسكي ـ مجلة « اليمامة » السعودية

● المناجم التي يجب الاستخراج منها ، لم تعد في الأرض ، ولا في عدد السكان ، ولا في الآلات ، إنما في الفكر ، وبتحديد أدق في استعداد البشر للتفكير والإبداع .

مجلة « الوطن العربي » باريس

● إن السبب في الاختلالات النفسية أو الجنون الذي يحصل للبعض من جراء تعذيب الضمير إنما هو فقدان عنصر الإيمان عندهم .

مجلة « اليقظة » الكويتية

● إن الشكل السائد للتراكيب العظمية ، والجماجم البشرية لأصفى القبائل السامية ـ الحامية اليوم ، قد ظهر في العصر الحجري المتوسط في فلسطين منذ نحو عشرة آلاف سنة ، ومع أننا لا ننكر وقوع تحركات غزو عديدة لشعوب سامية ـ غير عربية ـ عبر أراضي فلسطين بين ذلك التاريخ والألف الثالث قبل الميلاد فإن الاستنباط الوحيد الذي يبدو لنا حقاً ومعقولا هو أن العنصر العربي بقي العنصر الأساسي في التراكيب الذي يثبت عروبة فلسطين منذ ذلك الوقت حتى الآن .

أولبرايت عالم الآثار اللغوي الأميريكي
من كتاب « فيصل وأمانة التاريخ » لحامد مطاوع

● إذا كانت الصهيونية السياسية هي نتاج للتعصب والعرقية ، فقد كانت الصهيونية الأدبية هي أولى ارهاصات ذلك التعصب ، وتلك العرقية .

غسان كنفاني ـ مجلة « الأقلام » العراقية



بمناسبة
عام
الطفل

الإسلام و حقوق الطفل

بقلم: د. محمد فتحي عثمان

اختارت الجمعية العامة للأمم المتحدة العام الجديد الذي استهل بشهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩م ليكون العام الدولي للطفل، بعد أن كان العام الماضي عام حقوق الإنسان بعد مرور ثلاثين عاماً على الإعلان العالمي لهذه الحقوق الذي كان قد صدر عن هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨م. وقد صدرت وثيقة إعلان حقوق الطفل عن الجمعية العامة في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٥٩م.

وقد عنيت رسالة الإسلام بتقرير حقوق الطفل: جنيناً ورضيعاً وفطيماً، وأوضحت ما يجب له من رعاية صحية وتربوية، ونصوص الكتاب والسنَّة حافلة بالتوجيهات والأحكام في هذا الشأن، كما تزخر بذلك سيرة رسول الاسلام صلوات الله عليه وآثار صحابته عليهم رضوان الله.

وقد عرف العرب قبيل الإسلام للطفولة حقها «فكان من عادتهم أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون أنجب للولد، وكانوا يرون أن المربى في المدن كليل الذهن فاتر العزيمة»[١]... وجرياً على هذه العادة جاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن أطفالا يرضعنهم، فكان الطفل اليتيم محمد بن عبد الله من نصيب حليمة بنت ذؤيب السعدية. والحق أن نشوء الطفل في البادية أصح لبدنه وأحدُّ لبصره وأفصح للغته. ولقد ورد عن الرسول ﷺ «أنا افصح العرب واسترضعت في بني سعد بن بكر».

ولقد نشأ محمد عليه صلوات الله يتيماً، وحين اختاره الله رسولا ورحمة للعالمين أكدت رسالته الوصية بالطفل اليتيم في مواضع عدة ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى... فأما اليتيم فلا تقهر﴾ (سورة الضحى الآية ٦ و ٩). ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين. فذلك الذي يدع اليتيم﴾ (سورة الماعون الآية ١، ٢). ﴿فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة. أو إطعام في يوم

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

(الفرقان - ٧٤)

ذي مسغبة . يتيماً ذا مقربة ﴾ (سورة البلد - الآية ١١ - ١٥) . ﴿ وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين ﴾ (سورة البقرة - الآية ٨٣) . ﴿ وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين ﴾ . (سورة البقرة - الآية ١٧٧) . ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ (سورة الإنسان - الآية ٨) .

فإذا كان الطفل اليتيم ذا مال وجب أن يحفظ ماله وتيسر للطفل سبل الانتفاع منه بل واستثماره إن أمكن ، ويوجه الإسلام الولي والوصي إلى إدارة مال الطفل دون مقابل فهذا هو الأفضل أو بأخذ مقابل معتدل مناسب إذا لزم ذلك ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ، ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ، ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً ﴾ (سورة النساء - الآية ٦) . ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ (سورة الإسراء - الآية ٣٤) . ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا . إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ . (سورة النساء - الآية ٩ ، ١٠) .

ولليتامى حقوق مقررة في موارد بيت المال من خمس الغنيمة [الأنفال/٤١] إلى الفيء [الحشر/٧] فضلاً عن دخول الفقراء منهم في مستحق الزكاة . ويوجه القرآن الكريم إلى إعطائهم شيئاً من تركة المتوفي ضمن من يحضرون القسمة الذين لا يستحقون نصيباً شرعياً فيها ﴿ وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفاً ﴾ (سورة النساء - الآية ٨) .

وحق اليتيم في تركة المتوفي يفرز وهو جنين محمول في بطن أمه لا يعرف مصيره من الحياة والموت ، ولا يعرف هل سيكون ذكراً أم أنثى .

وحق الجنين يستلزم رعاية والدته وتقدير حاجات حملها عند الانفاق عليها زوجة كانت أو مطلقة ، وهذه ما تقرره أحكام شريعة الإسلام بأجلى بيان ﴿ وإن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾ (سورة الطلاق ، الآية ٦) .

وهكذا تقترن حقوق الأمومة والطفولة وتتعانق ، ويمتد ذلك في مرحلة الرضاعة فيعنى الإسلام بالمرضع والرضيع كما تبين أحكام كتابه

﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾

(الطلاق - ٦)

﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ، وائتمروا بينكم بمعروف ، وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ (سورة الطلاق - الآية ٦ ، ٧) . ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، ولا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فإن ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴾ (سورة البقرة - الآية ٢٣٣) .

وقد عرضت الآية لفطام الطفل وعنيت بتقرير حكمه وحفظ حقوق الطفل في اكتمال رضاعته ، وتقرير الفطام بتشاور الأبوين وتراضيهما لضمان عدم الاضرار بالطفل في أي حال .

عمر بن الخطاب .. ورعايته للأطفال

ويؤثر عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أنه فرض أولا للفطيم في بيت المال ، على أساس أن بدء حاجته للطعام المستقل يمكن أن يكون أساساً معقولا لاستحقاقه في بيت المال . فلما علم رضي الله عنه من بكاء طفل أن أمه تتعجل فطامه لينال حقه ، قرر أن يفرض لكل مولود في بيت المال رضيعاً كان أو فطيماً[٢] وقال أجزل الله مثوبته على شعوره بمسؤوليته إزاء رعيته : « ويح عمر ، كم قتل من أولاد المسلمين »!!

وكان عمر رضي الله عنه يخفف من صلاته إذا سمع بكاء طفل .. ويؤثر عنه أنه قبّل طفلا مرة أمام أحد ولاته ، فقال له الوالي : أتقبّل أطفالك يا أمير المؤمنين ، فوالله إننا لا نفعل .. فقال عمر على الفور : وماذا أفعل إذا كانت الرحمة قد نزعت من قلوبكم ؟؟ ورأى رضي الله عنه أن الافتقار إلى الحنان نقص جوهري فيمن يلي أمور المسلمين ، فارتأى عزل ذلك الوالي على ما يروى !

وقصة عمر مع « أهل الضوء » الذين بصر بهم وهو يعسّ ليلاً ويتفقد رعيته متواترة مشهورة ، ولما أجابته الأم أنها توهم أطفالها الجائعين إعداد طعام لهم بإيقاد نار على قدر فيه ماء وحصى ، حمل رضي الله عنه بنفسه الدقيق والدهن إلى المرأة لتطعم أطفالها . وفرض للجميع من بيت المال .

﴿فأمّا اليتيمَ فلا تَقهَر وأمّا السّائلَ فلا تَنهَر﴾ (الضحى - ٩ و ١٠)

الإسلام يكفل رعاية الأطفال

ورعاية الطفل المقررة في أحكام الإسلام شاملة لكل حاجاته البدنية الصحية والتربوية التعليمية ، فلا بد من توفير الطعام واللباس للطفل ، ولا بد من توفير السكن النفسي بتعيين من يحضنه ومن يكفله . ولقد فصلت الشريعة أحكام الحضانة والنفقة الشرعية للطفل .

وإذا كانت شريعة الإسلام تقرر أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » كما ورد في حديث الرسول ﷺ فإن العناية بقوة الطفل البدنية والمعنوية مطلوبة في الإسلام وتهيأ لها وسائلها منذ تخير الزوجة الصحيحة السليمة السوية ذات الدين ، حتى ينتفع ابنها من مزاياها ولا ينتقل إليه بالوراثة مرض بدني أو سلوكي ، فلقد ورد في الحديث الشريف : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » ، « فاختر ذات الدين تربت يداك » . ومن دعاء المؤمن ما ورد في الكتاب الكريم ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ (سورة الفرقان - الآية ٧٤) .

ويستهل الأب حياة الطفل بإلقاء الأذان في أذنيه عند ولادته كما ورد في السنّة المطهرة ، ابرازاً لمسؤولية الوالد إزاء الطفل وواجبه في تربيته ودعوته للتوحيد والصلاة والفلاح .

ولقد روي أن الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا يتصارعان بين يدي الرسول ﷺ ، وكان يرتضي أن ينشئا على القوة ويُدربا عليها ، وكان يقول صلوات الله عليه لأحدهما مثلاً : « هيه يا حسن ، خذ حسيناً !! » استثارة لعزيمته . وحين أجاز الرسول ﷺ أحد فتيان المسلمين في غزوة ورَدّ آخر لصغر سنه أو صغر جسمه على الأقل كما يبدو للعيان ، قال المردود عن الجهاد وهو سمرة بن جندب : « يا رسول الله أجزت رافعاً (وهو رافع بن حديج فيما يروى) ورددتني ، ولو صارعني لصرعته » ، فقال له الرسول صلوات الله عليه : « فدونك فصارِعه » فصارَعه فصرعه فأجاز الاثنين للجهاد في سبيل الله .

وقد روي عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوصية بتعليم الأولاد الرمي والعوم وأمرهم بالوثوب على الخيل وثباً لا ركوبها فحسب[٣] . وقد وجه رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام أمته جمعاء إلى تعلم الرمي ومداومة التدريب عليه ، ففي الحديث : « من تعلم الرمي ونسيه فليس منا » .

﴿وَيُطعِمُونَ الطَّعَامَ عَلى حبّه مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الانسان - ٨)

عناية الإسلام بالتربية العقيدية والخلقية والسلوكية

وإلى جانب التربية البدنية يعنى الإسلام بتربية الطفل عقيدياً وخلقياً وسلوكياً . . . وهو يتابع الطفل في مراحل نموه قبل المراهقة وبعدها ، فمن تعبير القرآن الدقيق وقوله الفصل حكمه في ﴿ الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾ (سورة النور - الآية ٣١ بالنسبة لابداء المرأة الزينة ، ودلالة الآية واضحة في أن « الظهور على عورات النساء » علامة دقيقة في حياة الطفل تفصل بين مرحلتين ، وتقتضي أحكاماً خاصة بعد تحققها . ويقتضي هذا « الظهور » توجيهاً للمراهق وإرشاداً وإنارة وثقافة ، ولا يعني الاقتصار على الزجر والنهر والقمع ، ويلزم تثقيفه وتوجيهه بالمعارف والآداب الشرعية ، ومنها ما يتعلق بالطهارة للصلاة وبالصوم ، والتفرقة بين ما يحل وما يحرم ، وما يرفع الطهارة وما لا يرفعها وما يخل بالصوم وما لا يخل . وقد وجه رسول الإسلام إلى تعويد الطفل الصلاة منذ بلوغه سبع سنوات ، والتشدد في إلزامه بها في سن العاشرة مع التفرقة بين الأطفال في المضاجع عند هذا السن . ومن آداب القرآن السلوكية ما ورد في سورة النور ﴿ يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات . . . ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾ (سورة النور - الآية ٥٨ ، ٥٩) .

وتضمنت سورة لقمان توجيهاً تربوياً جليلاً لسلوك الناشئين في مختلف المجالات ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . . . يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ (سورة لقمان - ١٣ - ١٩) . ودلالة الآية واضحة على

﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ (النساء - ٨)

وجوب التربية الايجابية للطفل والعناية بتنمية شخصيته وإبراز مسؤوليته وتعويده النهوض «بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وتحمل ما يلقاه في سبيل نهوضه بمسؤوليته «واصبر على ما أصابك» وإن ما فطر عليه الوالدان من إيثار الحياة الناعمة لأطفالهما لا يعني التربية السلبية وتعويد الميوعة والطراوة والركون إلى الغير، بل **لا بد من تعويد الأطفال النهوض بالمسؤولية واحتمال التبعة والصبر على الظروف المتغيرة فإن التنعم لا يدوم.**

وكان من ثمار هذه التربية النفسية السوية أن رأينا **صبياً من صبيان المسلمين** يلعب مع لدانه فيرى أمير المؤمنين فلا ينزوي ولا يفرّ بل يواجه عمر بن الخطاب الذي ملأ قلوب الكبار مهابة فيقول له: «**لم أكن مذنباً فأخاف منك، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك، ولم تكن جباراً فأرهبك**»!

وتربية عقل الطفل وتعليمه المهارات والخبرات وتنمية ذاكرته ومخيلته وتدريبه على ممارسة الصور المتعددة للاستدلال والاستنتاج من حقوق الطفل الأساسية، ومن واجبات التربية الشاملة... ولقد كان رسول الإسلام ﷺ يطلق الأسير المشرك إثر غزوة بدر مقابل تعليمه عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة[٤]. وقرر حديث الرسول ﷺ أن طلب العلم فريضة على كل مسلم. وألزم الإمام ابن حزم الحاكم المسلم أن يأخذ الناس بذلك وأن يرتبط المتعلم للتعليم[٥]. وكم علّم المسجد بين جنباته من أطفال المسلمين، حتى استقلت المدارس كمؤسسات تعليمية تجاور المسجد لكي تفرغه لرسالته في تثقيف عامة الناس وتهيئة الجو النفسي والاجتماعي الملائم لأداء شعائرهم والانتفاع من أدائها في تطهير نفوسهم أفراداً وجماعة. وتاريخ الحضارة الإسلامية حافل بتعدد مؤسسات التعليم والبحث العلمي ومآثرها، كذلك التفصيل في عرضه وتناوله، وحسبنا أن نشير إلى ما أورده فقيه أصولي في ثنايا كتابه في الأصول هو **الشاطبي** رحمه الله (المتوفي سنة ٧٩٠ هـ) إذ يقول مثلاً عن مراعاة **الفروق الفردية** والميول لدى المتعلمين «فإن كان كل واحد قد غرز فيه التصرف الكلي فلا بد في غالب العادة من غلبة البعض عليه فيرد التكليف عليه معلماً مؤدباً في حالته التي هو عليها، **فعند ذلك ينتهض على كل مكلف في نفسه من تلك المطلوبات بما هو ناهض فيه، ويتعين على الناظرين فيهم الالتفات إلى تلك الجهات فيراعونهم بحسبها ويراعونها إلى أن تخرج في أيديهم على الصراط المستقيم.** ويعينونهم على القيام بها ويحرضونهم على الدوام فيها حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه من تلك الخطط...»

﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين﴾ (الأحزاب - ٥)

ولا يغفل الشاطبي أهمية التدريب المنهجي والخبرة العملية والاحتكاك بالمبرزين في تخصص ما إلى جانب التعليم النظري، فإذا دخل في ذلك البعض فمال به طبعه إليه على الخصوص وأحبه أكثر من غيره ترك وما أحب **وخُصّ بأهله فوجب عليهم إنهاضه فيه...**»، «**ثم يخلي بينهم وبين أهلها** فيعاملونهم بما يليق بهم ليكونوا من أهلها إذا صارت لهم كالأوصاف الفطرية والمدركات الضرورية، فعند ذلك يحصل الانتفاع وتظهر نتيجة تلك التربية»[٦].

الأطفال غير الشرعيين

وقد شملت رعاية الإسلام **الأولاد غير الشرعيين**، مع تحذيره الشديد من **جريمة الزنا** وعقوبته الزاجرة عليها، ومع نهيه عن **التبني** ﴿**وما جعل أدعياءكم أبناءكم، ذلكم قولكم بأفواهكم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**﴾ (سورة الأحزاب - الآية ٤، ٥). **وعدم إقرار الإسلام للتبني هو حفاظ على سلامة الأسرة وقوة بنائها كما أنه تحذير من عواقب الزنا ونتائجه على مستقبل ثماره من الأولاد غير الشرعيين. لكن ذلك لا يعني إهدار حقوقهم الإنسانية والقانونية العامة ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين﴾** (سورة الاحزاب - الآية ٥). ويلتزم من يكفل اللقيط برعايته من جميع الوجوه وأداء حقوقه باعتباره طفلاً وإنساناً، وقد ذكر الماوردي (المتوفي سنة ٤٥٠ هـ) من واجبات المحتسب في الأمر بالمعروف فيما كان مشتركاً بين حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين «**ومن أخذ لقيطاً وقصر في كفالته أمره أن يقوم بحقوق التقاطه من التزام كفالته، أو تسليمه إلى من يلتزمها ويقوم بها**»[٧]. فإذا نما الطفل غير الشرعي وكبر حفظت له حقوقه القانونية كاملة وتقررت المساواة بينه وبين غيره ولم تجن على وضعه جناية أبويه.

يقول **الإمام ابن حزم** من مجتهدي القرن الخامس الهجري «**وشهادة ولد الزنا جائزة في الزنا وغيره، ويلي القضاء، وهو كغيره من المسلمين**. ولا يخلو ان يكون عدلا فيقبل فيكون كسائر العدول أو غير عدل فلا يقبل في شيء أصلاً. ولا نص في التفريق بينه وبين غيره، وهو قول **أبي حنيفة والشافعي وأحمد واسحق وأبي سليمان**، وهو قول **الحسن والشعبي وعطاء بن أبي رباح**



والزهري وروي عن **ابن عباس** . وروي عن **نافع** : لا تجوز شهادته ، وقال **مالك والليث** : يقبل في كل شيء إلا في الزنا - وهذا فرق لا نعرفه عن أحد قبلهما . قال الله تعالى ﴿ فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين . . . ﴾ **وإذا كانوا إخواننا في الدين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا »**[8]

هذه قبسات من نور الإسلام المبين في تقرير **حقوق الطفل ورعايتها** . . . حسبنا منها في الختام أن نشير إلى ما ورد في السنَّة المطهرة من أن رسول الله صلوات الله عليه سجد في صلاة جماعة فأطال السجود ، فلما انتهى من الصلاة سأله أصحابه عن ذلك فأجاب عليه الصلاة والسلام « إن ابني ارتحلني ، فكرهت أن أعجله !! » . . . لقد اعتلى ظهر الرسول الكريم حفيده الطفل ، فلم ينهره ولم ينزعه . . . ولكن ظل ساجداً حتى اكتفى الطفل ونزل !

عليك الصلاة والسلام يا رسول الله .. يا رحمة الله المهداة للعالمين . . . للوالدين والولدان أجمعين .

الهوامش

١ - محمد الخضري : نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - الطبعة السابعة - القاهرة ١٣٥٤هـ ، ص ٧ .

٢ - البلاذري : فتوح البلدان - الفصل الخاص بالعطاء في آخر الكتاب .

٣ - رفيق العظم : أشهر مشاهير الإسلام - باب مناقب عمر .

٤ - المقريزي : إمتاع الاسماع .

٥ - ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام - وانظر بحث صاحب هذا المقال « تقرير حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر والقانون العربي » بمجلة كلية العلوم الاجتماعية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - العدد الثاني ١٣٩٨هـ .

٦ - الشاطبي : الموافقات - تعليق عبد الله دراز - طبعة دار المعرفة ببيروت سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م جـ ١ ص ١٧٩ - ١٨١ ، وانظر على سبيل المثال لما تضمنه تراث مفكري الإسلام في التربية : الغزالي : أيها الولد ، محمد بن سحنون : آداب المعلمين ، وكتابات القابسي والغزالي وابن خلدون ، وراجع من الدراسات الحديثة عنها : أحمد فؤاد الأهواني : التربية الإسلامية أو التعليم عند القابسي - القاهرة ، آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الإسلامية تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م ، أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، عبد الكريم عثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين وعند الغزالي بوجه خاص ، عمر رضا كحالة : دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية - دمشق ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٧ - الماوردي : الأحكام السلطانية - ط٢ القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ص ٢٤٧ .

٨ - ابن حزم : المحلى .

علم نفس الإدارة الإسلامية

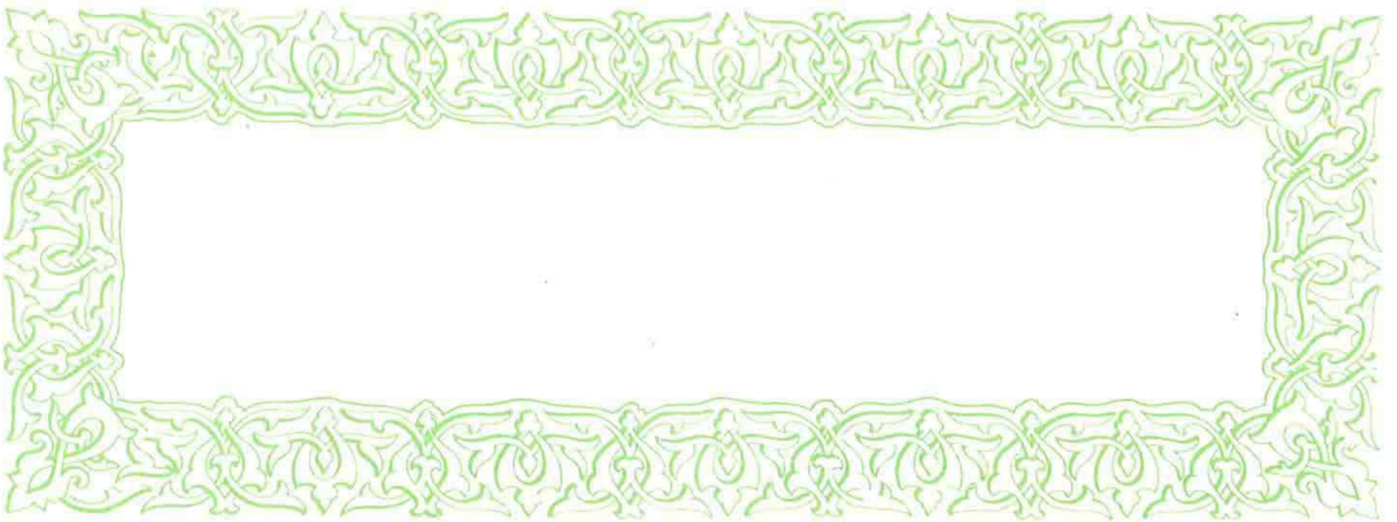
بقلم : د. السيد عبد القادر زيدان

نجح الإسلام وكان نجاحه مثلاً يحتذى في إدارة دولة عزت بقوتها ، وقويت بعزتها ، إدارة أشاعت العدل ، وعمت الرخاء ، شفت ما كان في الصدور من غل وحقد وكراهية ، إدارة أرست قواعد ، وطبقت نظماً بحيث أصبحت تقاليد تمارس أكثر من كونها نصوصاً تقال ، إدارة حمل لواءها الرجال فكانت جزءاً من كيانهم ، وتعبيراً عن إيمانهم ، فهم بحق من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

لقد عاهدوا أنفسهم أن يكون القرآن الكريم مصدراً لتشريعاتهم الإدارية ، فلقد نفذوا أوامره ، وابتعدوا عن نواهيه ، واحتكموا إليه في كل ما عنّ لهم من أمور ومشكلات ، فوجدوا فيه ـ بإذن الله ـ الهدى وطريق الرشاد مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ .. وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾[1] .

فلم تكن الإدارة الإسلامية إدارة نصوص محددة تمارس ، أو إدارة مبادىء جامدة تطبق ، إنما كانت إدارة إنسانية لها من الخصائص والسمات ما للإنسان من سجايا وصفات ؛ فلقد أخذت في اعتبارها الظروف المحيطة بكل موقف ، والعناصر المؤثرة في كل أداء كمقياس تلجأ إليه في تصريف الأمور الدنيوية المتعددة والمتنوعة[2] .

والقياس في هذا الميدان يختلف بالطبع عن القياس في الأمور المادية ، فالمكاييل والموازين لها من الدقة ما يجعل استخدامها ثابتاً مهما اختلفت الظروف والأحوال ، لهذا كان ميزان الحاكم العادل غير ميزان التاجر الأمين ، فالأول قد ينحرف ميزانه نظراً لتدخل وتداخل عوامل إنسانية لها من الكثرة والتنوع ما لا يمكن حصره أحياناً ، بينما الثاني بعيد كل البعد عن تأثيرات مثل هذه العوامل .



أساس القياس في الإدارة الإسلامية

لما كانت حقيقة العملية الإدارية محاطة بعوامل ذاتية تتدخل في اتخاذ القرار الملائم كان من الضروري أن يكون الإداري الناجح على قدر كاف من التمسك بمبادىء الإسلام الحنيف حتى يحكم بين الناس بما أراد الله ورسوله ، كما يكون على قدر مناسب من النضج العقلي والخبرة الحياتية ، حتى يقوى على التعرف على خصائص الناس وصفاتهم ، هذا فضلاً على ما يتوفر له من القوة والأمانة كسمات عاصمة من البعد عن الموضوعية والانحراف الذاتي .

وهذا الإداري[٣] بالرغم من كل ذلك غير معصوم من الخطأ أو سوء التقدير ، لكن ذلك إن حدث ـ وحدوثه بالطبع محتمل الوقوع ـ فإنه يكون أقل بكثير من الأخطاء المترتبة على الاكتفاء بتطبيق نصوص وضعية تطبيقاً جامداً ملتزماً بحرفيتها في كل الأحوال والظروف . والإداري المسلم المتميز بما أسلفنا من مميزات لقادر على أن يستخدم أسلوب القياس استخداماً طيباً في شتى المجالات التي من بينها القياس في مجال الوظيفة العامة الذي يهتم بالتعرف على متطلبات هذه الوظائف واختيار أنسب الموظفين لشغلها تقديراً للعلاقات الاجتماعية[٤] ، واستثماراً للطاقات البشرية ، وتيسيراً لقضاء حوائج الناس ، والقياس في هذا المجال الحيوي يستند إلى المبادىء التالية :

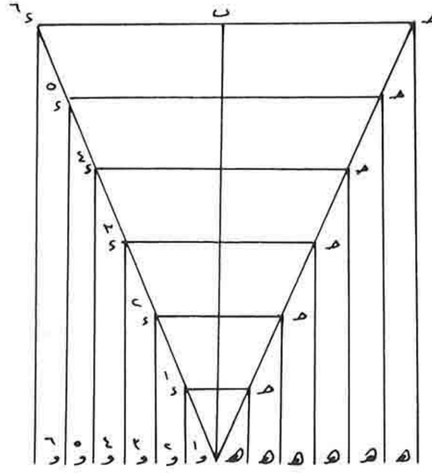
● **أولا :** الإمكانات الإنسانية تتفاوت درجاتها من فرد لآخر ومن ثم فلا يكلف عامل بأكثر مما تسمح به إمكاناته وتستطيع وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذا المبدأ في قوله تعالى : **﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾**[٥] .

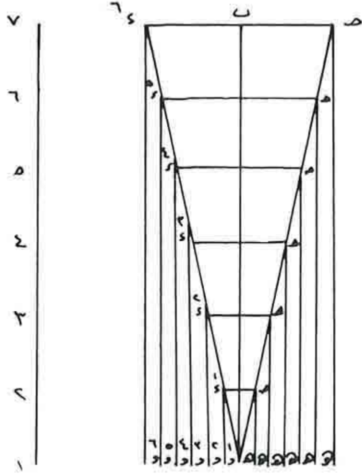
● **ثانياً :** الاختيار لتولي الوظائف العامة يقتصر على صاحب الكفاءة إذ أنها المدد الضروري لتعيين العامل . وقد أشار **الرسول الكريم** إلى ذلك يقول : « أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله ورسوله وجماعة المسلمين » .

● **ثالثاً :** الوظيفة العامة تكليف لا تشريف ، ومن ثم فإن الاهتمام الأول ينصب على الأعباء الوظيفية وواجباتها ، أما السلطات الوظيفية ، فهي لخدمة الأداء الوظيفي دون غيره ، فازدياد النفوذ وعظم السلطان لا يكون لتحقيق أغراض شخصية إنما تدعيم وتمكين للعامل كي يؤدي مهامه الوظيفية ويضطلع بأعبائها ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا المبدأ في قوله تعالى لرسوله الكريم : **﴿ لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر ﴾**[٦] .

● **رابعاً :** الوظيفة خدمة عامة يؤديها القائم بها لكل من احتاج إليها بغض النظر عن أية اعتبارات أخرى كالحسب والنسب والصداقة وما شابه ذلك وهذا ما يعبِّر عنه الرسول الكريم في قوله : **« من ولاه الله من أمر المسلمين فاحتجب عن حاجتهم ، احتجب الله عن حاجته يوم القيامة »** .

● **خامساً :** العلاقة الوظيفية التي تربط العامل برؤسائه ، ما هي إلا علاقة مؤقتة ومحددة بحدود الزمان والمكان ، لكن العلاقة الأصيلة هي في الواقع بين العامل ـ مهما كانت وظيفته ـ وبين الله الواحد القهار ، لذا كان على العامل دائماً أن يحاسب نفسه على تصرفاتها قبل أن يحاسب . وأن يراعي الله في كل أداء يقوم به ، ومن ترتبط علاقته الأدائية بتعاليم الخالق الوهاب بينما تكون علاقته الوظيفية بأولي الأمر في حدود ما أراد الله عملاً بالمبدأ الخالد **« لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »** .


الشكل رقم ـ ١


الشكل رقم ـ ٢

ا ب = يمثل إمكانية فردية . ا حـ ، ا ء = يمثل درجة صعوبة العمل . حـ ء ١-٦ ، هـ و ١-٦ = يمثل اتساع نطاق العمل .

● **سادساً :** إن السمات الأساسية الشخصية لتولي الوظائف العامة هي القوة والأمانة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **إن خير من استأجرت القوي الأمين** ﴾[٧] . وهذا ما أكده الرسول الحكيم عندما طلب منه **أبو ذر** أن يستعمله ، فقال له الرسول : « يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإني أحب لك ما أحبه لنفسي ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه منها » .

تلك كانت أهم الأساسيات السائدة في **صدر الإسلام** ؛ من خلالها شغلت الوظائف ، وأديت الأعمال ، وانتظمت العلاقات الاجتماعية ، أما أسلوب شغل الوظائف منذ كان يختلف من موقف لآخر وفقاً للاعتبارات التي يقدرها القائم بعملية الاختيار ، فقد روي عن الرسول الكريم ﷺ أنه قبل أن يسند منصب القضاء إلى **معاذ بن جبل** سأله : بما تقضي ؟ فأجاب : بكتاب الله ـ فسأله : فإن لم تجد ؟ فأجاب : بسنّة رسول الله ـ فسأله فإن لم تجد ؟ أجاب : اجتهد رأيي ولا ألو ، فقال الرسول : الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله ورسوله .

وقد تتابع استخدام هذا الأسلوب في العصور التالية فيرى **أهل السنّة أن الشروط الواجب توافرها فيمن يشغل وظيفة الإمام قسمان :**

١ ـ **شروط أولية** وتشمل الإسلام ـ الذكورة ـ البلوغ ـ الحرية ـ العقل .

٢ ـ **شروط ثانوية** وتشتمل العلم ـ الكفاءة « جسمية ونفسية » ـ العدالة ـ النسب[٨] .

وقد عقد الإمام **ابن تيمية** فصلاً في كتابه « **السياسة الشرعية** » بالصفحة رقم ١٤ في باب « قلة اجتماع الأمانة والقوة في الناس » قال فيه : « القوة والأمانة أساس الولاية ويختار الأمثل فالأمثل ، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أكثر قوة قدم أنفعهما لتلك الولاية ، وأقلهما ضرر فيها ، فيقدم في إمارات الحروب ، الرجل القوي الشجاع ، وإن كان فيه فجور فيها على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أميناً ، كما سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يغزو ؟ فقال : « أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه ، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين . فيغزو مع القوي الفاجر »[٩] .

ويروى أنه في عهد أوائل الخلفاء من بني العباسي أن **المنصور** قال : « إن القاضي النزيه ، وصاحب الشرطة العادل ، وصاحب الخراج الموهوب ، وصاحب البريد الأمين ، كلهم يكونون الأعمدة الأربعة للحكومة[٩] » .

وبهذا نجد أن الجدارة والكفاية كانت شرطاً هاماً لشغل وظائف الدولة الإسلامية .

ضوابط شغل الوظائف العامة

يبين مما سبق وجود ضوابط لشغل الوظائف العامة ، فضلاً عن شيوع فكرة اختيار أصلح الأفراد لشغلها ، أما وسائل الاختيار فقد كانت متمثلة في المعرفة الشخصية عن الأفراد وسمعتهم والقدرات التي تبدو لهديهم وقد تكون هذه الوسائل ناجحة في الفترات التي استخدمت فيها نظراً لقلة عدد العاملين والوظائف التي يشغلونها . أما الآن فإن الحكومات تستخدم في أعمالها عدداً ضخماً من العاملين يتزايد عددهم كلما توسعت الحكومات في الخدمات التي تؤديها للشعب ، كما أن التخصص الوظيفي ينمو إلى التزايد كلما اتسع نطاق هذه الخدمات وهذا ما يجعل مشكلة الاختيار أكثر تعقيداً والزم للموضوعية ، مما يدعونا إلى ضرورة البحث عن ايجاد وسائل[١١] وثيقة يمكنها أن تكشف عن السمات الوظيفية اللازمة لشغل الوظائف العامة .

الوسائل الموضوعية لشغل الوظيفة العامة

يرتكز أسلوب شغل الوظائف العامة على حقيقتين أساسيتين :

● الأولى ، اختلاف الوظائف وتنوعها بحيث يتطلب كل منها مطالب

خاصة به تتعلق بمستوى حيويته وأسلوب ممارسته والاشتراطات الضرورية لأدائه بكفاية وكفاءة .

● والثانية ، اختلاف سمات الأفراد وإمكاناتهم اختلافاً لا يقتصر على ما يبدو من مظهرهم الخارجي أو تكوينهم الجسمي والحسي وإنما يمتد إلى كامل الوحدة الإنسانية وما تتميز به من خصائص عقلية وحركية وعضلية وسمات مزاجية وانفعالية .

فإذا كانت حكمة العلي القدير قد خلقت الوحدات البشرية ذات إمكانات عامة يشترك الجميع في أنواعها بينما يتباينون في كمية ما تملكه كل وحدة إنسانية من هذه الإمكانات ، فإن هذه القدرة قد خلقت مثل هذا التباين الكمي في مختلف الأعمال والوظائف اللازمة لاعمار الأرض واستمرار الحياة . وأصبح من واجبنا إذا ما أردنا أن نكون في مسيرة السلف الصالح أن نحدد بدقة المطالب المهنية والإمكانات البشرية ونقوم بإجراء المواءمة بينهما دون أية اعتبارات أخرى كالحسب والنسب وصلات القربى وما إلى ذلك من اعتبارات خارجة عن الأساسين الموضوعيين للمواءمة المهنية .

والمواءمة المهنية موضوعياً يجب أن تهتم بكافة جوانب أي عمل من الأعمال دون الاقتصار على الجوانب الهامة منه ؛ ذلك أن الإمكانات الفردية على اختلافها يجب أن تنسجم مع مطالب العمل الذي تؤديه حتى تضمن الكفاءة والكفاية المهنية . فإذا ما كانت الإمكانات الشخصية أقل أو أكثر مما هو مطلوب لعمل ما حدث الخلل المهني ، ففي الحالة الأولى فإن الفرد لن يستطيع أن يفي بمطالب العمل المكلف به فضلاً عن شعوره بالعجز والتقصير نتيجة إحساسه بأن إمكاناته لا تستجيب تلقائياً لمطالب العمل الذي يقوم به . وفي الحالة الثانية فإن الفرد يجد أن عمله لا يتحدى ما لديه من إمكانات ذاتية مما يدفعه إلى الاستهانة به وإهمال كثير من جوانبه تدريجياً ، هذا فضلاً عما في ذلك من إهدار للإمكانات الإنسانية وتبديد الطاقات البشرية .

واهتمام المواءمة المهنية بكافة جوانب العمل وتدبير العاملين الذين يمكنهم الاضطلاع بالمهام الوظيفية اللازمة يحدث نوعاً من الانسجام المباشر بين الإمكانات البشرية والمطالب المهنية ، وهذا هو العامل الحاسم في زيادة الكفاية الإنتاجية وتزايد كفاءتها .

والشكل التوضيحي التالي يبين كيف أن الإمكانات الفردية تزداد كلما زادت درجة صعوبة العمل واتسع نطاق مطالبه .

ويتضح من هذا الشكل ما يلي :

١ ـ أن الإمكانات الفردية ويمثلها العمود اب في الشكل رقم ١ ، ٢ تتزايد بالتدريج من أسفل إلى أعلى بوحدات مقدرة من ١ ـ ٦ .

٢ ـ أن الضلع اح ، اء في نفس الشكل يمثل درجة صعوبة العمل وهذه الدرجة أيضاً تتزايد بالتدريج من أسفل إلى أعلى بوحدات مقدرة من ١ ـ ٦ .

٣ ـ أن اتساع نطاق العمل يمثله المستطيلات ح ء١-٦ هـ و١-٦ ومساحة كل مستطيل تتزايد بتزايد درجة صعوبة العمل .

فوضع الفرد في المكان المناسب له يعني أننا استعطنا أن نحدد كمية الإمكانات الفردية ، كما استطعنا أن نتعرف على درجة صعوبة العمل وكمية المطالب المهنية اللازمة له ، ونجحنا في إجراء المواءمة بين ما لدى الفرد من إمكانات وما يتميز به العمل من صعوبات وما يتطلبه من قدرات ؛ فإذا كانت الإمكانات الفردية تشيع بين كافة أفراد الجنس البشري شيوعاً لا فرق بين فرد وفرد آخر ؛ فإن الفروق الفردية تتحدد بناء على كمية ما يختص به كل فرد من الأفراد من إمكانات . كذلك فإن المهن المختلفة تشترك فيما بينها في مطالب عامة إلا أن الفرق بين عمل وعمل آخر يكمن في كمية ما يتطلبه كل عمل ـ دون سواه ـ من إمكانات وسمات .

وإذا كنا نلجأ أحياناً إلى تحديد أهم القدرات والسمات اللازمة لعمل معين فإن هذا التحديد يعكس قلة حيلتنا إزاء التعرف على النسب المختلفة لبنية السمات الأخرى ، ومثل هذا القصور يكون بالطبع على حساب روح العاملين المعنوية وكفاءتهم الأدائية . لهذا كان موضوع القياس لكل من العمل والعاملين أمراً هاماً وحيوياً ، إذ يتحقق عن طريقه وضع الفرد في المكان الملائم لإمكاناته بغية الاستفادة منها دون استغلال أو إهدار .

الهوامش

(١) سورة البقرة آية ٢١٣ .

(٢) أبو الأعلى المودودي ـ نظرية الإسلام والسياسة ـ ترجمة جليل حسن الاصلاحي ـ دار الفكر ، دمشق سنة ١٩٦٩م .

(٣) هارولد ليافيت ـ علم النفس الإداري ـ ترجمة د . كمال دسوقي ـ دار الفكر العربي سنة ١٩٦٤م .

(٤) د . صلاح الشنواني ـ إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية ـ دار الجامعات المصرية ـ الإسكندرية سنة ١٩٧٤م .

(٥) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٦) سورة الغاشية الآيات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

(٧) سورة القصص آية ٢٦ .

(٨) محمد المهدي شمس الدين ـ نظام الحكم والإدارة في الإسلام ـ دار الطباعة والنشر بيروت سنة ١٩٥٥م .

(٩) طه عبد الباقي سرور ـ دولة القرآن ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة سنة ١٩٦٦م .

(١٠) إبراهيم أحمد العدوي ـ الإدارة العربية ـ مكتبة الآداب ومطبعتها ـ القاهرة .

(١١) Frank. S. Freeman, Theorg and Practice of Psychological Testing, Third Edition. Holt, Rinehart and Winston. N. Y. Chicago. San Francisco Toronto London 1962.





بمناسبة
عام
الطفل

حكايات الأطفال

كما جمعها الأخوان جريم

بقلم : د. مصطفى ماهر

● **لقد انتشرت «حكايات الأطفال» في العالم انتشاراً متزايداً عن طريق الترجمة أولا والاقتباس بعد ذلك ، وتحورت الحكايات في كثير من الأحيان في أعمال أدبية منوعة ، إما في صور متكاملة ، أو على هيئة عناصر متناثرة ●**

★ في عام ١٨٤٧ م ، أصدرت مطبعة بولاق بالقاهرة قصة «**عقلة الصباع**» ومجموعة قصص تحمل عنوان «**حكايات الأطفال**» نقلها إلى العربية عن الفرنسية أو الانجليزية **رجل يدعى** «**عبد اللطيف أفندي**» . هذا الرجل المجهول الذي لا نعرف عنه إلا اسمه ، والذي يحتمل أن يكون من بين من تخرجوا في مدرسة الألسن في عصرها الأول ، هو أول من ترجم إلى العربية طرفاً من مجموعة الحكايات الضخمة التي جمعها **الأخوان ياكوب** Jacob **وفيلهلم جريم** Wilhelm Grimm ثم نشراها بين عام ١٨١٢ و١٨٥٧ م ، وهما من الرواد الأول الذين اهتموا بتقديم «**كتب مطبوعة مؤلفة لصغار التلاميذ بحيث تميل إليها أذهانهم**» ، وشاركوا في فهم عقلية الطفل ، فقدموا للأطفال ضمن برنامج السنة الأولى والثانية بـ «**الكتاتيب الحديثة**» ، القصص التي تجمع بين التسلية والتعليم الأخلاقي . ومن الطريف أن هذا المترجم نقل هذه الحكايات الألمانية في وقت كان فيه العالمان الألمانيان الكبيران على قيد الحياة ، ولكن اللغات الأوروبية الرئيسية كانت قد استقبلت المجموعات عند صدورها وأدخلت بها البهجة على قلوب الملايين من الأطفال وشاركت في الوقت نفسه في ميدان البحث الذي ارتبط بهذه الحكايات بالذات .

ولقد انتشرت «**حكايات الأطفال**» في العالم انتشاراً متزايداً عن طريق الترجمة أولا والاقتباس بعد ذلك . وتحورت الحكايات في كثير من الأحيان ودخلت في أعمال أدبية منوعة ، إما في صور متكاملة أو على هيئة عناصر متناثرة ★

وكلمة «**ميرشن** Märchen» التي استعملها الأخوان جريم للدلالة على هذا النوع من القصص القصيرة الخيالية الطريفة، هي تصغير كلمة ألمانية maere كانت تستعمل كثيراً في أدب العصر الوسيط للدلالة على «**الخبر**» و«**القصة**». ثم ظهرت كلمتان على صيغة التصغير Märlein, Märchen بقيت إحداهما كمصطلح فني يدل على الحكاية كما نطالعها في **كليلة ودمنة**، أو «**كالحواديت**» التي يحكيها الكبار للصغار في بلادنا. وقد اختلف العلماء في تعريف الحكاية تعريفاً يقبله الجميع، وأطرف تعريف هو أنها «**صورة أدبية من نوع حكايات الأخوين جريم**». والشائع تعريف العالمين **بولته** Bolte **وبوليفكا** Bolivka، حيث يقولان إنها «**قصة نثرية استقاها الخيال الأدبي من دنيا السحر، قصة عجيبة لا تلتزم بما تفرضه علينا الحياة الواقعية من مقاييس، ويستمتع بها الصغار والكبار جميعاً**». وبعض الباحثين يضيفون إلى هذا التعريف أن الحكاية تنطوي على مضمون أخلاقي من السياق ولا تحمله عبارة صريحة إلا في أحوال قليلة. **ويفرقون بين الحكاية والأسطورة قائلين إن الحكاية عامة، أما الأسطورة فتدور حول شخص بعينه في مكان بعينه وأمر بعينه على أساس من التاريخ أو مما يشبه التاريخ. ويفرقون بين الحكايات والأمثال، فالأمثال كما تعرفها الآداب الأوروبية حكايات أشخاصها من الحيوان والبشر تهتم بالمغزى الأخلاقي وتبرزه في صورة عظة أو درس، وكثيراً ما تحفظه على هيئة حكمة مأثورة أو مثل سائر.**

والحكايات التي اشتهرت بالأخوين جريم أو التي اشتهرا هما بفضلها تعبر عن اتجاهين عظيمين: **اتجاه الاهتمام بالطفل أولا، واتجاه الاهتمام بالأدب الشعبي ثانياً**. ولا أظن أن الاهتمام بالطفل شيء جديد على الفكر الإنساني، ولكن القرن الثامن عشر في أوروبا شهد تحولات في تقييم الاهتمام بالطفل من حيث فهم الطفل كطفل، ومن حيث افساح المجال أمامه ليدخل في الأعمال الفنية بكل الصفات التي تميز الطفولة، وأخيراً من حيث الارتفاع بمستوى الأعمال الأدبية التي كانت تقدم إلى الطفل من مستوى العمل المتناقل بالرواية الشفهية إلى مستوى الأدب المكتوب الذي يليق بالأدباء الكبار.

وقد لعب الأديب الفيلسوف السويسري الفرنسي **جان جاك روسو** دوراً هاماً في الانتصار للتحول الأول بكتابه «**إميل أو التربية**» (١٧٦٢م)، الذي يمكن أن نذهب في فهمه مذاهب مختلفة، ولكننا لن نختلف على الاقرار بدعوته إلى احترام فطرية الطفل وبراءته والانصراف عن وسائل القهر والقمع والتخويف التي لم تكن التربية حتى ذلك العصر تستقيم بدونها. ولن نختلف على الإقرار بتمسك **جان جاك روسو** بأن الطفل، بما هو طبيعي فطري، يمثل الخير والطيبة، فهو أفضل من الكبار الذين أفسدتهم الحضارة. والتطبيق العملي لهذه المفاهيم على صعيد الأدب والفن يعني أن يدخل الأطفال في الأعمال الأدبية إلى جانب الأبطال. ولقد شهدت ألمانيا بتأثير من أفكار روسو (وغيره) حركة «**العاصفة والاندفاع**» بين عامي ١٧٧٠ و١٧٨٥م، التي برز من بين رجالاتها **يوهان جوتفريد هردر، ويوهان فولفجنج جوته، وفريدريش شيللر**، وجسمت كثير من أعمالها الباقية هذه الدعوة التي انطلقت من كتابات روسو. ولنا أن نذكر مسرحية «**جوتس فون برليشينجن ذو اليد الحديدية**» (ترجمتها ونشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة في عام ١٩٧٥م، في سلسلة مسرحيات مختارة)، من مسرحيات جوته في هذه الفترة من حياته الأدبية.

في هذه المسرحية بطل أعطاه الله قوة خارقة وبصيرة وعبقرية، فوضع نفسه في خدمة الحق والعدل والخير لا يرضى بهم بديلاً. وفي هذه المسرحية أيضاً طفل صغير هو «**جيورج**»، ليست له قوة جوتس الخارقة، ولكنه يمتاز بفطرة الطفولة، فهو يبصر بها الحق والعدل والخير وهو كريم كل الكرم، أصيل كل الأصالة. أما التحول الثالث، فهو احترام أدب الطفولة وإدخاله على ساحة الأدب الرفيع المكتوب، فيمكننا أن ندلل عليه بمثل من المسرحية ذاتها، فهذا هو جيورج يغني من أغنيات الأطفال:

اصطاد صبي ذات يوم عصفوراً حلو النشيد
هم! هم!
وراح ينظر إليه ويضحك وهو في القفص الحديد
هم! هم!
سو! سو!
وفرح والله بالحبيس فرح كل صغير سعيد
هم! هم!
ومد يده بليداً وفتح القفص الشديد
هم! هم!
سو! سو!
هم! هم!
فطار العصفور إلى بيت بعيد
هم! هم!
وضحك يسخر من ذاك الصبي الغبي البليد
هم! هم!
سو! سو!
هم! هم!

وما هذا المثل إلا مثلاً من أمثلة كثيرة حمل بها **جوته** لواء الريادة في مجال أدب الأطفال أيضاً، وهو جدير بأن نفرد له دراسة خاصة. **ويكفينا أن دللنا على تحول عميق ازداد مع الأيام عمقاً، حتى جاء الأخوان جريم وشاركا فيه مشاركتهما التاريخية.**

قلنا إن اتجاه الاهتمام بالطفل واكب اتجاه الاهتمام بالأدب الشعبي في القرن الثامن عشر. ولا يمكن أن نتحدث عن الأدب الشعبي في ألمانيا دون أن نتحدث عن **يوهان جوتفريد هردر** (١٧٤٤ ـ ١٨٠٣م). ويعتمد اهتمام هردر بالأدب الشعبي على نظريته في تطور الإنسانية. فقد كان يقسم تاريخ نمو الإنسانية إلى أطوار تناظر أطوار نمو الإنسان: **طفولة ـ شباب ـ نضج**. ويرى أن كل طور من هذه الأطوار قائم بذاته، له قيمته الخاصة.

فطور الطفولة مثلاً ليس طور شباب ناقص، لم يستكمل نواحيه كلها بعد، وإنما طور الطفولة قائم بذاته، له تفكيره وإحساسه ووجدانه. ومن هنا كان اهتمامه بإنتاج طور الطفولة في تاريخ الإنسانية، ذلك الإنتاج الذي يتمثل فيما يتداوله الناس في الأوساط الشعبية من أغان وحكايات وكتب بسيطة وأساطير. ولم يكن يحصر ذلك في أمة بعينها، بل يلتمس الأدب الشعبي لدى الأمم كلها، لا يفرق بينها، ولا يرفع واحدة على غيرها درجة أو درجات.

وطفق هردر ـ وكان على علم بأعمال **چيمس مكفرسون وتوماس برسي** ـ يجمع الأغاني الشعبية، الألمانية وغير الألمانية، واستعمل لها لأول مرة كلمة **فولكسليد** Volkslied التي أصبحت فيما بعد مصطلحاً ألمانياً، بل عالمياً، وحث هردر أصدقاءه (**مثل جوته**) على جمع التراث الشعبي. ونشر في عام ١٧٧٨ وعام ١٧٧٩م، المجموعة التي أطلق عليها **يوهانس فون موللر** في عام ١٨٠٧م، اسم «**أصوات الشعوب في أغان**».

وقد تغيرت أسباب الاهتمام بالتراث الشعبي، وتنوعت بعد هردر، ولكن الاهتمام ظل باقياً إلى يومنا هذا، يزداد شمولا، وتدخل فيه مناهج العلوم والأبحاث الأخرى فتزيده ثراءً. وغني عن البيان أن الرومانتيكية الألمانية التي بدأت تظهر في تسعينات القرن الثالث عشر تلقفت الاهتمام بالتراث الشعبي، وسارت به في دروب

أخرى تطابق مفاهيمها . كانت الرومانتيكية الألمانية حريصة على القومية الألمانية والثقافة الألمانية ، وكانت تسعى إلى إبراز كل ما يتسم بأصالة ألمانية ، وكل ما يشهد على ثراء التراث الألماني وعظمته ، فما ينبغي ازدراء التراث القومي ووصمه بالبربرية أو التفاهة أو السخف من أجل الارتفاع بتراث الإغريق والرومان أو تراث الأمم الأخرى قريبة أو بعيدة . ومن هنا ازدهر البحث عن كل ما هو شعبي . فجمع أخيم فون أرنيم وكليمنس برنتانو (١٨٠٦ ـ ١٨٠٨ م) ، المزيد من الأغاني الشعبية في مجموعة عرفت باسم «**بوق الصبي العجيب**» وجمع **يوزف جوريس** (١٨٠٧ م) ، معلومات عن الكتب الشعبية التي انتشرت بين الناس في القرنين الخامس عشر والسادس عشر تحكي بأسلوب عفوي قصصاً مسلية أو رحلات مختلفة أو تنويعات على موضوعات من الأساطير والملاحم العتيقة ، ثم خرجت إلى الناس على أيدي المهتمين والمتخصصين طبعات مترجمة أو محورة من هذه الكتب الشعبية القديمة ، وجمع **الأخوان جريم** الأساطير الألمانية (١٨١٦ ـ ١٨١٨ م) ، وحكايات الطفل والبيت (١٨١٢ م) ، وجمع باحثون آخرون في أعقابهما الحكايات الشعبية في المناطق المختلفة .

الأخوان جريم

ولد **ياكوب جريم** في عام ١٧٨٥ م ، وولد أخوه **ڤيلهلم** في العام التالي ، ومات ڤيلهلم في سنة ١٨٥٩ م ، أما ياكوب فمات في سنة ١٨٦٣ م . وهما من الحالات القليلة التي عرفها تاريخ الأدب وعلومه التي اشترك فيها أخوان أديبان عالمان في نشاط دام ما دامت حياتهما . بل قد تكون هذه الحالة هي الوحيدة الفريدة من نوعها . ومن الحق أن نقول إن الأخوين كانا يتفقان في بعض أمورهما ويختلفان في بعضها الآخر .

كان ياكوب يحب التدقيق والبحث والتقصي ، أما ڤيلهلم فكان يضرب بسهم في عالم الإبداع الفني . أحب ڤيلهلم الحياة العائلية ، فتزوج وأنجب ، أما ياكوب فلم يتزوج ، وظل يقيم مع أخيه إلا أن يكون على سفر أو في مهمة . وقد كتب **هرمان جريم** ـ ابن ڤيلهلم ـ في أواخر القرن الماضي ذكرياته عن أبيه وعمه ، فأشار إلى أن عمه كان قوي الصحة ، كثير النشاط ، بينما كان أبوه يعاني من بعض الأمراض منذ الصبا ، ومنها مرض القلب .

كان ياكوب يسعل سعالا خفيفاً أحياناً ، وينحني على الورق عندما يكتب انحناء شديداً ، ويكتب بسرعة ، أما ڤيلهلم فكان يكتب في تؤدة . كان ڤيلهلم يحب النزهة في ربوع الطبيعة ولا يستطيع لمرضه أن يطيل السير أو يبعد الهدف ، وكان يخطو خطوة بطيئة . أما ياكوب ، فكان سريع الخطى ، يحب السفر ، فرحل إلى **باريس وفيينا** ، وذهب إلى **إيطاليا وهولندا والسويد . وربما كان في هذا الاختلاف سبب الائتلاف ، فقد كان كل منهما يحس بأنه يكتمل بأخيه .**

وكان مولد «**الجهبذين اللغويين**» ـ كما كان جوته يسميهما ـ في مدينة **هانا** بمقاطعة **هسن** ، تلك المدينة الصغيرة التي تقع عند ملتقى **نهر كينتسج** بنهر **الراين** ، وتمتاز بمبانيها الأثرية ، وأشهرها كنيسة على الطراز القوطي ، ودار للبلدية وقصر منيف ينسب إلى أمراء المنطقة . كان الجد الأول والجد من كهنة الكنيسة البروتستنتية ، أما الأب فلم يسلك السبيل نفسه ، بل تعلم القانون واشتغل بالمحاماة ، ثم بشؤون الإدارة ، وأما الأم فكانت من مدينة كاسل ، من منطقة هيسن نفسها ، وكانت تتكلم اللهجة المحلية ، وتتصف بأخص صفات أهل المنطقة . ومات الأب في عام ١٧٩٦ م ، فنزحت الأم بأولادها الستة الصغار إلى **مدينة كاسل** مسقط رأسها ، وهناك اختلف ڤيلهلم وياكوب إلى المدرسة . فلما أتما الدراسة الثانوية التحقا بجامعة ماربورج (**ياكوب في عام ١٨٠٢ م ، وڤيلهلم بعده بعام لأنه كان آنذاك يعاني من الربو**) لدراسة الحقوق كمثل الوالد المتوفي ، وتنفيذاً لرغبة



★ الأخوان جريم ★

الأم . والتقيا في الجامعة بأستاذ عظيم هو **فريدريش كارل فون سافيني** مؤسس المدرسة التاريخية في القانون . كان هذا الأستاذ (**الذي أصبح فيما بعد وزيراً في بروسيا**) ، في الرابعة والعشرين من عمره ، قريباً إلى نفسيهما ، كريماً معهما ، أتاح لهما استخدام مكتبته الخاصة ، وعرفهما عن طريق خطيبته بعالم الأدب والأدباء . في هذه المكتبة وجدا أعمال **جوته وشيللر** ، وأعمال الرومانتيكيين المبكرين ، وطالعا ديوان شعراء الغزل الوسيطيين الذي كان **يوهان ياكوب بودمر** قد أخرجه في عام ١٧٥٨ / ١٧٥٩ م ، ووجد ياكوب جريم في غرابة اللغة الألمانية القديمة ما دفعه إلى التفكير في استجلاء قواعدها ، وكانت تلك بداية «**فقه اللغة الألمانية**» الذي أسسه **الأخوان جريم** ، وخلفا فيه أعمالا لم تفقد شيئاً من صحتها وعظمتها إلى الآن . وحدث أن سافر الأستاذ سافيني إلى باريس لجمع المراجع لكتاب عن تاريخ **القانون الروماني** ، وأرسل من هناك إلى ياكوب يطلب إليه أن يلحق به ليساعده . وسافر ياكوب إلى باريس ، وكان الأخوان يتبادلان الرسائل يعبران فيها عما يجيش في صدريهما ، وما يتوقان إلى تحقيقه في مجال الأدب والعلوم اللغوية . وعاد ياكوب إلى ألمانيا مرة أخرى بعد الفراغ من مهمته وكان شوقه إلى لقاء أخيه كبيراً ، وإلى العمل المشترك معه أكبر .

وعلى الرغم من أن الأخوين أتما دراسة القانون في الجامعة ، إلا أن اهتمامهما تركز على التراث الألماني : «**لقد عقدت العزم على أن أدرس أدبنا الألماني العظيم بكل ما أستطيع من تعمق**» (ياكوب جريم) . ولكن الحياة لها متطلباتها العملية ، فلا بد من المال ، ولا بد للحصول على المال والأمان من وظيفة . وهكذا نجد ياكوب يقبل وظيفة في الإدارة الحربية ، وما يلبث أن يفقدها في أعقاب الاضطرابات العسكرية المرتبطة بنابليون ومشروعاته . ويتحمل ياكوب ، بعد وفاة أمه في عام ١٨٠٨ م ، مسؤولية الأشقاء الصغار ، ويجد وظيفة في المكتبة الملكية (**نسبة إلى الملك جيروم ، أخي نابليون الأصغر**) بكاسل .



★ فريدريش .. أتاح للأخوين جريم استخدام مكتبته ★

أما ڤيلهلم فقد اضطره مرض القلب إلى الالتجاء إلى طبيب مشهور في مدينة **(هالله)** اتبع معه وسائل مختلفة لتقوية عضلة القلب ، وأفلح العلاج . وعاد ڤيلهلم إلى كاسل ، بعد أن اتصل بعدد من الأدباء والناشرين البارزين . فقد اتصل بالعالم اللغوي **فريدريش هاينريش فون درهاجن** الذي كان مهتماً بتراث العصر الوسيط ، وزار جوته في ڤايمار في نوفمبر/تشرين الثاني من عام ١٨٠٩ م ، وخرج يلهج بالثناء عليه ، ويجد فيه عظمة وبساطة تفوقان الوصف . وسمع جوته يتحدث عن اهتمامه هو أيضاً بتراث العصر الوسيط ، وبكل أصيل قيم من أعمال القدامى في كل العصور . ومن الطريف أن جوته اهتم بمشروعات الأخوين جريم وساعدهما ـ بتقديم المخطوطات القديمة إليهما ، مثلاً ـ فقد كان متصرفاً في شؤون الثقافة في الإمارة .

وعكف الأخوان على العمل المحبب إلى نفسيهما ، جمع التراث وتحقيقه ، وتعميق الدراسات المنصبة عليه . وطبع ياكوب كتابه الأول من أغاني المحترفين وهي من الأغاني الألمانية القديمة في عام ١٨١١ م ، وطبع ڤيلهلم في العام نفسه مجموعة من أغاني الأبطال والقصائد القصصية والحكايات الدانماركية القديمة مترجمة إلى الألمانية .

فلما اضطربت الأحوال العسكرية والسياسية في أوروبا في عام ١٨١٣ م ، مرة أخرى اضطربت معها أحوال الأخوين جريم ، فقد فقدَ ياكوب وظيفته لدى الملك الفرنسي ، ثم عاد فوجد وظيفة عند الأمير الناخب الألماني الذي استرد عرشه بعد نهاية الإمبراطورية النابليونية ، وكانت وظيفة في السلك السياسي أحسن القيام بمهامها . ووجد ڤيلهلم لأول مرة وظيفة مناسبة في المكتبة فتولاها في عام ١٨١٤ م . وسرعان ما تخلى ياكوب عن المنصب الدبلوماسي ، واتخذ وظيفة الأمين الثاني لمكتبة كاسل . وأقام الأخوان معاً في مسكن واحد ، وبدأت المرحلة التي وصفها ياكوب بقوله : إنها كانت أكثر مراحل حياته هدوءاً ونشاطاً وخصباً . كانت الطبعة الأولى من الحكايات قد ظهرت في عام ١٨١٥ م ، وتلتها طبعات مزيدة ومحسنة . ولقي العالمان من التقدير في الدوائر العلمية والجامعية ما هما جديران به ، فقد منحتهما **جامعة ماربورج** على سبيل المثال في عام ١٨١٩ م ، **درجة الدكتوراه الفخرية .**

ومن الطريف أن ڤيلهلم تزوج في عام ١٨٢٥ م ، فتاة اسمها **دوروتيا ڤيلد** كان قد تعرف إليها في أثناء اشتغاله بجمع حكايات الأطفال ، فأخذ عنها بعض الحكايات التي استقرت في المجموعة . ومرت سنوات وتزوجت الأخت . وخلا البيت من امرأة تقوم على شؤونه ، فخطرت ببال ڤيلهلم هذه الفتاة الرقيقة المرحة ، فتقدم يطلب يدها وسعد معها بحياة هينئة : «**زوجتي مرحة بطبعها ، بريئة من مئات الأشياء التي تفسد على البشر حياتهم يوماً بعد يوم ، وهي طيبة كل الطيبة ، خالصة الود والمحبة ، لا أقول حيالي أنا فقط ، بل حيال إخوتي الآخرين الذين يحبونها كل الحب الذي يكنه الأخ لأخته**» . ورزق ڤيلهلم ودوروتيا بالأولاد وكان من بينهم من نبغ في العلوم والآداب والإدارة والسياسة .

أثمرت فترة كاسل التي استمرت حتى عام ١٨٢٩ م ، الكثير من الأعمال العظيمة . أخرج ياكوب جريم الجزء الأول من كتابه «**نحو اللغة الألمانية**» ، وترجم كتاباً عن نحو اللغة الصربية ، ومجموعة من «**تراث الحقوق الألمانية**» ونشر ڤيلهلم جريم بعد النصوص الدانماركية القديمة مجموعة من الشعر الغنائي الاسكتلندي القديم ، وكتاباً عن الكتابة الألمانية القديمة (**الرونن**) ، وكتاباً عن الأدب المدوّن بها ، وعن الأساطير الألمانية القديمة ، واشترك الأخوان معاً في الطبعات التالية من مجموعة حكايات الطفل والبيت ، والتي ظلت تزداد وتثري بما يظهر من مادة جديدة . وأمدا عالم الدراسات الأدبية واللغوية الألمانية القديمة بنصوص محققة من المكتشف من الأدباء والأعمال ، مثل القصة الشعرية «**هاينريش المسكين**» **لهارتمن فون أوي** (انظر ترجمتي وتقديمي لها ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ م) ، وأغاني ديوان الإدّا القديم ، ونصوص الأساطير الألمانية ، والحكايات الخرافية الإيرلندية .

ومن البديعي أن تكون شهرة الأخوين جريم كعالمين من علماء التراث الألماني الأفذاذ ، قد طبقت الآفاق في هذه الأثناء مستندة على هذا الإنتاج الممتاز في كثرته وتنوعه وعمقه . فلما خلت وظيفة الأمين الأول لمكتبة كاسل ، ولم يختر لها واحد من الأخوين ، وعين لها شخص آخر دونهما علماً وخبرة ، حزنا وفكرا في الرحيل . فما إن تلقيا عرضاً من مكتبة جوتينجن بالعمل فيها حتى قبلا ، وأعفاهما الأمير الناخب من منصبيهما في مكتبة كاسل قائلاً : «**ليس في ذهابهما خسارة ، فهما لم يفعلا من أجلي شيئاً !!**» . وعمل الأخوان في **جوتينجن** في الجامعة فوق عملهما في المكتبة ، فشغل ياكوب وظيفة أستاذ في الهيئة ، وشغل ڤيلهلم وظيفة أستاذ خارج الهيئة إلى أن دخل الهيئة في عام ١٨٣٥ م . واستمرت مرحلة جوتينجن حتى عام ١٨٣٧ م . وكانت الحياة السياسية في تلك الفترة تشهد الكثير من التحولات والتطورات وبخاصة على أثر أحداث فرنسا المعروفة بأحداث يوليو/تموز عام ١٨٣٠ م ، كذلك تغيرت الظروف السياسية في داخل مملكة **هانوفر** التي كانت جوتينجن تابعة لها ، حيث مات الملك ڤيلهلم الرابع وخلفه أخوه الملك إرنست أو جوست الثاني الذي ألغى الدستور .

ودخل سبعة من الأساتذة التاريخ باسم «**سبعة جوتينجن**» من بينهم **ياكوب وڤيلهلم جريم** بتقديمهم عريضة احتجاج إلى الملك . فما كان من الملك إلا أن فصلهم من عملهم بالجامعة . وأصبح العالمان الكبيران بين عشية وضحاها لا يجدان ما يقيهان به حياتهما ، إلا ما كانت تقدمه إليهما لجنة وطنية تكونت لمساندة الأساتذة المفصولين ، ولمساعدة حركة الحرية بصفة عامة . **وقرر الأخوان جريم العودة إلى كاسل مرة أخرى .**

وكانت سنوات جوتينجن قد أثمرت المزيد . أخرج ياكوب **قصة الثعلب راينهارت** من تراث العصر الوسيط . وأخرج ڤيلهلم **نشيد هيلدبرانت** ، الذي



★ روسو .. وكتابه « إميل أو التربية » ★

يعتبر من أقدم النصوص الألمانية ، وأعمال **فرايدانك** من شعراء عصر الحروب الصليبية ، **وملحمة رولاند** .

وبقي الأخوان جريم في كاسل حتى عام ١٨٤١ م ، حيث انتقلا إلى برلين بدعوة من **الملك فريدريش فيلهلم الرابع** لمنصبي أستاذين في جامعة برلين . وكان الأخوان قد شرعا في كاسل في عمل من أكبر الأعمال اللغوية في تاريخ المدونات الألمانية هو القاموس التاريخي للغة الألمانية الذي يعرف باسم **قاموس جريم** . والمعروف أنهما أتما فيه فيما بقي من عمرهما ، وبمساعدة علماء متعددين حتى حرف F ، ولم يكتمل القاموس إلا بعد نحو قرن من الزمان ، ويمكن لمن يريد أن يقتنيه الآن أن يحصل على ٣٢ مجلداً ومجلد إضافي من السجلات . ومن البديهي أن القاموس متفاوت وأن العمل يجري حالياً على إنشاء طبعة متجانسة منه تجمع بين أصالة الأجزاء القديمة وعمق الأجزاء الأخيرة .

ويمكن القول بأن سنوات برلين كانت سنوات هادئة ، خلت من المتاعب المادية ، وأتاحت الفرصة للتركيز على إنجاز المشروعات العظيمة التي كان الأخوان يقومان بها : **« ليس لنا من هدف إلا تكريس أيامنا الباقية لاتمام أعمالنا المنصبة على لغة وطننا الحبيب وتاريخه »** . على أن العمل الوطني كان له نصيب في حياة الأخوين ، وبخاصة ياكوب . فقد أحدثت أحداث ١٨٤٨ م ، في فرنسا انعكاسات في ألمانيا ، وتجمعت القوى الوحدوية تريد أن تجمع الإمارات والممالك الألمانية تحت سقف وطن واحد ، وتكون البرلمان الموحد في **فرانكفورت** في عام ١٨٤٨ م ، وضم صفوة من رجال العلم والأدب البارزين أمثال **لودفيج أولاند وياكوب جريم** . ويكفي أن نذكر من كلمات ياكوب جريم في هذا البرلمان : **« إن مفهوم الحرية مفهوم مقدس وهام ، وإنني أرى أنه من الضروري أن نضعه على رأس حقوقنا الأساسية ، وأقترح أن يكون مضمون المادة الأولى هو : الألمان جميعاً أحرار ، والتراب الألماني لا يسكت على العبودية ، وهو يهب الحرية لمن سلبوا الحرية من الأجانب إذا أقاموا عليه . إنني أستخلص من حق الحرية تأثيراً قوياً للحرية ، وإذا كان الهواء يسلب الحرية ، فلا بد للهواء الألماني أن يهب الحرية »** .

وإذا كان الأخوان قد تخففا من أعباء التدريس **(ياكوب في عام ١٨٤٨ م)** ، و **(فيلهلم في عام ١٨٥٢ م)** ، فقد استمرا في البحث والعمل المثمر حتى مات فيلهلم في عام ١٨٥٩ م ، وياكوب في عام ١٨٦٣ م ، ويمكننا أن نذكر من أعمال ياكوب في المرحلة البرلينية كتابه عن تاريخ اللغة الألمانية في مجلدين وكثير من الطبعات التراثية المحققة . أما أعمال فيلهلم في الفترة نفسها فتركزت على التحقيق ، ويبرز من بينها ديوان الشاعر الوسيطي **كونراد فون فورتسبورج** . ويكفي ما ذكرناه من قبل عن القاموس التاريخي من أعمالهما المشتركة .

الحكايات

لم تكن الحكايات التي بدأ الأخوان جريم في جمعها في عام ١٨٠٦ م ، عملاً عادياً في نوعه أو طريقة تقديمه أو أسلوب تحقيقه ، بل عملاً فذاً في الأساس العلمي الذي انبنى عليه ، وفي طريقة المعالجة الأسلوبية التي أضافت إلى « **المادة الخام** » المجموعة طابعاً مميزاً من روح جامعيها وبخاصة فيلهلم الذي كان حريصاً على القيمة الفنية الجمالية قدر حرصه ، أو أكثر من حرصه على حرفية الرواية . ونحن نقرأ في المقدمة التي كتباها لطبعة عام ١٨١٩ م ، شيئاً عن تصورهما لقيمة الحكايات :

« يحدث عندما تهب العواصف فتجتث نبات الأرض ، أو تتنزل من السماء النوازل التي تفتك بالحرث والنسل ، أن تظل بقعة صغيرة من الأرض على حالها قرب سياج منخفض ، أو بجوار شجيرات قائمة على طريق آمنة ، تلوذ بها بعض السنابل فتظل مستوية على عيدانها . حتى إذا طلعت الشمس بعد زوال الكرب ، وحملت الخير والنماء إلى كل نبت ، نمت تلك السنابل وحيدة مهملة ، لا تصل إليها مناجل المتعجلين ، ولا تنتهي إلى ظلمات الصوامع والأجران . فإذا أهل الصيف ، ودار دورته ، وبلغت السنابل نضجها وكمالها ، أتت أياد فقيرة تلتمسها ، وتضمها سنبلة إلى سنبلة ، وتربطها ببنيان العناية ، وتحملها إلى الدار ، وتحتفي بها أكثر من احتفائها بالحزم الضخام . وتظل السنابل ما طال الشتاء قوتاً للناس ، وقد تكون هي البذر الوحيد الذي يعود في المستقبل إلى الأرض .

هذا هو ما خطر ببالنا عندما رأينا ، كما رأى آخرون ، أن الكثير مما ترعرع في الماضي قد تبدد ، بل تبدد معه مجرد التفكير فيه . ولم يبق لنا منه إلا ما يختلج بين جنبات الشعب من أغان وكتب قليلة وأساطير وحكايات بريئة ، يتحاكاها الناس في بيوتهم . وهكذا كانت أماكن الدفء حول المدفأة ، وعند فرن المطبخ ، وسلالم الأسطح ، وتجمعات الناس في الأعياد التي حرص الناس على الاحتفال بها ، والمراعي الهادئة ، والغابات الساكنة ، والخيال الصافي ، كانت هذه كلها بمثابة السياج الذي حماها ونقلها من عصر إلى عصر » .

وإذا كانت الحكايات تتفاوت في الطول ، فبعضها قصير لا يزيد على عشرين سطراً ، والآخر يملأ ما يصل إلى عشر صفحات ، فهي تتفاوت أيضاً في الشهرة والتأثير في القراء . ولعل أشهر الحكايات :

بيضاء الثلج ، ذات القبعة الحمراء ، الذئب والعنزات السبع ، ملك الضفدع ، الأوزة الذهبية ، القط ذو الحذاء الطويل ، العفريت في زجاجة ، أشنبوتل (سندريلا) ، الأرنب والقنفذ ، هينزل وجريتل .

ولسنا بحاجة إلى القول بأن الأخوين جريم لم يقصدا بمجموعة الحكايات تربية الأطفال أو التأثير على تربيتهم على نحو معين ، كذلك لم يقصدا ـ في المقام الأول ـ امتاع الصغار بنوع أدبي مسل ، بل تركز اهتمامهما الأول على جمع التراث . **أما أن**

يكون هذا التراث أدب الصغار ، فالفضل في ذلك يرجع إلى جوهر هذا التراث نفسه وتنوعه ، ويرجع إلى حاجة حقيقية وجدت منذ أن وجد الأطفال وبقيت وتطورت . ولكن الأخوان كانا بطبيعة الحال يعرفان أن أخص ما تتصف به الحكايات ، هو أنها حكايات للأطفال ، ولهذا كان إهداء الطبعة الأولى يتضمن كلمة «**من أجل الصغير يوهانس فرايموند**» . قدم الأخوان الطبعة الأولى إلى السيدة **اليزابت فون أرنيم** اعترافاً بفضلها ، ولكنهما أوضحا القارىء الحقيقي ، أو المُستَقْبِل (بكسر الباء) الحقيقي لهذه الحكايات ، وهو الطفل فلان ، ثم الطفل عموماً تأسيساً على ذلك . وإذا كانت ظروف الطبعة الأولى لم تتح لهما الدخول في التفصيلات ، فإن الطبعة الثانية ، وبخاصة الجزء الثاني منها بدأت بمقدمة عن «**الطفولة وعادات الأطفال ومعتقداتهم**» . كان الهدف الأول إذن هو جمع التراث وحفظه من الضياع ، ثم تبلور الهدف الثاني بعد ذلك وهو الافادة من هذا التراث وتقديمه إلى قارئه الحقيقي . ونحن نقرأ في خطاب أرسله **فيلهلم جريم** إلى السيدة **فون أرنيم** في عام ١٨٣٥ م : «**لقد شب أولادك الآن وليست بهم حاجة إلى الحكايات ، كذلك أنت ، من الصعب أن يكون لديك دافع لقراءة الحكايات مرة أخرى ، لكنني على يقين من أن شباب قلبك الذي لا ينضب معينه سيتقبل بالود هدية تعبر عن الصداقة المخلصة والحب المخلص**» .

ويوضح ياكوب رأيه في العلاقة بين كتاب الحكايات والطفل ، فيقول : «**لم ينشأ هذا الكتاب للأطفال أصلاً ، ولكنه أتى محققاً لأملهم ، وهذا شيء يسعدني غاية السعادة . .**» ، ثم يقول : إنه من الخطأ الافراط في تقديم الحكايات غذاء للطفل ، بل ينبغي أن نعتدل فنقدم إليه بين الحين والحين شيئاً فشيئاً قطعة من هذا الطعام الحلو . ويعبر فيلهلم عن أمله في أن يصبح كتاب الحكايات كتاباً يخدم تربية الطفل ، ويرى أنه يصلح لهذا الغرض لأنه يفوق كل كتاب غيره في تغذية ملكات الطفل وطبيعته ، ولا يبارى في البراءة والبساطة . ومن الطريف أن بعض الأصوات ارتفعت عقب صدور الطبعات الأولى تحذر من خطر الحكايات على الأطفال ، وتبين أن الجو الخرافي الذي تدور فيه سيفسد على الصغار عقلهم ويجرهم إلى عالم الخزعبلات والأعاجيب . والأغرب من ذلك أن السلطات في ڤيينا منعت طبع الكتاب هناك لأنه يحمل سمة الخرافات والخزعبلات . وكان على الأخوين جريم التصدي لهذه الموجة : «لقد توقعت أن يجد بعض الآباء حرجاً ، في إعطاء هذا الكتاب لأبنائهم ، لكن أعلم أن هناك أشياء من الكتاب المقدس وبه مواضع كثيرة قد يجد فيها البعض ما يسبب لهم الرهبة والحرج» . والخلاصة نقرأ في رأي ياكوب : «**إن ما بين أيدينا من تعاليم وفروض تناقلها التراث شيء يحتمله الصغار كما يحتمله الكبار**» .

ولأسلوب «**حكاية الطفل والبيت**» مميزات بعينها ، لا ننسبها إلى الجمال ، ولا ننسبها إلى القبح ، بل هي من خصوصيات هذا النوع القصصي . نجد في هذه الحكايات جملاً ناقصة لا تنتهي إلى نهايتها التي نعرفها في غيرها من النصوص ، ونجد الجمل التي لا تتوافق كل التوافق ، ونجد التكرار ، والإضافات التفسيرية أو التأكيدية ، والتركيبات المزدوجة ، ونجد كلفاً بالتصغير وكلفاً بالتهويل في وقت واحد ، ونجد خلطاً بين الكائنات ، فيفهم منها ما لا يفهم ، ويتكلم ما لا قدرة على الكلام ، وكأن الحواجز بين البشر وغير البشر قد رفعت .

إنهما يتحدثان عن التراث حديث الوجدان أولا ، ويرسمان صورة تنطق بالعاطفة أول ما تنطق ، واعتمدت عملية الجمع على الرواة العليمين بالحكايات . ويذكر الأخوان جريم بالامتنان فلاحة في الخمسين من عمرها من قرية قرب مدينة كاسل فتحت لهما الكنز الذي كانت تحمله في ذاكرتها : «كانت السيدة فيمن ما تزال قوية البنية ، لا تجاوز الخمسين من عمرها . وكانت ملامح وجهها توحي بالثقة والفهم والمرح ، وكانت عيناها تنبران بالوضوح والدقة . حفظت هذه المرأة الأساطير القديمة مسجلة في ذاكرتها القوية ، وكانت تعرف أن لها في ذلك موهبة لم يؤتها الكثيرون ، وأن من الناس من يعجزون عن حفظ الأشياء مترابطة مؤتلفة . أما هي ، فكانت تحكي واعية بما تقول ، واثقة من نفسها ، وترسل الكلام في حماس وحيوية ، وتجد متعة في حكايتها عندما تلقيها على سجيتها أولا ، ثم عندما تعيدها بعد ذلك في بطء حتى نتمكن من تسجيلها . . . وكانت لا تغير كلام الحكاية مهما كررتها» .

وسمع الأخوان من السيدة **فيلد** ـ وكان زوجها السيد فيلد يمتلك مخزناً للأدوية في مدينة كاسل يسميه **صيدلية الشمس** ـ مجموعة طيبة من الحكايات ، بل أخذا أيضاً عن ابنتها **جريتشن ودورتشن** مجموعة أخرى (**وقد ذكرنا أن فيلهلم جريم تزوج فيما بعد واحدة منها وهي دروتشن**) . وينبغي أن نذكر من الراويات **ماري موللر** وهي امرأة في الستين من عمرها ، توفي عنها زوجها في الحرب ، فعملت مدبرة للبيوت لتكسب قوتها ، وكانت عليمة بالحكايات . وهناك أيضاً الآنستان **أماليه وجانيته هاسينفلوج** وكان أبوهما موظفاً في مصالح الحكومة في كاسل ، والآنسة **فريدريكه مانل** ابنة القسيس ، **والسيدة لينهارت** التي كانت تعمل في مستشفى ماربورج . على أن الرواية لم تكن مقصورة على النساء فحسب ، وإن كان من البديهي أنهن يستأثرن بنصيب الأسد فيها ، بل كان هناك بعض الرجال مثل **الخفير كراوزه** ، وكان رجلاً فقيراً من مشوهي الحرب ، نقرأ عنه أنه قدم للأخوين بعض الحكايات ، وقدما هما إليه لقاءها بعض الملابس القديمة . فلما صدرت الطبعة الأولى من الحكايات في عام ١٨١٢ م ، زاد عدد «**الموردين**» زيادة مستمرة ، وجاء المجلد الثاني في عام ١٨١٥ م ، وفي عام ١٨١٩ م ، أعيد طبع المجلد الأول ، وفي عام ١٨٢٢ م ، أعيد طبع المجلد الثاني ، ثم خرجت الطبعة الثالثة في عام ١٨٣٧ م ، والطبعة الرابعة مزيدة في عام ١٨٤١ م ، والخامسة مزيدة في عام ١٨٤٣ م ، والسادسة مزيدة ومنقحة في عام ١٨٥٠ م ، والسابعة في عام ١٨٥٧ م ، وهي الصورة النهائية للمجموعة .

وكان رأي العالمين منذ البداية أن المجموعة تضم تراثاً ينبغي أن يخرج إلى الناس



★ جوته .. أثرت كتاباته في الأخوان جريم ★

على حاله دون أن تمتد إليه يد التغيير أو التعديل . إلا أننا نقرأ أنهما سعيا إلى الوصول إلى الشكل الأصلي للحكايات ، أو للصياغة الأصلية ، وتوسلا إلى ذلك بالحس الفني ، لا بالعمل اللغوي الفقهي ، واكتشفا على طريقتهما الأسلوب الأصيل للحكاية وأخضعا له المادة التي جمعاها .

وليس هناك شك في أننا اليوم نتبع في هذا الميدان أسلوباً آخر ، ولا نعتمد على الحس الفني في استكشاف المميزات والمعايير ، ولا ندخل شيئاً باسم هذه المفاهيم أو غيرها على النصوص التي تتوافر لدينا . **ولكن مجموعة الأخوين أصبحت شيئاً قائماً بذاته ، وكنزاً من كنوز التراث الشعبي العالمي ، وعملاً أدبياً أسعدا به الطفل خاصة .**

ولقد تعددت الدراسات وتنوعت فيما يتصل بأصل الحكايات التي تضمها المجموعة - حكاية - فهناك **النظرية الهندية** التي تقول بأن هذه الحكايات التي شاعت في ألمانيا ، بل في أوروبا تعود إلى أصل هندي ، وهناك نظرية تقول إنها تفتقت عن روح الشعب المبدعة ، وهناك دراسات تحليلية تستخرج العناصر وتقارنها . وقد شاركت علوم مختلفة في دراسة الحكايات ، فهناك دراسات سيكولوجية لأتباع التحليل النفسي الفرويدي ، ودراسات قام بها متخصصون في علم الإنسان على سبيل المثال . **ويهمنا أن نبين أن الصلة بين بعض حكايات ألف ليلة وليلة ومجموعة الأخوين جريم مؤكدة وواضحة ، وبخاصة حكاية الصياد وزوجه ، وحكاية اللص ومعلمه ، وحكاية الجبل الذهبي ، وحكاية العصافير الثلاثة ، والعفريت في زجاجة ، وجبل سيميلي .**

نموذج من حكايات الأخوين جريم

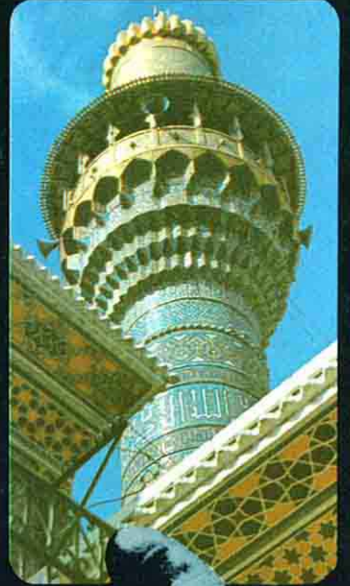
«جبل سيميلي»

يحكى أنه كان هناك أخوان ، أحدهما فقير ، والآخر غني ، أما الغني فكان لا يبر بالفقراء ، وأما الفقير فكان يعيش على تجارة الحبوب عيشة ضيقة بائسة ، وكم من يوم انقضى دون أن يكسب لزوجه وأولاده لقمة يقيمون بها أودهم . وفي يوم من الأيام ، سار بعربته خلال الغابة فرأى في ناحية منها جبلاً عظيماً لا نبت فوقه ولا شجر ، فوقف عنده مبهوتاً ، مدهوشاً ، لأنه لم يكن قد رآه من قبل . وبينما هو واقف وقفته هذه رأى رجالا طوالا عراضاً أفظاظاً يقتربون ، فأيقن أنهم من قطاع الطرق ، فدفع عربته إلى أجمة ، وارتقى شجرة فوقها ، وانتظر ليرى ما سيحدث . وإذا الرجال ، وكانوا اثني عشر رجلاً ، يتقدمون إلى الجبل ويصيحون : « افتح يا جبل سمسي ، افتح يا جبل سمسي » . فانشق الجبل الفحل ، ودخل الاثنا عشر رجلاً ، ثم انقفل . وبعد برهة انفتح الجبل ، وخرج الرجال يحملون أثقالا على ظهورهم . فلما اكتملت عدتهم خارج الجبل صاحوا : **« اقفل يا جبل سمسي ، اقفل يا جبل سمسي »** فالتأم الجبل ، ولم يعد الناظر يرى فيه مدخلاً لداخل . وذهب الرجال الاثنا عشر لشأنهم ، فنزل الفقير من فوق الشجرة عندما تواروا عن بصره تماماً ، وكان الشوق إلى معرفة السر الذي يخفيه الجبل في بطنه قد تملكه ، فخطا إليه وقال : **« افتح يا جبل سمسي ، افتح يا جبل سمسي »** ، فانفتح أمامه ، فدخل ، فإذا الجبل كله مغارة امتلأت بالذهب والفضة ، وتكومت في أعماقها اللآلئ والجواهر البراقة الخلابة أكواماً كأكوام الحبوب والغلال . واحتار الفقير في أمره ، وهل يجوز له أن يأخذ لنفسه من هذه الكنوز شيئاً . وأخيراً ملأ جيوبه بالذهب ، وترك اللآلئ والجواهر لا يمد إليها يده . حتى إذا خرج قال : **« اقفل يا جبل سمسي ، اقفل يا جبل سمسي »** . فانقفل الجبل ، وعاد الرجل بعربته إلى داره ، منذ ذلك اليوم ولت عنه همومه ، وأصبح يستطيع أن يشتري لامرأته وأولاده الخبز بل والفاكهة كذلك . وعاش سعيداً تقياً مستقيماً يبر بالفقراء والمساكين ، ويحسن إلى كل إنسان ، فلما فرغ ماله ، ذهب إلى أخيه ، واستلف منه المكيال ، وذهب إلى المغارة وأحضر شيئاً من المال ، وترك الكنوز الكبيرة دون أن يمسها ، فلما أراد للمرة الثالثة أن يجلب مالا من المغارة ، ذهب إلى أخيه كما فعل في المرة الماضية ، واستلف المكيال ، لكن الأخ الغني كان يكن له منذ وقت طويل حقداً دفيناً ، ويحسده على ثروته ، وعلى البيت الجديد الذي أنشأه ، وكم حاول أن يستكشف مصدر ثروة أخيه ، وما يفعله بالمكيال فلم يفلح . وأخيراً اهتدى إلى حيلة ، فدهن قاع المكيال بالقار ، فلما أعاد أخوه إليه المكيال وجد فيه قطعة من الذهب عالقة بالقار ، فذهب إليه وسأله : **« ماذا كلت بالمكيال »** ، فأجابه : **« قمحاً وشعيراً »** . فأخرج له قطعة الذهب ، وهدده بأن يرفع أمره إلى المحكمة إذا هو أخفى عليه الحقيقة . فحكى له الحكاية من أولها إلى آخرها . وهنا أمر الغني من فوره بإعداد عربة متينة ، وقد عقد النية على أن يغتنم الفرصة خيراً من أخيه ، وأن يجلب كنوزاً تفوق ما جلبه أخوه . فلما بلغ الجبل صاح : **« افتح يا جبل سي . افتح يا جبل سمسي »** . فانشق الجبل فدخل . وإذا الكنوز كلها أمامه . واستبدت به الحيرة حيناً لا يعرف بأيها يبدأ . وأخيراً جمع من الجواهر ما استطاع وتأهب لنقل أحماله إلى الخارج . ولكنه ، وقد حيرت الكنوز فؤاده وحسه ، نسي اسم الجبل وصاح : **« افتح يا جبل سيميلي ، افتح يا جبل سيميلي »** . ولم يكن ذلك هو الاسم الصحيح فلم يتحرك الجبل وظل مقفلاً لا ينفرج . هنالك تملكه الخوف ، واستبدت به الحيرة ، وكلما شحذ فكره ، وألهب ذاكرته ، ليستبين الاسم الصحيح ، اضطربت أفكاره على اضطرابها ، وتهوشت فوق تهوشها ، ولم تجد القناطير المقنطرة من الكنوز نفعاً . . فلما حل المساء ، انفتح الجبل ، ودخل الاثنا عشر رجلاً ، ورأوه فضحكوا وقالوا : **« وأخيراً انقفل عليك القفص أيها الطائر . أم تظن أننا لم نكتشف أنك دخلت إلى هنا من قبل مرتين ؟ لقد أفلت مرتين ، أما الثالثة فهي الثابتة ، ولا نجاة لك بعدها »** . فصاح قائلاً : **« أنا لم آت من قبل إلى هنا ، بل كان أخي هو الذي يأتي »** . وظل يتوسل ويستعطف ويقول كل ما يعن له ليبقوا على حياته ، فلم يغن عنه ذلك شيئاً . وقطعوا رأسه .

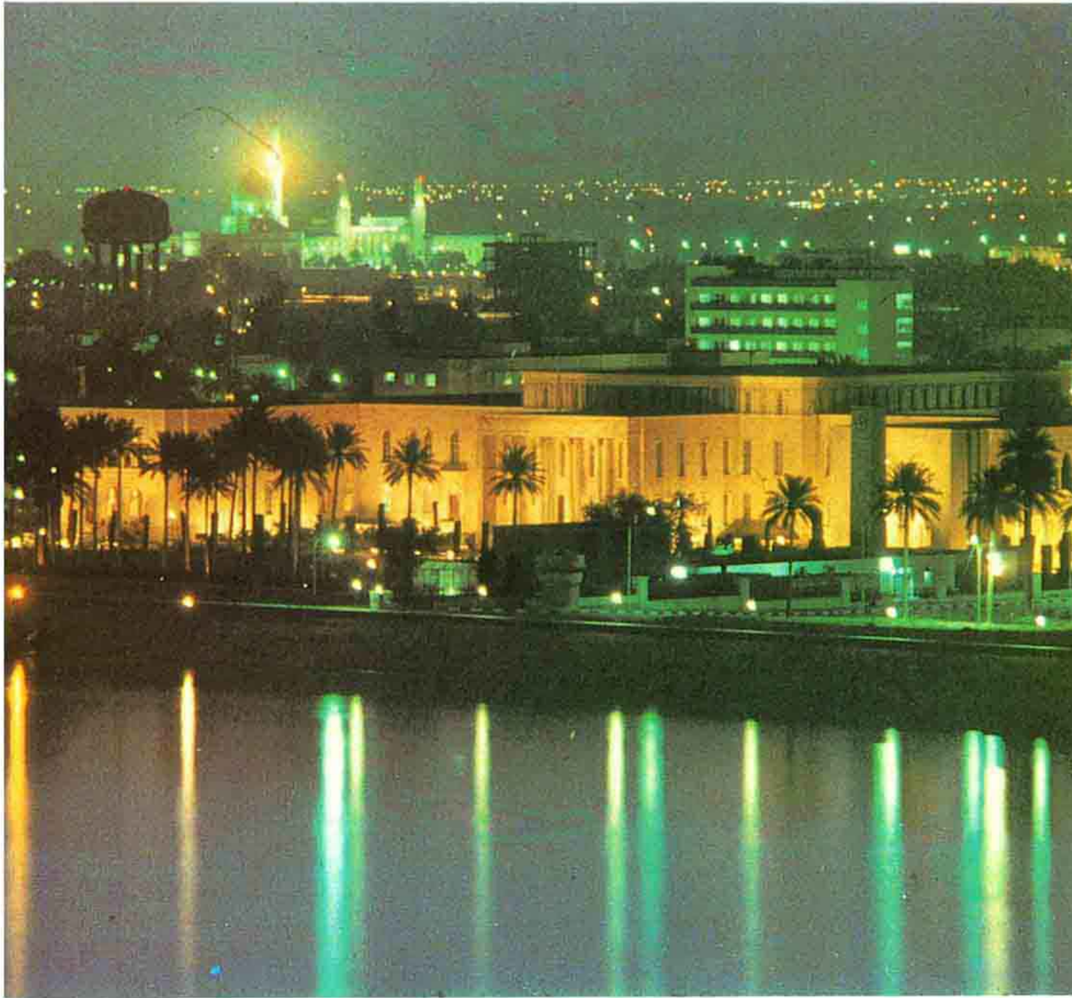
لا يختلف اثنان في العلاقة بين هذه الحكاية ، وألف ليلة وليلة ، حتى كلمة السر « **افتح يا سمسم** » بقيت وإن تحرفت إلى « **سمسي** » ، وقل عدد العصبة من أربعين إلى اثني عشر ، وضاع اسم **علي بابا وقاسم ومرجانة** ، حتى لا تصعب الحكاية على أذن المستمع الألماني . ولكن هذا التشابه ، وعلى وجه التحديد الاعتراف من ألف ليلة وليلة ، لا ينطبق إلا على مجموعة محدودة من الحكايات ، أما الحكايات الأخرى فقد حملتها إلى ألمانيا إن لم تكن قد نشأت هناك أصلاً ، روافد أخرى .

وقد يكون لنا في ختام هذا المقال أن ندهش لافتقار المكتبة العربية إلى ترجمة كاملة تجمع بين الدقة العلمية والسلاسة الأسلوبية تفيد الباحثين ، وتسعد القراء وبخاصة أبناءنا الصغار .





مدينة وتاريخ

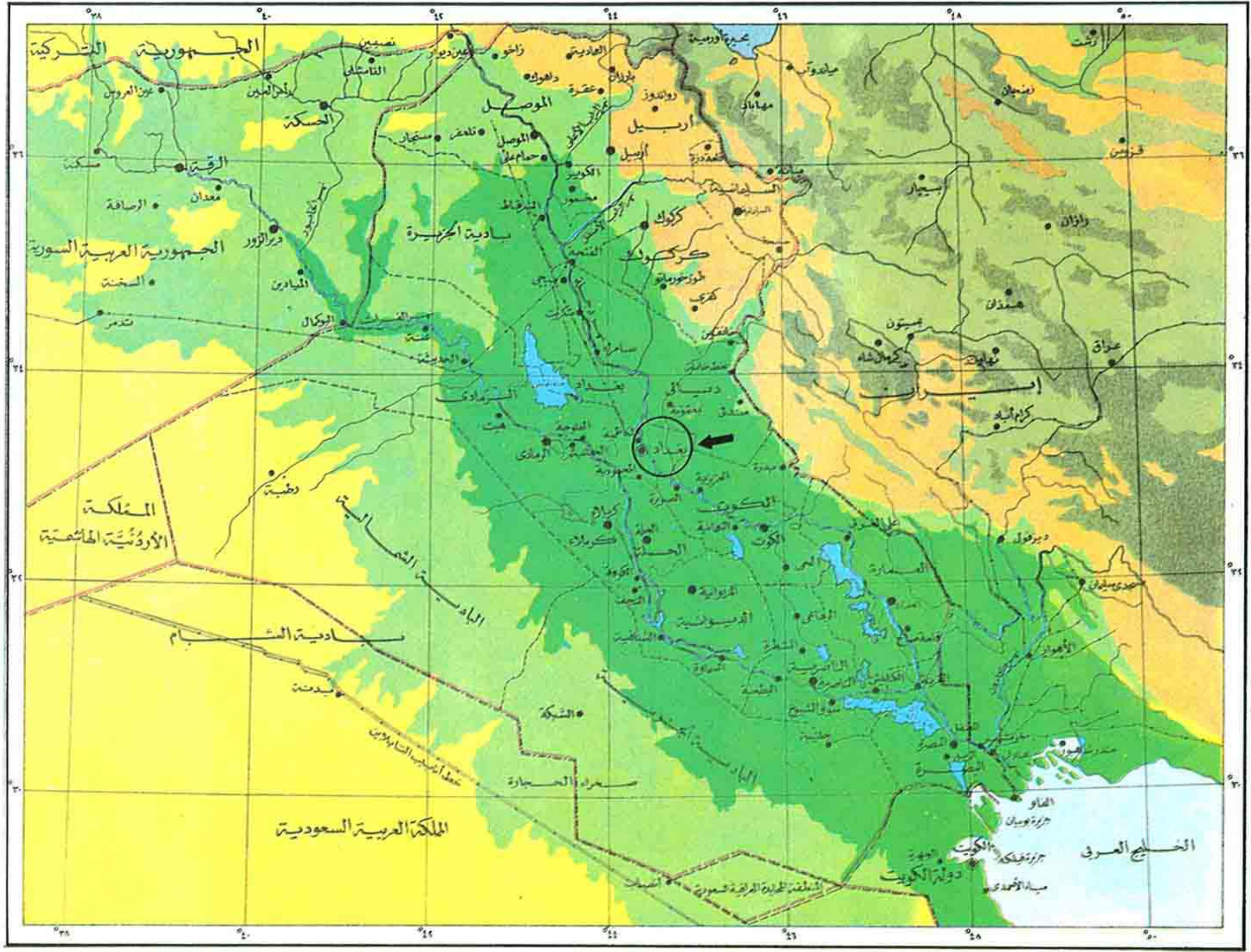


★ بغداد في الليل ★

بغداد

المدينة المدورة

هي عين العراق .. ومجمع الرافدين .. ومعدن الظرائف واللطائف .
كان ابن العميد إذا طرأ عليه أحد منتحلي العلوم والآداب وأراد امتحانه سأله عن بغداد .



★ موقع بغداد على الخريطة ★

هذه صورة بغداد المدينة التي شهدت عدداً من الحضارات العريقة ، والأحداث الجسيمة .. كما شهدت فترات من الازدهار العلمي والفكري حيناً ، وفترات من التدهور والاضمحلال نتيجة الغزو ، والاحتلال من مغول وتركمان وفرس وأتراك ، أحياناً أخرى .

فقد ارتبط تاريخها في ذهن البعض بحكايات **ألف ليلة وليلة** وأحداثها الغريبة المشحونة بالطرائف والظرائف والعجائب ، كما ارتبط في أذهان البعض الآخر بالنهضة العلمية والفكرية والفنية من خلال علمائها ، ومفكريها ، وشعرائها ، فهي **مدينة جمعت بين عطاء النفس ومعطيات العقل .**

والزائر لمدينة بغداد يجد نفسه مشدوداً بين معالمها التاريخية الدينية المتمثلة في **الجوامع والمساجد ،** وآثارها الحضارية العلمية الشاخصة ، ثم تعاقب السنين المصحوبة بالأحداث الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية .

وحين نراجع تاريخ هذه المدينة ، نجد أنفسنا أمام مدينة متألقة ، تقف في شموخ بعراقتها ومعطياتها الحضارية .

هذه رحلة سريعة في تاريخ مدينة بغداد ، وبين معالمها الشاخصة والمندثرة من خلال الصورة .. والكلمة .

★ جامع الإمام موسى الكاظم ★



من المعروف أن **أبا جعفر المنصور هو الذي أنشأ مدينة بغداد** ، حيث شرع في عمارتها عام ١٤٥ هـ ، ونزلها عام ١٤٩ هـ (٧٦٢ م) ، وهذا يعني أن بناءها استغرق أربعة أعوام ، وأن عمرها حوالي ١٢٥٤ عاماً ، أي أكثر من اثني عشر قرناً .

وتروي كتب التاريخ أن المنصور - رغم شهرته بالبخل - **أنفق على عمارة بغداد ثمانية عشر ألف دينار ذهباً** بعملة ذلك العصر ، أي ما يعادل **تسعة ملايين دينار بعملة العراق الحالية** .. وأنه **أحضر الصناع وأصحاب المهن من الشام ، والموصل والجبل والكوفة وواسط** ، كما أمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة ، وكان ممن حضر **الحجاج بن أرطأة ، والإمام أبو حنيفة** ، كما وضع بيده حجر الأساس وقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ثم استطرد قائلاً : « ابنوا على بركة الله » .. ويروى أنه **اشترك في بنائها نحو مئة ألف عامل** .

ويورد المؤرخون **سبب بناء المنصور لبغداد** ، كما يوردون لاختيار موقعها ، قصة تشير إلى أن المنصور خرج ذات يوم في نفر من رجاله من شواطىء الفرات ، بل من عاصمته **الهاشمية** يريد ساحل **دجلة** الغربي بحثاً عن منطقة لعاصمة جديدة تليق بملكه . وتجول في هذه المنطقة التي تكثر فيها القرى والبساتين ، واختار موضعاً لها عند شواطىء دجلة بعد استشارة خاصته والمهندسين وأهل المعرفة بالعمارة . ويروي **المقدسي** ، الجغرافي العربي المشهور ، أن المنصور قبل نصيحة سكان المنطقة في اختيار الموضع لوقوعه وسطاً فقالوا : وأنت يا أمير المؤمنين على **نهر الصراة** تجيئك **الميرة** من الغرب ، ومن **الفرات** تجيئك طرائف الشام ومصر ، وتجيئك الميرة من **أرمينية** وما اتصل بها حتى تصل إلى **نهر الزاب** ، وتجيئك الميرة في السفن من **الصين والهند والبصرة وواسط** في دجلة ، وتجيئك الميرة من **الروم وآصل والجزيرة والموصل** في دجلة ، وأنت بين أنهار لا يصل إليها عدوك إلا على جسر أو قنطرة ، وأنت قريب من البر والبحر والجبل .

لهذا جاءت بغداد مدينة مدورة .

شيِّد حول المدينة « المدورة » عند تأسيسها سوران ، ثم شيد سور ثالث في داخلها ، فأصبحت الأسوار ثلاثة ، وعلى شكل دوائر مركزها الجامع والقصر المعروف بـ « **قصر الذهب** » ، وجعل في كل سور أربعة أبواب ، يبعد الواحد عن الآخر ميلاً واحداً ، وعلى كل باب **قبة عالية** ، وبين كل قبتين **٢٨ برجاً** ، وفوق القصر القبة الشهيرة المعروفة بـ « **القبة الخضراء** » يشاهد في أعلاها فارس يحمل بيده رمحاً يتجه أنى تتجه الريح .

وتذكر المصادر التاريخية أن لكل بابٍ من أبواب السورين الخارجيين بابين ، باب دون باب . وكان على من يريد الوصول إلى الرحبة الداخلية الواقعة في وسط المدينة ، وفيها قصر الذهب والجامع الكبير ، أن يمر بخمسة أبواب . وشيِّدت من اللبن الكبير الحجم جداً ، وكان السور الداخلي أعلى السورين الخارجيين وأكثرها سمكاً . وتذكر بعض الروايات أن ارتفاعه كان ٩٠ قدماً ، وعرض قاعدته ١٠٥ أقدام .

★ جامع الكاظمين ★

وكانت أهم معالم المدينة المدورة «الجامع الكبير» و«قصر باب الذهب» و«قصر الخلد» والأبواب الحديدية .

وقد أمر المنصور بإجراء الماء إليها من قناتين إحداهما تستمد ماءها من **نهر دجيل** ، وهذا يستمد ماءه من دجلة ، والثانية من كوخايا ، وهذا يستمد ماءه من نهر عيسى الآخذ من نهر الفرات . وكان أكثر ماء بغداد يأتي من نهر الفرات ، لأن مستوى قاع النهر أعلى من مستوى نهر دجلة حتى يومنا هذا . وكانت مياه نهر دجلة يومذاك قليلة لكثرة ما كان يسحبه منه **نهر القاطول الكسروي والنهروان .** وهما نهران يجريان بموازاة نهر دجلة شرقاً . فيأخذ القاطول ماءه من دجلة في موقع يقع شمالي بغداد ، ثم يتصل بالنهروان عند مدينة بعقوبة ، حيث ينتهي إلى نهر دجلة قرب مدينة الكوت ، حيث يستفاد منه في سقي الأراضي الواقعة شرقي بغداد . **وقد أمر المنصور أن تجري المياه في المدينة المدورة في مجار من خشب الساج وفي قنى معقودة خشية دخول دواب السقايين المدينة فتلوثها .**

كان في الموضع الذي اختاره المنصور **قرية فارسية** على ضفة دجلة الغربية ، وفوق نهر الصراة تسمى بغداد يجتمع فيها التجار الفرس في رأس كل شهر ، وتقام بها سوق عظيمة . وظلت على هذه الحالة إلى أواخر **الحكم الساساني** للعراق إلى أن فتحها جيش **خالد بن الوليد** في عهد **الخليفة أبي بكر الصديق** واستولى عليها سنة ١٣ هـ .

وأظهرت التنقيبات الآثارية أن موضع القرية يرتد إلى **العصر البابلي والآشوري** ، حيث عثر على واجهة كبيرة مبنية بالآجر البابلي ومختومة باسم **نبوخذ نصر** وألقابه . كما عثر من قبل على كشوف جغرافية آشورية تروي قصة القرية نفسها .



★ مسجد الجيلاني ببغداد ★

★ جامع الخليفة ★



★ مسجد الكاظمية
ببغداد ★

قصر الذهب

تبلغ مساحة هذا القصر ٢٠٠ ياردة في مثلها ، وفي **وسطه قبه خضراء اللون ،** وفي أسفلها مجلس مساحته ثلاثون قدماً في مثلها ، ويرتفع عن الأرض ثلاثون قدماً . وفي صدر المجلس **ايوان على الطراز الفارسي .**

قصر الخلد

بعد سنوات قليلة من بناء المدينة المدورة شرع المنصور ببناء **قصر الخلد على ضفة نهر دجلة ،** وخارج باب خراسان ، وقد ظل قصر باب الذهب المقر الرسمي للمنصور ولمن جاء بعده من الخلفاء ، كما **أقام الخليفة هارون الرشيد في قصر الخلد طوال حياته .** غير أن الخليفة **الأمين** هجر القصر واتخذ من قصر باب الذهب بلاطاً له . وحينما بدأ الصراع بين الأمين والمأمون على الخلافة ، وزحفت على بغداد جيوش المأمون الخراسانية ، انسحب الأمين إلى داخل القصر . فضربت جيوشه حصاراً شديداً على المدينة المدورة أسفر عن تدمير كثير من معالمها الشامخة يومذاك ، ولكن القبة الخضراء ظلت قائمة أكثر من قرن ، وبعد مصرع



★ نهر دجلة ★

الخليفة الأمين هجر القصر ، وفي سنة ٣٢٩ هـ ، سقطت القبة فجأة ، عقب تعرضها لصاعقة ألهبت فيها النيران .

الجامع الكبير

أما الجامع الكبير ، فقد جعله المنصور ملاصقاً لقصر باب الذهب ، وكانت قبلته على غير صواب . وقدرت مساحته بربع مساحة القصر . **وكان أول جامع شيد في بغداد . وظل على حالته مدة نصف قرن تقريباً** . وفي عهد **الخليفة هارون الرشيد** أمر بهدمه وإعادة بنائه بالآجر والجص . ونقش عليه اسمه وأسماء البنائين المعماريين وتاريخ البناء وهو عام ١٩٢ هـ ، وأجرى خلفاء بني العباس توسيعات أخرى ، وكانت تقام فيه صلاة الجمعة طوال القرون الخمسة من الحكم العباسي في بغداد . والظاهر أن الجامع سلم من الخراب الذي تعرضت له بغداد خلال الغزو المغولي بقيادة هولاكو سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، وحينما زار الرحالة المغربي **ابن بطوطة** بغداد في سنة ٧٢٧ وجده قائماً .

جسور بغداد

كانت جسور بغداد معقودة فوق سفن وتؤلف حلقة اتصال بين ضفتي النهر الشرقية والغربية لهذه المدينة الكبيرة ، حيث يكون معدل عرض النهر أكثر من ٢٥٠ ياردة . والجسور تكون مقامة عادة فوق السفن بينما القناطر تكون مشيدة بالحجارة . والأولى يسهل تحويلها أو نقلها في مجرى النهر .

وكانت في بغداد حتى منتصف القرن الخامس للهجرة ثلاثة جسور من هذا النوع وهي **الأعلى ، والكبير ، والأسفل** ، ولم تتغير مواقعها ، ومنذ تشييد الجسر الكبير كان ممراً للطريق الشرقية الكبيرة الآتية من جانب خراسان في مدينة المنصور المدورة والمؤدية إلى باب خراسان في سور المحلات الشمالية الثلاث .

أما الجسر الثاني أو الأعلى فيقطع دجلة تحت الفرضة العليا مباشرة إلى محلة الشمالية ويتصل من الجانب الغربي بالطريق التي تترك المدينة المدورة عند باب الشام مخترقة محلة الحربية وكان عند النهاية الشرقية من الجسر الأعلى باب الجسر الذي ورد ذكره مراراً في أثناء الحصارين الأولين لبغداد في عهد **الأمين** سنة ١٩٨ هـ ، وفي عهد **المستعين** سنة ٢٥١ هـ . ويقال إن الجسر قد أحرق وكان يتألف يومذاك من عشرين زورقاً . وشيد بعد منتصف القرن الرابع (العاشرة الميلادي) **قصر بني بويه العظيم في الشماسية** على الضفة التي تتصل بالجسر الأعلى مباشرة .

أما الجسر الثالث أو الأسفل والذي يسميه **المسعودي** بالجسر الجديد ، فعلى

★ الجسر المعلق ببغداد ★

ما جاء في تاريخ بغداد للخطيب : أن المنصور أمر بعقده في الأصل حينما شيّد قصر الخلد سنة ١٥٧ هـ ، وكان ممتداً قرب باب الشعير مع الجانب الغربي أو عند الطرف الأسفل من حدائق الخلد إلى محلة المخرم داخل **باب سوق الثلاثاء .**

وعدا هذه الجسور الثلاثة التي شيدت في الدور الأول لبناء بغداد ، أقام الخليفة الأمين جسراً رابعاً مؤقتاً يقطع النهر تحت الجسر الأسفل بمسافة بعيدة ، كان يعرف بجسر « **الزندورد** » وربما كان يؤدي إلى القصر الذي شيده الأمين لنفسه قرب **دير زندورد** في الموضع الذي صار فيه بعدئذ **باب كلواذي** في بغداد الشرقية الحديثة .

والظاهر أن الجسور الثلاثة حافظت على مواقعها الأولى حتى منتصف القرن الرابع للهجرة وإلى بدء السيادة البويهية ، وتذكر كتب البلدان ، أن بعد هذا العصر بفترة قصيرة رُفِعَ الجسر الأعلى . وبخراب **محلة الرصافة** أهمل الجسر الأعلى الذي كان يربط محلة الحربية بالشماسية . ويذكر **الخطيب** في تاريخه سنة ٤٥٠ هـ ، أنه كان هناك جسران فقط وهما الجسر الكبير في باب الطاق في طريق خراسان والجسر الأسفل بمشرعة القطانين ثم عطل هذا الجسر ولم يبق في بغداد سوى جسر واحد وهو الجسر الكبير إلى سنة ٤٤٨ هـ .

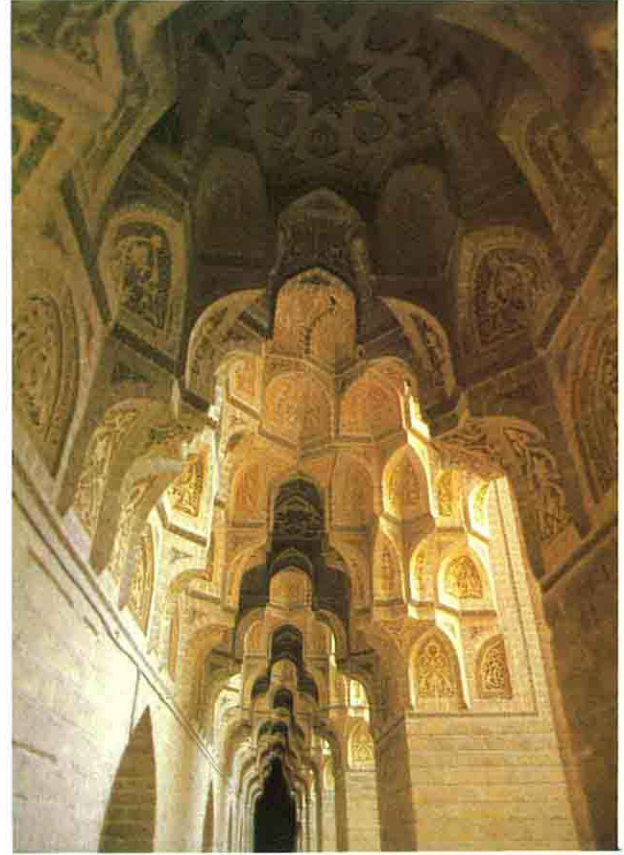


كانت أبواب مدينة بغداد .. أو المدينة المدورة أربعة هي :

- **باب البصرة** ، ويقع في الجنوب الشرقي ، ويفضي إلى الأرباض الممتدة على ضفة نهر دجلة حيث تصب فروع نهر عيسى .
- **باب الكوفة** ، يقع في الجنوب الغربي ويخرج منه طريق الحج المار جنوباً .
- **باب الشام** ، ويقع في الشمال الغربي ، حيث يتفرع الطريق إلى فرعين فرع يسير إلى مدينة الأنبار على الفرات وفرع يسير يميناً باتجاه المدن الواقعة على ضفاف دجلة الواقعة شمالي بغداد .
- **باب خراسان** ، المؤدي إلى الجسر الكبير على نهر دجلة ، حيث يعبر الناس إلى الضفة الشرقية ، ومنه إلى طريق خراسان ، الذي يصل بغداد بأقاليم الخلافة الشرقية .



عرفت المدينة بعدد من الأسماء أشهرها « **بغداد** » وهناك عدة تفسيرات لهذه التسمية .. وفي بغداد عدة لغات منها : **بغداد .. بغدان ـ مغداذ ـ مغداد .. مغدان ..** تذكر وتؤنث في كل اللغات ، كما سميت « **مدينة المنصور** » و« **مدينة السلام** » .



★ القصر العباسي ★



يمكن تقسيم تاريخ بغداد منذ تأسيسها على يد المنصور إلى سقوطها وتدميرها على يد الجيش المغولي بقيادة هولاكو في سنة ٦٥٦ هـ ، إلى ثلاثة أدوار كبرى هي :

●● **الأول :** دور الخلفاء العظام منذ قيام البيت العباسي سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) ، إلى وفاة الخليفة المأمون في سنة ٢١٨ هـ ، وهذا **عصر بغداد الذهبي** بل أزهى عصور التاريخ الإسلامي . وفيه كان الخلفاء علماء وحكاماً ومحاربين أشداء .. مدوا دعائم ملكهم بتفقد الرعية وبمطاردة أعداء الدولة أينما كانوا .

في هذا الدور وضع حجر الأساس للمدينة المدورة بأسوارها وأبراجها ، وقصورها ، وجوامعها ، وأبوابها الحديدية الأربعة ، **باب البصرة والكوفة والشام وخراسان ،** وفيه أيضاً امتدت المدينة إلى الجانب الشرقي ، وشيدت فيها **الأرباض والمساجد والقصور الفخمة والمدارس الدينية العظيمة ، والمكتبات والأسواق ، وازدهرت المدينة وطبقت شهرتها الآفاق ،** بحيث فاقت في عمارتها وجمالها ومكانتها كثيراً من مدن العالم الإسلامي . وتوسع الجانب الشرقي وهو **الرصافة** أيام الخليفة المهدي وهارون الرشيد ، وقامت محلات فيها وأسواق أهمها **محلة الرصافة والشماسية والمخرم ، وانتقلت معظم دواوين الدولة إلى الجانب الشرقي في عهد الوزراء البرامكة الذين شيدوا قصورهم فيه .**

وتوقفت حركة العمران بعد وفاة هارون الرشيد ، وهو في **طوس بإيران ،** من جراء الصراع الذي نشب بين الأخوين الأمين والمأمون ، وأدى إلى قيام حرب أهلية قضت على كثير من معالم المدينة في الجانبين الغربي **(الكرخ)** والشرقي **(الرصافة)** ، وأسفر عن مصرع الأمين وقطع رأسه ، وبدأت بغداد تعصف فيها الفتن والانقسامات ، ويتنافس ويتصارع أبناء البيت العباسي على الخلافة وتدور عليهم الدائرة .

ولكن ما إن عاد الخليفة المأمون إلى بغداد حتى شرع بإعادة الحياة الطبيعية للعاصمة المنكوبة وإعادة بناء ما تهدم من معالمها .. ونعمت بغداد بفترة من الاستقرار والازدهار والنهضة العلمية لم يشهد مثلها تاريخ العراق .

●● **الثاني :** دور **سيطرة الحرس والجيش التركي على الخلافة والخلفاء .** وينتهي هذا الدور في سنة ٣٣٤ هـ ، حينما دخل الأمير معز الدولة البويهي بغداد .

وفي هذا الدور ، أي بوفاة المأمون في مدينة طرسوس ومبايعة أخيه **المعتصم** بالخلافة ، كثرت تعديات الجيش التركي على سكان العاصمة ، وانقلب الناس على المعتصم ، وتدهورت حالة الأمن ، واضطر الخليفة إلى مغادرة بغداد والانتقال شمالاً حيث شيد **مدينة سامراء** لتكون معسكراً لجنوده ، ومعظمهم من الأتراك والأكراد وأقليات أخرى ، وعاصمة لملكه .

وحلت سامراء محل بغداد لمدة ٥٨ سنة كانت خلالها تحت حكم الجيش التركي ، أما الخلفاء فلا حول لهم ولا قوة ، وكانت الدسائس والمؤامرات تحاك ضد الخلفاء الذين انقطعت علاقاتهم ببغداد إلا في فترات قصيرة .

وحدث أن هرب الخليفة **المستعين** من سامراء إلى بغداد تخلصاً من سيطرة الجنود الأتراك ، فتعقبه جيش ابن عمه الخليفة **المعتز** ، وحوصرت بغداد حصاراً دام سنة تقريباً ، وهو الحصار الثاني بعد الحصار الذي ضربه جيش المأمون . وشن الجيش التركي هجوماً كاسحاً انتهى بأسر المستعين وبمصرعه وبإحداث أضرار بالغة بالمدينة .

●● **الثالث :** **دور السيطرة الفارسية** إبان حكم آل بويه جنوب وغرب إيران وامتداد سيطرتهم إلى العراق .

وفي هذا الدور ، وبعودة الخليفة **المعتضد** إلى بغداد في سنة ٢٧٠ هـ ، استرجعت دار السلام مكانتها وشرعت في إصلاح قصورها ومرافقها العامة ، وفي الجانب الشرقي شيدت قصور جديدة وصارت نواة الحياة السكنية الحديثة ، وأحيطت بسور ، وقد وصفها **اليعقوبي وابن رشد وابن سرابيون** في مؤلفاتهم ، ودام هذا العهد أكثر من قرن كان الأمراء البويهيون هم الحكام الحقيقيون والحماة الرسميون للخلفاء العباسيين ، ومنذ سنة ٣٣٤ هـ ، أصبح من تقاليدهم بعد أن أحكموا سيطرتهم على فارس وإيران الغربية ، أن يقيم كبير هذا البيت المالك في بغداد ليكون إلى جانب الخليفة وعلى اتصال بشؤون البلاد .

وشيد أمراء آل بويه قصورهم في بغداد الشرقية ، وأقاموا المباني الجميلة **وشيد عضد الدولة البيمارستان في بغداد الغربية في موضع خرائب قصر الخلد ، واكتسب هذا المركز الطبي شهرة عالمية في جميع الأقطار الإسلامية لمدة ثلاثة قرون ، وعرف باسم البيمارستان العضدي .**

وذكر **الاصطخري** في كتابه الذي دونه في سنة ٣٤٠ هـ ، أسماء ثلاثة جوامع كبيرة كان الناس في زمنه يرتادونها للصلاة وهي **جامع الرصافة وجامع قصر الخليفة في بغداد الشرقية والجامع القديم في مدينة المنصور في بغداد الغربية ،** وأضاف **ابن حوقل** في ٣٣٧ هـ ، جامعاً رابعاً كان يستعمل في أيامه للصلاة ، وهو **جامع بواثا** على طريق بلدة (المحول) .

وقيل إن بغداد الغربية **(الكرخ)** كانت أكثر المحلات ازدحاماً بالسكان ، وكانت فيها دكاكين التجار الذين يعيشون في **ربض الياسرية** ، وذكر

الاصطخري أن نهر عيسى كان صالحاً للملاحة وسير السفن الصغيرة فيه من الفرات إلى دجلة ، وأن هذا الجانب من بغداد كانت فيه شبكة من القنوات تخترق المحلات غير الصالحة للملاحة مثل نهر الصراة .

وأشار **المقدسي** (٣٧٥ هـ) ، في كتابه إلى الخراب الذي حل في هذه المدينة العظيمة واستدرك قائلاً بمقدور الإنسان أن يشاهد في هذا الجانب معظم الأسواق والدور التي نجت من الخراج العام ، وأضاف أن أكثر المحلات التي حافظت على وضعها ما كان واقعاً منها حول **باب الطاق** .

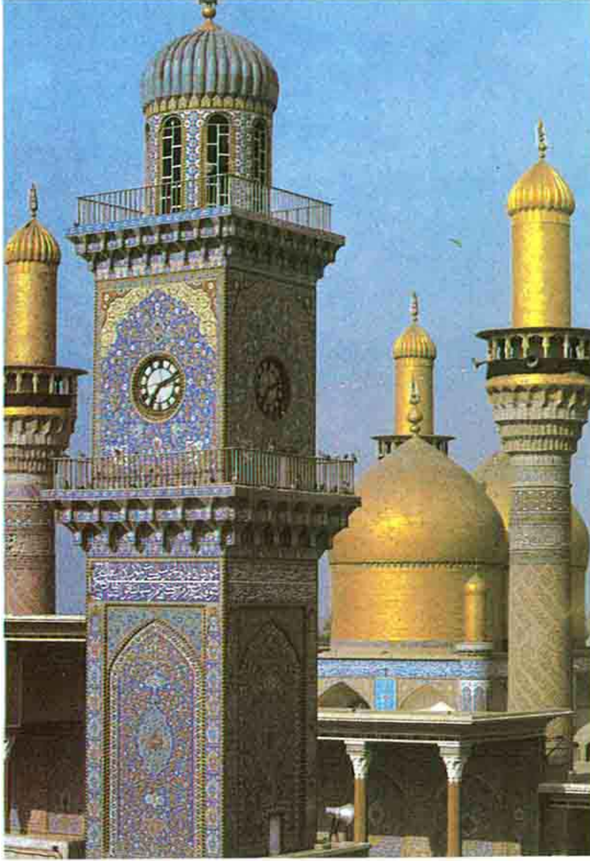
وتوفي عضد الدولة في بغداد سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) ، **ودفن في مدينة النجف** ، وبعد وفاته ضعفت سيطرة البويهيين على بغداد ، وزحف **السلطان السلجوقي طغرلبك** من إيران على بغداد ، وأعلن نفسه حاكماً عليها .

●● الرابع : دور **السيادة التركمانية إبان حكم السلاجقة** ، الذي بدأ بدخول طغرلبك في سنة ٤٤٧ وانتهى في ٥٥٢ هـ ، بوفاة **السلطان سنجر** . ويمتاز بالأعمال التي أنجزها كل من **ألب أرسلان وملكشاه** ، ولم يتخذ السلاطين السلاجقة بغداد مقراً لهم بل أنابوا عنهم أمراء لحكم البلاد وجعلوا القصور البويهية دار السلطنة مقراً دائماً . ويعد **كتاب تاريخ بغداد للخطيب** الذي دونه في سنة ٤٥٠ هـ ، أفضل المراجع لمعرفة ما طرأ على بغداد من تدمير وتوسع في الرقعة ، وفيه وصف كامل لزيارة سفير الروم إلى بغداد في سنة ٣٠٥ هـ ، ووصف آخر لقصور الخلفاء أيام المقتدر ، وفي خلافته توسعت بغداد الشرقية ، ويروي الخطيب خلال إقامته في بغداد أنها في هذا العهد توسعت وكان فيها ست جوامع كبيرة تستعمل جميعها للصلاة في يوم الجمعة .

في عهد الخليفة المنصور الراشد سنة ٥٣٠ هـ ، تعرضت بغداد **لحصار ثالث** حينما قام جيش **السلطان مسعود السلجوقي** تساعده قوات من واسط وصلت بطريق النهر وشدد حصاره على المدينة المنكوبة مدة شهرين ، ومن جراء المصائب والنكبات التي تعرض إليها سكان المدينة ، ثاروا ضد الخليفة ، وخربت محلات المدينة الغربية ونهب الحريم الطاهري ، فهرب الخليفة إلى الموصل ، وفيها أرغم على التنازل عن الخلافة ، وبويع بعده عمه **محمد التقي** ، وعاد السلطان مسعود إلى الشرق .

تعرضت بغداد إلى **حصار رابع** في أيام محمد التقي ، حينما توترت العلاقات بين الخليفة والسلطان السلجوقي الجديد ، فزحف على العراق عن طريق خراسان بينما تحركت **قطعات** أخرى من الموصل وأطبقت على المدينة ، وتحركت إمدادات للخليفة من الحلة والكوفة والبصرة ، ودافع سكان بغداد دفاعاً مجيداً عن مدينتهم ، فاضطر السلطان محمد السلجوقي إلى العودة إلى **همدان** ، وأمر قطعاته القادمة من الموصل بالتراجع ، ولما سمع سكان بغداد بانسحاب الجيش السلجوقي ، خرجوا إلى الشوارع واقتحموا القصر السلجوقي ونهبوه وأشعلوا فيه النيران . وقد دوّن وقائع هذا الحصار **عماد الدين الأصفهاني المؤرخ المعاصر** بدقة واسهاب .

ولم يبق للخلفاء العباسيين مركز سياسي بعد هذا الدور ، وانصرفوا لبناء القصور وترميم ما تهدم منها ، ثم جاء **الإعصار المغولي** بقيادة **هولاكو** في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، في **زمن الخليفة الناصر** في سنة ٥٨١ هـ ، ترك لنا **ابن جبير الرحالة العربي الأندلسي** وصفاً جيداً لمدينة بغداد وهو في طريق عودته من مكة المكرمة ، وكان قد حط رحاله في الربض الكائن في بغداد الغربية (المعروف بالقرية) قبالة المدرسة النظامية التي أسسها **نظام الدين وزير السلطان ملكشاه السلجوقي** ، فقال : إن معظم أقسامها كانت خراباً ولكنه ذكر في الوقت نفسه بعض المحلات التي لم تكن مأهولة بالسكان تماماً مثل **محلة الحربية** المجاورة لمحلة العتابية المشهورة بصنع المنسوجات الحريرية والقطنية . وقد



★ مسجد الكاظمين ★

شاهد قبر معروف الكرخي في ربض باب البصرة وضريح الإمام موسى الكاظم في المقبرة الشمالية الكبيرة والمعروفة بالكاظمية اليوم ، وقد أحصى ابن جبير أحد عشر جامعاً تتخذ لصلاة الجمعة في جميع نواحي بغداد ، وكان عدد الحمّامات يفوق الحصر وكلها جميلة .

إن السفر العظيم الذي وضعه **ياقوت الحموي** في أواخر عهد الناصر ، يعد مرجعاً جغرافياً فريداً ، فقد وصف بغداد وصفاً شاملاً ، لأنه نشأ فيها وتعلم ، وكان عارفاً بأحوالها ، وذكر أن قصر الخليفة كان في الجانب الشرقي ويشغل ثلث مساحة المدينة ، وأن حولها شبكة من الأسواق والدروب تمتد إلى سور المدينة ، وأشار إلى الرصافة وجامعها ومقبرتها التي ضمت قبور الخلفاء وقبر **الإمام أبي حنيفة** .

لم يشيد الخلفاء في بغداد قبل الفتح المغولي سوى **المدرسة المستنصرية ، فقد شيدها المستنصر ، ولا تزال بناية المدرسة ظاهرة إلى اليوم** .

●● الخامس : دور **الاضمحلال والسقوط حين هب الإعصار المغولي على بغداد** في سنة ٦٥٦ هـ ، فدمرها ونهبها وسفك دماء سكانها ، وقتل المستعصم آخر خلفاء بني العباس .

اكتسحت جيوش **هولاكو** الجرارة مناطق إيران الغربية ودمرتها تدميراً ، ثم واصلت زحفها غرباً مارة **بحلوان** ومتجهة إلى شواطىء دجلة . وفي نقطة تقع إلى الشمال من (تكريت) عبرت أرتال من الجيش المغولي كالجراد نهر دجلة واندفعت جنوباً بحركة التفاف هدفها تطويق بغداد الغربية ومحاصرتها واحتلالها ، وبدأ الحصار في منتصف شهر محرم (كانون الثاني/ يناير) سنة ١٢٥٨ م ، الموافق ٦٥٦ هجرية .

وبعد حصار دام خمسين يوماً ، شن هولاكو هجوماً كبيراً على المدينة الشرقية أسفر عن سقوطها وأسر المستعصم وأفراد عائلته واعتقلوا في المعسكر المغولي . ودخل هولاكو المدينة واتخذ محلة المأمونية مقراً لقيادته . وأعقب هذا الهجوم الكاسح

★ شارع أبي نؤاس ★

نهب بغداد الذي استمر أربعين يوماً ، قتل من سكانها خلق كثير ، واندلعت النار في كل جانب ، والتهمت جامع الخليفة ومشهد الإمام موسى الكاظم ، ومعظم شوارع المدينة ، وقتل الخليفة المستعصم وأبنائه ، وأعادت القوات المغولية تنظيم صفوفها ثم انطلقت لتحقيق فتوحات أخرى .

وصف أحد المؤرخين بعد نصف قرن من سقوط بغداد ، الأهوال والمذابح التي شهدتها المدينة في سنة ٧٠٠ هـ ، خلال هذا الاحتلال ، وكذلك الخراب الذي تركته الجيوش البويهية والتركمانية والمغولية فقال :

« لم يبق في الجانب الغربي إلا محال متفرقة أعمرها جانب الكرخ . أما في الجانب الشرقي فقد امتد الخراب من محلة الشماسية إلى المخزم ، وأعيد بناء ما تبقى من سور المدينة ، ثم جاء المغول فخربوا أكثرها وقتلوا جميع سكانها ، ولم يبق على قيد الحياة إلا آحاد كالأموات ، وتدفق بعدئذ عليها الناس من الأطراف المجاورة فسكنوها ، أما أهلها فقد أبيدوا ، وأما معالمها فقد اندثرت ، وهي اليوم غير ما كانت عليه بالأمس ، وأهلها غير ما عهدناهم . والحكم لله تعالى » .

لقد زال بهاء بغداد ولم تعد عاصمة لتلك الخلافة التي طبقت شهرتها الآفاق وتعاقب عليها الفاتحون والطامعون يدمرون ويذبحون ويحرقون الحرث والنسل ، الفاتحون من الايلخانيين والجلائريين وتيمورلنك ، وخلال هذه الفترات أجريت بعض الترميمات وضمدت بعض الجروح ، ولكن الكارثة كانت أكبر من هذا كله .

وفي سنة ١٥٠٨ م ، استولت على بغداد وأطرافها **جيوش الشاه إسماعيل الصفوي** وطردت الإمارات التركمانية الحاكمة ثم زحفت على العراق جيوش

★ جامعة المستنصرية ★



★ ميدان التحرير ★

السلطان سليمان القانوني الكبير وطردت الجيش الصفوي، واحتلتها في سنة ١٥٣٤م، ثم استعادها **الشاه عباس الكبير الصفوي** سنة ١٦٣٨م، ثم هزم جيوشه **السلطان مراد الرابع العثماني**، وجرت فيها مذابح تقشعر لها الأبدان. ومنذ هذا التاريخ سيطر العثمانيون على بغداد والعراق وأصبحت بغداد مقر ولاتها.

هذا ما كان من تاريخ مدينة بغداد القديمة، وهي الفترات التي شهدت تألقها وتدهورها.



★ الكاظمية: كانت تعرف بمقابر قريش منذ أن أسس الخليفة المنصور المدينة المدورة وتقع على مقربة من شاطىء دجلة الغربي.

★ شارع هارون الرشيد ★





★ سوق النحاس ★

★ **العطيفية** : منسوبة إلى مالكها الأول « **عطيفة** » من أهل الكاظمية وهي المحلة الممتدة على شاطىء دجلة الغربي أولها مما يقابل مشهد المنطقة ومنتهاها في الشمال وكانت في موضعها على دجلة خاصة دار القرار الفخمة وهي السيدة **زبيدة زوج هارون الرشيد** وفي شمالها قصر الخلد وفي موضعه أو قربه أنشىء البيمارستان العضدي نسبة إلى عضد الدولة البويهي من القرن الرابع للهجرة .

★ **الجعيفر** : منسوبة إلى بعض الأفخاذ العربية المعروفين **بالجعافرة** وهي آخر محلة الكرخ القديمة وأكبر محلة بالجانب الغربي وكانت مسورة ولسورها أبواب . وكان في مشرعة الكرخ مشهد منسوب إلى عون ومعين قيل إنهما من العلويين ، وقد رآه الرحالة ابن جبير حين دخل بغداد في سنة ٥٨٠ هـ .

★ سوق الصاغة ★



★ **السوق الجديد** : تلي محلة الجعيفر من الجنوب . وكانت تعرف **بمحلة قصر عيسى** ، وعيسى هذا هو أحد أعمام الخليفة المنصور ، أقطعه المنصور قطيعة على الشاطىء وبنى قصراً إلى الجنوب منها وكان الموضع يعرف قديماً بقصر سابور وهو **سابور الثاني الفارسي الساساني** .

وأصلح **الأمير عيسى** نهراً دارساً كان مصبه في دجلة عند قصره ومأخذه من الفرات ، وقد **عرف بنهر عيسى** ، وكان يعرف أيام الساسانيين **بنهر الرفيل** وتقدير مصبه شمالي جامع قمريد .

★ **محلة الدورين واللخامة والمشاهدة** ، كانت تعرف أيام العباسيين باسم محلة « **قطفتا** » وهو اسم آرامي كانت في موضعها قرية عتيقة .

★ **محلة الشيخ ضدل** : وكانت تعرف **أيام العباسيين بمحلة العقبة** وضدل هذا هو عماد الدين ضدل ابن عبد الله الحبشي من مماليك الخليفة المقتفي لأمر الله العباسي وقد جعله قائداً من قواده وبقي في خدمة الدولة العباسية حتى أواخر القرن السادس عشر فاستأذن الخليفة الناصر لدين الله في الاعتزال عن الخدمة لعجزه والانقطاع لعبادة الله مع أفراد من الصوفية اختارهم في زاوية له اتخذها في محلة العقبة المذكورة ، وهي التي اتخذت مسجداً أخيراً عرف **بجامع الشيخ ضدل** .

★ **باب السيف وعلاوي الحلة والشواكة** : كانت هذه المحلات تعرف **بمحلة** « **القرية** » بالتصغير وكانت « قرية » أخرى أيضاً بهذا الاسم في الجانب الشرقي ، وكان في القرية الغربية موضع على دجلة يعرف بقصر بني المأمون ويتصل بمحلة قصر عيسى في الجنوب .

★ **محلة الكريمات** : نسبة إلى الكريمات من العرب الذين سكنوا هذا الموضع ، وكانت أيام بني العباس تعرف **برقة ابن دحروج** ، وكان فيها بساتين ومزارع وتتصل بمحلة العالية وكرادة مريم وكانت هذه تسقى بنهر عيسى من فرعه الكبير .

★ **الصليخ** : وكانت تعرف بالشماسية ، وكان للشماسية رقة ينبت فيها القصب والأدغال ويخرج إليها الرماة للصيد ، ويعرف أعلاها بباب الشماسية حيث شيد معز الدولة البويهي قصره المعروف « **بالقوراء** » ذات المسناة الطويلة سنة ٣٥٠ هـ ، أقام فيه عملاً بنصيحة الأطباء بعد أن اعتل لطيب هواء الموقع وجماله .



حلت ببغداد محن وكوارث دمرت كثيراً من معالمها ، **فالغزو المغولي** وما ترك وراءه من دمار ودماء ، والحروب التي دارت للسيطرة على بغداد عاصمة العالم

الإسلامي في العهدين الجلائري والتركماني والحكمين الصفوي والعثماني ، وما خلفت هذه كلها من الخراب والفقر والأوبئة والفيضانات والحرائق التي داهمتها وما أسفرت عنه من تقلص في عدد السكان وحرق للأراضي الزراعية كل هذه الكوارث والمحن التي استمرت تفتك فيها خلال السبعة قرون الأخيرة من الحكم الأجنبي تركت بغداد أثراً بعد عين . فلا جوامعها ولا مساجدها غاصة بالمصلين ولا مدارسها ومكتباتها عامرة بالعلماء والمتعلمين ولا قصورها وعماراتها ضاحكة بالأمراء والسكان الآمنين وتركت العراق تتلاعب بمقدراته الأهواء والأطماع وتصول فيه الفوضى وتجول وكادت بغداد تلفظ أنفاسها إلى الأبد وتصبح مدينة خربة كما كانت **بابل ونينوى** لولا عناية الباري عز وجل ، فقد دبت فيها الحياة بعد **الحرب العالمية الأولى** ، وانتعشت بعد **الحرب العالمية الثانية** ، وعادت بغداد إلى حظيرة العواصم العربية لتجدد تاريخها وتصنع أحداثها من أجل العروبة والإسلام .

ومع ذلك ظلت في بغداد معالم قليلة خاصة وشاخبة تروي للعرب وللمسلمين قصتها الحزينة وآلامها المريرة وجمالها الأسطوري الذائل وسحرها الرائع الذي تتحدث به كتب التاريخ وقصائد الشعراء وحتى هذه المعالم الشاخبة لم تسلم من يد العابثين ولكن الأيدي الأمينة عكفت منذ نصف قرن على ترميمها وصيانتها وإلباسها ثوباً جديداً ليعيد لها حياتها وجمالها .

ومن أهم الأبنية الشاخصة التي امتدت لها يد الصيانة والتنظيف والترميم والتجديد القصر العباسي والباب الوسطاني وتربتح **الشيخ عمر السهروردي** ، **والمدرسة المستنصرية** على نهر دجلة ، **ومنارة سوق الغزل** ، **وجامع الخفافين** ، **وجامع الشيخ معروف الكرخي** ، **وجامع قمرية** ، **والمدرسة المرجانية** ، (جامع مرجان) ، وخان مرجان ، وهو من وقف المدرسة وأصبح دار الآثار العربية والمشهد الكاظمي في مقابر قريش **وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني** وجامع الإمام الأعظم وتفصيل ذلك كما يلي :

١ ـ القصر العباسي

يعود تاريخ **القصر العباسي** ، وكذلك **الباب الوسطاني** ، إلى أوائل القرن السادس للهجرة في عهد **الخليفة الناصر لدين الله** ، استخدم في بنائه الآجر والجص وأروقته وغرفه معقودة بها أيضاً ، ويحتوي على ايوان عال أو أكثر ، فسيح وتعلوه فتحة واسعة مزينة بزخارف جميلة دقيقة الصنع ، رائعة الجمال ، بديعة التكوين في التركيب والتنسيق والترتيب ، وتظهر هذه الزخارف في أروقة الغرف والأواوين وفوق الغرف والحجرات ، ويتكون هذا النظام الدقيق من الزخارف بتلاصق الآجر بعض إلى بعض ، وبتركيب متداخل دقيق وبأشكال وحجوم مختلفة ، وكل قطعة منقوشة نقشاً دقيقاً ، كأنه حفر أو نقش في الخشب أو المعدن وبأنواع هندسية وزهرية ، وعلى سطوح مستوية أو بارزة أو مقعرة أو محدبة قليلاً .

وفي **العهد العثماني** تعرض القصر العباسي إلى تشويه كبير وانهار جداره الشمالي الغربي والجنوبي الغربي . بيد أن مدخله وايوانه وحجراته وزخارفه ظلت قائمة نوعاً ما ، وقد أعيد بناؤها وزخرفتها من قبل مديرية الآثار العامة ، وجعلته متحفاً لقسم من الآثار الإسلامية ولا سيما الحجرية منها كالمحاريب والقطع المزخرفة .

٢ ـ المدرسة المستنصرية

شرع الخليفة **المستنصر** ببنائها في سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٧ م) ، وانتهى منها في سنة ٦٣١ هـ ، واستخدم في البناء الآجر المحكم والجص . ويلاحظ أن هندستها وزخارفها وحجراتها وأواوينها جاءت على غرار القصر العباسي . ويتألف البناء عادة من صحن مستطيل أو مربع في وسط البناية تطل عليه الأواوين والحجرات والغرف ، وأمامها أروقة متصلة البناء في الطابق الأعلى ويلاحظ وجود آثار لبقاء مسجد في كل من البنايتين وتزين واجهة المدرسة المستنصرية المطلة على نهر دجلة كتابات جميلة محفورة بخط الثلث الكبير جدد معظمها في عهد السلطان العثماني **عبد العزيز خان** في سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) ، وكانت هذه المدرسة أول جامعة إسلامية ، وهي اليوم مؤلفة من كليات ودراسات تخصصية مختلفة ، وسكن لطلبة العلم .

أسواق بغداد القديمة

تشتهر بغداد بأسواقها القديمة التي ما زالت قائمة حتى يومنا هذا . وأغلبها مشيد بالآجر والجص ومسقوفة ومتداخلة وضيقة ، ومن هذه الأسواق :

- **سوق البزازين** ، حيث تباع الأقمشة الحريرية والقطنية المستوردة .
- **سوق القزازين** ، حيث تباع الأقمشة المنسوجة من الحرير والقز المصنوعة في بغداد وتباع بها كذلك الحزم (الهميان) والحيص (جمع حياصة) وهي حزم خاصة بالصبيان .
- **سوق السراجين** ، حيث كانت تصنع سروج الخيل والصناديق المصنوعة من جلود الغنم الخاصة بالمسافرين .
- **سوق الغزل** الذي كانت تباع فيه أنواع الغزول القطنية بنسج الأقمشة ومنها العباءة ، وفي هذا السوق كانت تباع أيضاً الأواني النحاسية وأنواع الطيور والحمام الزاجل والقماري والصنادل والبط والقط والدجاج وماشية أخرى كالخراف والماعز والغزلان والقرود والأرانب وأنواع العطور ، لا سيما **ماء القدّاح** المستخرج من الزهر الأبيض في أشجار البرتقال .
- **سوق الصفارين** ، الخاص بصنع وبيع الأواني النحاسية من قدور وأباريق وطشوت وغيرها ، ولا تباع ولا تعرض فيها غير الأواني النحاسية .



★ فرقة الفنون الشعبية ★

● **سوق الهرج**، الكائن خلف «المدرسة المستنصرية» حيث لا تسمع غير الصياح من الباعة وكانت تباع به الأسلحة النارية والجارحة.

● **أما سوق الصاغة** المعروف بـ «**خان جغان**» ويسمى **سوق دانيال**، فتنتشر بدكاكينه صاغة الذهب والفضة، والداخل إلى هذا السوق يجده غاصاً بنساء بغداد، هذه تشتري «**الخلخال**» وتلك «**الملاوي**»، وأخرى تضع أقراطاً بأذنيها، أو خاتماً، وتباع أنواع المواد العطارية والسكر والصابون والشاي والهيل والحبوب والأرز في سوق الشورجة، وكان يعرف قديماً بسوق العطارين. وشبيه بهذا السوق **سوق الميدان** الواقع قرب جامع الأحمدية وفيه تباع أنواع اللحوم والخضروات والأقمشة وفيه مخازن كبيرة للأرز والحنطة (القمح) والشعير، وفي زاوية من هذا السوق **سوق الهرج** حيث تباع فيه المصنوعات الخشبية المستعملة من أثاث وغيرها.

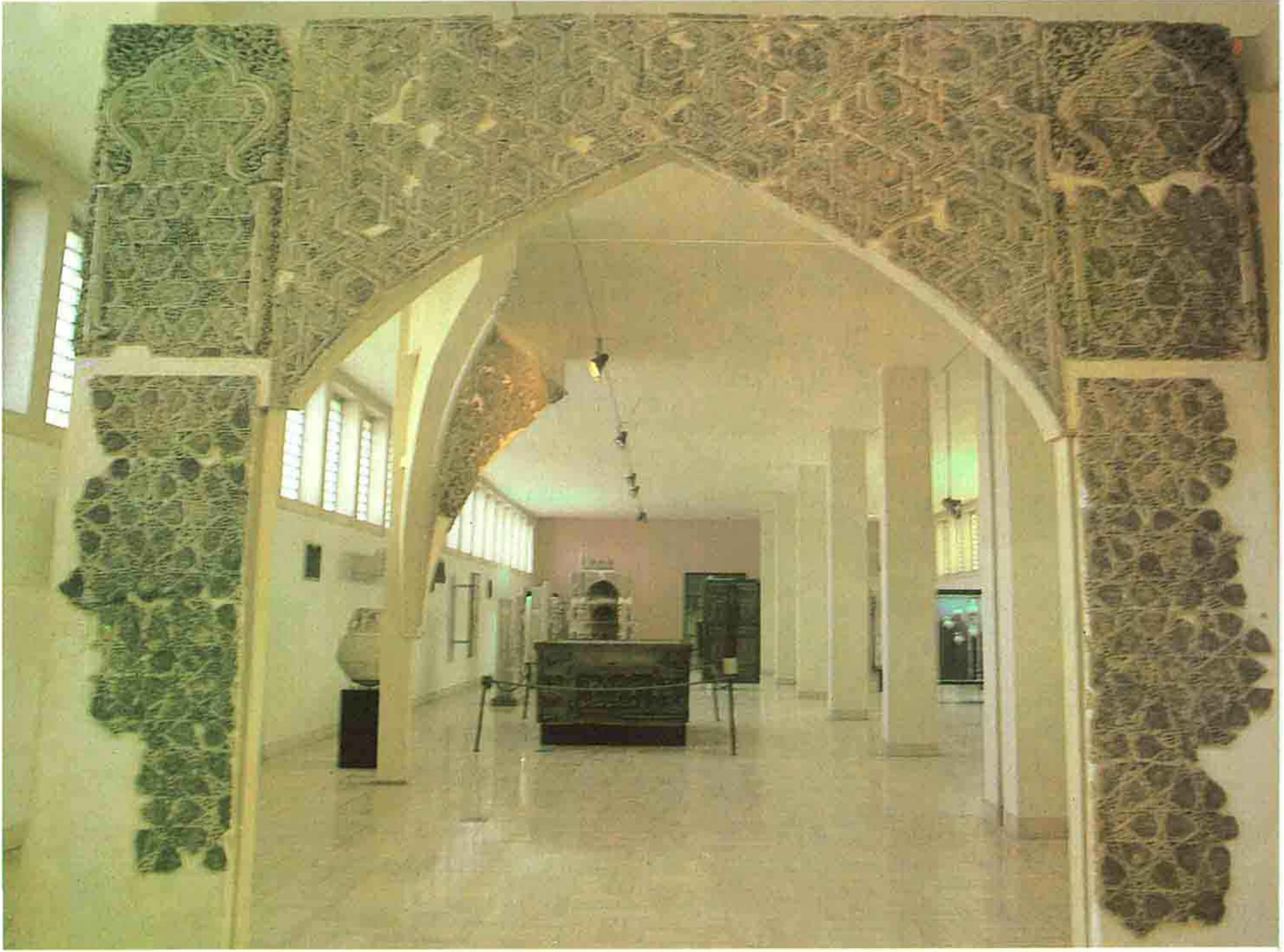
ومن أسواق بغداد الشهيرة القائمة حتى يومنا هذا **سوق السراي** المجاور لسراي الحكومة وسائر الدوائر الأخرى، وتباع فيه الكتب العلمية والأدبية والمدرسية وأنواع القرطاسية، **وأقدم بائعي الكتب ملا خضر وملا نعمان الأعظمي** صاحب «**المكتبة العربية**» المؤسسة سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م)، ومحمود حلمي صاحب «**المكتبة العصرية**»، وقاسم الرجب صاحب «**مكتبة المثنى**» وهاتان المكتبتان قائمتان اليوم في **شارع المتنبي**.

وتقع جميع هذه الأسواق في **الجانب الشرقي من بغداد (الرصافة)**، وهو الجانب الذي تقع فيه دوائر الحكومة والمدارس ودور الولاة والسراة من العثمانيين والبغداديين، وهو الجانب العامر من بغداد منذ سقوط الدولة العباسية، أما **الجانب الغربي (الكرخ)**، حيث شيد المنصور «المدينة المدورة» فقد انطمست معالمه.

وفي الجانب الغربي (الكرخ) من نهر دجلة نشأت أسواق قليلة، لكنها لم تكن عامرة كأسواق الرصافة أبرزها:

● **سوق الشواكة وسوق حمادة والعجيمي.**

● **السوق الجديد** وهو اسم لمحلة في جانب الكرخ كان يسكنها بعض الأدباء والشعراء، بل كانت **ملتقى أدبياً**، وكانت تباع بهذا السوق أنواع الأخشاب القادمة من الموصل عن طريق النهر، ومن الأدباء والشعراء المعروفين الذين كانوا يرتادون هذا السوق الشاعر **عبد الباقي العمري، وعبد الغفار الأخرس، وعبد الله الخياط.**



★ من المتحف ـ القسم الإسلامي ★

أشهر المقاهي في بغداد

اشتهرت بغداد بمقاهيها العديدة المنتشرة في كل مكان بحيث أصبحت نوادٍ اجتماعية يلتقي فيها الأدباء والشعراء والتجار والموظفون والعمال من ذوي المهن والهوايات المتقاربة ، وتتم فيها أحياناً الصفقات التجارية ويلعبون النرد (الطاولة) والدومينو والمنقلة وهي لعبة خاصة بالبغداديين يومذاك .

وفي بعض المقاهي ، لا سيما ليلاً يحضر **عازف الربابة** يشنف رواد المقهى بأنغامه الشجية وبغنائه المعروف بـ « **العتابة والنايل** » وهو غناء عراقي أصيل ، كما يحضر « **القصاصون** » ، وكانت للقصاص مكانة مرموقة حيث يمتع الرواد بالقصص والأساطير ، ويتلو عليهم الأمثال والأقوال والشعر أحياناً ، ومن أشهر قصاصي بغداد يومذاك **ملا إبراهيم الموصلي** (توفي ١٣٠٨ هـ) ، وخلفه **ملا خضر** وهو من مواليد الموصل أيضاً ، توفي أيام الوالي **جمال باشا سنة ١٩١٢ م** .

ومن المقاهي التي اشتهرت في بغداد « مقهى سبع » و« مقهى وهب » ومقهى « **عزاوي** » ، وكلها في محلة الميدان قرب باب المعظم ، وعلى بضعة أمتار من دوائر الحكومة ، واختص مقهى عزاوي بعرض الألاعيب (أي القرة قوز) خلال **شهر رمضان** ، ويتحول ليلاً إلى تياترو أي « مسرح شعبي » بتعبير أهل بغداد . ومن المقاهي الشهيرة المقهى المعروف باسم « **مقهى القراء خانة** » الواقع قرب باب المعظم أو (**عثمانلي قرائخانة سي**) ، وكان أول مقهى نظم تنظيماً حديثاً في بغداد من حيث تقديم الشاي ، وتنظيم المقاعد وشرب القهوة ، ومن حيث قراءة الجرائد التي تصدر صباحاً في بغداد ، بالإضافة إلى الجرائد التركية الواردة من استانبول عاصمة الخلافة ، وكان صاحب هذا المقهى رجل إيراني الجنسية يحسن اللغات التركية والفارسية والفرنسية ، وأصبح اسمه المعروف « **مسيو** » لكثرة ما كان يخاطب زبائنه باللغة الفرنسية .

ومن المقاهي الأخرى « **مقهى المميز** » ، قرب المدرسة المستنصرية وفي ليالي رمضان يغني فيه مطرب المقام العراقي المعروف **أحمد زيدان** ، و« **مقهى العنبار** » ، حيث كان معظم رواده من التجار ، بحيث يعتبر غرفة تجارة وبورصة ، ومقهى « **التبانة** » ، حيث كانت تقدم فيه ليلاً بعض التمثيليات الهزلية وتقام صباحاً حفلات نطاح الكباش وعراك الديكة وعند بدء المباريات يعلو هتاف المتفرجين للفائزين .



★ المسقوف ★

ثم مـــاذا ؟

إن الحديث عن مدينة تاريخية كبغداد شهدت عدة حضارات وعانت أهوالا من الأحداث والنكبات لهو حديث لا ينتهي .. وقد حظي تاريخها بعدد من المراجع والمصادر التي تشكل جانباً هاماً من مكتبة قيمة .

وما أوردناه مجرد صور سريعة لجوانب من تاريخها ورحلة قصيرة في خضم بحر تاريخها المتحرك الذي لم ينضب .

هذه بغداد المدينة التي حافظت على ملامح وقسمات تاريخها العريق مع ما تحفل به اليوم من تطور في مختلف ميادين الحياة .

★ البساط السحري ★



البيت

بقلم: إبراهيم القطان

★ **الإنسان اجتماعي بغريزته، مدني بطبعه، فمنذ أن خلق الله تعالى الخليقة، كان الإنسان نزاعاً للعيش مع الآخرين، وإلى السعي بالاشتراك معهم للحصول على معيشته، وقد شعر منذ أن كان يسكن الكهوف أن في صالحه أن يعيش مع الجماعات.**

وقد اشتملت المدن الكبيرة على الملايين من البشر، ومع ذلك فلا تزال **الأسرة**، هي الوحدة الابتدائية لهذه الجماعات الكبيرة. الرجل والمرأة، أي الزوج وزوجته، يعيشان معاً تربطهم رابطة واحدة من الحب والمصالح المتبادلة، ومن هذا الاتحاد البسيط ينشأ البيت والأسرة، حيث يولد الطفل، ويترعرع بينهما، وتصبح هذه الأسرة في نمو وتطور.

فالأسرة أقدم جماعة بشرية وأهمها، حافظت على كيانها، وأثبتت شخصيتها خلال تقلبات التاريخ، وفي مدى كر العصور. وهي الوحدة العامة المنتشرة في كل المجتمعات البشرية.

والأسرة هي مصدر جميع المؤسسات الأخرى، كالمدرسة والجامع والكنيسة وغيرها، من الجماعات الدينية، والحكومة والمخزن والمعمل، والمستشفى وغيرها.

فالأسرة إذن، هي الوسيلة الأساسية للمحافظة على استمرار الجنس البشري وتربيته. وأن الأمة التي تشتمل على أفضل البيوت وأرقى الأسر، تكون أقوى الأمم وأبرزها ★

أهمية البيت

للمرء ثلاثة أماكن للتربية، **البيت، والمدرسة، والعالم**، أي الحياة العملية. فالبيت هو المدرسة الأولى، وطلابها البنون والبنات، ومعلموها والآباء والأمهات. فعليهم يتوقف غرس الأخلاق الفاضلة والعقيدة الراسخة، والمبادىء القويمة، وانماء القوى العقلية، واللغة التي يتبادل الناس فيها أفكارهم بينهم، لأن طباع الطفل صحائف بيض لم تسود بشائبة، فلا يجب أن يسطر فيها، إلا ما يسر قراءته وتحسن مطالعته، وغالباً ما يناط أمر التربية بالأم، لأنها عماد البيت، ومرآته، والأطفال يلازمونها أكثر مما يلازمون آباءهم، وما أصدق قول **حافظ إبراهيم** رحمه الله:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا ... بالري أورق أيما ايراق

الأم أستاذ الأساتذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق

ربوا البنات على الفضيلة إنها ... في الموقفين لهن خير وثاق

فالولد أمانة استودعها الله الوالدين ليحافظا عليه، ويسددا خطواته في مناهج الصواب، وينميا عقله وجسمه على أقوم المبادىء، وأصحها، وأسلمها. ولما كان الأبوان قوام البيت، **والأم**، أول مرب مسؤول عن ولدها، قال بعض العلماء: «**تفيد الأم ابنها في طفولته ما لا تستطيع جميع المدارس، ولا أقوى الذرائع التهذيبية أن تفيده جزءاً منه**».



وقال بعض الأفاضل : « هذب أولادك خمساً وعشرين سنة قبل أن يولدوا ، أي هذب أمهم فتهذبهم » ، فالأم لها تأثير عظيم ، وعليها تتوقف نهضة الأمة ، ونجاحها في بيتها أعظم سعادة للأسرة ، وهي جنة البيت وعماده ونوره ، فالبيت ، هو المكان الذي تنبع منه السعادة ، وهو المكان الذي يخصك والذي يلائمك ، وحيث يحق لك أن تكون منطلقاً حراً مسروراً .

والمعاني المألوفة الرقيقة التي ترتبط بكلمة « **بيت** » تتعلق بالأسرة ، والحقيقة أن منبعها الأصيل هو الحلقة العائلية ، فحول هذه الحلقة تنشأ ذكرياتنا الأولى ، ومنها تنمو أعز صداقاتنا وأقربها ، وأحلاها إلى نفوسنا ، وفيها تتكون أرق عواطفنا .

وقد أشار **القرآن الكريم** إلى الأسرة والبيت ، بأحلى عبارة وألطف تعبير ، حيث قال عز وجل : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ .

وعلمنا الرأفة والحنان بعضاً لبعض ، فقال جل من قائل : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ، حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً . وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ، حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ، وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي ، إني تبت إليك ، وإني من المسلمين** ﴾ .

وما أجمل قوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ . إلى ما لا نهاية له من آيات بينات ، وأحاديث شريفة ، تحض على التعاطف والتراحم ، بين الآباء والأبناء ، وذوي القربى ، لتستقيم أمورنا وتصلح حياتنا وتتيسر معيشتنا .

ويعتقد الناس أحياناً أنه لكي يتوفر لديك البيت الأمثل ، يجب أن تملك مسكناً جميلاً أو قصراً كبيراً ، وهذا هو الخطأ بعينه ، فإن كلمة (**مسكن**) ، وكلمة (**بيت**) ، مختلفتان جداً ، رغم أنهما تستعملان أحياناً بمعنى واحد .

البيت هو هذه الجماعة المكونة من أفرادها وما تشتمل عليه من جو فيه المحبة والأخوة الصادقة ، فإذا اضطرت الأسرة أن تنتقل من مكان إلى آخر « فالبيت » ينتقل معها أيضاً ، رغم تعلقها تعلقاً شديداً بالمسكن السابق .

ولا ريب أن أغلب الناس يتعلقون ، في دور من أدوار حياتهم بأماكن وأشياء مختلفة ، نظراً لما يرتبط بهذه الأماكن والأشياء من أشخاص وحوادث . وينطبق هذا بصورة خاصة على المسكن ، حيث تنشأ فيه ، في كثير من الأحيان ، محبة حقيقية لكل زاوية من زواياه .

كم منزل في الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبداً لأول منزل

وليس لنوع المنزل سواء أكان قصراً أو كوخاً ، إلا الأثر القليل في جعله بيتاً ، فكم من أناس يعيشون في قصور شامخة ، ولكنهم لا يفهمون ما معنى كلمة « بيت » ، بينما أناس آخرون يعيشون في أكواخ حقيرة ، فيجعلون منها مركزاً للسلام والمحبة .

فهناك لسوء الطالع ، أسر تسودها الناحية البغيضة من الطبيعة البشرية ، فيتميز أفرادها بالأنانية وحب الخصام ، بدلا من كرم الخلق والمحبة ، وبذلك يتشرد أفرادها أحياناً ويتشتتون هرباً من محيطهم لعلهم يجدون مكاناً أبهج وأسعد ، وحتى في هذه الحالات التعسة يمحى أثر الذكريات المؤلمة ، ولا تبقى إلا الذكريات المفعمة بالمحبة للبيت .

فإذا كان هذا هو حب البيت في ظروف غير ملائمة كهذه ، فكم تكون قوته ، حين تسود الحياة العائلية المحبة والسعادة .

البيت المثالي هو الذي تسود المحبة والرقة والعطف بين جميع أفراده ، فيشترك الأهل مع أولادهم في مرحهم وفرحهم ، كما يشترك الأولاد في أعمال أهلهم ويسرون بها ، ويشعر الإخوان والأخوات بما توحيه إليهم الصداقة والمحبة والوئام بين آبائهم وأمهاتهم .

فإذا ربطت المحبة والمودة والصداقة أفراد الأسرة بهذا الرباط الجميل المقدس ، شعر أفراد الأسرة أن بيتهم جنة ، وأنه أبهج وأسعد مكان في العالم ، وأخرج إلى الأمة مواطنين صالحين يبنون وينتجون . **فليس**

سعادة البيت بشامخ البنيان ، ولا بالقصور العظيمة ، كما تقدم ، ولا بكثرة الأثاث والرياش ، وإنما السعادة بالمحبة والصداقة والرقة والوئام ، ولذلك قالت الشاعرة العربية ، وكانت تسكن قصر الخليفة وتعيش عيشة الملوك ، ولم تكن بذلك سعيدة :

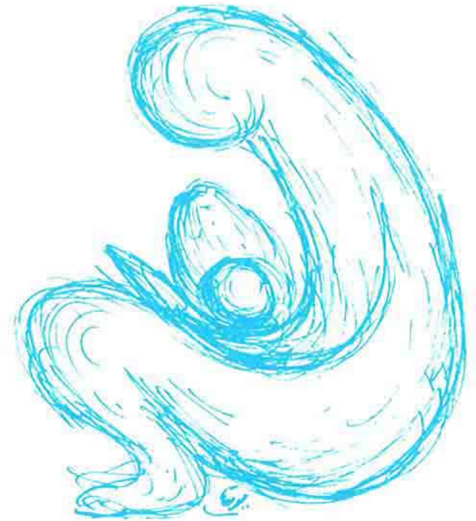
لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إلي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني
أحب إلي من لبس الشفوف

مهمة البيت

أول ما يتعلم الطفل لغته يتعلمها في البيت من أسرته ، التي يعيش بينها ، ونحن لا نقدر أهمية **اللغة** ، لأن أغلبنا لا يستطيع أن يتذكر نفسه ، متى تعلم اللغة ، فنحسب أن اللغة أمر طبيعي ، ولكننا عندما نحاول تعلم لغة جديدة تظهر لنا إذ ذاك ، الأهمية الحقيقية للغة ، ومدى صعوبة تعلمها . ولولا تبادل الأفكار بين الناس عن طريق اللغة ، لما استطاعوا أن يشتغلوا أو يلعبوا أو يعملوا ، مشتركين في أي حال من الأحوال .

ولو عدم الإنسان القدرة على تبادل الأفكار واستطاع أن يعيش ، لعاش كل إنساناً في عالم منفرد بذاته ، ولعدمت حياة الجماعة ، لأنه بدون تبادل الأفكار يستحيل التعاون بين الناس ، وهو أساس حياة الجماعة .

فالأسرة البشرية هي التي تعلم اللغة ، والطفل الحديث الولادة لا يستطيع أن يطلب ما يريد ، أو أن يفهم كلمة مما تقوله أمه ، وقبل أن يكتشف بالاختبار أن البكاء ينيله رغباته ، كالأكل أو الرفع من المهد لا يكون لبكائه غاية أو غرض ، وهكذا يختبر ببطء وتدريجياً ، أن الأصوات تأتي بنتائج مرضية ، فبهذه الطريقة يتم عمل الأسرة التربوي العظيم الأول ، وهو تعليم اللغة .



والبيوت التي ينطق أهلها بلغات متعددة ، مثل العربية والانكليزية والفرنسية والأرمنية والتركية ، **تجهز أبناءها في سن مبكرة بالقدرة على اكتساب اللغات ، وأنها لمهمة عظيمة ومفيدة** ، ولا سيما في عصرنا هذا ، وقد تقارب الناس ، وأصبح العالم صغيراً ، كأنه أسرة واحدة ، وأن كل لغة بإنسان .

الآراء .. والأذواق

تتكون آراؤنا وأذواقنا غالباً في البيت ، فالأبناء على العموم يحبون الأشياء التي يحبها أهلهم مع مراعاة الخلاف ، الذي تستدعيه الفروق في السن . فالأسرة التي تحب القراءة والكتب والمطالعة ، ينشأ أطفالها على حب القراءة والتعلم ، كما أن مواقف الآباء تجاه المسائل المختلفة ، تقرر مواقف الأبناء إلا في بعض حالات شاذة ، ويقبل الأبناء والبنات كثيراً من الآراء والأذواق التي يختبرها أهلهم ، وهذا أمر طبيعي نظراً لاعجابهم الشديد ، ومحبتهم القوية لآبائهم وأمهاتهم ، ونظراً لكونهم محاطين بتأثير أهلهم في السنوات الأولى من حياتهم ، حيث يسهل الانطباع عليهم ، والمثل العربي القديم يقول : «**كل فتاة بأبيها معجبة**» .

عادات العمل

وتتكون في الأسرة أيضاً ، عادات الاجتهاد أو الكسل ، فالطفل الذي يشعر أن عليه القيام بقسم من الأعمال في البيت ، يكون عادة الاجتهاد ، ولا ينساها إلا نادراً ، وأما الطفل الذي لا يطلب إليه أن يعمل أي عمل في البيت ، أو الذي يكلف بالعمل دون انتظام ، فمن المحتمل أن يكسب عادات الكسل التي يصعب عليه التغلب عليها فيما بعد ، ويجب علينا أن نقضي على الفكرة القائلة ، بأن العمل يحط من قدر الإنسان ، وذلك بأن يعمل الآباء على تشجيع أبنائهم منذ الصغر على العمل ، وأن لا يتأخروا عن أي عمل يوكل إليهم ، سواء أكان في البيت أو في الخارج .

الآراء الصحيحة عن الحكومة

وكذلك تتكون الأفكار الأولى عن **الحكومة** ، في الأسرة ، **فالولد الذي يتعلم أن يطيع أباه وأمه ، قلما يخالف القوانين في مدرسته وأنظمتها ، أو قوانين مجتمعه وأنظمته ، ويكون بعيداً عن السجون عندما يكون شاباً** . وهذه والحمد لله ظاهرة طيبة في مجتمعنا ، لأن الأسرة عندنا لا تزال بخير ، ولا يزال الأبناء يطيعون آباءهم ويحترمونهم ، والجرائم عندنا قليلة بالنسبة لغيرنا حتى من البلدان المتقدمة صناعياً ، وإننا نكتسب المثل الأخلاقية ، والدينية ، والكثير من معتقداتنا ، سواء كانت صواباً أو خطأ من البيت ، **فالطفل يتعلم الأمانة والشجاعة والكرم ونقاء السريرة والاخلاص ، وغيرها من الصفات في البيت تغرس فيه هي أو متناقضاتها من الانطباعات اليومية ، التي تتركها فيه حياة أمه وأبيه وإخوانه وأخواته الكبار .**

وكذلك في البيت تكون أول انطباعاتنا الدينية وأشدها عمقاً ، وبالنادر أن ينشأ في الأسرة غير المتدينة أبناء متدينون ، وإن شرد الابن أو البنت فيما بعد عن التعاليم الدينية ، التي تلقوها في أيام الطفولة ، فإن أكثر تلك التعاليم يظل دائماً في أعماقهم ، ويهديهم مرة ثانية إلى الإيمان الصحيح .

الأخطار التي تهدد البيت

يعتبر كل ما يعيق الأسرة أو يمنعها من القيام بعملها خطراً على البيت ، وشراً للمجتمع ، فما هي هذه الأخطار ، وما هي أفضل الطرق لمجابهتها ؟

فالمرض ، من الأخطار التي تهدد البيت ، فمرض الأم أو الأب مرضاً طويلاً أو موت أحدهما ، يهدد البيت ويزعزع أركانه ، ففي حالة كهذه لا تتوفر للطفل العناية الأبوية الكافية التي يحتاج إليها ، فموت الأب مثلاً ، كثيراً ما يترك الأسرة بدون معيل ، فتضطر الأم أن تترك البيت ، وتخرج للعمل في المعمل أو المخزن أو في خدمة بيوت أخرى ، وهكذا يترك الأبناء غالباً دون رقيب ، فيتشردون في الأزقة والشوارع ، ويتعلمون العادات السيئة ، ويتعرضون إلى الأخطار ، والتجارب .

أما موت الأم ، فهو خسارة للبيت لا يقل أثرها عن موت الأب ، ومهما بلغت العناية التي يقدمها الآخرون للأطفال ، فإنه « **لا يستطيع أحد أن يحل محل الأم** » ، وليس بالامكان دائماً تجنب المرض والموت ، وأحسن وقاية في أيامنا هذه أن يؤمن الوالدان على حياتهما ، باقتصاد شيء من دخلهما ، ويجب على الدولة أن تعمل على تعميم **التأمين** ، في المؤسسات والشركات العامة ، والأماكن التجارية ، ضد حوادث المعامل والمرض وبتحسين ظروف العمل ، وبذلك يمكن حماية البيت من أخطار كثيرة تهدده عن طريق المرض والموت .

وعدم ملكية المسكن من الأخطار التي تهدد البيت ، وليس بمستطاع كل أسرة أن تملك المسكن ، ولكن عندما يكون المسكون ملكاً للأسرة ، يصبح الخطر أقل في حالة تهديده بشيء من المرض أو الموت ، وموضوع تأمين المساكن صعب ، ولكنه يمكن التغلب عليه بواسطة الشركات ، ومساعدة الدولة ببناء مساكن شعبية ، وبيعها بالتقسيط لمدة طويلة ، وهذا ما تفعله الدولة المتقدمة لشعبها وعلى قدر طاقتها .

كان البيت قديماً محل العمل ، يعمل فيه رب العائلة ، فكان **دولاب الغزل** ، منتشراً في كل بيت ، فإذا طال شغل الرجل وكلّ عن العمل ، كان حر التصرف في وقته ، بحيث يستطيع أن يترك العمل في دكانه أو معمله ويلجأ للعمل في بيته ، وبذلك كان الآباء قريبين من الأبناء لارشادهم ونصحهم وتعليمهم ومراقبتهم .

أما الحال في المدن اليوم ، فليست كذلك ، فقد انتقل العمل من البيت إلى بناء كبير يدعى المعمل أو المصنع ، حيث يستخدم فيه عدد كبير من العمال ، وبدأت هذه العدوى تغزو بلادنا ، ونتج عن ذلك أن الأب أصبح قليل الاجتماع بأبنائه ، وحتى الأم التي تعمل لا تجد الوقت الكافي للأعمال البيتية ، وهذا يظهر أثره السيء على البيت ، فإن لم ترع الأم أطفالها بعينها ، وإن لم يخصهم الأب بمراقبته فسيقضون أوقاتهم بعد انصرافهم في الأزقة والطرقات ، وهكذا نجد أن الآباء الذين يشتغلون خارج البيت ، لا يملكون في كثير من الأحيان ، الوقت الكافي للعناية ببيوتهم ، وجعلها كما يجب أن تكون ، **فالعمل خارج البيت والتغيب عنه ، خطر على كيان الأسرة ، يجب أن يدرس هذا الموضوع درساً كافياً ، ويوضع له من الأنظمة والقوانين ما يكفل للوالدين ، أن يوفروا الوقت الذي يسمح لهم بالعناية بأبنائهم .**

والفقر ، من الأخطار التي تهدد البيت ، فالأجور المتدنية ونقص كمية المواد الغذائية والطوارىء ، والمرض والكسل ، هذه جميعها من الأسباب التي تمنع الأهل من توفير الأشياء الضرورية لأولادهم ، وإن لم يتوفر الدخل الكافي لدى الآباء ، فإنهم لا يستطيعون أن يضمنوا لأولادهم الطعام الضروري ، والمسكن والتربية اللازمين ، وهكذا يعيق الفقر العائلة عن القيام بعملها ، ولذلك كان من الواجب على الدولة والشعب معاً ، أن يتعاونا على حل هذه المشاكل ، بانشاء الجمعيات والهيئات ، وتدريب العدد الكبير من الموظفين للتعاون على النهوض بالمجتمع لتفادي هذه الأخطار التي تهدد البيت .

وإن تكن الأخطار التي تهدد البيت كثيرة ، فيجب أن نتذكر أننا مهما ضحينا في سبيل التخلص منها فنحن الرابحون ، لأن المجتمع يرتكز إلى أساس الأسرة ، والأسرة ترتكز إلى البيت في المحافظة على كيانها .

والطلاق ، من أخطر الأمور التي تداهم الأسرة وتهد كيانها ، وتهدم البيت ، ويختلف عن الأخطار الأخرى التي سبق ذكرها ، بكونه في الغالب نتيجة أخطار أخرى ، وإنما هو خطر حقيقي ، لأنه يهدم البيت ويحطم الأسرة . بيد أن شره يخفف حين لا يكون للزوجين أولاد ، وقد يكون الطلاق في بعض الحالات لصالح العائلة ، وهو أبغض الحلال عند الله تعالى ، ولكن عندما تكون البواعث التي تبعثه أنانية الزوج أو الزوجة ، فيصبح إذ ذاك بالامكان تجنبه بشيء من التساهل من قبل الطرفين ، ويجب أن يعالج بحكمة بالغة وبالتروي وبصدر واسع .

الاصطدام بين **القديم والجديد** ، من الأمور التي تحدث قلقاً ونزاعاً في البيت ، فكثيراً ما يحصل اصطدام بين الأهل والأبناء ، بعد دراسة الآخرين في المدارس الأجنبية ، واكتسابهم الآراء والعادات ، التي تختلف عن آراء أهلهم وعاداتهم القديمة .

فبعض المتعلمين يخجل مثلاً ، من ملابس أمه القديمة أو والده ، أو لا يعجبه مسكنه في القرية ، أو يحاول الخروج على التقاليد الدينية ، وما أشبه ذلك . وما لم يحاول الأهل والأبناء أن يفهم بعضهم البعض ، وأن يكيفوا أنفسهم لبعضهم ، فتكون النتيجة ضعف وحدة الأسرة إن لم يكن انقسامها الكامل ، ويجب أن تعالج هذه الأمور بدقة وبعد نظر ، وتفكير .

سياسة البيت

لقد ساعدنا العلم من نواح كثيرة مختلفة ، على تحسين ظروف معيشتنا ، فتعلمنا العلوم الاجتماعية ، كيف يقدر الناس أن يعيشوا معاً

متعاونين ، وكيف نستطيع نحن أن نكون هكذا ، أما البيت فيحتاج إلى العلم بصورة خاصة ، إذ فيه يجب أن يتعلم الرجال والنساء والكبار والصغار ، كيف يعيشون معاً بسعادة وتعاون .

ففي البيوت التي استفادت من العلم يكون فيها آباء وأمهات متعلمون يعتنون بالطفل أكثر من سواها ، فالطفل مخلوق عاجز ، ويتوقف مستقبله على نوع العناية التي تخصص له والأمهات يحببن أبناءهن حباً غريزياً ، ولكنهن لا يستطعن أن يعرفن بالغريزة ما هي الأصول العلمية للعناية بالطفل ، فيجب أن يتعلمن من أصحاب الخبرة والعلم الذين اختصوا ودرسوا صحة الطفل ، ونموه بالطريقة العلمية ، فلا يكفي مثلاً أن يتناول الطفل **الحليب** ، الذي ينتجه جسم الأم ، وعلى كمية الارضاع وتعدده ، **ولما كان المواطنون ينشأون من الأطفال ، فكان واجب البيت أن يعنى بهم جيداً** ، وعلى البيت أن يسترشد بالأطباء والعيادات الصحية وعلى الجمعيات الخيرية ، أن توفر الخبراء لهذا الموضوع وتبذل كل ما في وسعها لمساعدة الآباء والأمهات في تنشئة الأطفال تنشئة صحية جيدة .

واللعب للأطفال ، ضروري جداً ونافع لهم وبواسطة اللعب يتمرن الطفل على الأعمال التي سيقوم بها فيما بعد ، عندما يكبر ، فتلعب الابنة بالدمى الصغيرة ، وتتمرن على إدارة البيت ، ويلعب الابن بالأدوات والآلات التي تتيسر له ، فيعد بذلك نفسه إلى تعلم المهن واستعمال حواسه فيها ، فاللعب إذن نافع جداً ومفيد .

وفي البيت العلمي لا يعاقب الطفل بالضرب إلا نادراً ، بل يلجأ الأب الواعي ، إلى دراسة المشكلة جيداً ، ويحاول أن يغري الأطفال بالمكافأة ، والترغيب والترهيب ، ولا يلجأ إلى الضرب إلا إذا أعياه ذلك ، ويكون الضرب بحذر وخفيفاً جداً .

والحذر الحذر من افساد الطفل ، وتدليله أكثر من اللزوم ، وتعليمه الألفاظ البذيئة والشتائم والضحك في وجهه لما يأتي من أمور سخيفة ، فإنه يفسد ويصبح مزعجاً جداً ، ويصعب تربيته تربية صحيحة .

والصدق ، من أهم الأمور التي يجب علينا أن نعود أطفالنا عليها ، فكم نكون أحياناً غير واقعيين في بيوتنا إذا لم نهتم بالصدق ، فيجب أن نكون صادقين في كل أمورنا ، حتى ينشأ أطفالنا صادقين إذا وعدناهم بشيء ، يجب أن نفي بذلك الوعد ، إذا قلنا للطفل إذا فعلت ذلك فإنك ستضرب ، فإذا فعله يجب أن ينفذ الضرب ، وإلا تمادى في غيه وتعلم الكذب ، وإذا نشأ الأطفال في جو غير صادق ، فما هو نصيبهم من الصدق ، فالبيت المبني على أساس متين يؤمن بالصدق ، ويتعلم الطفل فيه الصدق ، ويقول أهله الصدق أمامه .

والتدريب على الاستقلال **والاعتماد على النفس** ، من أهم أمور التربية وأعظمها شأناً ، وهي ناقصة عندنا ، فإن الطفل سيترك البيت ويذهب إلى المدرسة ، أو العمل في الحياة ، ويتوقف سلوكه في المدرسة أو العمل لدرجة كبيرة على نوع المعاملة والتدريب اللذين نالهما في البيت ، إن الغد ينشأ من اليوم والمستقبل ينشأ من الحاضر ، فيجب أن نستعد للمستقبل إذن ، وأعظم تربية ، هي أن نجعل أولادنا يعتمدون على أنفسهم ، وتربيتهم تربية استقلالية لا ضعف فيها ولا خور ولا ميوعة ، وبذلك نخرج جيلاً قوياً يخدم أمته ووطنه .

والأبوة مهنة ، كما أن المحاماة والطب مثلاً مهنة ، لا شيء تتساوى أهميته بأهمية أبناء الأمة الذين ينشأون فيها ، ولا أثر يتساوى بأثر البيت على هؤلاء الأطفال ، فالأذكياء من هؤلاء الآباء يدرسون مهنتهم ، وكم هو من الضروري أن تنشر المجلات وتؤلف الجمعيات ليتعلم الأهل وتنورهم في مهنتهم هذه ، وهكذا يدخل العلم باستمرار إلى البيت ويقويها ويحسنها ويرفع من مستواها .

والخلاصة أن البيت من أهم الأشياء في دنيانا إذا أحسنت رعايته ، وحسنت إدارته ، فإنه يصبح جنة نعيم تؤتي ثمرها الطيب كل حين .

وقد أجهد الشعراء والفنانون مواهبهم العقلية عبثاً ، في تصوير معنى البيت ، فلم يفلحوا ، ذلك لأن انعناصر التي تكونه هي من نوع تلك التي تكون الأحلام ، فالبيت هو مسألة شعور وعطف ورقة وحنان ، ولا نستطيع أن نعيش أجمل الأشياء في الحياة بمقياس ، أو نزنها بميزان ، ومن ألطف ما قرأت القطعة الفنية التالية :

« قضى أحد الفنانين بضع سنوات يسجل بريشته الجمال حيث كان ، ولكنه لم يقنع بما ابتدعته ريشته من لوحات . . . وراح يبحث عن أجمل شيء في الوجود ، ليرسمه ويعرضه للناس ، وفي أثناء بحثه ، قابل يوماً رجلاً من رجال الدين ، فحدثه عن بغيته ، وسأله عن رأيه فقال له الرجل : « أجمل ما في الوجود الإيمان . . . فإنك تجد ما يغنيك في أي بيت من بيوت العبادة ، ينتمي إلى أية عقيدة من العقائد » » .

وواصل الفنان بحثه ، فصادف زوجين حديثي العهد بالزواج ، فوجه إليهما نفس السؤال ، فأجاباه بقولهما : « **أجمل شيء في الحياة هو الحب ، إن الحب يحيل الفقر ثروة والظلمة نوراً ، والدموع فرحاً . . . لا جمال بغيره ولا طعم للحياة بدونه** » .

وسار الفنان في طريقه يواصل البحث ، فرأى جندياً متعباً ، يجلس على شاطىء البحر ساهماً ، فحياه ، وراح يحدثه فلما فهم الجندي أمنيته ، قال له : « إن السلام يا سيدي أجمل شيء في الوجود . . والحرب أقبح شيء في هذه الحياة ، وحيث يوجد السلام لا شك في أنك ستجد الجمال في أروع صوره وعلى درجاته » .

وأطرق الفنان وهو يتمتم : **الإيمان ، والحب ، والسلام** ، ترى كيف أصورها ؟ . . وعاد إلى البيت ، وهو مكدود الذهن من التفكير ، ولكنه ما إن دخل عتبة البيت حتى وجد بغيته ، ففي عيون أطفاله رأى الإيمان مجسماً ، وفي بسمة زوجته رأى الحب ناطقاً ، وفي أرجاء البيت ، كان السلام الذي حدثه عنه الجندي ، فرسم الفنان لوحة لأجمل شيء في الوجود وسماها البيت .



عزيز أباظة

الشاعر اللامسرحي!

شاعر في غير عصره

بقلم: جلال العشري

★ حين أصدر الشاعر عزيز أباظة مسرحيته الشعرية «شجرة الدر» عام ١٩٥١م، أهداها إلى أمير الشعراء أحمد شوقي، أو بالأحرى، أهداها إلى ذكراه، وكان ما كتبه في الاهداء هو «إلى شوقي .. أزجي أثراً من هديه، ونفحة من وحيه، هدية تقدير واكبار ووفاء».

ومن الجلي الواضح، أن الشاعر عزيز أباظة، كان يستطيع أن يكتب نفس الاهداء على مسرحياته الشعرية جميعاً، فكلها وليست «شجرة الدر» وحدها، أثر من هدي شوقي ونفحة من وحيه!

فقد رضي عزيز أباظة كما رضي شوقي من قبله، أن يبقى أسيراً لتقاليد الشعر العربي، فالتزم عمود الشعر العربي، ولزم تراث البياني، وإذا كان عمود الشعر العربي، هو لزوم ما يلزم في الشعر الغنائي، فهو لزوم ما لا يلزم في الشعر التمثيلي أو المسرحي، وقد التزم عزيز أباظة عمود الشعر العربي من حيث وحدة القافية ووحدة البيت، تماماً كما كانت العرب تفعل حين تتغزل أو ترثي، وحين تهجو أو تمدح، وحين تفكر أو تتأمل في أمور الدنيا وشؤون الحياة ★

وكان ينبغي عليه كما كان ينبغي على أحمد شوقي من قبله، أن يدرك تمام الإدراك أن من أراد أن ينشىء مسرحاً شعرياً، وجب عليه أن يتخلص من مقومات الشعر، وأن يلتزم بمقومات المسرح، ولما كان الأدب العربي قبل **عزيز أباظة** وبالأحرى قبل **أحمد شوقي** خالياً تماماً من مقومات المسرح رغم غناه بمقومات الشعر، كان أول ما ينبغي عليهما عمله، هو ايجاد هذه المقومات في التعبير العربي، وفي الأداء العربي، ولكن هذه الحقيقة الفنية فاتت على أحمد شوقي الذي فوتها بدوره على عزيز أباظة، فبقي كل منهما أسيراً لتقاليد الشعر العربي، **وهي التقاليد الصالحة للغناء ... غزلا كان أو رثاء، مديحاً كان أو هجاء، ولكنها غير صالحة بشكل أو بآخر للأداء المسرحي!**

وهذا هو ما جعل عميد الأدب العربي **الدكتور طه حسين** يقول في نقده لمسرحيات شوقي: «**إنه غنى فأحسن الغناء، ولكنه لم يمثل إلا قليلاً**»، بمعنى أن مسرحيات شوقي الشعرية وإن حفلت بالشعر إلا أنها خلت من المسرح، فهي شعر مسرحي، وليست مسرحاً شعرياً، **وما يقال عن** شوقي يقال مثله عن أباظة، لأن كلاً منهما أراد أن يأتي بشيء جديد في الشعر العربي الذي خلا تماماً من المسرح، وهو بناء المسرح الشعري، ولكن كلاً منهما أخطأ حين لم يدرك الفروق الجوهرية بين المسرح الشعري من ناحية، وبين الشعر المسرحي من ناحية أخرى.

كلاسيكية شوقي / أباظة

والمقارنة بين المسرح الشوقي والمسرح الأباظي ضرورة لا بد منها، لأن ما يوجه إلى الأول من نقد يمكن أن يوجه إلى الآخر، رغم ما بينهما من فروق فنية أو فردية، ورغم انطوائهما تحت لواء مدرسة واحدة هي المدرسة الكلاسيكية.

وهي المدرسة التي ظنت أن المسرح الشعري مجرد شعر يعقد في عقدة ويلق بالحوار، وفاتها أنه أولا وقبل كل شيء عقدة تصاغ في حوار، وحوار يلق بالشعر، أو هي بالأحرى المدرسة التي خضعت لعمود الشعر العربي

التقليدي ، **ذلك الخضوع الذي فتح أمامها أبواب الشعر ، وأغلق دونها أبواب المسرح** ، وعمود الشعر التقليدي هو ذاك الذي يقوم على تقاليد الشعر العربي الموروثة عن القدامى ، والمقننة في الخليل بن أحمد ، وهي التقاليد القائمة على وحدة البيت ، ووحدة القافية ، ووحدة الصوت ، ووحدة المازورة . مما يصلح جميعاً للشعر الغنائي ، دون أن يكون صالحاً بالضرورة للشعر التمثيلي أو الدرامي ، الذي يحتاج إلى ما سماه إبراهيم عبد القادر المازني « بالوزن الأبيض » أو ما يشبهه من بحر جديد لا يكون البيت أو السطر فيه « وحدة » ولا يظهر فيه التوقيع الموسيقي كما يظهر في سواه .

فالبيت من الشعر في القصيدة العربية التقليدية . وحدة ، تامة في ذاتها ، قائمة بنفسها من حيث التأليف اللفظي ، وتعلق الكلام بعضه ببعض من حيث النحو ، وليس يربطه بما قبله وما بعده من الأبيات ، إذا ربطه شيء ، إلا المعنى ، وهو ما لا يتسق واحتياجات الشعر التمثيلي الذي يحتاج إلى بحر سلس التدفق لا يكاد السامع يحس مقاطعه ، فضلاً عن اطلاقه من قيد القافية ، ولا يجب فيه أن يكون مشتملاً على جملة أو جمل تامة من حيث التأليف اللفظي ، بل كثيراً ما تستوعب الجملة الواحدة فيه عدة أسطر أو عدة أبيات !

ومن هنا كانت ضرورة أن يموج الشعر التمثيلي بالروي المختلف ، وبالأصوات المتعددة ، وبالأسباب والأوتاد المتباينة ، مما يؤدي بهذا كله إلى التعبير الهارموني ، فالفرق بين العروض الغنائي القديم ، وبين العروض الدرامي الجديد ، كالفرق بين البسيط والمركب ، أو بين الميلودي والهارموني ، أو بين الغناء المنفرد والغناء الأوبرالي ، أو كما يقول أحد كبار النقاد بين البشرف والسوناتا ، أو بين الموشح والرابسودية أو بين موسيقى الحجرة وموسيقى السيمفونية !

ومهما يكن من نقد يوجه لهذه المدرسة الكلاسيكية في حياتنا الأدبية بل في تاريخنا الأدبي كله ، فهي بحق المدرسة التي استزرعت هذا اللون من ألوان التعبير ، على ضفاف لغة الضاد ، بعد أن خلت من كل سابقة لهذا الفن المجيد ، ومن أعطاف **المدرسة الكلاسيكية** خرجت **المدرسة الرومانتيكية** ، التي نستطيع أن ننسبها إلى الشاعر **أحمد زكي أبو شادي** ، الذي كتب المسرحيات الشعرية التي غلب عليها الطابع الغنائي كذلك ، وإن اتسمت بطابع خاص هو الطابع الرومانتيكي .. أو طابع **مدرسة أبوللو** ... طابع التجربة الوجدانية الخالصة ، والمعاناة الذاتية البحتة ، والنظرة الفردية إلى الكون والحياة والإنسان ، وعلاقة كل منهما بالاثنين الآخرين ، على نحو ما نرى في مأثورات **الشاعر علي محمود طه** ، وفي مآثر **الشاعر إبراهيم ناجي** ، وهما من أبرز رواد هذه المدرسة .

ومن أعطاف المدرسة الكلاسيكية كذلك ، خرجت **المدرسة الرمزية** التي كان لها أثرها وتأثيرها في المسرح الشعري ، وهي المدرسة التي تنسب أساساً إلى كل من **سعيد عقل وبشر فارس** ، وإن لم ترتفع هذه المدرسة الرمزية بدورها بالمسرح الشعري إلى المستوى الدرامي ، وإنما ظلت محتفظة به في ذات المستوى الغنائي .

أقول .. مهما يكن من أهمية المدرسة الكلاسيكية في مسرحنا الشعري ، من حيث هي بداية لهذا المسرح من ناحية ، وارهاصة بما نتج عنها من مدارس أخرى من ناحية ثانية ، **إلا أن المسرحية الشعرية عند هؤلاء جميعاً ، لم تكن تخرج بالشعر عن الحدود الغنائية الخالصة ، وإنما كانت « شيئاً » ينفرط مضمونه في صياغته ، فهي عبارة عن مجموعة من القصائد الغنائية ، موزعة بين عدة شخصيات ، أو هي موضوع بعينه تعبر عنه مجموعة من القصائد المتناثرة !**



★ عزيز أباظة ★

صحيح كان هناك ما يضم هذه القصائد الكثيرة ، ويربطها بذلك الموضوع المعين ، ولكنه الرباط السطحي الخارجي ، الذي لا يشكل نسيجاً عضوياً في بنية العمل المسرحي ، بمقدار ما يشكل المناسبة التي تلقى فيها هذه القصائد أو يقال فيها هذا الشعر .

الأباظية أو الكلاسيكية الجديدة !

وصحيح أيضاً أن ما يوجه إلى مسرح شوقي من نقد ، فهو عين النقد الذي يمكن أن يوجه إلى مسرح أباظة ، من حيث أنه كتب لوناً من الشعر الخالص الذي ليس فيه من المسرح إلا صورته الخارجية وشكلياته الظاهرية ، ذلك لأنه لم يهتز للحياة اهتزاز الشاعر الدرامي وإنما اهتز لها اهتزاز الشاعر الغنائي ، بمعنى أنه نظر للحياة على أنها مادة للتأمل والانفعال والغناء ، لا على أنها أحداث متصارعة ، وأقدار متعامدة ، ، ورؤى متشابكة ، وأنها موجودة بذاتها خارج نفس الشاعر ، سواء وجد أو لم يوجد لكي يستقبلها ، وينفعل بها ، ويتفاعل معها ، ثم يطرحها بعد ذلك للمناقشة فوق المسرح .

صحيح هذا ، ولكن الصحيح رغم هذا ، هو أن عزيز أباظة حاول جاهداً ألا يحصر نفسه في إطار المدرسة الفرنسية الكلاسيكية ، إذ نراه يحاول أن يتحرر من أسر نظرية الوحدات الثلاث : **وحدة الموضوع ، ووحدة الزمان ، ووحدة المكان** ، تلك التي كان يتقيد بها الكلاسيكيون الفرنسيون ، كما يحاول أن يجري في تراجيدياته قصة ثانوية إلى جوار القصة الرئيسية ، دون أن تصيب البناء القصصي بأي تخلخل أو اضطراب ، هذا بالإضافة إلى ما يحاوله من تطعيم تراجيدياته المأساوية بعناصر كوميدية ، ناقضاً بذلك مبدأ فصل الأنواع الذي التزمته المدرسة الكلاسيكية !

ومن الواضح أن **عزيز أباظة** ما فعل ذلك كله ، إلا لكي يستحدث لنفسه أسلوباً مغايراً ولو بعض الشيء لأسلوب سلفه **أحمد شوقي** ، ولكي يستحدث لأمته أيضاً مسرحاً يلائم مزاجها العربي ، ومن أجل ذلك كله ، كان لا بد أن يدخل في هذا المسرح ، تيارات جديدة تلائم مقتضيات بيئته السياسية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية !

أما **الأحوال السياسية** فهي التي عمل حسابها في التركيز على العواطف

● مايقال عن شوقي يقال مثله عن أباظة ، لأن كلاً منهما أراد أن يأتي بشيء جديد في الشعر العربي الذي خلا تماماً من المسرح ، وهو بناء المسرح الشعري ، ولكن كلاً منهما أخطأ حين لم يدرك الفروق الجوهرية بين المسرح الشعري من ناحية ، و الشعر المسرحي من ناحية أخرى .

الوطنية التي اختار لها التاريخ المصري كما في مسرحية « **شجرة الدر** » ، كما عمل حسابها في التركيز على العواطف القومية التي اختار لها التاريخ القومي ، كما في مسرحية « **الناصر** » . وأما **الأحوال الاجتماعية** فهي التي راعاها في محاولته إحياء بطولاتنا التاريخية ومعالجة قضايا الحاضر من خلال أحداث الماضي ، والكشف عن أسباب قيام الدول وقعودها ، كما في مسرحية « **غروب الأندلس** » . وأما **الأحوال الأخلاقية** فهي التي جسدها في ذلك التيار الأخلاقي الذي تنتصر فيه الفضيلة دائماً على الرذيلة ، والواجب على العاطفة ، وقداسة العرف القبلي وتقاليده على دوافع القلب وإيثار الذات ، كما في مسرحيتي « **العباسة** » و« **قيس ولبنى** » . وأما **الأحوال النفسية** فهي تلك التي أعطاها حقها في تطعيمه التراجيديات المأساوية بعناصر فكاهية أو كوميدية ارضاء لذوق جمهوره ، فضلاً عن اقحام مواقف غناء وتلحين من حين لآخر ، اشباعاً لرغبات هذا الجمهور المولع بالنغم والطرب ، كما فعل في مسرحية « **شهريار** » التي صاغها من الأسطورة الشرقية الشهيرة « **ألف ليلة وليلة** » .

وأخيراً حاول عزيز أباظة أن يتجه بشعره المسرحي وجهة مغايرة تماماً لتلك التي اتجه إليها في موضوعاته التاريخية والأسطورية ، فاتجه صوب الحياة المعاصرة ، وذلك في مسرحيته « **أوراق الخريف** » التي أصدرها عام ١٩٥٧ م ، والتي حاول فيها أن يعالج قضايا الحاضر لا من خلال الواقعة التاريخية ، ولا من خلال الرمز الأسطوري ، ولكن من خلال أحداث عصره ، وهي المحاولة التي ألزمته بالعدول عما في شعره من جزالة عسيرة ، إلى ما تتطلبه لغة المسرح من سلاسة يسيرة ؛ **وأغرب ما في هذا الاتجاه الجديد الذي اتجه إليه عزيز أباظة ، الاتجاه إلى عصرية الموضوع ، وسلاسة الأسلوب ، وبساطة الحوار ، أن الشاعر نفسه لم يتجه إليه مختاراً بل كارهاً ، فما له هو ومشكلات الحياة الاجتماعية ، وواقع الحياة المعاصرة ، ومعاناة الإنسان الحديث ، وهو الذي عاش ما عاش لا يعاني من الحياة إلا صورتها الميتافيزيقية ، ولا يتعاطى من مادة المشكلات الاجتماعية إلا ما يستنفره إلى التأمل ويدعوه إلى التفكير ، ناهيك عما يقتضيه ذلك من تغيير في منهجه الشعري عدولاً عن الجزالة والاغراب ، إلى حيث البساطة واليسر ، وهو الذي ظل أسيراً لمعلقات الجاهلية ، تحكمه وتتحكم فيه ، فيحاكيها في اصطناع الفخامة والجزالة ، سواء في النبرة أو في الأسلوب ، في اللغة أو في المفردات ، ناسياً أو متناسياً أنه إنما يكتب مسرحاً شعرياً ، وأن هذا المسرح الشعري لا يكتب لكي يقرأ ، وإنما يكتب لكي يمثل ، ولكي يقدم إلى الجمهور .**

والواقع أن **عزيز أباظة** لم يتجه هذا الاتجاه ، الذي أكره عليه كما يقول ، إلا مجاراة لسلفه **أحمد شوقي** عندما تحول عن القصر الخديوي إلى الشعب المصري ، وعن السلطنة العثمانية إلى مصر الناهضة ، بل عن الشعر إلى النثر الخالص ، كما في « **أميرة الأندلس** » ، وعن الأسطورة والتاريخ إلى الواقع المصري المعاصر ، كما في « **الست هدى** » .

وليس من شك في أن التطورات التاريخية العميقة ، التي مرت على المجتمع المصري بعد الأحداث الوطنية الكبرى في عام ١٩١٩ م ، وما صاحب هذه الأحداث من نفي الشاعر أحمد شوقي مع بداية الحرب العالمية الأولى ، كانت من العوامل التي دفعت شوقي إلى إعادة النظر في موقفه من الحياة بوجه عام ، ومن مصر بوجه خاص ، وكانت هذه الوقفة لإعادة النظر هي ربع الصدى الذي تمثل في معالجته للمسرح الشعري ، **بمعنى أن المسرح الشعري عند ظهوره على يدي شوقي ، كان دلالة عميقة على التحول التاريخي في حياة المدرسة الكلاسيكية ، وفتحاً لصفحة جديدة في الأدب العربي الحديث .**

فإذا أضفنا إلى هذه الاعتبارات مجتمعة ، ما لحق بالمجتمع المصري من تحولات اجتماعية عنيفة بعد عام ١٩٥٢ م ، وما ترتب على هذه التحولات من إعادة للنظر في كل شيء ، سواء في شكل الحياة ومادتها أو في صورة الأدب ومضمونه ، **حيث كانت مدرسة أدبية قديمة تهوي هي المدرسة الكلاسيكية ، لتحل محلها مدرسة أخرى جديدة هي المدرسة الواقعية ، وكانت غاية الأدب في هذا الاختيار الجديد ، هي تجديد صورة الحياة وهيكلها بما يتمشى مع مضمونها الجديد ، فلا تنفصل صورة الأدب عن مضمونه ، كما انفصل شكل الحياة عن مادتها ، ولا يظل الفن كالزهرة الجميلة التي تتفتح لنور الشمس ، فلا يسألها سائل كيف نبتت وما نفعها كما كان يقول طه حسين الناقد الأول للكلاسيكية الجديدة .**

أقول إن عزيز أباظة في كنف هذه الاعتبارات مجتمعة ، نظم مسرحيته « **غروب الأندلس** » وأهداها إلى « **الأمة المصرية الكريمة** » .

والذي كان يحاوله عزيز أباظة في هذه المسرحية « **غروب الأندلس** » والمسرحية التي تلتها « **أوراق الخريف** » هو انقاذ ما يمكن انقاذه من انقاض الكلاسيكية التقليدية التي هوت وتهاوت بموت أحمد شوقي ، والتي أدرك أنه لا مناص لانقاذها من أن تظل باقية في هيكلها العظمي خاوية في مضمونها الحيوي ، كما فعل في بداياته الأولى ، وإنما لا بد له في صورة ما يمكن تسميته بالكلاسيكية الجديدة .

• لم يهتز عزيز أباظة للحياة اهتزاز الشاعر الدرامي، وإنما اهتز لها اهتزاز الشاعر الغنائي، بمعنى أنه نظر للحياة على أنها مادة للتأمل والانفعال، لا على أنها أقدار متصارعة، وأحداث متشابكة سواء وُجِدَ أو لم يُوجَد لكي ينفعل بها ويتفاعل معها ويطرحها بعد ذلك فوق المسرح.



★ أحمد شوقي ★

فهل نجح حتى في هذا، في تطوير كلاسيكية شوقي التقليدية إلى كلاسيكيته هو الجديدة ؟

موت الكلاسيكية الجديدة !

الواقع أن ما حاوله عزيز أباظة لم يكن أكثر من محاولات **يائسة**، بل وأيضاً **بائسة !!**

هي **محاولات يائسة**، لأن الشاعر لم يدرك تمام الإدراك عنف أزمة الشعر التي اجتاحت مصر والعالم العربي كله، بعد أن انقرضت كلاسيكية **شوقي** قبيل الأزمة العالمية ١٩٣٠م، وانطوت رومانسية **ناجي** قبيل الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م، وخبت ديوانية **العقاد** بانتهاء هذه الحرب ١٩٤٥م .

ولم تكن هذه الأزمة في حقيقتها إلا تعبيراً عن الصراع بين القديم والجديد، وتجسيداً للانفصام بين أشكال الشعر القديمة ومضمون الحياة الجديدة، فالكلاسيكية في الشعر عموداً وقافية .. وزناً ولغة تحولت إلى قالب فولاذي جامد غير قادر على احتواء الوجدان الجديد ولا الانفعال الجديد الذي استجد على حياتنا العربية المعاصرة.

الرومانسية كانت أعجز من أن تداوي هذه الجراح، وتستوعب التناقضات القائمة بين الشكل والمضمون سواء في الأدب أو في الحياة، كل ما فعلته هو أنها جددت من قوالب الشعر في الرباعيات والخماسيات وما أشبه من مقاطع، فأحلت وحدة المقطع الرومانسي مكان وحدة البيت الكلاسيكي، ووقفت بعد ذلك عاجزة عن تحقيق مبدأ وحدة القصيدة، وهو الدعامة التي يقوم عليها عمود الشعر الجديد .

وإذا كانت **مدرسة الديوان** هي التي نادت بوحدة القصيدة، وضرورة احلالها محل وحدة البيت، فقد بقيت دعوتها في حدود النداء، دون أن تتخطاه إلى الانجاز الشعري سواء في الشعر الغنائي أو في الشعر الدرامي، وبعد أن أنجز العقاد قصيدته الكبرى «**ترجمة شيطان**» وكانت الحرب العالمية الثانية قد وضعت أوزارها، وضعت مدرسة الديوان أوزارها هي الأخرى، وما تناهى إلى أسماعنا من أشعارها لم يكن سوى شفق حزين !

أقول إن هذه الأزمة التي اجتاحت حركة الشعر في مصر والعالم العربي، أزمة القديم الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة، والجديد الذي طال به المخاض ويحاول أن يخرج من أحشاء القديم لبرى شعاع الحياة، هي التي لم يدركها عزيز أباظة تمام الإدراك، وظهر أنه بتجديده للكلاسيكية، وحقنها بلقاحات جديدة، يستطيع أن يقضي على هذا الصدع القائم بين شكل الأدب ومادته، وهذا الانفصام الصارخ بين صورة الحياة ومضمونها، ولكن كلاسيكيته الجديدة هذه ظلت هيكلاً عظمياً، تنقصه الحياة، وتعوزه الحرارة، بل لم تفعل هذه الكلاسيكية الجديدة، أكثر من أنها جثمت بهيكلها العظمي فوق صدر محاولات التجديد في الشعر، تلك التي قام بها الرائد **علي أحمد باكثير**، مترسماً فيها خطى الرائد **محمد فريد أبو حديد**، حتى بقيت دعوة التجديد في الشعر عامة وفي الشعر المسرحي بوجه خاص، وكأنها الجمرة تحت الرماد، لا هي تريد أن تنطفىء، ولا هي قادرة على الاشتعال !

على أن محاولات عزيز أباظة هذه في جمع أشلاء الكلاسيكية التقليدية، وصياغتها كلاسيكية جديدة، بمقدار ما كانت يائسة، كانت أيضاً بائسة، فقصور وعي الشاعر لم يصد به فحسب عن استيعاب متغيرات الواقع من حوله، بل وأيضاً عن استيعاب الواقع العالمي .

ذلك لأن النثر بعد أن ساد لغة المسرح سيادة كاملة، طوال فترة الواقعية التي غطت القرن التاسع عشر كله، ثم حاول الشعر من جديد أن يعبر المسرح إلى القرن العشرين، محتلاً مركز السيادة، لم يرتد نفس الزي الذي كان يرتديه شعراء عصر النهضة الأوروبية، من أمثال **شكسبير وراسين وكورني** وغيرهم من رواد الكلاسيكية العظام، وإنما ارتدى زياً آخر جديداً يتناسب وظروف العصر .

صحيح أن شعراء الحركة المسرحية الشعرية الجديدة، من أمثال **و . هـ . أورن وكريستوفر إيشروود، وكريستوفر فراي، وبول كلوديل**، فضلاً عن **جماعة فيبر** للشعراء المسرحيين، كانوا متأثرين أعظم التأثر بدعوة الشاعر الايرلندي **و . ب . ييتس** إلى العودة بالكلمات إلى مركز السيادة، وهي الدعوة التي بدأها في عام ١٩١٩م، عندما أعلن :

«**في مبدأ الأمر ظهر المسرح على هيئة أشعار، وإنه لمن المستحيل عليه أن يحقق عظمته من جديد، دون العودة بالكلمات إلى مركز السيادة الذي كانت تحتله من قديم**» وهي ذات الدعوة التي بلغت ذروتها عند الشاعر الشهير **ت . س . إليوت**، الذي نادى في عام ١٩٢٤م، يقول :

«**أعتقد أن المسرح قد وصل إلى مرحلة يجب أن تظهر فيها نهضة فيها يختص بالأصول، وأعني بهذه النهضة العودة إلى الشعر لغة للمسرح !**» .

أقول إن شعراء الحركة التجديدية في المسرح الشعري، في محاولتهم «**العودة بالكلمات إلى مركز السيادة**» لم يرتدوا نفس الزي الشعري الذي كان يرتديه شعراء الكلاسيكية، وإنما كان عليهم أن يدركوا أولا بحسب تفرقة الشاعر الفرنسي **جان كوكتو** : «**أن شعر المسرح يجب ألا يقرض رقيقاً كبيوت العناكب، ولكن خشناً كقلاع المراكب بحيث**



★ د. إبراهيم ناجي ★

تراه الأعين من بعيد» .

بمعنى أن الشاعر يصبح لزاماً عليه أن يقبض بكلتا يديه على تلك اللغة السهلة البسيطة ، التي تعبر عن الأشخاص تعبيراً بسيطاً ، وتصور المواقف تصويراً سهلاً ، وتخرج بالشاعر من ذاتية التعبير إلى موضوعية ايجاد ذوات أخرى ، لها شخصياتها المتفردة ، وكياناتها المتميزة ، التي تتشابك حيواتها ، وتتعامد مصائرها من أجل ما هو أعمق شعرياً ، وأبعد درامياً . فضلاً عن إدارة الحوار في تدفق لا يكاد السامع يحس مقاطعه ، فيتجاوب معه المتفرج ، دون أن يقف الشعر حائلاً لفظياً بينه وبين الممثل . **فالشرط الأساسي في لغة المسرح الشعري ، ألا يحس المشاهد أن حاجزاً يفصله عن المضمون هو حاجز اللغة !!**

وأين هذا كله من شعر عزيز أباظة المسرحي ، الذي **كتب شعراً أولا ومسرحاً بعد ذلك ، ونسي أن المسرح الشعري مسرح أولا ، ثم شعر بعد ذلك ، فما كان منه إلا أن خرج لنا بلون من الشعر الخالص الذي لا شيء فيه من المسرح إلا صورته الخارجية وشكلياته الظاهرية ، فهو قصائد شعرية موزعة في حوار ، أو هو حوار يلق بالشعر !**

العصرية ليست بالمعاصرة !

وليس من شك في أن هذا كله ، وكثير غيره ، لم يفت على **الدكتور طه حسين** ، الذي عهد إليه بتقديم مسرحيته الشعرية «**غروب الأندلس**» فما كان منه إلا أن قال في تقديمه :

«**إني لست من المكلفين بالقصص التمثيلية التي تعرض على الناس شعراً في هذه الأيام ، وشعراً عربياً بنوع خاص ، وقد شب التمثيل عن طوق الشعر وتمرد على أوزانه وقوافيه ، وآثر حرية النثر وطلاقته واسماحه على قيود الشعر وتحرجه وصراحته منذ زمن غير قصير**» .

وكأنما أراد الناقد أن يلفت نظر الشاعر ، إلى أن هذا اللون من ألوان الشعر ، لم يعد صالحاً للحوار التمثيلي ، الذي يحتاج إلى لغة أقرب إلى النثر من حيث السهولة والبساطة ، باعتباره فناً جماهيرياً ، وسيلته حاسة السمع التي تلتقط الحوار ، وليس حاسة البصر التي تعكف على القراءة المتأنية بين هوامش المراجع ، وصفحات القواميس !

وليس أدل على ذلك المعنى الذي أخفاه الناقد في بطنه ، من أنه يعود إلى التصريح بعد التلميح فيقول في وصف شعر عزيز أباظة المسرحي :

«**إنه شعر جزل رصين لم نعد نسمع مثله منذ وقت بعيد**» .

ومعروف بداهة أن مثل هذا الشعر الجزل الرصين بمقدار ملاءمته للشعر الغنائي ، فهو غير ملائم للشعر المسرحي ، لأنه إنما يشكل حائلاً لفظياً لا بين الممثل ودوره فحسب ، ولكن بين الممثل وجمهوره كذلك ، وذلك إن مثل قمة النجاح بالنسبة إلى الشعر الوجداني ، فهو حضيض الفشل بالنسبة إلى الشعر الدرامي ، وهذا ما جعل الدكتور طه حسين يصف المسرحية كلها بدهاء الناقد ، بأنها «قصيدة رائعة» !

وهذا يعني بعبارة أخرى أن الشاعر عزيز أباظة ، بنظمه لهذا اللون من ألوان الشعر ، لا يبتعد فحسب عن طبيعة الشعر التمثيلي ، وإنما يبتعد كذلك عن طبيعة العصر ، **فالعصرية ليست بمجرد معاصرة الشاعر لأحداث عصره ، وإنما العصرية باستيعابه لطبيعة العصر ، فقد يعيش الشاعر عصر الطائرة والصاروخ وسفينة الفضاء ، ولكن وجدانه كله يظل عالقاً بعصر الساقية والشادوف ، متعلقاً بزمن الناقة والجمل** . وهذا هو ما عبر عنه الدكتور طه حسين صراحة بقوله بعد أن استعرض أحداث المسرحية :

«**إنها تصور أحداثاً وقعت منذ قرون ، وأخص ما يوصف به العصر الذي وقعت فيه ، أن طبيعة القرون الوسطى ، كانت أشد استئثاراً به من طبيعة العصر الحديث ، الذي لم تكن شمسه قد أشرقت بعد**» .

شاعر في غير عصره !

واطلالة ولو عابرة ، على مسرحية من مسرحيات عزيز أباظة ، ندرك منها مباشرة وعلى الفور ، مدى انفصام الشاعر عن لغة المسرح من ناحية ، وعن طبيعة العصر من ناحية أخرى ، وعن الجمهور المتفرج من ناحية ثالثة وأخيرة !

خذ مثلاً مسرحيته «**قيصر**» ومدى حرصه فيها على اصطناع بلاغة الجاهلية ، واتيانه بمهجور اللفظ ، ومستغربه إشاعة لجو الجزالة العربية ، بصرف النظر عما تقتضيه لغة المسرح ، وما تسيغه أذن الجمهور ، فعندما يقول «**قيصر**» مشيداً بكفاحه النبيل من أجل روما وطنه :

أليس علا روما مناديحُ همتي
ومقصدُ روما في العظيمات مقصدي ؟

تستوقفنا على الفور كلمة «**مناديح**» لتشكل حائلاً لفظياً بين أذن المستمع وبين التقاط المعنى ، فضلاً عن متابعة الحوار ، وملاحقة الأحداث ، واستيعاب



★ د . طه حسين ★

الشخصيات ، وكأنما الشاعر يدرك هذا ، فيلجأ في الهامش إلى شرح معاني الألفاظ ، وإلى أن المناديح هذه جمع « **مندوحة** » والمندوحة هي المذهب البعيد في الأرض !

وعندما يقول « **قيصر** » أيضاً وهو يتوعد عدوه اللدور **كاشياس** :

سآخـــذه أخـــذاً وبيـــلاً فـــيرعوي
لقد مـــد في أشـــطان جـــرأته تـــركي

نجد الشاعر يلجأ في الهامش إلى شرح معنى كلمة « **الأشطان** » ، وكيف أنها تعني « **الحبال** » وبذلك يكون معنى البيت إن تساهل قيصر مع كاشياس هو الذي مد في حبال جرأته ، وجعله يتمادى في غيه إلى هذا الحد ، فإذا كان الشاعر نفسه يشعر بأن ما يقوله يحتاج إلى تهميش ، فمن يا ترى يذهب إلى المسرح وفي يده المعاجم والقواميس ؟

وعندما يقول « **أنطونيو** » معدداً مناقبه ، مشيداً بفتوحاته ، متحدثاً عن الشعوب ، وكيف أنها :

تقادُ ، فـــإن قـــادت فـــدُفاعُ قُنـــةٍ
مُـــكللةٌ بـــالسُحب تنحـــطُ للـــوهد

يلجأ الشاعر أيضاً إلى الهامش ، فيشرح للقارىء كلمة « **الدفاع** » بأنها « السبيل » وكلمة « القنة » بأنها قمة الجبل ، ولا نملك بإزاء مثل هذا الشرح ، إلا أن نعجب لهذا الشاعر ، إذا كان ما يقوله يحتاج إلى شرح ، **فلماذا يقوله أصلاً** ؟ وإذا كان القارىء العاكف في بيته على قراءة النص يعوزه مثل هذا الشرح ، فما بالنا بالمتفرج الجالس في المسرح ، لمشاهدة العرض ؟

وكذلك **كالبورنيا** عندما تقول مخاطبة **قيصر** ، منددة **ببروتس** :

أكادُ أرى في الأفـــق خـــطباً مـــدُوماً
ومـــا كان لحـــي لـــلأمور بكاذبي

نجد الشاعر يلجأ في الهامش إلى شرح كلمة « **المدوم** » بأنها « **المنقض** » و« **والتدويم** » بأنها « **الانتفاض** » . وبذلك يكون معنى البيت أن كالبورنيا لبصيرتها الثاقبة ، وحسن إدراكها للأمور ، تكاد ترى أمامها أمراً جللاً ، ينقض على قيصر كما الصاعقة ، فماذا لو أخذ قيصر حذره ؟ ولكن ذلك لا يعنينا ، وإنما الذي يعنينا هو إحساس الشاعر عزيز أباظة بأن أمثال هذه الألفاظ التي تحتاج إلى شرح ، ليست من حكم القافية ولا من ضرورات الوزن ، ولكنها من فرط حرصه على الجزالة الشعرية والرصانة اللغوية ، مهما يكن من نتائجها سواء بالنسبة لبناء الشخصية أو للغة المسرح ، أو للجمهور المشاهد للعرض المسرحي .

ناهيك عن رضوخه لحكم القافية وتحكم الوزن ، على النحو الذي يضحي فيه بكل معنى ، ولا يلتفت فيه إلى سياق الحوار ، واتساق الكلام ، وكأن الشخصية لا تقول ما تريد ، ولا ما يريد لها الشاعر أن تقول ، ولكن ما تحكم القافية بقوله ، وهذا بطبيعة الحال ضد لغة الحوار المسرحي ، الذي ينبغي أن يتصل ويترابط حتى ينتهي معناه نهاية طبيعية :

فعندما يقول بروتس مخاطباً **قيصر** :

فـــدتيك دومـــاً دون أهلي وعـــترتي
فإنك عـــرضي أو أعـــز مـــن العـــرض

نجد أن حكم القافية ، هو الذي جعله يقول « **عرضي أو أعز من العرض** » وفضلاً عما في كلمة « أعز من العرض » من تزيد لا معنى له ، فقد كانت واحدة من الكلمتين تكفي ، دون حاجة إلى التكرار .

وعندما يقول بروتس أيضاً موجهاً الحديث هذه المرة إلى روما ـ وطنه :

ويـــا وطـــني لن تســـترق فـــلا تهن
ويـــا قسمي لا تخش نـــكثي ولا نقضي

نجد أن حكم القافية نفسه هو الذي ألجأه إلى هذا التكرار الذي لا معنى له ولا ضرورة ، فكلمة « **نكثي** » يمكنها أن تغني عن كلمة « **نقضي** » بمعنى أن واحدة من الكلمتين كانت تكفي لأداء المعنى دونما حاجة إلى التكرار الذي لا معنى له .

ونفس الشيء نجده عند قيصر ، وهو يخاطب بروتس قائلاً :

أتجزع إن أيقنـــت أنـــك مـــن دمـــي
وأنـــك بعضي قـــد ضـــممت إلى بعضي

فهنا أيضاً التكرار الذي لا معنى له ولا ضرورة ، بل هنا التلاعب اللفظي الذي يشد انتباه السامع إلى ما فيه من شقشقة لفظية ، وإن صرفه عن معنى القول ، وسياق الحوار .

وقس على ذلك الكثير والكثير جداً ، مما نجده في شعر عزيز أباظة المسرحي ، حيث تتحكم فيه القافية بدلا من أن يتحكم هو فيها ، وحيث تصبح القافية مقتل المسرح الشعري ، بعد أن كانت في الشعر الغنائي قلبه النابض وجناحاه الخفاقان ، بل حتى في الشعر الغنائي ، نجد أن بعض الشعراء ممن أجادوا الغناء ، قد ضاقوا بالقافية الواحدة ، وعمدوا إلى الرباعيات والموشحات ، فما بالنا بالمسرح الشعري الذي كان أولى به أن يتحرر من قيد القافية الواحدة ، وأن يحطم روتينية التقطيع البيتي العمودي ، وأن يستخدم

التفعيلة باعتبارها تلويناً نغمياً بديلاً عن وحدة السطر أو البيت الذي يشتمل دائماً على جملة أو جمل تامة من حيث التأليف اللفظي .

الشاعر اللامسرحي

ولكن .. هذا هو عزيز أباظة ، وذاك هو شعر عزيز أباظة ، فهو لم يهتز للحياة اهتزاز الشاعر الدرامي ، بل الشاعر الغنائي ، وهو لم يصدر في شعره عن تجاربه الذاتية وخبراته الحية ، ولكن عن قراءاته العديدة وحافظته القوية لشعر الأقدمين .

وهذا معناه أنه في شعره ، إنما يصدر عن رنين اللفظ كما وعته أذنه مما قرأ لشعر القدامى ، طالما كان محور الشعر عنده هو حاسة السمع أكثر من أية حاسة أخرى ، فإلى حاسة السمع هذه ترتد الكثرة الكثيرة مما نظم عزيز أباظة ، الأساس عنده هو الحاسة ، والحاسة عنده هي السمع ، والمسموع عنده هو شعر القدامى .

فقد قرأ عزيز أباظة الكثير ، وسمع الكثير جداً ، وكانت له تلك الأذن الحساسة المرهفة ، القادرة على التقاط الرنين الموسيقي ، وعلى المحاكاة السمعية لرنين الشعر القديم ، فجرى لسانه بالشعر على نسق النماذج التي انطبعت في مسمعيه ، وكأنما وضع أمامه نسقاً يقيس عليه كل ما يقرض من شعر ، قول الشاعر **محمود سامي البارودي :**

تكلمت كالماضين قبلي بما جرت
به عادة الإنسان أن يتكلما
فلا يعتمدني بالاساءة غافل
فلا بد لابن الأيك أن يترنما

وفي هذا الشطر الأخير ، فلا بد لابن الأيك أن يترنما ، يكمن تأثر عزيز أباظة ، شأنه في ذلك شأن البارودي ، بشعر الأقدمين كما وعته أذنه ، وبالمحاكاة السمعية لرنين الشعر القديم ، وإن تكن والحق يقال محاكاة صادرة عنده عن طبع لا عن تصنع ، وعن سليقة لا عن تكلف ، فهو الطائر يترنم كالطائر ، أو كالماء ينساب من ينبوعه ، والأشعة تتدفق من قرص الشمس .

وليس أدل على ذلك من أن الشاعر عندما يبتعد عن مصادر شعره ، وينأى عن تأثره بشعر القدامى ، ويتخفف من الجزالة التقليدية ، والديباجة الرصينة ، يفقد عشه ، ويهوي من حالق سموقه وشموخه إلى حيث التعبير العادي عما هو عادي ، عن فتات الحياة اليومية . ففي مسرحيته « **أوراق الخريف** » التي اختار لها موضوعاً عصرياً ، ورضي كارهاً أن يغير من منهجه الشعري ، منهج الرصانة والجزالة ، على غرار ما ترنم به سابقوه الأقدمون ، إلى حيث « المنهج المطروق » منهج معاصريه في التعبير عن واقع الحياة ، اليومية ، نراه يقصد عمداً إلى التعبيرات المبتذلة ، البعيدة عن طبيعة الشعر بعامة ، والشعر المسرحي بنوع خاص ، كما يتضح مثلاً من هذا الحوار :

أكرم (متلطفاً) : ما لديك اليوم من فاخر ألوان الطعام .
وداد (في مرح) : عندي الصنف الذي تهواه ... رز بحمام
ودجاجات سمان نظفت أمس أمامي
أكرم : طيب فخم غذائي اليوم من غير كلام .

ولكنه سرعان ما يعود إلى منهجه الشعري الأثير ، حيث الجزالة التقليدية التي يستمدها من ذاكرته الواعية لتراثنا القديم ، وبخاصة تراث الجاهلية والشعر الجاهلي ، الذي بعد به الزمن عن أسلوب عصرنا ولغة هذا العصر ، وحال دون الشاعر ودون ابتكار التعبيرات الحديثة والصور الجديدة التي تتلاءم وهذه الحياة المعاصرة ، وليس أدل على ذلك من لجوء الشاعر إلى بطون المعاجم ، ليستخرج منها كلمة مثل « « الأراك » التي لم يعد يعرفها أحد ، أو يستخدمها أحد ، ليضعها هو في بيت كهذا البيت من مسرحيته « **أوراق الخريف** » .

فديتك يا أخت عود الأراك
سقاه الندى فانثنى وأنثنى

هذا في الوقت الذي يصف الشاعر فيه هذه المسرحية بأنها مسرحية عصرية ، تتناول واقع الحياة المعاصرة ، وكان أولى به أن يعطل حاسة السمع ، فينسي ذاكرته لرنين الشعر القديم ، وأكثر محفوظه لهذا الشعر ، ويشعل حاسة البصر ، ليرى حياتنا المعاصرة ، ويبتكر التعبير الجديد عن هذه الحياة الجديدة ، وبذلك يقدم لنا الصورة الجديدة في ثوب جديد ، بدلا من أن يقدم لنا الصورة الجديدة في ثوب قديم .

وما ذلك كله ، وكثير غيره ، إلا لأن الشاعر عزيز أباظة ، وكأنما وضع أمامه نموذجاً أعلى ومثلاً يحتذى شعر الجاهلية ، وقول شاعر مثل **عنترة :**

إن يفعلا فلقد تركت أباهما
جزر السباع وكل نسر قشعم

الذي يشبه قول عزيز أباظة على لسان بطله المسرحي قيصر :

ثقي بي فما زالت لهاتي جديدة
وما برحت مستفريات مخالبي

وهو في النهاية ولع الشاعر العصري بتراثنا الجاهلي ، ومحاولته التماس الجزالة والرصانة ، فضلاً عن الفخامة والإغراب في شعر الأقدمين ، وفرضه فرضاً على زوق العصر ، وطبيعة العصر ، مما أدى في آخر المطاف إلى هذا الانفصام الصارخ بين الشاعر وفنه المسرحي من ناحية ، وبينه وبين أسلوب عصره من ناحية أخرى ، وبينه وبين جمهور المسرح الحديث من ناحية ثالثة وأخيرة .

أجل . لقد نسي عزيز أباظة أنه إنما يكتب مسرحاً شعرياً ، وأن هذا المسرح الشعري لا يكتب لكي يقرأ ، وإنما يكتب لكل يمثل ، ولكي يراه الجمهور !



★ سعيد عقل ★

الأمير سديد الملك
أبو الحسن علي
مؤسس إمارة بني منقذ في شيزر

بقلم : د. عمر عبد السلام تدمري

★ شهدت بلاد الشام في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي ، قيام عدة إمارات مستقلة لعبت دوراً هاماً في تاريخ المنطقة ، وفي وقت كانت بلاد الشام تتعرض فيه لصراعات عنيفة كانت تدور بين السلاجقة الأتراك والفاطميين من أجل السيطرة على هذه المنطقة الهامة ، فضلاً عما كانت تتعرض له من حملات وغزوات كان البيزنطيون (الروم) يقومون بها على شمال الشام ويصلون في بعضها إلى وسط البلاد القريبة من ساحل البحر .

فكان في حلب آل مرداس ، وفي طرابلس آل عمار وفي صور آل بني أبي عقيل .. ثم قامت إمارة بني منقذ في شيزر على يد مؤسسها سديد الملك أبي الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني ، في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري .

وفي هذه المقالة سنتعرف على الأمير سديد الملك وجهوده في تأسيس تلك الإمارة ★

سديد الملك في حلب

كان سديد الملك مقيماً في حلب أيام أميرها **تاج الملوك محمود بن نصر المرداسي** المعروف **بابن الروقلية** . ونقرأ اسمه لأول مرة في حوادث سنة ٤٦٠ هـ ، وهو يتولى أمر استلام حصن « **أسفونا** » من أحد أمراء المغاربة وتسليمه إلى تاج الملوك . ويظل مقيماً في حلب حتى سنة ٤٦٤ هـ ، حيث رحل عنها هرباً من تاج الملوك ، حين أحس أنه يريد القبض عليه وقتله ، كما فعل بغيره من أصحابه . وكان سديد الملك أخا تاج الملوك من الرضاعة ، وقد غلب حب الدنيا على تاج الملوك ورغب في جمع المال ، فلجأ سديد الملك إلى مكان يدعى « **خريبة الفايا** » واجتمع فيه بقائد يدعى **أبي حرب** ـ وكان صاحب سر تاج الملوك ونديمه ـ ولابن منقذ إحسان كثير عليه وصنائع جمة ، وقال له :

« قد استشعرت من تاج الملوك فانظر ما تعمله معي » . فقال أبو حرب : أتكلفني أن يقول الأمير : أريد أقبض على فلان ، فأخبرك بذلك ! لا ، والله ، ولكن أنا أنفذ إليك مع عجوز عندي ألفي دينار ، فإذا نفدت طلبتها منك فشأنك ونفسك » .

فبقيت تلك الدنانير عند سديد الملك مدة ثم أرسل أبو حرب العجوز يطلبها ، وكان سديد الملك قد أصلح نفسه للسفر ، فدفع الدنانير للعجوز ،

وركب من يومه ، وخرج من حلب إلى **معرة النعمان وكفرطاب** فاستصحب منها ما أراد .

وأرسل إليه أحد أصحابه ـ ويدعى **ابن الدوح** ـ يسأله الاجتماع به فاجتمعا ، فقال ابن الدوح : ما رأيك في الدخول إلى حلب ؟ فقال سديد الملك : ما أقول لك شيئاً لأن لك مالا عظيماً ، فإن أشرت عليك بتركه كنت ملوماً عندك ، ولكني أقول لك ما أعمل وأنت ترى رأيك . والله لا نظرت محموداً أبداً . فعاد ابن الدوح إلى حلب خوفاً على أمواله ، ولكن تاج الملوك كان له بالمرصاد فقتله ولم يمهله .

في طرابلس الشام

سار سديد الملك إلى **طرابلس** فأقام عند قضاتها وأمرائها من بني عمار . فكتب تاج الملوك محمود إلى أمين الدولة **ابن عمار** صاحبها يأمره بالقبض عليه ويبذل له ثلاثة آلاف درهم ورقية فلم يظفر به . وكاتب تاج الملوك أمين الدولة وأخاه في تسليم سديد الملك فلم يستجيبا لرغبته وتنكرا له .

وكان سديد الملك يعتزم ركوب البحر والانتقال إلى **مصر** ، فصادف أن توفي أمين الدولة ابن عمار في تلك السنة ٤٦٤ هـ ، فوقف إلى جانب ابن أخيه جلال الملك ابن عمار ، وعاضده بمماليكه ومن خرج معه من أهل كفرطاب فأخرجوا أخا أمين الدولة . وأصبح جلال الملك الحاكم على المدينة ، وبذلك عَظُم محل سديد الملك عنده حتى كان يشركه معه في الحكم .

وعاد تاج الملوك صاحب حلب يكاتب سديد الملك ويطيّب قلبه وهو لا يثق بذلك . ولجأ إلى الاحتيال في استقدامه للفتك به ، فأوعز إلى كاتبه **أبي النصر محمد بن الحسين** أن يكتب إليه كتاباً يشوّقه فيه ويستعطفه ويستدعيه إليه . وفهم أبو النصر الغرض الحقيقي من ذلك الكتاب ، وكان صديقاً لسديد الملك ، ولكنه كان مكرهاً على كتابة الكتاب فكتبه كما أمر به تاج الملوك حتى إذا بلغ قوله : « إن شاء الله تعالى » شدّد النون في إن وفتحها فجعلها (إنَّ) وأنفذ الكتاب . فلما وصل إلى سديد الملك قرأه ثم عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن في مجلسه من الخواص فاستحسنوا عبارة الكتاب واستعظموا ما فيه من رغبة تاج الملوك في سديد الملك وإيثاره قربه ، فقال سديد الملك : « إني أرى في الكتاب ما لا ترون » . ثم أجابه على الكتاب بما اقتضاه المقام وكتب في جملة ذلك : « أنا الخادم المقرّ بالأنعام » ، وكسر همزة أنا وشدّد نونها فصارت « إنا » . فلما وصل الكتاب إلى تاج الملوك ووقف عليه أبو نصر الكاتب ، سُرَّ بما رأى فيه وقال لأصدقائه : قد علمت أن الذي كتبته لا يخفى على سديد الملك .

وكان أبو نصر قد قصد بتشديد نون (إن) الإشارة إلى الآية : **﴿ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾** ، فأجابه سديد الملك بتشديد (إنا) إشارة إلى الآية : **﴿ إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ﴾** . ولما يئس تاج الملوك من عودة سديد الملك استولى على جميع ممتلكاته .

وهناك حكاية أخرى تثبت ذكاء سديد الملك ومعرفته الواسعة باللغة والنحو ، فقد ذكر عنه أنه كان مع **شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل** على حصار حلب في سنة ٤٧٢ هـ ، أيام صاحبها « **سابق ابن محمود** » ، وكان الحصار قد طال حتى أن سديد الملك سئم ذلك وأراد أن ينفصل عن سور حلب وفيما هو يهم في ذلك إذ بصديق له من أهل الأدب يصل إليه وهو عند السور ، فقال له سديد الملك : « كيف أنتم » فقال الرجل : « طُوْلُ جُبّ » خوفاً من تفسير الكلمة . فعاد سديد الملك وهو يقلب هذا الكلام فصحّ له أنه قصد بكلامه أنهم قد ضَعُفُوا ، وأوجس أنها كلمتان ، وأن قوله « طول » يريد به « مَدَا » و« جُبّ » يرد به « بير » فقال : « مدابير والله » . وأخبر شرف الدولة بذلك فتوطد العزم عنده على الاستمرار في الحصار حتى امتلك حلب ، وأقطع سابق بن محمود مواضع في أعمال الرَّحْبَة ، وعزم على الزواج من أخته بنت تاج الملوك فكان سديد الملك سفيراً بينهما وتم الأمر على يديه .

ومكافأة له على موقفه ، فقد وعده شرف الدولة خيراً وقال له : « امض في دعة الله فأنا سائر في بلادي ، ويجب أن تصلح حالك فأنا أصل وأبلغك كل ما تؤثره » . ولكن هذا الوعد لم ينجز إذ دخل وزير شرف الدولة حلب وصادر أموالها وضاعف الخراج على أهلها ، فانتقل سديد الملك إلى قلعة الجسر وعمرها وأخذ يضايق شَيْزَرَ وبها أُسقُفُ البارة وضيق عليه إلى أن راسله واشتراها منه ، واستحلفه على أشياء اشترطها عليه .

يستولي على شيزر

وحول استيلاء سديد الملك على شيزر يذكر **ابن الصابي** أنه وقف على كتاب بخطه يقول فيه : « كتابي هذا من حصن شيزر ، وقد رزقني الله تعالى من الاستيلاء على هذا المعقل العظيم ما لم يتأت لمخلوق ، ومن دون هذا الحصن بيض الأنوق ، ومن وقف على حقيقة الحال علم أني هاروت ... إنني أفرق بين المرء وزوجته ، وأستنزل القمر من محله ، وأجمع بين الذئب والغنم . إني نظرت إلى هذا الحصن ورأيت أمراً يذهل الألباب ويطيش العقول ، يشبع ألف رجل ليس عليه حصار ولا فيه حيلة لمحتال ، فعمدت إلى تل منه قريب يعرف بتل الحسن فعمرته حصناً وجعلت فيه عشيرتي وأهلي ، وكان بين التل وشيزر حصن يعرف بالخراص فوثبت عليه وأخذته بالسيف ، وحين ملكته أحسنت إلى أهله ولم أكلفهم إلى ما يعجزون عنه ، وخلطت خنازيرهم بغنمي ونواقيسهم بأصوات المؤذنين عندي ، وصرنا مثل الأهل مختلطين . فحين رأى أهل شيزر فعلي من الروم آنسوا بي وصاروا يجيئوني من واحد واثنين إلى أن

حصل عندي نحو نصفهم ، فأجريت عليهم الجرايات ومزجتهم بأهلي وحريمهم بحريمي وأولادهم مع أولادي ، وأي من قصد حصنهم أعنتهم عليه . وحصرهم شرف الدولة مسلم بن قريش فأخذ منهم منهم عشرين رجلاً فقتلهم ، فدسست إليهم عشرين عوضهم ، ولما انصرف عنهم جاؤا وقالوا : نسلم إليك الحصن . فقلت : لا ، ما لهذا الموضوع خيراً منكم . وجرت بينهم وبين واليهم نبوة فنفروا منه وجاؤا إلي وقالوا : لا بد إليك . فسلموه ونزلوا منه وحصلت فيه ومعي سبعمئة رجل من بني عمّي ورجالي وحصلوا في الرَّبْض ولم يأخذ لواحد منهم درهم فَرْدٌ ، وأعطيتهم مالا له قدر ، وخلعت على مقدميهم وأعطيتهم واجباتهم بستة أشهر ، وقمت بأعيادهم ونواقيسهم وصلبانهم وخنازيرهم . وسمع بذلك أهل بُرْزِيَةَ وعين تاب وحصون الروم فجاءتني رسلهم ورغب كلهم في التسليم إليَّ . فبينما أنا على ذلك الحال إذ شُنّت عليَّ الغارات وجُيِّشت نحوي الجيوش من ناحية مسلم بن قريش غيظاً منه لِمَ تسلمت حصن شيزر بعد أن حلف لي قبل ذلك إنني إذا أخذت حصن شيزر أنه لا يقود إليَّ فرساً ولا يبعث جيشاً ، وبالله أقسم لئن لم ينته عني لأعيده إلى الروم ولا أسلمه إليه ولا إلى غيره أبداً » .

وكان أخذ سديد الملك لشيزر في ليلة الأحد منتصف شهر رجب سنة ٤٧٤ هـ ، ووفى للأسقف بكل ما عاهده عليه ، فثقل ذلك على شرف الدولة وداخله الحسد وسير إليه جيشاً لينتزع شيزر منه ، ثم جاءها بنفسه في آخر المحرم سنة ٤٧٥ هـ ، ولكن سديد الملك صرفه عنها بعد أن حمل إليه مالا .

وفي نزول شرف الدولة مسلم على شيزر وقتاله حصن الجسر يقول **ابن المهذب المعري :**

أمُسلمُ لا سَلِمْتَ من حادث الرّدى
وُزْرْتَ وزيراً ما شددْتَ به أزْرا
ربحتَ ولم تخسرْ بحرب ابن منقذٍ
من الله والناس المَذَمَّةَ والوِزْرا
فمُتْ كمداً «فالجسر» لست بجاسر
عليه ، وعاين شيزراً أبداً شَزْرا

وهكذا أسس سديد الملك إمارة بني منقذ في شيزر حتى توفي بين سنتي ٤٧٥ و ٤٧٩ هـ .

الشاعر الأديب

كان سديد الملك حسبما وصفه « **العماد الأصبهاني** » في « **الخريدة** » :

« من الطبقة الأولى ، جد الجماعة ، موفور الطاعة ، أحكم أساس مجده وشادها ، وفضُل أمراء **ديار بكر والشام** وسادها ، ذو المجد الباذخ ، والجد الشامخ ، والمحتد الراسخ ، والفطنة واللسن ، والمنظر الحسن ، والنظم الذي هو ألذ عند المسهَّد من لذيذ الوسن ، وهو من جلالته في النفوس ، ومنزلته عند الرئيس والمرؤوس ، ممدوح فحول الشعراء ومنهم **ابن حيوس ..** فالأمير أبو الحسن علي ، له فضل جلي ، وشعر كأنه في نضارته حليٌّ ، وهو وفيٌّ بعلمه ملي ، قديم العصر من الطبقة الأولى ، لكن رأيت ذكر مثله أولى ، فأدبه في سوق الفضائل أرْوَج وأغلى ، ونسبُه عند الأفاضل أبهج وأعلى ، وسأورد من شعره ما سُدِّدَتْ عليه يدي ، وهو منتقحي ومنتقاي ومنتقدي .. » .

من شعره قوله :

ماذا النجيع بوجنتيك وليس من
شدخ الأنوف على الخدود رعاف
ألحاظنا جرحتك حين تعرضت
لك ، أم أديمك جوهر شفاف ؟

وله :

إذا ذكرت أياديك التي سلفت
مع سوء فعلي وزلاتي ومجترمي
أكاد أقتل نفسي ثم يمنعني
علمي بأنك مجبول على الكرم

وكان مرة راكباً مع جماعة فنزلوا بروضة فيها الشقائق والأقحوان فاستحسنوها ، فقالوا : تعالوا ننظم فيه شعراً ، ثم قالوا له : إبدأ أنت . فقال :

كأن الشقائق والأقحوان
خدود تقبلهن الثغور
فهاتيك يخجلهن الحياء
وهاتيك يضحكهن السرور

ومن شعره :

بكرت تنظر شيبي
وثيابي يوم عيد
ثم قالت لي بهزء :
يا خليقاً في جديد
لا تغالطني فما تصـ
ـلح إلا للصدود

وكان سديد الملك مقصوداً ممدوحاً من الشعراء وخاصة أثناء سنوات إقامته في طرابلس ، فقد مدحه **الشاعر الدمشقي ابن الخياط** صاحب الديوان ، **والشاعر الخفاجي ، وشرف الدين بن الحلاوي** شاعر الموصل ، **وابن مزاحم الصوري** الذي أنشده بعد نزوله في طرابلس في

شهر جمادى الأولى سنة ٤٦٤ هـ ، **وأبـو يعلى الأقسـاسي** الـذي أنشـده بطرابلس أيضاً في ٢١ شوال سنة ٤٦٤ هـ ، **وعبـد الله بـن الـدويـدة المعري** وكان قد كتب لسديد الملك حين وفد عليه **الشاعر ابن الخيشي** في طرابلس :

يا عليَّ بـن مُنقـذٍ يـا همـاماً
حـين يُـدعى الـوغى يُعـدُّ بجيش
قـد أتـاك الخيْشيُّ في وسـط آبٍ
بقـريض يغنيـك عـن بيـت خَيْش

وكتب ابن الخيشي وهو في طرابلس هـذه الأبيـات لسـديد الملك بعـد أن خرج منها :

إني وحقّـك في طـرابُلُسَ
كما تهوى العِـدى تحـت المقـيم المقعِـدِ
أمّا «المحرَّم» قد حـرمت نجـاز مـا وعـدوا
وفي «صَـفَرٍ» فقـد صـفَّرَتْ يـدي
قـالت لي العليـاءُ لما أن سَـقَوْني
كأسَ مَـطْلِهِمْ سـكِرْتَ فعَـرْبِدِ

وعندما نزل سديد الملك طرابلس التقى فيها **بـالشاعـر ابـن حيـوس** ، صاحب الديوان ، وكان يميل إلى الفاطميين ، فنصحه سـديد الملك أن يغـادر المدينة إلى حلب ويقصد تاج الملـوك محمـود لأن بـني عمار لا يميلـون إلى الفاطميين ، وعندما رحل إلى حلب كتب إليه قصيدة أولها :

أما الفـراق فقـد عـاصيتُه فـأبى
وطـالت الحـرب إلا أنـه غَلَبَـا
أراني البـينُ لما حُـمَّ عـن قَـدَرٍ
وداعنـا كل جـدٍّ بعـده لَعِبـا

وكان بين سديد الملك وجلال الملك بـن عمار صـاحب طـرابلس مَـوَدَّة أكيدة . وقد لعب دوراً مؤثراً في وصـول جـلال الملك إلى حـكم إمـارة طرابلس . ويسجل سديد الملك محبته لجلال الملك بعـد مغـادرته طـرابلس بقوله :

أحبـابنا لـو لقيـتم في مقـامكم
من الصَّـبابة مـا لاقيـتُ في ظَعَـني
لأصبحَ البحـر مـن أنفـاسكم يبسـاً
كالبرّ مـن أدمُعـي ينشـقُّ بـالسفن

ومن دلائل الروابط الأسرية الحميمة التي كانت تـربط بـين الأمـيرين أن الأمير نصر بن سديد الملك كان سفيراً لجلال الملك إلى الأمـير حصـن الـدولة **حيدرة بن منزو الكتامي** الذي كان والياً على دمشق حيث خطب منه ابنته لجلال الملك وأحضرها من دمشق إلى طرابلس لما تزوجها .

وجاء في «**ذيل تاريـخ دمشق**» **لابـن القـلانسي** ، أن سـديد الملك ممن يُنسب إلى عمل الشعر ، وكان من أبلغ أهل الشام في معرفة أهـل اللغـة والنحو ، وكان بينه وبين ابن عمار صاحب طرابلس مـودة وكيـدة ومـكاتبات ، وسببه أنه كان له مملوك يسمى «**رسلان**» وكان زعيم عسكره ، فبلغه عنـه مـا يكره ، فقال له : اذهب عني وأنت آمن على نفسك ، فقصـد ابـن عمار إلى طرابلس وسأله أن يسأل سديد الملك في مـاله وحُـرُمه ، فسـأله ، فـأمر باطلاقهم . وكان قد اقتنى مالا كثيراً ، فلما خرج الرسول بالمال والحريم لحقه سديد الملك فظن أنه قد بدا له أمر ، فقال الرسول : غَدَرْتَ بعبدك ورغبت في ماله ؟ فقال له : لا والله ، ولكن لكل أمر حقيقة . . حـطوا عـن الجمال والبغال أحمالها ، فحطوا ، فقال : أبصروا ما عليها . فنظروا ، فـإذا في قـدور النحاس خمسة وعشرون ألف دينار ، ومن المتاع ما يساوي مثلها وزيادة ، فقـال سديد الملك للرسول : أبلغ ابن عمار سلامي وعرفه بما ترى لئلا يقول رسلان أنني أخذت ماله . ثم قام سديد الملك بزيارة جلال الملك وأقام عنده مدة .

وذكر **ابن تغري بردي** أنه كان لسـديد الملك ديـوان شـعر مشـهور . ولكن ضاع على ما يبدو . وكان من الشخصيات الفذة في عصره ، وقـد قيـل فيه إنه لو جعل إقامته بمصر بدلا من طـرابلس لـكانت الـدولة الفـاطمية في قبضته . وحول هذا ينقل «**ابـن العـديم الحلبـي**» في مخـطوطة «**بغيـة الطلب في تاريـخ حلب**» من خط سديد الملك قوله :

«والأمير سديد الملك مقيم بالجسر لعلمه أن الدار قد أعضل . وكان سبب ذلك أن الأمير بهاء الدولة ابن **الملك فنا خسرو** ، وهو خاله ، قد نزل مصر لما تولى ابن اخته حلب ، وكانت جاريته قد اعتقلها أمـير الجيـوش بـدر بمصر وأراد أن يضرب رقبتها لأنها كانت أوفى طبقة في الغنـاء ، فـكان الأمـراء بمصر يتقاتلون عليها ، فقتل من أجلها عدة من الأمراء ، فقال فنا خسرو لسابق بـن محمود صاحب حلب : ما يقـدر أحـد أن يخلص جـاريتي وأولادي إلا الأمـير سديد الملك فإنني رأيت له بمصر صيتاً وافياً ، وقال من بها : لو جعـل مقـره بمصر عوض طرابلس كانت الدولة في قبضته ، فثقل على الأمير ، إلى أن كتب وسير إلى أمير الجيوش في أمر الجارية . فقال : والله مـا أردت أخـرجها أبـداً من الحبس ولكن لا أرد مسألة ذلك المحتشم . فسيرها إلى طرابلس إلى دار جدّ سديد الملك ، فأحضرها إلى حلب ومعها ابناها .

وقد سئل الأمير **أسامة بن منقذ** صاحب كتاب «الاعتبـار» عـن وفـاة جدّه سديد الملك فقال مات سنة ٤٧٥ وقيل توفي سنة ٤٧٩ هـ .

احتياجات الموظفين وإمكانية إشباعها

بقلم: د. أحمد مفلح الحوراني

يمارس اشباع الاحتياجات المختلفة للموظفين دوراً متزايد الأهمية على أداء مختلف الوزارات والدوائر والمؤسسات، وبهدف تحديد الاحتياجات المذكورة قامت مؤسسات متعددة بإجراء دراسات على عينات مختلفة من الموظفين. وقد اتضح من خلال مناقشة وتحليل النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسات وجود فجوة بين متطلبات الموظفين والمسؤولين عنهم، بالإضافة إلى المعرفة الضئيلة للمسؤولين بشعور الموظفين فيما يتعلق بترتيب الأولويات في محيط العمل. فمثلاً **يشعر المسؤول بأن الموظف الجديد يرغب في عمل سهل، بينما بينت نتائج الدراسة أن الرغبة المذكورة تمثل اختياره الأخير.**

ولكن ما هي أهم متطلبات الموظفين الذين شملتهم الدراسة؟ لقد تبيَّن أن اشباع الحاجات الأساسية يحتل أولوية عالية، وتتمثل بالمتطلبات الفسيولوجية (الطعام والكساء والمأوى)، ومتطلبات السلامة والأمن (العمل المنتظم والراتب)، فاشباع الحاجات الأساسية يعتبر مطلباً ملحاً تتوقف عليه مقدرة الموظف على الاستمرار في العمل.

بعد ذلك يبدأ الموظف البحث لاشباع احتياجاته الأقل أهمية، ومن هذه الاحتياجات التي تمثل أولوية عالية: **تأسيس علاقة ودية مع الناس عامة،** وبصورة خاصة مع مجموعته في العمل، وسيعمل بجهد لتحقيق الهدف المذكور.. فشباب اليوم يرغبون في العمل حيثما يستطيعون الاختلاط بالعديد ممن هم في أعمارهم... إنهم يبحثون عن جو ودّي يمكن فيه فهمهم بسهولة، فإذا ما تعارضت وظيفتهم مع علاقاتهم الشخصية أو اتصالاتهم المنتظمة بالآخرين فإنهم سرعان ما يتركون وظيفتهم ويسعون للحصول على وظيفة أخرى. وعندما سئلوا عما سيفعلونه لو أنهم وجدوا المتعة في عملهم، ولكنهم لم يستطيعوا أن يقيموا علاقات حسنة مع زملائهم، أفاد معظمهم بأنهم سيبادرون للبحث عن عمل آخر. ومهما يكن، فقد احتلت إقامة علاقات العمل الطيبة مع الزملاء المرتبة الثانية بعد مقدار المال الذي يحصلون عليه... **واحتلت فرص الترقية والاهتمام بالعمل مرتبة منخفضة.** ويؤكد أحد المديرين اللامعين على أن أكثر ما يرجو تحققه هو مشاهدة العلاقات الإنسانية التي يمكن أن تُشجع وتُصان وتُقيَّم تقيماً عالياً في المؤسسات الصغيرة وهي تستمر كتجربة حية حين تتوسع المؤسسة توسعاً كبيراً.

مطلب ثان مهم يتعلق باشباع غرور الموظف المبني على أسس ثابتة... مقدرته الحقيقية، وانجازاته، واحترام الآخرين.. مما يؤدي إلى شعوره بالثقة في النفس، والجدارة، والقوة، والمقدرة، والكفاية. أما عدم الاشباع فإنه سيجلب الشعور بالضعف والتعقيد النفسي. ولا شك، فإن مثل هذا الشعور سيؤدي إلى الاحباط. ومن هنا فإنه **ينبغي إعطاء كل موظف فرصة الوصول إلى المستوى الأعلى من خلال جهوده الموجهة لتحقيق أهداف المؤسسة التي يعمل فيها...** فالموظف مورد بشري، وينبغي استخدام معرفته وإبداعه في دفع مؤسسته إلى الأمام.



أهمية الاجتماعات بالموظفين

أما مساهمة الموظف الممكنة في هذا الخصوص فإنها تنبع من مقدرته على التفكير والتخطيط والمبادرة وضبط سلوكه. ومن هنا **فإن الاجتماعات المنتظمة للموظفين لبحث مختلف الأفكار تعتبر أمراً ضرورياً لتمكين الموظف من مناقشة فكرته ومشاركته في تقييمها، ويتطلب نجاح تلك الاجتماعات تعريف الموظفين المسبق بأهداف تلك الاجتماعات، والقواعد التي سيتم تطبيقها لتزداد الرغبة في المساهمة من أجل نتيجة ناجحة.** فإذا كانت فكرته جيدة فإنه يحصل على التشجيع، أما إذا كانت فكرته في دور التكوين وتدعو للأمل لكنها غير عملية فإن الموظف يرى نفسه في حالة تشجعه على البحث، والحصول على المساعدة لتطوير فكرته، يضاف إلى ذلك أن هذه الاجتماعات تساعد المسؤول في تعيين الحدود التي يرغب عندها في استشارة موظفيه ... الأمر الذي يمكنه من بدء عملية أطول من النمو والتعلم لموظفيه ولنفسه أيضاً.

وباختصار فإنه يخطط ليعلمهم الزحف قبل محاولتهم المشي أو الركض. فالغرض الأساسي للمشاركة تشجيع نمو الموظفين وبالتالي تنمية قدراتهم على تقبل المسؤولية ... ويكون ذلك باختيار مسائل معينة لمناقشتها واتخاذ قرار فيها.

وقد بيَّنت نتائج إحدى الدراسات أن كثيراً من المديرين يشاركون موظفيهم بمسائل ضئيلة الأهمية مما لا يعطي الموظف فرصة حقيقية للنمو ... **فالمدير الناجح يرى أن معظم موظفيه يملكون مقدرة حقيقية تمكنهم من النمو والتطور من أجل تحمل المسؤولية والانجاز المبدع ... وبالتالي فإنهم يساعدونه في انجاز مسؤولياته.** ولا شك، فإن هذا الشعور سيدفعه إلى الاهتمام في ايجاد الظروف المشجعة ويبعد عنه الإحساس بأن الناس عموماً كسالى وغير مسؤولين، وغير أمناء، صحيح أنه يوجد بعض الأفراد بهذه الصفات ولكن مقابلتهم نادرة.

الدافع للعمل

مطلب ثالث جدير بالاعتبار يتلخص في اهتمام الإدارة **بالدافع للعمل**، وأهم عناصره المحددة «معرفة الهدف من العمل، وتحديد المسؤولية، والرؤية الواضحة للنتائج»، وقد ثبت أن استيعاب الموظف لهذه الأمور يكسبه الرضا وحسن الأداء، مما يقوي لديه المقدرة على الاستمرار لكسب المزيد من النقاط الايجابية في المستقبل، أما غياب هذه العناصر فإنه يتسبب في انهيار الدافع بصورة ملحوظة.

فعدم وضوح الرؤية للنتائج يؤدي إلى انخفاض الرضا في الوظيفة، ويصبح التغيب عن العمل نتيجة محتملة. **فالعمل النافع هو الذي يتحدى مواهب الموظف وقدراته.** أما نمو المسؤولية فإنه يتوقف على القدر الذي يتمتع به الموظف من الحرية والاستقلال والمقدرة على التصرف في إعداد العمل وتنفيذه. فمنح الموظفين الاكفاء الحرية في أعمالهم يجعلهم ينذرون أنفسهم للعمل ساعات طوال عندما تحتاج المؤسسة بحق إلى خدماتهم. وتعتبر أساليب الإدارة التي يمارسها المديرون والمشرفون المحدد الأكثر أهمية لهذه المسألة.. فللدرجة التي يميل فيها هؤلاء إلى تقييد مرؤوسيهم ينخفض مستوى الحافز للعمل والرضا عن الوظيفة. ونحن نعتقد بأن شعور الموظف بمسؤولية العمل، ومقدرته على استخدام قدراته تبعاً لمتطلبات الوظيفة دون المرور بالروتين يقوِّي الدافع للعمل ويعضده... مما يشعر الموظف بالرضا وحسن الأداء.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدة مسائل مهمة تمارس تأثيراً متزايداً على أداء الموظف ومقدرته، وأهمها ما يتعلق بالنظرة المتأنية للمسؤول، وتدريب الموظفين، والمساعدة على احتفاظ الموظف بمعنوية عالية. وفيما يلي تفصيل موجز لهذه المسائل:

أولا: النظرة المتأنية

قبل أن يعمد المسؤول إلى الانتقاد ينبغي له أن تفحص جميع الحقائق ذات العلاقة، وأن يحدو بدقة ماذا يمكن له أن يعمل وأن يقول. فالتأنيب غير المسؤول يمكن أن يؤدي إلى إثارة النزاع وبالتالي فقدان السيطرة على النفس... وتكون المحصلة قرارات متهورة وغير مسؤولة. فقبل توجيه الانتقاد ينبغي تحديد الهدف منه، والنتيجة التي يرغب في تحقيقها... يساعده على ذلك محاولة الإجابة على الأسئلة التالية:

- هل حصل على جميع الأسئلة ذات العلاقة؟ **فاكتمال الصورة أمام المسؤول شرط ضروري لإصدار الحكم العادل**، ولا شك، فإن المعرفة الناقصة للمسألة المطروحة ستوصل إلى قرار خاطىء.

- هل هناك ظروف مخففة؟ فقد تحيط بارتكاب الخطأ ظروف من شأنها تخفيف العقوبة المترتبة على الخطأ الذي تم اقترافه، ولا شك فإن معرفة هذه الظروف وتقديرها يعمل على انصاف الموظف.

- هل يوجد لدى المسؤول عقل مفتوح؟ فالغضب والتشنج يلحقان ضرراً بالغاً بالعلاقات الإنسانية، وبالمقابل فإن استخدام النقد بطريقة ذكية سيعمل على تطوير الفرد بصورة فعَّالة، ونود أن نؤكد على الحذر من الانتقاد في اجتماع معين لأنه يمكن أن يتسبب في توتر أو ارتباك... وليكن معلوماً أن انتقاد الأفكار عملية غير بناءة في معظم الأحوال.

وفي قول لأحد المديرين الناجحين «**إن مؤسسة لا تسير دون أخطاء تقترف، ولو افترضنا أن كل شيء يسير على ما يرام لما عرفت ماذا أعمل، إن نصف السعادة التي يشعر بها المدير نابعة عن ايمانه لذاته بأنه يعمل على إصلاح ما اقترفه الآخرون من أخطاء**».

ثانيا: التدريب

إن الاكتساب المتواصل **للمعرفة الجديدة** يسهل عمل الموظف في أدائه لمهمته، ويتوقف ذلك ـ في جزء كبير ـ على التأثير في حوافز اكتساب هذه المعرفة، ومن هذه الحوافز الفرصة الأفضل، وجعل العمل أسهل، والتخلص من الأخطاء التي يمكن للمسؤول اكتشافها من خلال اللقاءات والمناقشات. فمحيط الوظيفة هو المتغير الأكثر أهمية الذي يؤثر على تطور الموظف. وتجدر الإشارة إلى أهمية تغيير الموظف للوظيفة التي يشغلها في نطاق مؤسسته ... **فقضاء فترة طويلة في نفس الوظيفة تؤثر على تطور الموظف وإبداعه، فالوظيفة يمكن أن تكون ملائمة للفرد كما هو الحال في أمناء الصناديق... إلا أن إبقاء الموظف فيها لفترة تزيد على خمس سنوات يعود بالجمود على الموظف.**

وقد وجدت إحدى المؤسسات أن استيعاب السيل العارم من خريجي الجامعات والمعاهد العليا يحتاج إلى وضعهم في مرحلة انتقالية بين الدراسة والعمل قد تشمل

بالإضافة إلى التدريب الرسمي القيام ببعض الأعمال اليدوية ، وقد كانت **الخطوة الأولى** للتدريب قضاء أسبوع في مقر رئاسة المؤسسة لتكوين فكرة عامة عن المؤسسة وعملها ، بالإضافة إلى عقد سلسلة من المباحثات مع المدير العام . أما **الخطوة الثانية** ، فقد كانت ارسال المتدربين في دورة لمدة ثلاثة أشهر ، حيث يقوم المدربون خلال هذه الفترة بتقديم النصح والارشاد لهم ، ومراقبة أدائهم « أما الخريجون عادة فإنهم يُلمُّون إلماماً جيداً بنظريات الإنتاج ، غير أنهم بحاجة إلى أن يتعلموا مدى صعوبة الإنتاج » . فالمراقبون يقيمون عادة في نفس المهاجع التي يقيم فيها المتدربون ، وعلى ضوء التقارير التي يضعها هؤلاء المراقبون ونتائج الفحوص النفسية التي يخضع لها المتدربون يتحدد المكان الذي سيرسل إليه كلاً منهم بعد انتهاء فترة التدريب .

وقد اتضح أن فترة التدريب تُتيح للمتدرب التعرف على عدد كبير من الأصدقاء الذين تسودهم روح التعاون نتيجة للشعور بالتضامن الذي اكتسبته مجموعة المتدربين في العيش والعمل معاً لمدة ثلاثة أشهر ، واستمرار هذه الصداقة رغم العمل بعد ذلك في مواقع مختلفة . ويشير تقرير المؤسسة المذكورة إلى أن البرامج التدريبية المستحدثة والمدروسة بعناية قد أدت إلى التغلب على الصعوبات التي تواجهها المؤسسة في الحصول على المستخدمين .

ثالثاً : المعنويات

يعتبر **الإحباط** من ألد أعداء المعنويات ، فبدلا من البحث في ايجاد الحلول الملائمة للمسائل التي يولدها الاحباط ، ينبغي عدم السماح لتلك المسائل بالظهور ، ويكون ذلك باتباع الوسائل التالية :

١ ــ الاهتمام بالفرد بعدم الإساءة والتفسير المغلوط لأعماله ، وكذلك تجنب المسؤول للأعمال التي تصدر عنها ردود فعل غير منتجة ، فالتفسير المغلوط لعمل الفرد يسيء إليه ويقلل رغبته في العمل ... مما ينعكس على أدائه وإنتاجيته .

٢ ــ الاهتمام بالعمل الجماعي ... خاصة وأن **العمل الجماعي** لا يحظى بالتقدير اللازم ، ولا تخفى أهمية الجهود الجماعية المتكاملة في الوصول بالعمل إلى صورته المثلى ، ويعتمد ذلك في جزء كبير على التخلي عن الأنانية ، وحب الذات ، وإيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

٣ ــ التقليل من مشغولية المسؤولين ، مما يتيح للموظف الوقت للنقاش في مساعي العمل ، ولا يعتبر هذا النقاش مضيعة للوقت ، ويساعد على ذلك توزيع المسؤوليات بين الموظفين العاملين . أما حصر معظم الأعمال بالمسؤول فإنه يؤدي إلى انشغاله بأعمال يستطيع غيره القيام بها ... مما يضيع عليه فرصة العمل المبدع والخلاق ، ويفوِّت على الموظف فرصة تكوين وتطوير قدراته .

٤ ــ المشاركة ، بحيث لا يسمح لشخص واحد بالسيطرة على الاجتماع أو تحديد نطاقه ، ويقع على رئيس المجموعة عبء التأكد من عدم سيطرة أكثر أعضاء المجموعة طلاقة في الحديث على المناقشة ، وعدم مقاطعة الأشخاص الهيابين في الحديث .

رابعاً : العدالة في الحكم ووضوح الرؤية

ينبغي أن ينصب الاهتمام على تلافي الخطأ الحاصل ، وعند سؤال المخطيء ينبغي للمسؤول أن يضع نفسه في مكان فاعل الخطأ . . . الأمر الذي يساعده على الرؤية الجيدة ، وإصدار الحكم العادل ، والمطلوب كذلك من المسؤول أن يجعل من نفسه مثالا جيداً ، ونموذجاً يُحتذى لكي يكتسب ثقة العاملين معه ، فأفضل النظريات والمثل لا تصمد أمام التطبيق الخاطيء ، وبالتالي فإنه ينبغي للمسؤول استشارة موظفيه في مسائل العمل ، والبحث عن مساعدتهم في التخطيط للأعمال .

وباختصار ، فإنه بالقدر الذي يتم فيه اشباع احتياجات الموظف الأساسية والثانوية ، ومراعاة المسائل التي تؤثر على أدائه وقدراته . . . يمكن للوزارات والدوائر والمؤسسات أن تحقق أهدافها في النمو والتقدم .



النوم والأرق والمنومات

بقلم: د. سعيد حافظ يعقوب

النوم ضروري للأحياء جميعاً، **بعض النباتات** نجدها تضم أوراقها حول زهرتها وتفرز مواداً تحميها طوال فترة نومها وحين تتحسن الأحوال «تستيقظ» وهي أكثر نشاطاً.. **وجميع الحيوانات** تنام وإن كان هناك اختلاف كبير بين طريقة وفترة نوم الأنواع الحيوانية المختلفة. فالكلاب مثلاً تنام نوماً متعدد الفترات (تنام فترة قصيرة ثم تستيقظ فترة وتعود وتنام مرة ثانية وهكذا) أما **الخفافيش** فتنام في النهار وتنشط طيلة الليل.. **والضفادع** تنام فصلاً بكامله وهو ما يعرف باسم الإشتاء Hypernation.[1]

أما الإنسان فقد ثبت أنه لا يستطيع أن يبقى بدون نوم إلا فترة محددة، ليست طويلة على كل حال وقد أجرى العلماء تجارب دقيقة بالاستعانة بجهاز **تخطيط الدماغ الكهربائي** Electro Encephalo Graphy (EEG) فتأكد لهم أن أولئك المتطوعين الذين يدعون قدرتهم على السهر المديد تمر عليهم بالحقيقة لحظات يكونوا فيها نائمين.

نظرة تاريخية

ورد ذكر النوم في **القرآن الكريم** في عدة مواضع منها الآية التي تفيد التشابه بين النوم والموت: ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾.[2]

كما ورد ذكر النوم في عدة **أحاديث شريفة** منها الحديث المروي عن **علي بن أبي طالب رضي الله عنه** بخصوص الرؤيا: «ما من عبد ينام يتملى نوماً إلا عرج بروحه إلى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي التي تكذب».[3]

وأن الفلاسفة المسلمين **كالفارابي وابن سينا** يقولون في النوم والرؤيا أقوالا يظهر فيها بوضوح أثر القرآن والحديث.

ويقول **البيضاوي**[4]: «والنوم حال يعرض للحيوان عن استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً».[5]

ويندرج كلام البيضاوي هذا تحت ما عرف فيما بعد **بالنظرية الكيماوية في تفسير النوم**، وهي إحدى النظريات الكثيرة التي قيلت في الموضوع، وقد استندت الفرضيات الأولى على أن النوم هو توقف مؤقت لحالة اليقظة، وهكذا كانت التجارب تسعى إلى إيضاح مختلف العوامل التي تؤثر على حالة اليقظة وتحدث النوم.

١ ـ ففي عام ١٨٨١م، أجرى العالم الإيطالي **انجليو موسودهول** تجربة استنتج منها أن الدم الذاهب إلى الدماغ يقل أثناء النوم، فبنى على ذلك نظرية تستند على أن النوم يحدث حين يبطء الدوران الدماغي.. وقد نقضت نظريته فيما بعد.

٢ ـ وفي عام ١٨٩٠م، لفت العالم **موتز** الأنظار إلى وجود **مراكز عصبية خاصة بالنوم** بأن أشار إلى أن التهاب الدماغ النومي أو الواقد يترافق دوماً بآفة في المادة الرمادية في الدماغ، ثم أشار العالم **بت** Pette إلى ذلك أيضاً بتقديمه حالة مصاب كان يدمن الكحول وأصابه شلل أيمن فجائي رافقه فرط ميل إلى النوم وبعد وفاته شوهد بتشريح جثته بؤرة متلينة في السويقة المخية[6].

٣ ـ وفي عام ١٩١٣م، استخلص العالم **بيرون** مواداً كيماوية من الدم ومن السائل الدماغي الشوكي (وهو السائل الذي يحيط بالمخ وبالنخاع ويملأ تجاويف المخ) من كلاب كان قد حرمها من النوم.. ثم تتابعت تجارب العلماء الذين يقولون بالنظرية الكيماوية في تفسير النوم التي أشار إليها بعض العلماء العرب ومنهم القاضي البيضاوي في حديثه الذي أشرنا إليه.. وتقول هذه النظرية عموماً إنه تتكون مستقلبات ناهية تتراكم حذاء التشكلات الشبكية أثناء اليقظة ولا سيما إثر التعب العضلي أو الجهد الفكري سميت **المواد المتعبة** (المحدثة للتعب) وتزداد هذه المواد في الدم وفي السائل الدماغي الشوكي حين البقاء بحالة اليقظة مدة طويلة، وتبين فيما بعد أن أحد هذه المواد هو المادة المسماة **غاما أمينو هيدروكسي بوتيريك أسيد** والمشهورة باسم **جابا** (GABA) وهي الحروف الأولية من اسم هذه المادة. واتضح أن إعطاء جابا في الوريد يسبب الأرق.

٤ ـ ثم وضع العلماء الأمريكيون اعتبارات جديدة لمعنى النوم إذ اعتبروا أن اليقظة هي انقطاع النوم، فحياة الإنسان من أولها لآخرها هي نوم مستمر تتخلله فترات من اليقظة عقب منبهات مختلفة وتطول هذه الفترات كلما تقدم الشخص بالعمر، فالجنين ينام باستمرار في رحم أمه ولا يستيقظ إلا خلال فترات قصيرة ينبهه فيها الجوع والألم، وفي الطرف الثاني من الحياة يكتفي الشيخ بعدة ساعات فقط من النوم.

ماهية النوم

النوم حالة لا شعورية يتوقف خلالها النشاط الواعي وتخف التفاعلات المنبعثة عن المنبهات الخارجية وعن العالم الخارجي عموماً وهو ظاهرة فسيولوجية ضرورية



للحياة ، **وهناك نوعان من النوم ، نوم عميق ونوم خفيف** أو بالأحرى يمر نوم الإنسان السليم بمرحلتين :

أولا : مرحلة النوم العميق

تنخفض في هذه المرحلة سرعة **الموجات الكهربائية** التي ترسم نشاط المخ من حوالي ١٣ موجة في الثانية إلى ١ ـ ٤ موجات ، ويسجل هذه الموجات جهاز خاص يدعى جهاز تخطيط الدماغ الكهربائي (٧) ، كما تنخفض سرعة نبضات القلب ويقل عدد الحركات التنفسية وينخفض ضغط الدم بعض الشيء . . وتدوم مرحلة النوم العميق حوالي ساعة ونصف الساعة تقريباً .

ثانياً : مرحلة النوم الخفيف

ويكون النوم في هذه المرحلة خفيفاً ويكثر التقلب والحركة اللاشعورية وإن تكرر ايقاظ الشخص عدة مرات فإنه يعود إلى النوم وتحدث الأحلام كثيراً في هذه المرحلة .

وبعكس المرحلة السابقة فإن نشاط المخ يزداد وتكون سرعة الموجات الكهربائية التي يرسمها جهاز تخطيط الدماغ حوالي ١٥ موجة في الثانية ، وتزيد سرعة نبضات القلب وعدد الحركات التنفسية ويزيد ضغط الدم قليلاً وتدوم هذه المرحلة من ٥ ـ ١٠ دقائق فقط . . وأهم ما يميز هذه المرحلة هو وجود حركات سريعة للعينين لذا تسمى **مرحلة النوم الخفيف بمرحلة نوم حركة العين السريعة** Rapid eye movement Sleep ونذكر أن هذه المرحلة تتكرر حوالي خمس مرات كل ليلة وأن حرم الشخص من هذه المرحلة من النوم (كما في ادمان المنومات) (٨) ، فإنه يبقى متعباً ويشعر أنه لا ينال حاجته من النوم .

وكما ذكرنا فإن الأحلام تكثر في هذه المرحلة ، **وإن جميع الأحلام التي يتذكرها الناس عادة ويروونها تحدث في مرحلة النوم الخفيف هذه ، أما في مرحلة النوم العميق فإن الأحلام تنسى عادة .**

وهناك نوع خفيف جداً من النوم يسمى Hypnagogue أو **نوم التهويم** ويرى في بدء النوم ونذكر أنه حسبما تبين بتخطيط الدماغ الكهربائي فإن أعمق نوم يكون بعد بدء النوم بقليل وحتى مرور حوالي ساعة ونصف الساعة ثم يخف . . وقد يزيد عمقه قبيل اليقظة بساعة أو أكثر .

أجهزة الجسم المختلفة أثناء النوم

أول الأجهزة تأثراً هو **الجهاز العصبي** إذ يخف نشاطه لا سيما ما يتعلق منه بقشرة المخ ، مثل العمليات العقلية العالية لكن تبقى بعض العمليات العقلية تحت الشعور وتظهر بعض الذكريات في بعض مراحل النوم وقد تظهر في صورة أحلام ، أما باقي العمليات الحيوية في الجسم فتتأثر تأثراً بسيطاً بالنوم إذ يقل ـ كما ذكرنا ـ ضغط **الدم** ، كما يقل نشاط مركز تنظيم الحرارة (لذا يحتاج النائم للغطاء أكثر من المستيقظ) ، ويبطؤ **التنفس** (وإن كان يزيد عمقاً) ، وترتخي **العضلات** ويقل توترها (وإن كان الألم الناجم عن سوء وضعية النائم يؤدي إلى ايقاظه من نومه لاصلاح وضعته) ، أما الهضم ، فيستمر وربما كانت عملية الهضم أثناء النوم أكثر منها في اليقظة (على الأقل عند بعض الناس) .

فالنوم إذن ليس إلا همود واعتدال في وظائف المراكز العليا من الجملة العصبية المركزية وأهم ما يظهر به النوم يتجلى في :

- توقف النشاط الواعي (الشعور) .
- انقطاع أو نقص في التفاعلات المنبعثة عن التنبيهات الخارجية .
- استرخاء العضلات لا سيما عضلات الأجفان (تثاقل وانسدال) وعضلات النقرة (لذا يحدث ارتخاء الرأس أثناء النوم) والحدقة (لذا تضيق حدقة العين أثناء النوم) ، كما وترتخي عضلات العين الخارجية أيضاً (انحراف العينين) .
- تبطؤ وظائف أجهزة الجسم التي تعمل لا إرادياً كالدوران والتنفس وتنظيم الحرارة .
- تظهر أمواج بطيئة جداً في مخطط الدماغ الكهربائي بدلا من الأمواج الطبيعية .

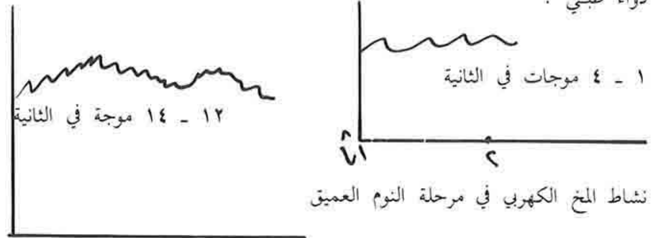
أي إن الوظائف التي تخضع للإرادة تختفي تماماً ، لكن وظائف الإحساس لا تنعدم في النوم كما يظن بعض الناس ، لكن تقل درجة حساسية أعضاء الحس للمؤثرات الخارجية .

الحرمان من النوم

بعد حرمان تجريبي من النوم لمدة تزيد عن ١٢ ساعة تظهر تبدلات طفيفة جداً منها **تغيرات فسيولوجية** مثل نقص سعة العمل الشاق ، ومنها **تغيرات كيميائية** (مثل تغير عدد الكريات البيضاء والحمراء وسكر الدم تغيراً بسيطاً) ،

كما تتأثر **المهارات النفسية الحركية** ، وبعد ٤٠ ساعة يضاف لهذه التغيرات ظهور اضطرابات نفسية عصبية متوسطة الشدة غالباً (وأحياناً تشبه مرض الفصام الحاد لكن هذا نادر) ، إذ ينخفض مستوى الانتباه وقد تحدث فترات نومية قصيرة Microsleeps ، كما يتغير مزاج الإنسان فيشعر برغبة في الهدوء والابتعاد عن المؤثرات الحسية وقد يثور لأتفه سبب ، **فقد قام علماء أمريكيون بتجارب على الفئران تبين أنها حين حرمت من النوم صارت عصبية المزاج ودار بينها عراك شديد قتل فيه بعضها ، وأكد علماء سوفييت أنهم حرموا كلاباً من النوم لمدة ثمانية أيام ، فنام معظمها في اليوم التاسع رغم جهود العلماء لمنعها عن ذلك ومات أثنان منها في اليوم التاسع نفسه .**

ويعلم الناس عادة من تجاربهم أنهم إذا حرموا من النوم لسبب أو لآخر تضعف مقاومتهم للأمراض ويصابون أحياناً بالرشح أو بالانفلونزا . . . وعلى العكس من ذلك فإنهم حين يصابون بالرشح مثلاً يجدون أن النوم والراحة هما أنفع لهم من أي دواء طبي .



نشاط المخ الكهربي في مرحلة النوم العميق

نشاط المخ الكهربي في مرحلة النوم الخفيف

اضطرابات النوم

إن اضطرابات النوم عديدة منها **الأرق** Insomnia ومنها **زيادة النوم** Hypersomnia ، إذ يكون النوم أكثر عمقاً وأطول زمناً من النوم المعروف عند أغلبية الناس ، ومنها **النوم المعكوس** Inverted Sleep ولا يشعر صاحبه بالنعاس إلا في النهار ويبقى مؤرقاً في الليل ، ومنها **الشلل النومي** Sleep Paralysis وفيه يصاب المريض قبيل نومه وقبيل يقظته بنوبة قصيرة يفقد فيها كل حركة لكن يبقى على شيء من الشعور ، ومنها **مرض الغشي النومي** Narcolepsy إذ يصيب المريض فجأة إغفاءة قصيرة جداً لا يمكنه مقاومتها تدوم من بعض ثوان إلى بعض دقائق وتحدث في أي وقت وأي ظرف ويفيق بعدها ، لكنه قد يدخل بعدها في نوم عادي إن كان الجو هادئاً مريحاً ، ونذكر من هذه الاضطرابات أيضاً **مرض الكابوس** Nightmare الذي يشعر المصاب به أثناء نومه كأن كابوساً جاثماً على صدره ويجف حلقه ، ويستيقظ في حالة من الشعور بالرعب والاختناق ، **ومرض الرعب الليلي** وتعتري المصاب به أثناء نومه حركة مفاجئة توقظه في رعب شديد ، **ومرض المشي النومي** Somnambulism ، وهو حالة مرضية يمشي المريض فيها ويتجول وهو نائم . . إذ يتعطل الشعور في هذا المرض لكن تبقى القوى الحركية نشيطة .

وفي كل هذه الأمراض لا يجوز إهمال استشارة طبيب اختصاصي بالأمراض النفسية إذ يلزم تناول بعض الأدوية وربما إجراء جلسات تحليل نفسي عدا عن ضرورة المراقبة والاشراف الطبيين لفترة كافية وأن الوقاية والعلاج من هذه الاضطرابات النفسية الخاصة بالنوم تحتاج لبحث خاص .

لكن يمكن الآن أن أتحدث بشيء من التفصيل عن الأرق .

الأرق

قد يكون استجابة مؤقتة لاثارة ما أو لاضطراب انفعالي ، كما قد يكون الأرق دائماً عند شخص معين يميز نومه ، ويرتبط الأرق المؤقت بحالة الشخص الجسمية كالتعب الشديد وتغيير مكان النوم أو تغيير نوعية طعام العشاء المعتاد ، كما قد يكون الأرق بسبب تناول بعض العقاقير والأدوية المسببة للأرق كما يؤدي القلق والخوف والشعور بالذنب إلى الأرق أيضاً .

والأرق عرضي وليس مرضاً ذا صفة نوعية مستقلة فهو يحدث في كثير من الأمراض الجسمية (التي تترافق بالألم ، فالألم مؤرق كما هو معلوم) **والأمراض النفسية** (كالاكتئاب والهوس Depression and Mania) ، وترتبط شدة الأرق بشدة الاضطراب الانفعالي وبخصائصها الشخصية وبنوع المرض المسبب ويكون علاجه بعلاج السبب أو المرض الأصلي ، وأن المهدئات والمسكنات المعروفة والتي تكاد تصبح شائعة تفيد قليلاً وتضر كثيراً ـ إلا إذا أخذت بعد فحص طبي وتشخيص المرض المسبب ـ لذا فأول نصيحة توجه للمصاب بالأرق أن لا يهمل علاج نفسه عند الطبيب الاختصاصي ، لكن الأرق العادي الذي يكون سببه كثرة المشاغل اليومية وحمل الهموم إلى الفراش ، هذا الأرق توجه لصاحبه النصائح التالية :

١ ـ ضرورة الذهاب للنوم في موعد محدد لأن النوم حينئذ يكون أيسر نظراً لتكون منعكس شرطي يؤدي إلى النوم في هذه الساعة المعينة (٩) .

٢ ـ ضرورة عدم النوم بعد عمل فكري شديد فهذا يعرض للأرق وللأحلام المزعجة ، بآلية لا مجال لشرحها هنا .

٣ ـ ضرورة عدم النوم بعد تناول الطعام مباشرة بل ينتظر ساعة ونصف الساعة تقريباً ، ويفضل القيام بالمشي حوالي ربع ساعة أثناء ذلك .

٤ ـ ضرورة الترويح عن النفس بين الحين والآخر فعلى المرء مثلاً أن لا يغريه كثرة أعماله وشعوره بالنشاط إلى أن يعمل في يوم عطلته الأسبوعية ، سواء كان من أصحاب العمل الفكري أو العمل اليدوي ، إذ إن ذهابه بنزهة إلى الشاطىء أو إلى حفلة مسرحية جيدة يفيد الجسم والنفس كثيراً ويعود لعمله في الأسبوع الجديد أكثر همة ونشاطاً .

٥ ـ لا يظن المرء أنه لا يأخذ حاجته من النوم لمجرد أنه ينام عدداً قليلاً من الساعات برأيه . . فالمهم أن يشعر براحة ونشاط بعد اليقظة ، وتختلف عدد الساعات اللازمة من النوم من شخص لآخر اختلافاً كبيراً .

المنومات Narcotics

ليست المنومات إلا جزءاً من الأدوية المؤثرة في **الجملة العصبية** وتأخذ هذه الأدوية معظم اهتمامات الدوائيين هذه الأيام نظراً للتشابك الكبير بين الانفعالات العاطفية والعمل الفسيولوجي لأعضاء وأجهزة الجسم ، وتقسم أدوية الجملة العصبية إلى ثلاثة أقسام كبيرة :

● أولاً : **أدوية التوجيه النفسي** Psychotropics وتفيد في معالجة الاضطرابات النفسية والأمراض الجسمية النفسية ، والفائدة الكبيرة التي يتوقع الحصول عليها في المستقبل هي الوقاية من الاصابة بالأمراض النفسية .

● ثانياً : **الأدوية المنبهة للجملة العصبية المركزية (المنبهات أو المنشطات النفسية** Analeptics or Psycho Stimulants) .

● ثالثاً : **الأدوية المثبطة للجملة العصبية المركزية** ، وهي ثلاثة أقسام :

أ ـ **المنومات** Narcotics . ب ـ **المسكنات** Sedatives .

جـ ـ **مضادات الاختلاج** Anticonvulsive drugs ، وتوجد أدوية مختلفة قادرة على التأثير على حالتي النوم واليقظة فالمواد التي تسهل حدوث نوم مشابه للنوم الطبيعي تدعى المنومات ، أما المواد التي تعمل على إحداث الصحو فتعرف بالمنبهات لأنها أدوية تحدث تنبهاً دماغياً وترفع الحالة النفسية وتفيد أيضاً في بعض اضطرابات النوم المرضية .

فالمنومات إذن أدوية تتدخل في إحداث نوم هادىء مريح لا يختلف مدة وشدة وقدرة على الصحو بسهولة عن النوم الطبيعي ، وتوجد أنواع عديدة من المنومات ويتعاطى بعض الناس أدوية منومة دون وصفة طبية وهذا خطأ في أغلب الأحيان إذ لا بد كما ذكرنا من أن تعالج اضطرابات النوم علاجاً طبياً عند الاختصاصي وإن أهمل ذلك بتناول المهدئات والمسكنات قد يتفاقم المرض المسبب أو يحدث تغيير في طبيعته وسيره .

المنومات في الطب العربي

في دراسة تاريخ العلوم بما في ذلك علم الطب نجد أن كل أمة تحاول أن تعزو اكتشافاً علمياً معيناً إلى أحد علمائها متجاهلة أنه قد سبق إلى ذلك من عالم ينتمي لأمة أخرى ، لنقل إنه نوع من التعصب الوطني . . وقد لقي **العرب** بالذات من هذا التعصب والتجاهل الشيء الكثير خاصة وقد مرت على الأمة العربية قرون كانت تعاني فيها من التخلف وكان الغرب المتقدم يكتب تاريخ الحضارة بما في ذلك تاريخ العلوم فعزا معظم الأمور إلى نفسه وإلى أجداده من **اليونان أو الرومان** ، وترك في كثير من الأحيان حقبة الحضارة العربية الإسلامية وكأنها لم تقدم شيئاً .

ولسنا بصدد مقابلة التعصب بتعصب مضاد لكننا نجد في موضوعنا هذا بالذات وبكل تجرد أن **الأطباء العرب قد عرفوا الأدوية النباتية المنومة وكانوا يتحدثون منذ القرن الرابع الهجري على الأقل عن علاج النوم واضطراباته بين أبحاثهم الطبية المعتادة** . وعلى سبيل المثال نذكر أنهم أطلقوا على **عشبة الشيكران** اسم المريحة (**أو الطمحاء**) دليل استخدامها في جلب الراحة والنوم وشفاء بعض الأعراض النفسية ، كما أسموا **الخشخاش** أبا النوم دليل استخدامه في هذا الغرض ، وتقول **الدكتورة زنغريد هونكة** في كتابها **« شمس العرب تسطع على الغرب »** إن فن استعمال الاسفنجة المخدرة فن عربي لم يعرف قبلهم ، وكانت توضع هذه الاسفنجة في مزيج من الحشيش والافيون والزؤان وست الحسن Hyacyamus ثم تجفف في الشمس ولدى الاستعمال ترطب ثانية وتوضع على أنف المريض فتمتص الأنسجة المخاطية تلك المواد المخدرة ويركن المريض إلى نوم عميق يحرره من أوجاع العملية الجراحية . وإن استعمال العرب لخلاصات نباتية معينة ومحددة المقدار والنوع بغرض التخدير العام العميق ، عدا عن كون هذا إنجاز حضاري وسبق علمي كبيرين ، فإن هذا أيضاً دليل على أنهم وقبل استخدام هذه النباتات في التخدير قد عرفوا خواص كل عشبة منها على حدة وعالجوا بها الأمراض المختلفة بما في ذلك طبعاً الأرق واضطرابات النوم المختلفة .

ولننقل هذا النص عن الإمام الشامي العالم الموسوعي الكبير **عز الدين السويدي** المولود عام ٦٠٠ هجرية والذي جاء في تذكرته المسماة **« التذكرة الهادية والذخيرة الكافية في الطب »** تحت عنوان علاج النوم : « بزر الخشخاش وقشره إذا طبخ وصُبّ على الرأس جلب النوم ، وكذلك بزر الخشخاش إذا رُضَّ وطبخ مع قشره وغسل به الوجه نوّمه ، وكذلك بزر الخشخاش الأبيض إذا دُقَّ وضمد به الجبين يوماً وليلة نام نوماً معتدلا ، وكذلك الخشخاش الأسود إذا عُمِل منه فتيلة وتحمَّل به جلب النوم ، وكذلك الشعير إذا دلك الرأس بطحينه وأكل جلب النوم لا سيما إن خلط طحينه بسكر ، وكذلك الخس إذا طبخ ونطل الرأس بطبيخه وأكل جلب النوم ، وكذلك حليب الماعز وحليب الضأن إذا عزّق به الرأس مفتراً جلب النوم . . . »

ثم يذكر أن أكل الصبر أو الكرنب أو شم الزعفران أو زهر العصفر يجلب النوم ، ويتابع القول : « وكذلك أكل اللوز الحلو ينوم لأنه يزيد في جوهر الدماغ فيجلب النوم ، وكذلك الحلبة إذا أكلت أنامت وأورثت أحلاماً سارة ، وكذلك الأرز إذا أكل وحده ولم يخلط به غيره أنام نوماً لذيذاً ورأى أحلاماً حسنة » .

وهكذا نرى السويدي يتكلم كلاماً علمياً يسنده بتعليل ، ويربط النوم والأحلام بحالة الشخص وصحته وطعامه ، ويعتبر أمراض النوم وتشويش الأحلام أمراضاً عادية تحتاج لعلاج ولا يربطها بأية قوى غيبية أو ما شابه ذلك .

إدمان المنومات

أما عن الادمان الذي تحدثه بعض الأدوية المنومة فيختلف من نوع لآخر ، ونكتفي بالقول إن بعض العقاقير التي تؤدي إلى الادمان تسبب انعدام مرحلة النوم الخفيف أي تحرم الشخص من مرحلة نوم حركة العين السريعة وهذه المرحلة من النوم ضرورية جداً للانسان إذ بدونها لا يشعر أنه ينال حاجته من النوم ـ كما ذكرنا ـ وحين يوقف تناول العقار تحدث حركة عكسية فيصبح نوم الشخص كله خفيفاً أي كله في مرحلة نوم حركة العين السريعة وحيث تكثر الأحلام في هذه المرحلة فتختلط على المدمن (وهو كثير النوم طبعاً) الأحلام بالواقع فيرى الأحلام والكوابيس ويسمع ويرى أصواتاً وأشباحاً مخيفة معتقداً أن كل ذلك حقائق .

وأخيراً نذكر أن المنومات إذا أخذت بكميات كبيرة تحدث تسمماً ويشاهد ذلك عادة إما أثناء التخدير نتيجة خطأ طبي ما أو يتناولها الشخص كمحاولة للانتحار وقد يلجأ إليها ـ نادراً ـ في حوادث الاجرام إذ تضاف أنواع خاصة من المنومات إلى الكحول أو القهوة أو بعض الحلوى وتعطى لشخص بقصد قتله أو سرقته أو اغتصابه جنسياً . ولهذه الأمور أهميتها القصوى في الطب الشرعي .

الهوامش

١ ـ تقضي بعض الحيوانات فصل الشتاء بكامله في نوم خاص يدعى الاشتاء وهناك اشتاء اصطناعي عند الإنسان يعتبر كنوع من التخدير يتم لاجراء عملية جراحية في ظروف خاصة .

٢ ـ سورة الزمر ، آية ٤٢ .

٣ ـ راجع كتاب الروح لابن قيم الجوزية ، والحديث رواه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

٤ ـ القاضي البيضاوي توفي عام ٦٨٥ هجرية وهو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي . ولد في البيضاء بفارس قرب شيراز ، وتوفي في تبريز ، راجع الأعلام للزركلي جزء رابع .

٥ ـ راجع تفسير البيضاوي .

٦ ـ إن المعلومات الطبية موجودة في الكثير من المراجع الطبية المشهورة ، ولم أجد ضرورة للاشارة إلى كل كتاب طبي أخذت عنه فمعظمها كتب تعتبر مراجع للاطباء مثل كتاب سيسيل ولوب وكتاب برايس و Text book of Pharma . . . الخ وهي طبعاً باللغة الانجليزية .

٧ ـ فكرة عن جهاز تخطيط الدماغ الكهربائي : جهاز يسجل نشاط المخ بشكل موجات ، وحين يكون الإنسان بحالة يقظة وبحالة استرخاء عقلي وجسمي يكون عدد هذه الموجات ١٠ ـ ١٤ / ثانية وذات ارتفاع معين ، أما في النوم فعددها حوالي ثلاث موجات في الثانية لكنها ذات ارتفاع أكبر . . وتتغير في بعض الحالات والأمراض .

٨ ـ تجربة العالم الروسي الشهير بافلوف عن ارتباط تقديم الطعام للكلب المجرب عليه برنين جرس ثم أصبح افراز عصارة المعدة يرتبط برنين الجرس لأنه ينبيء عن قرب تقديم الطعام .

٩ ـ النص عن مختصر تذكرة السويدي للإمام الشعراني .

معماريات :

أرابيسك

★ استطاع الفنان العربي على مر العصور أن يبدع لنا من الخط بأنواعه المختلفة ، العديد من الأعمال التي تكون **أشكالا زخرفية ، هندسية** ، ملأ بها جدران العمارة العربية الإسلامية ، في ايقاعات ذات تناغم بديع .. **مستخدماً في ذلك ، أشكال النباتات والزهور وأوراقها** ، في ليونة متناسقة ، وفي هارموني لوني ، تعبيري .. ولمعالجة الفراغات ، بالأشكال التشكيلية الزخرفية .

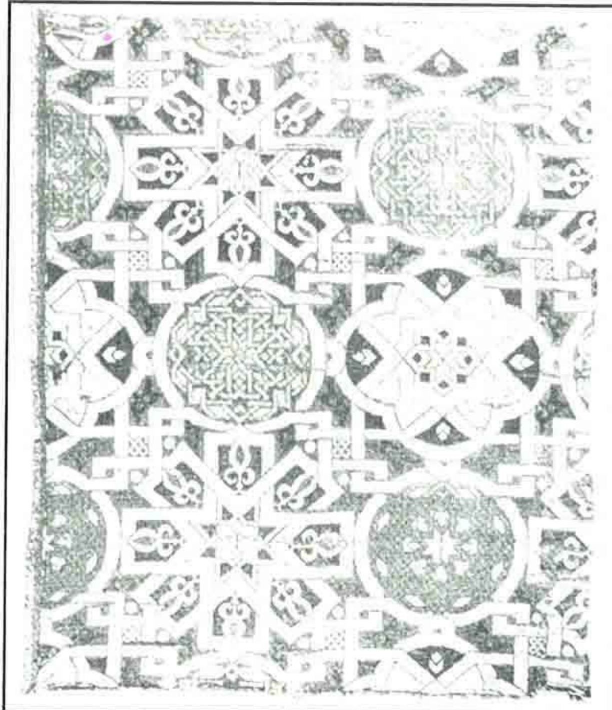
هذا النوع من الزخرف العربي ، أطلق عليه في أوروبا اسم : « **أرابيسك** » ، وعلى الأخص في اللغات الانجليزية والألمانية والفرنسية .. وقد أطلق هذا الاسم أيضاً على زخارف عصر النهضة الأوروبي .

وقد اعتمدت فنون عصر النهضة وازدهارها ، على عناصر الزخارف العربية من حيث التشابه والمزج .. **وعلى الأخص في فنون زخرفة الكتب .. والمخطوطات والقماش .. والخزف .. والمعادن** .

كما يظهر لنا ذلك أيضا في طراز عصر النهضة الفرنسي **(هنري الثاني)** ، خصوصاً في زخارف المخطوطات .

وقد أصبحت كلمة « **أرابيسك** » ، متفق عليها عالمياً بين جميع علماء تاريخ الفن ، بحيث تطلق على فنون البلدان الإسلامية .. وبالذات ، على الزخارف العربية التي تعتمد في أسلوب تشكيلها على الزخارف النباتية .

ثم اشتقت من كلمة « **أرابيسك** » كلمة : « **مورسك** Mauresque » ، اتفق عليها في اللغات الأوروبية ، ويقصد بها تلك الزخارف الإسلامية في المغرب الإسلامي ★



★ زخرفة على نسيج حريري — إسبانيا — في القرن الخامس عشر ، وهو من صنع فنان أندلسي عربي حيث تظهر لنا الزخارف الهندسية « الأرابيسك » ★

أوراق متناثرة



بمناسبة عام الطفل

كلام الصغار للكبار

★ أنا وأصدقائي الصغار ، نحلم بعالم شمسه لا يصبغ وجهها البارود .. ولا يخيف قمره طائرة تحمل القنابل .. عالم بهيج .. تضحك له الشمس .. ويفرح هو في وجهها .. ونحن الأطفال نملأ بضحكاتنا أركانه كلها ★

★ أسألكم أيها الكبار : لماذا عندما تتحدثون إلينا ، تتوهمون أننا لا نفهم .. وأننا غير قادرين على الاستيعاب !! ★

★ نحن في عصر جعلنا نفهم كل شيء .. والشيء الذي فهمناه .. وعرفناه جيداً .. هو أن الحرب شيء غير جميل .. لأنها تهدد عالمنا البريء .. وتأكل نارها قلوب الأمهات .. وتجعل عيوننا شاردة .. ونحن كما تعلمون ، نحلم دائماً بالبراءة .. ★

أهم ملحمة موسيقية في التاريخ

★ إنها « السيمفونية الثالثة » لبيتهوفن ، الذي أطلق عليها اسم « **إيرويكا** » .. ومعناها « **البطولة** » .. أطلق عليها بيتهوفن هذا الاسم اعجاباً منه بنابليون بونابرت ، حيث كان يرى أنه محرر فرنسا .

شخصيات



"الزهراوي" العبقري الجرّاح

★ **الاسم :**
« **أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي** » .

★ **تاريخ الميلاد :**
(٣٢٤ هـ) ، بمدينة **الزهراء** التي أنشأها عبد الرحمن الناصر في ضاحية **قرطبة** .

★ يعتبر واحداً من الأسماء اللامعة في علم الطب العربي القديم ، فهو خبير بالأدوية وتراكيبها ، كما كان جراحاً ماهراً .

★ **من أهم مؤلفاته :**
« **التصريف لمن عجز عن التأليف** » ، ويقع في ثلاثين مجلداً ، فقد معظمها ، ولم يعثر إلا على الجزء الخاص بـ « الجراحات » وهو الذي أكسبه لقب « أكبر جراحي المسلمين » .. بل يعتبر أكبر جراحي العالم دون منافس .

ترجم كتابه هذا إلى العبرية واللاتينية بفينيسيا عام **(١٤٩٧م)** . وفي « استراسبورج » في عام **(١٥٣٢ م)** ، وفي « بال » عام **(١٥٤١م)** .

من وصاياه للجراحين :

أن لا يندفع الجراح إلى العمليات الصعبة مرة واحدة ، لأن الاندفاع يؤدي إلى نتائج خطيرة .

وهذه الحقيقة يعرفها كل جراح معاصر .

★ هو أول من استعمل ربط « **الشرايين** » ، كما نجح أيضاً في عملية تفتيت « **الحصاة** » في المثانة .

★ أول من وصف النزيف واستعدادات بعض الأجسام له .. وكيفية معالجته وتفاديه .

★ قام بصنع « **كلاليب** » لخلع الأسنان ، كما أوضح كيفية « **تصنيع** » الأسنان من عظام الحيوان لتوضع مكان الأسنان المفقودة .

★ تعدت عبقريته الجراحة والطب ، حيث برع في صنع الأغذية وتوضيح حاجتها في الصحة والمرض .. والتعريف بالأوبئة وكيفية طرق الوقاية منها .

رسومات



★ صحن من الخزف، يصور رجلاً يرقص وفي يده البوق ★



★ صحن من الخزف يصور لعبة التحطيب التي لا تزال متواجدة حتى اليوم في بعض قرى مصر ★

★ استطاع الفنان العربي، خلال عصور التاريخ، أن يستلهم الموضوعات من البيئة المحيطة به، ويقدمها في إطار من الإبداع المتقن صناعياً، المشحون بالتعبير والإحساس، في تعبيرية عميقة تدل على ذكائه وسرعة بديهته، مستخدماً الخطوط اللونية في إيقاعات متناغمة ذات إيقاع متحرك، يكوّن سيمفونية من الألوان المعبِّرة عن موضوعه الذي يتناوله ★

أقصوصة قصيرة: في مخيم لاجئ فلسطيني

★ في زاوية الزمن، أمشي على غربتي، أعبر أرصفة الذكريات، أستنشق عطور الماضي. أحاول قطف نجمة بعيدة.. ودائماً تكون الأحلام بعيدة.

على تذاكر الطائرات والقطارات والسيارات، ينزف حزني الذي لا يملك هوية. كان لي في زمن ما أجداد.. وآباء.. ووطن. اليوم أحمل خنجر الهجرة على ظهري وأتجول في طرقات بلا عناوين. الكل يعرفني. والبعض ينكرني. البعض يحاول تضميد جراحي.. والكل يلعب بي.. وكأنني كرة من المطاط، ينفخونني بالكلمات الهائلة.. وسرعان ما يعلو صوتي ويملأ العالم. فجأة.. أجدني قد سقطت على الأرض. تسكن أحلامي في خيمة. أتنصت على صوت البارود. نسيت شكل القمر وكلمات الغزل. نسيت الحروف الأولى من اسمي، كما نسيت نسبي.. ولكن في الذاكرة لا يزال اسم وطني يمزقني، يذبحني كل ليلة. أمد يدي لألمس نسمات خارج الخيمة الممزقة.. حتى النسمات تجرحني كالسكين. أسأل نفسي العاجزة: «إلى متى تظل أحلامي جريحة بلا أجنحة». فجأة.. يأتيني الجواب.. أسمع صوت طلقات وانفجارات.. وأصوات استغاثات تملأ الأفق! ★



أوائل

● أول من وضع الكتاب العربي ●

★ يقال إنه **إسماعيل عليه السلام**، إلا أن أهل العلم يروون أنه «**مرامر ابن مرة**» و«**أسلم بن سلاه**» وهما من «**الأنبار**».

وقد سئل بعض **المهاجرين**: من الذي علمكم الكتابة !! **قالوا**: إن الذي علمنا هم أهل «**الحيرة**».. ولما سئل أهل الحيرة، **قالوا**: لقد تعلمناها من «**الأنبار**».

أخبارهم

★ سألته ابنته: **ما بالك يا أبي تظل هارباً في هذه الصحراء.. فهل أنت تبغي السلامة والاختفاء عن أحد يطاردك؟!**

أجاب الأب:

كليني لهم يا أميمة ناصبِ
وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ
تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ
وليس الذي يرعى النجو بآيبِ

سكتت «**أميمة**» عندما سمعت أشعار أبيها «**النابغة**» الذي كان شاعر النعمان والمناذرة.. وظل «**النابغة**» هارباً عن أراضي الحيرة خوفاً من غضب النعمان.. فقد روي عن سبب هروبه أن «**عصام**» حاجب النعمان، أخبره بأنه هناك مؤامرة دبرها بعض الأعداء لقتله، ونصحه بالهرب إلى أي مكان بعيد، منشداً النجاة.

مرت الأيام.. و«**النابغة**» بعيداً عن أرض المناذرة، مستقراً في أرض الغساسنة.. وقد ظل يلتقط أخبار النعمان.. حتى وصل ذات يوم مكتوب يدعوه أن يعود إلى النعمان، فلما وصل، قال له النعمان: **أمكث هنا فأنت آمن.. ولا نعمان بغير النابغة..** فكان رد النابغة: **ولا نابغة بغير النعمان** ★

السطور الأخيرة

★ شكا أحد العرب القدامى لصديق له، بأنه لن يخالط الناس ! فنصحه صديقه قائلاً: **لا تفعل ذلك، فإنه لا بد للناس منك ولا بد لك منهم.** فهم لهم عندك **حوائج**، وأنت كذلك.. ولكن كن فيهم **أصم سميعاً.. وأعمى بصيراً.. وسكوتاً نطوقاً !** ★

ندوة الشهر

اشترك في العَدَد:

- د. محمَّد الهرفي - السعودية
- د. أحمد كمال زكي - مصر
- د. عَبد السلام الهراس - المغرب
- د. مصطفى حسَين - مصر

لغة الأدب العربي بين الفصحى والعامية

إعداد: د. يوسف نوفل

منذ انتشر الإسلام في الأرض دخلت العربية مع الفاتحين ، وتجاورت مع لغات أهل البلاد المفتوحة من فارسية في العراق ، ورومية في الشام ، وقبطية في مصر .. الخ . وما كاد يمر قرن أو قرنان حتى حلت اللغة العربية محل تلك اللغات .

ونتيجة الاحتكاك المستمر في حركة الحياة اليومية بين الفصحى واللغات المحلية صارت اللغة العربية في حالة غير ما كانت عليه على ألسنة أبناء قيس ، وتميم وغيرهما من القبائل العربية ، ووقف علماء اللغة على استعمالين لغويين :

- **أحدهما :** استعمال لغوي خاضع لقوانين العربية الفصحى .
- **ثانيهما :** استعمال لغوي دارج تتضح فيه سمات كل إقليم .

ثم كان سقوط **الخلافة العباسية** سنة ست وخمسين وستمئة من الهجرة ، وانقسام أقطار العالم الإسلامي إلى دويلات مستقلة ، فازدادت الهوة بين السمات اللغوية للأقاليم العربية ، ورجعت اللهجات - في معظمها - إلى اللغة العربية الأم ، كما أثبتت بحوث كثير من العلماء .

وقد يزعم بعض الناس أن الاختلاف المعاصر للهجات ينبثق من اختلاف قديم للهجات القبائل العربية القديمة . والأمر مختلف كل الاختلاف ، إذ رجعت اللهجات إلى لهجة أم هي **لهجة قريش** التي نزل بها القرآن الكريم . وما ظهر - بعد ذلك - من حديث عن لهجات رجع إلى ظاهرة **(لحن العامة)** أي أخطاء اللغة بين أواسط الناس .

وقد لعب الاستعمار دوراً كبيراً في اضعاف الفصحى وتنشيط العامية ، وتحرك كثيرون صوب اللغة العربية ، فينادون تارة « بالتهذيب » ، وتارة « بالإصلاح » ، وتارة « بالتجديد » ، واتجهوا للقواعد حيناً ، ولطرق الكتابة حيناً ، ورسم الكلمات ، أو القواعد حيناً .

وأسرف بعضهم فنادى بإحلال العامية محل الفصحى أو اللاتينية محل العربية ، وظهرت محاولات لتدريس اللهجات العامية في تعليم اللغة العربية في مدارس أنشئت في **نابولي** سنة ١٧٢٧ م ، وفي **لندن** أوائل القرن التاسع عشر ، وفي **فيينا** سنة ١٩٥٤ م ، وفي **باريس** في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وفي **الجامعات الأميركية** .

اتضحت المشكلة أنها « **ازدواجية اللغة** » بين لهجات حديث بين الناس وفصاحة أدب ونتاج علمي ، وتسرُّب عامي إلى لغة الأدب العربي ، بل غزو استعماري إلى لغة التأليف الأدبي ، كما ظهر في الأدب الجزائري .

من هنا .. حين نطرح هذه القضية في ندوة هذا الشهر إنما نطرحها للأهمية التي تحتلها في هذه المرحلة الفكرية من حياة أمتنا العربية والإسلامية .

اللغة العربية والقرآن الكريم

●● أجاب الدكتور محمد الهرفي مدير المكتبات والمختبرات بالإدارة العامة لكليات البنات بالرياض ، عن سؤالنا عن المدخل الحق لبيان منزلة اللغة العربية والحفاظ عليها في الوقت نفسه :

● لا شك أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في إحدى عشرة آية في كتاب الله . وقد أراد الله عز وجل أن يمتن على العرب ويذكرهم بنعمته عليهم ، ورعايته لهم حيث جعل القرآن الكريم بلغتهم ، واختار نبيّه منهم .

والقرآن الكريم معجز في فصاحته ، فقد تحدى العرب وهم أهل اللغة ، تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، بل بسورة واحدة أو آية واحدة . وهذا التحدي والإعجاز البياني الرائع ما يزال قائماً إلى قيام الساعة .

وليس أدل على أن العرب كانوا يخضعون لإعجاز القرآن ، ويدركون بسليقتهم العربية الأصيلة الإعجاز القرآني من أن بعضهم كان يعلن إسلامه بمجرد سماعه لبعض آيت من القرآن الكريم كعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما سمع أخته فاطمة تتلو بعض آيات من سورة طه .

ولا شك عندي كذلك أن القرآن الكريم حفظ لغة العرب من الضياع ، هذه اللغة التي يحاول البعض الآن مقاومتها واضعافها عن طريق الدعوة إلى استبدال اللغة العامية بها بحجة صعوبة العربية واستعصائها على أفهام البعض .

والذي أراه أن **تتبنى الجامعات والمؤسسات العلمية دعوة جادة للعودة إلى لغة القرآن الكريم** ليفهم المسلمون دينهم ولغتهم ، بل وليفهم بعضهم لغة البعض الآخر . والله الهادي إلى الصواب .

حفظ القرآن لغة العرب من الضياع



★ د. محمد الهرفي ★

لغة الحوار

كثر الجدل حول لغة الحوار في الأدبين القصصي والمسرحي، وأضحى لكل اتجاه أنصاره، فهناك من ينادي بالفصحى، وهناك من ينتصر للعامية.

حتى الكتّاب الذين أدلوا بآرائهم لم يوفقوا أحياناً في المطابقة بين آرائهم المعلنة وإنتاجهم القصصي. ومن الكتّاب من بدأ متحمساً لعامية الحوار، ثم عدل عنها إلى الفصحى **كمحمود تيمور**، الذي قيل إنه صنع ذلك طموحاً إلى عضوية مجمع اللغة العربية، ونادى في مؤتمر المستشرقين بهولندا سنة ١٩٣١م، **باللغة الثالثة** التي هي فصيحة في المفردات والإعراب عامية من ناحية التركيب والدلالة مع مراعاة تسكين أواخرها. ورفضها كثير من النقاد واللغويين، ثم جاء **توفيق الحكيم**، وأعلن عن إيمانه بها وتطبيقه لها في بيان بمسرحية الصفقة سنة ١٩٥٦م.

أما **نجيب محفوظ**، فقد انتصر للفصحى في آرائه وإنتاجه القصصي.

ونتجه بعد هذا التقديم إلى ناقد أكاديمي أسهم اسهاماً ملحوظاً وبارزاً في حركة النقد الأدبي الحديث، هو **الدكتور أحمد كمال زكي، أستاذ النقد والأدب المقارن في جامعتي عين شمس والرياض.**

●● **عن لغة الأدب بين الفصحى والعامية واللغة الثالثة... ما موقف النقد منها وما نظرته لها؟**

● من الصعب اعتبار النتاج الأدبي أدباً إلا إذا كان بلغة الأدب، ولغة الأدب - في مواصفاتها العامة - فصيحة لا جدال في فصاحتها.. ويوم تدخل في الأدب «**يارا**» مثلاً **لسعيد عقل** أو «**الطين والقمر**» **لصلاح جاهين** - لأن الأداء فيهما يعتمد عدة مواصفات للأدب الفصيح، كالوزن مثلاً أو التخييل المرتبط بنظريته المعروفة، فإن ذلك يكون على حساب الأدب الحقيقي.

إن العامية في لبنان أو في مصر لها أدبها الخاص بها، ولها جمالياتها التي تقبل تسخيره لخدمة أية قضية مهما تكن أهدافها.. وهذا ما لا يقصد إليه الأدب الحقيقي - ولنسمّه أدب اللغة الفصيحة، لأنه يخضع لقانون يربطه بالذوق العربي العام وبهموم الشعب العربي وتطلعاته.. وفي نطاق التعبير يختار، أو لا بد أن يختار، ما يقع في دائرة تلك التطلعات، ومن هنا تغيب بالضرورة فينيقية سعيد عقل أو تسيّساته الرامية إلى خلق لبنان الغربي (بالغيْن) المبشِّر بثقافة الغرب.. كما تغيب نعرة صلاح جاهين المصرية، وربما يفوت على كثير منا فهم كتاباته وتورياته لأنها مما لا تعرفه أنماط التعبير العربي الفصيح.

ويعني هذا نوعاً من الصداع يصيب عربيتنا بين الحين والحين، ولكنه في رأيي لا يسبب مرضاً عضالاً لا يمكن البرء منه.. فالعربي في كل مكان يؤمن بلغته الأدبية الموحّدة، وينام على ضيم عامياته لأنها جزء من قوميته تماماً، كما كان العرب - قبل نزول القرآن الكريم - يجمعون على لغة أدبية بجانب لغات أخرى، سميت أحياناً لهجات ووضعت من بينها **الكشكشة والطمطمانية** ونحوهما.

على أن هناك - في العامية - ما يمكن أن يكون تهديداً للفصحى إذا كان من ورائها شاعر كسعيد عقل، إذ يسقط عليها من طاقاته الجمالية ما يجعلها منافساً خطيراً للعربية. بل قد يزاحمها بها، ويتمكن من اقرار آرائه التي يرفضها المجتمع العربي برمته.



★ د . أحمد كمال زكي ★

من الصعب اعتبار النتاج الأدبي أدباً إلا إذا كان بلغة الأدب ، ولغة الأدب فصيحة لا جدال في فصاحتها

وفي ظني أن مهمة النقد لا تقف عند حدّ الرفض لعمل سعيد عقل ، وإنما لا بد من لفت الأنظار إلى خطورة مبادئه السياسية أو الإقليمية ، وإزاحتها بالبديل العربي المجمع عليه .

وتصبح قضية الازدواجية في لغة الأدب - بعد ذلك - في لا محل كما يقول الأزاهرة عندنا . ولكن إذا كانت الازدواجية تعني استعمال عربية تقع بين الفصحى والعامية ، فالأمر يختلف لأننا هنا أمام لغة صحافية أو لغة إعلامية سقيمة يمكن أن تُقرأ معربة بالمقدار الذي تقرأ به غير معربة . . وفي ذوقي أنها سقيمة ومخزية ويجب على الموجِّهين في أجهزة الإعلام محاربتها ، وبخاصة إذا كان أصحابها ينقصهم العلم اللغوي المسدّد ، أو كانوا يتظرفون أو يستجدون رضاء القارىء أو المستمع ، وقد تبلغ القمة ببعض هؤلاء أن يتندّر على **سيبويه** .

ومجمل ما يمكن أن يقال في هذه اللغة إنها ليست لغة أدب ، وبالتالي تصبح كل الأعمال التي تصاغ بها فاقدة مواصفات النتاج الأدبي حتى ولو كان الداعي إليها توفيق الحكيم رافع راية « اللغة الثالثة » ، وهذا الأديب الكبير - بالرغم من ثقافته الرفيعة الواسعة ــ يفتقد الثقافة اللغوية الرصينة ، وقد كشفت لقاءاته التليفزيونية والصحافية عن أنه أعجز من أن يقيم العربية الفصيحة ، ويعني هذا أن لغته الثالثة « اختراع » عاجز وليس اختراع أديب قادر على العطاء بأيسر وسيلة .

وبالمناسبة أذكر لغة « **المازني** » لأضعها - في مقام اللغة الثالثة - مقابل لغة توفيق الحكيم ، فنترحّم على أديب عظيم يعرف كيف يصل إلى قلب القارئ بالأداء السهل الممتع ، وقد حاول هذه اللغة - فيما بعد - **يحيى حقي** ، فأخفق لأنه وقف عند حد استخدام الفصيح الذي تداولته العامة حتى ظن أنه من لغتهم ، كما أكثر من استخدام ألفاظ الحضارة المستحدثة .

وبعد ، فأنا أقبل اللغة الثالثة إذا كان وراءها شخص كالمازني ، لأن هذا يدل على أصالة عبقرية وليس على اخفاق عاجز ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

اللغة في الأندلس وصقلية

●● إذا تساءلنا عن حياة اللغة الأدبية خلال عصور ازدهار الأدب العربي في الأندلس وصقلية ، يجيب الدكتور عبد السلام الهراس ، أستاذ الأدب الأندلسي في كلية الآداب جامعة محمد بن عبد الله في مدينة فاس بالمغرب .

● حلت اللغة العربية بالأندلس بحلول الفاتحين المسلمين بها ، وكان **أول أثر أدبي باللغة العربية** سجل بالأندلس **خطبة طارق بن زياد** البربري الأصل ، وهذا يدل على أن الإسلام خير حامل لهذه اللغة وناشر لها بين من يدخل فيه ويصبح مواطناً في دولته ، فالطليعة الفاتحة بقيادة طارق ، كان معظمها مغربياً بربرياً ، ومع ذلك خطبهم قائدهم بلغة عربية عالية[1] .

فلما توافدت على الأندلس الطلائع الفاتحة الأخرى ، تكاثر العرب وغيرهم من المسلمين وانتشروا في جبالها وسهولها ، وكادوا يغطون شبه الجزيرة كلها وإن كانوا قد تجاوزوا حدود اليابسة إلى داخل البلاد الكبيرة : بلاد الفرنج .

انصهرت عناصر المجتمع الأندلسي الجديد ونبغ فيه كثير من الكتّاب والشعراء واللغويين والنحاة والعلماء من أصول عربية وغير عربية من مغربية وفارسية وإيبيرية وصقلبية ويهودية ومن أعلام هؤلاء المبكرين : **خالد بن زيد وعباس بن فرناس وأبو موسى الهواري ويحيى بن يحيى الليثي وسليمان بن وانسوس** ومن قبلهم **مهدي بن مسلم** وغير هؤلاء ممن كثروا بعد قرنهم إلى ضياع الأندلس .

عامية الحوار خطأ كبير في فهم الواقعية .. والمسرح العربي في انتكاسة مترديّة !!

وقد حققت الفصحى انتصارات هامة عبر التاريخ الإسلامي بالأندلس ويتجلى ذلك فيما يلي :

١ ـ أن التعبير الأدبي والعلمي والإداري لم يكن إلا بها . حتى أن **نصارى الأندلس أقبلوا على اللغة العربية بإعجاب** ، يتذوقونها ويتمتعون بأساليبها ويتباهون بالإبداع فيها .

ولم يسجل أدب غير فصيح طيلة خمسة قرون على الرغم من وجود لهجة عامية أندلسية ، بل إن **ابن بسام** (توفي ٥٤٢ هـ) ، صاحب كتاب « **الذخيرة** » أعرض عن ايراد الموشحات في كتابه معللاً ذلك بقوله : « وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض كتابنا هذا إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب » ، فالتعصب كان أيضاً حتى لأوزان الخليل !!

وكان الأندلسيون يتصدرون لكل لحن أو انحراف في اللغة أو النحو ، لذلك اعترض **أبو الكوثر الخولاني الأشبيلي** على قول **أبي محمد الأعرابي** الطارىء على الأندلس ، مخاطباً الأمير : « تالله ما سيدتك العرب إلا بحقك » فقال له : « العلماء عندنا بالعربية يقولون سودتك » وبعد حوار صرّفي أفحم الأندلسي الأعرابي ، وقد ألف **الزبيدي** (ت ٣٧٩ هـ) ، كتاباً في لحن العامة للتنبيه على ما أفسدته العامة بالأندلس ، ولكن الغريب أن عامة الأندلس كما يقول الزبيدي كانت تنطق بالصواب في كثير من لحن المشارقة المذكور في كتاب « **لحن العامة** » **لأبي حاتم السجستاني** (ت ٢٢٥ هـ) .

وقد ظل الأندلسيون متعصبين للفصحى ويمقتون اللحن ويعدونه مخلاً بصاحبه وقد ظل هذا إلى أيام قريبة في المغرب الذي هو امتداد للأندلس ، فقد كان اللحن قادحاً في علم صاحبه ولو كان من كبار العلماء . (وإن كنا اليوم بدأنا نتساهل في هذا المنكر !!) .

٢ ـ الإنتاج الأدبي الضخم الذي تركه أدباء الأندلس شعراً ونثراً في موضوعات شتى ، وقد ضاع جلة والباقي يدل على العظمة الأدبية لهذه الجزيرة .

٣ ـ الازدهار اللغوي والنحوي بالأندلس ونبوغ كبار اللغويين والنحاة بهذه الجزيرة ويكفيها فخراً تبنيها **لأبي علي القالي** ومدرسته العظيمة وما برز فيها من الأعلام مثل : **ابن سيدة وابن السيد البطليوسي وسهل بن مالك الغرناطي وابن حيان الغرناطي وأبي علي الشلوبيني وابن مالك الجيالي** الذي شرقت ألفيته وغربت وما خلفه هؤلاء وغيرهم من تراث ضخم في هذا الميدان .

٤ ـ الإنتاج العلمي والفقهي والفلسفي الذي كان له أثر بعيد وعميق في حضارتنا والحضارة الإنسانية ، وفي هذا الأسبوع فقط قال أحد نوابغ الاستشراق الإسباني في محاضرة له بالرباط : « **إن الحضارة الأندلسية هي قوام الحضارة الأوروبية** » وكان يتحدث عن شؤون لغوية .

٥ ـ الاشعاع الثقافي العظيم بهذه اللغة على إفريقيا والمشرق وغيرهما عن طريق الهجرة والرحلة بما ربط أجزاء الأمة الإسلامية برباط قوي .

ولو حافظ المسلمون على الأندلس لكان شأنهم اليوم غير ما هم عليه . ومع ذلك فلئن ضاعت أرض الأندلس فتراثها العظيم لا يزال حياً وقوياً في حياتنا العلمية والثقافية .

أما **صقلية** ، فلم تكن في مستوى الأندلس لا على الصعيد الشعبي ولا على الصعيد العلمي لظروف الفتح واضطراب الحكم بها ، ورغم ذلك فقد أسهمت



★ د . عبد السلام الهراس ★



★ د . مصطفى إبراهيم حسين ★

صقلية بعلماء كبار في ميدان اللغة العربية والأدب العربي وأنجبت لنا أمثال **أبي بكر بن البر التميمي وابن القطاع صاحب الدرة الخطيرة وابن مكي صاحب كتاب تثقيف اللسان**، الذي تصدى لإصلاح أغاليط الناس وتصحيفاتهم، كما أنجبت شعراء كباراً، مثل **أبي العرب الصقلي وابن حمديس**.

إن الجزيرتين قامتا برسالة عظمى في ميدان خدمة الفصحى وفكرها الإسلامي على اختلاف بينهما في الدرجة. وكان لضياعهما اطفاء أو تقويض لمنارتين حضاريتين يشعان على الشرق والغرب. وفي نفس الوقت كان ضياعهما درساً عظيماً لباقي البلاد الإسلامية لتستفيد منه قبل فوات الأوان وليعتبر به أولو الأبصار.

لغة المسرح

●● ويتحدث الدكتور مصطفى حسين عن لغة المسرح، ودعوى واقعية الأداء:

● إن لفظ (الآن) لا يحدد على وجه الدقة حجم الزمن الحاضر الذي نقصده ولكن إذا شئنا، فلنحصر الفترة في السنوات الخمس الأخيرة. وإذا نظرنا فيما قدمه المسرح العربي خلال هذه السنوات، لوجدنا أن لغة المسرح مرتبطة بطبيعة المستوى الفني إلى حد كبير، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإن هذه اللغة مرتبطة أيضاً بالاعتقاد السائد بين كتَّاب المسرح. إن اللغة في المسرحية جزء من سائر العناصر الفنية التي يرتكز العمل المسرحي عليها. وأرجو أن أعفى من ذكر الأمثلة وأن يكون الحديث العام أفضل من التحديد والتمثيل.

فأما ارتباط لغة المسرح بالمستوى الفني للمسرح ذاته، فشيء ملحوظ، فإن أكثر ما عرضته دور المسرح في بلدان عربية يشير إلى انتكاسة متردية للمسرح العربي. فهو أولا من نوع (الفارس) أي الاضحاك لذات الاضحاك، وهو ثانياً من نوع الاقتباس. ولم تعد لدينا أقلام «عربية» قادرة على كتابة النص المسرحي المؤلف. ومن هنا كان الحرص على اللهجة العامية تحقيقاً للغاية، أو لنقل تحقيقاً لـلاغاية. وليتها لغة عامية تقترب من اللغة المشتركة يفهمها المشاهد العربي ولكنها من نوع «العامية الإقليمية جداً» التي لا تكاد تفهم إلا للبلد الذي تعرض فيه المسرحية.

من هنا فلغة المسرح العربي (الآن) تحقق من الفصل للوجدان العربي والفكر العربي أكثر مما تحقق من التواصل والترابط على المستوى العربي.

أما عن ارتباط لغة المسرح بالاعتقاد السائد بين كتَّاب المسرح، فأساسه أن هؤلاء الكتَّاب يقعون في خطأ كبير، إذ يرون أن العامية تعبير عن واقعية المسرح ذاته. وهذا خطأ كبير في تفسير واقعية اللغة، وفي اعتقادي أن الفصحى قادرة على التعبير عن أنماط وأبعاد مختلفة من المواقف والشخصيات. وكم من عامية بعيدة في أدائها وتوظيفها عن الواقعية. إن كتَّاب المسرح بحاجة إلى الإفادة من تجارب كبار الروائيين العرب مثل نجيب محفوظ، بل وبعض كتَّاب المسرح الجادين، مثل ألفريد فرج

أول أثر أدبي بالأندلس كان خطبة طارق بن زياد

تعقيب

نخلص من ذلك إلى أن القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين حفظ اللغة العربية، وجعلها رسول ثقافة إلى شتى الأقطار العربية.

وإلى أن الجامعات العربية منوطة بواجب ديني وقومي وهو إحياء اللغة العربية والمحافظة عليها وتشاركها في ذلك كل المؤسسات العلمية والثقافية.

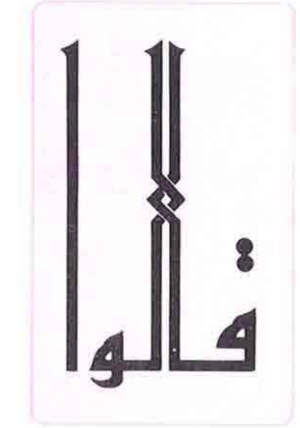
وإلى أن واقعية الأداء الفني في القصة والمسرح لا تعني العامية، لأن الفصحى قادرة على التعبير عن أنماط وأبعاد مختلفة من المواقف والشخصيات.

وإلى أن اللغة العربية ازدهرت في أدب الأندلس وصقلية في العصور الوسطى.

وإلى أن النقد الأدبي في العالم العربي مكلف بقيادة الفنون الأدبية إلى اللغة السليمة الجميلة الخالية من شوائب العجمة، وفساد العامية طموحاً إلى أدب خالد حيّ متجدد على الدوام، وأنه يرفض «اللغة الثالثة»، التي دعا إليها بعض الداعين.

الحواشي

(١) وقد أثبتنا في بحث مستقل أن الخطبة ثابتة له، وأن الشك في نسبتها لطارق غير مبني على أسس مقبولة، وبخاصة ما يتعلق بمصادرها وروايتها.



عن: الإسلام

★★ إن روح الإسلام في تصوري يمكن أن تمتص نزاعات التفرقة العنصرية التي تصاعد أوارها في هذا الزمن كما يمكنها أن تنشر السلام بين الشعوب .

أرنولد توينبي

★★ إنها روح الحقيقة تلك التي تنير قلوب المؤمنين ، تلك القلوب التي لا تهدأ حتى تفنى في معتقداتها قولا وعملاً ، وهي التي لا تستكين حتى تحمل رسالتها إلى كل روح إنسانية حتى يصبح ما تؤمن به حقيقة لجميع أفراد الأسرة الإنسانية . هذا هو الحماس الحقيقي الذي ألهم المسلمين فحملوا رسالة الإسلام إلى كل البلاد التي دخلوها .

ت . أرنولد
في كتابه التبشير الإسلامي

★★ إن الإسلام يضم بين ثناياه الدعوة إلى أخاء بين كل الأجناس والألوان والأمم ، وذلك أكثر من كل الديانات الأخرى .

جيمس ميشنر
في مقاله بمجلة الريدرز دايجست
يوليو / حزيران ٧٥

★★ إن الإسلام بالرغم من أنه قد نبع وتمركز في مكة فليس هو دين عربي وليس هو تكييف عربي لدعوة التوحيد التي جاءت بها اليهودية أو المسيحية بالعكس فإن كل الدلالات الإسلامية توظف مهماتها للارتقاء بالمفاهيم الدينية للعرب ولغير العرب وبالمعايير الأخلاقية إلى تلك المستويات التي جاء وبشر بها كل الأنبياء الأوائل .

جيب (في كتابه الإسلام مسح تاريخي)
الطبعة الثانية ١٩٧٥ م

★★ لم يعد في الامكان السخرية من الإسلام علاوة على ذلك فإن الإسلام ظل كقوة حتى في حالة انحسار الدعوة .

ليونارد لويس
كتاب (الإسلام في التاريخ)

★★ يبدو أن الإنسان إناء وجاء الإسلام لملء هذا الإناء أولا بالحقيقة المطلقة ، وثانياً بالقانون المطلق . لذا فإن الإسلام في الجوهر حقيقة وقانون أو الحقيقة والقانون تخاطب الأولى العقل والأخيرة العقيدة .

فريتجوف شئون
كتاب (فتح الإسلام)

★★ كان الإسلام العامل الفاصل في تقدم الابداع الثقافي .

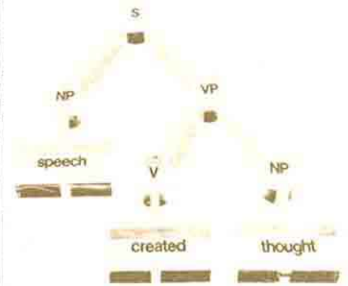
من مقدمة كتاب
النزعات الحضارية للعرب ١٩٦٧ م

رحلة في



a Pelican Original

New Horizons in Linguistics
Edited by John Lyons



كتاب

حرّره وأعدّه للنشر
جون ليونز

عرض وتحليل
ياسر الفهد

آفاق جديدة في العلوم اللغوية

وصلت العلوم اللغوية - أي الدراسة العلمية للغة - في السنوات الأخيرة إلى مرحلة متقدمة أصبحت معها النتائج المستخلصة عن هذه الدراسة هامة بالنسبة لعلماء النفس والاجتماع والانثربولوجيا والفلاسفة والأدباء وغيرهم ممن يعنون بشكل أو بآخر بموضوع الكلمات ومعانيها .

وقد أُلف كثير من الكتب في هذا الموضوع ومنها : **العلوم اللغوية** (Linguistics) **لدافيد كريستال** ، والعلوم الصوتية (Phonetics) ، تأليف **و. كونور** ، والنحو والصرف (Granmat) ، تأليف **برانك بالمير** . ومن بينها الكتاب الذي بين أيدينا وهو يضم بين دفتيه (٣٦٦) صفحة باللغة الانجليزية ، ويحتوي على مجموعة من المقالات قدمها (١٧) متخصصاً وخبيراً انجليزياً وألمانياً وأميريكياً في حقول مختلفة من العلوم اللغوية ، وتؤلف تقريراً وافياً حول أحدث الاتجاهات السائدة في كل فرع من فروع العلوم اللغوية . **وهذه الخلاصات عن الأبحاث والنظريات الجديدة في الفونولوغيا والموروفولوجيا والنحو والصرف وعلم المعاني مفيدة جداً بالنسبة للمثقف العادي والباحث على حد سواء .**

كما أن الطلاب الذين يدرسون في الفروع اللغوية المختلفة يمكن أن يفيدوا منها أيضاً . وقد جمعها وعلق عليها وأعدها للنشر **العالم اللغوي جون ليونز** ، وفيما يلي خلاصة عن سيرته كما وردت في بداية الكتاب :



★ تشومسكي ★



★ سكنر ★

حياة جون ليونز

ولد في **إنجلترا** في عام ١٩٣٢م، ودرس في كلية **القديس بيد في مانشستر**، ثم في **كلية المسيح في كامبردج**. وفي عام ١٩٥٣م، نال شهادته الأولى في **القواعد الكلاسيكية**، وفي العام التالي حصل على الدبلوم في **التربية**، وبعد انتهائه في خدمة العلم في **سلك البحرية**، عاد إلى كامبردج وبدأ يعد **للدكتوراه في الأدب**، وبعد نيلها **عين محاضراً في مدرسة الدراسات الإفريقية والشرقية في جامعة لندن**، ثم في جامعة كامبردج، ومنذ عام ١٩٦٤م، أصبح **يشغل وظيفة بروفسور في العلوم اللغوية العامة في جامعة أدنبرة**.

وفي عام ١٩٦٥م، أصدر صحيفة «**العلوم اللغوية**» التي استمرت في الصدور لمدة أربع سنوات، ثم توقفت بعد ذلك.

ومن الكتب التي أصدرها:

١ - علوم النحو.

٢ - مقدمة في العلوم اللغوية.

٣ - تشومسكي.

٤ - آفاق في العلوم اللغوية.

ويمثل كتابه الأخير موضوع بحثنا هذا: **صدر هذا الكتاب حديثاً عن مؤسسة بنجوين للنشر**، ويضم خمسة عشر فصلاً أسهم في تدبيجها إلى جانب محرر الكتاب وناشره عدد من المختصين اللغويين العالميين أمثال: **(د. فراي) و(م. بيروتش) و(ح. ثورن) و(م. بوت) و(ر. ويلز) و(ح. ليرد) و(هـ. كلارك) و(ب. كيبارسكي)** وغيرهم.

ويشمل الكتاب بالإضافة إلى الفصول الرئيسية على ثبت بأسماء الكتب والمقالات التي أشير إليها كمراجع ضمن الكتاب وعلى مسرد لشرح العبارات والمصطلحات الفنية الواردة فيه. هو ليس معرباً بالطبع.

أصل اللغة ... ونشأتها

ويحتل **المدخل** (هو يمثل فصلاً كاملاً) حيزاً كبيراً نسبياً منه، ويدور حول **أصل اللغة ونشأة العلوم اللغوية وأهميتها وفروعها المختلفة**: وأصل اللغة مشكلة شغلت عقل الإنسان وشحذت خياله منذ زمن طويل. وقد دلت الشواهد على أنه ليست هناك جماعة بشرية في الماضي أو الحاضر إلا وملكت لغة متطورة وهذا يدل على عدم وجود أدنى علاقة بين اللغة والعرق أو بينها وبين الوراثة، فأي طفل مهما كان أصله السلالي أو تركيبه الوراثي يستطيع أن يكتسب لغة الوسط الذي يعيش فيه، وذلك بطريق التعلم (أو الاكتساب).

وهناك عدة نظريات بشأن كيفية تعلم اللغة ومنها **نظرية سكنر** الذي يرى أن **الطفل يتعلم اللغة من بيئته**، فيبدأ في اطلاق هذيانات كلامية عشوائية ثم يأخذ في تعلم الكلمات الصحيحة بالتدريج. ولكن **تشومسكي** يقف معه على طرفي نقيض ويؤمن بأن الطفل يملك استعداداً فطرياً لاكتساب اللغة تشهد عليه السرعة الكبيرة التي يتعلم بها الطفل الكلام. **وهناك فرضيتان بشأن ظاهرة التعلم بوجه عام، وتعلم اللغة جزء منها:**



★ واطسون ★



★ بافلوف ★

١ ـ الفرضية التجريبية ويرفع لواءها بوجه خاص علماء النفس السلوكيون ومنهم **واطسون وبافلوف وسكنر** وهم يرون أن التعلم هو عادة ويتم باكتساب الخبرات البيئية دون أن يكون للوراثة دور في ذلك .

٢ ـ الفرضية العقلانية ويؤمن دعاتها ومنها **تشومسكي** بأن الفطرة والوراثة تقومان بدور أساسي في عملية التعلم والاكتساب[1] .

وتشير الدلائل إلى أن **اللغة المنطوقة** وجدت قبل **اللغة المكتوبة** أو المدونة . ويمكن دراسة اللغة دراسة علمية منظمة بواسطة العلوم اللغوية (Linguistics) وهذه العبارة كثيراً ما نجدها في الكتب المدرسية وقد استعملت لأول مرة في منتصف القرن التاسع عشر . وفي الماضي كانت اللغة تدرس ضمن نطاق الفلسفة والنقد الأدبي وعلم المنطق وغيرها إلا أن تدريسها منذ نصف قرن أصبح يجري بصورة مستقلة ضمن حقل العلوم اللغوية . وبذلك تحولت إلى علم مستقل قائم بذاته وله طرقه المنهجية وقواعده وأصوله كغيره من العلوم .

عناصر عملية إدراك الكلام

وفي **الفصل الثاني** من الكتاب يبين الكاتب **العناصر** العديدة التي تدخل في **عملية إدراك الكلام** ، وهو يرى أن هذا الإدراك لا يمكن تفسيره على أساس صوتي فقط ، فالأصوات ليست أكثر من دليل أو مرشد يساعد على تعرف الكلمات وتمييزها . أما **إدراك المعاني** ، فهو إن كان يتأثر دون ريب **بالنظام الفونولوجي الصوتي** ، إلا أنه بمجمله يعد نتاج وثمرة عملية اكتساب اللغة بكل ما تنطوي عليها هذه العملية من اعتبارات معقدة سيكولوجية ونفسية .

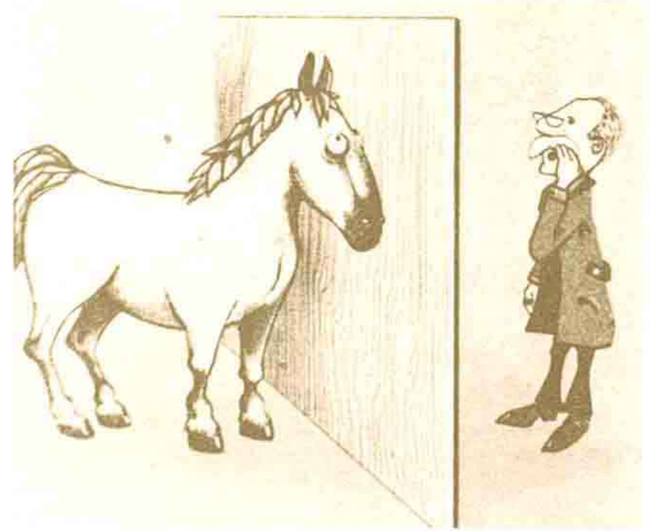
ويشرح الكاتب في هذا الفصل أيضاً الوحدات الأساسية للغة وهي الفونيات[2] ، والمورفيات[1] والكلمات والجمل .

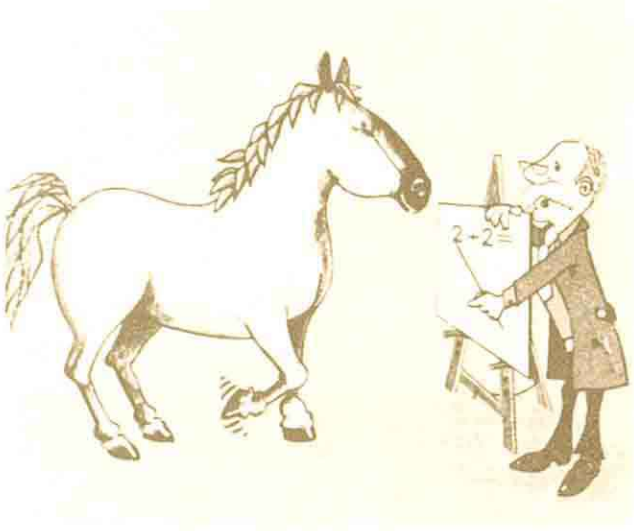
طرائق دراسة نظام الأصوات

ويتناول **الفصل الثالث** الطرائق المنهجية المختلفة المستعملة في دراسة نظام الأصوات الكلامية ، وأحدثها **الطريقة القياسية** التي تعتبر النظام الفيزيولوجي للنطق نظاماً معقداً تتناسق فيه النشاطات المتفاعلة المستمرة للمكونات المترابطة الخاصة بعملية النطق تناسقاً زمنياً معقداً . وهذه الطريقة تقود بصورة مباشرة إلى الاهتمام بنظام الضبط العصبي (Neural Control System) القادر على تنسيق الحركات المعقدة لأعضاء النطق في أثناء إنتاج الكلام . وتدخل دراسة الجوانب الوظيفية لنظم الضبط العصبي المستعملة في إنتاج الكلام ضمن حقل **(العلوم اللغوية ـ العصبية)** (Neuro Linguistics) ويهتم هذا الفصل بصورة خاصة بالاسهامات التي يستطيع المختص في العلوم الصوتية أن يقدمها في هذا الحقل الجديد للأبحاث ، كما يعرض **لنظرية الكلام** (Theory of speech) التي يتوقع أن يضعها المختصون في العلوم الصوتية في أُطر اجتماعية وسيكولوجية وبيولوجية أوسع من الأطر التي استعملت فيها حتى الآن .

الفونولوجيا

والفصل الرابع خاص **بالفونولوجيا** فمعظم اللغويين يعتبرون





الفونيمية إحدى الوحدات الأساسية للغة ، لكنهم يختلفون في تعريفهم ، فبعضهم أطلق عليها تعريفاً سيكولوجياً وآخرون وصفوها وصفاً مادياً فيزيائياً ، ومنهم من قال بأن الاعتبارات النحوية يجب ألا يكون لها شأن في التحليل الفونولوجي ، وغيرهم أصر على أن هذه الاعتبارات جوهرية . وهذه ضمن المشكلات التي أدت إلى نشوء خلاف دار رحاه بين مدارس الفونولوجيا المختلفة في السنوات الأخيرة .

ويخلص الكاتب أخيراً إلى نتيجة أن الفونولوجيا ، شأنها في ذلك شأن علم المعاني وكل فرع من فروع العلوم اللغوية قد تأثرت تأثراً كبيراً بتطور النحو والصرف .

علم المورفولوجيا

ويتعرض **الفصل الخامس** للتطورات الحديثة في **المورفولوجيا** وتوصف المورفولوجيا بأنها **علم مكمل لعلم النحو وهي تعنى بالتركيب الداخلي للكلمات** مثل (تسلسل المورفيمات) **في حين يهتم النحو بكيفية وضع هذه الكلمات في جمل .** لكن الكاتب يوضح لنا أن العلاقة بين العلمين ، في بعض اللغات على الأقل ، هي أعقد من ذلك بكثير ، وهو يقدم لنا في هذا الفصل صورة مفصلة عن أحدث التطورات في علم المورفولوجيا ومقترحاته الخاصة لتطوير هذا العلم الناشىء .

نظرية تشومسكي

ويدور **الفصل السادس** حول **نظرية تشومسكي في النحو والصرف** التي يعد نشؤوها واحداً من أهم التطورات في النظريات اللغوية الحديثة . فكثير من الكتب تفترض سلفاً أن القارىء يعرف المبادىء العامة لهذه النظرية ، مع أن كثيراً من المثقفين لا يلمون بها . والهدف الأساسي من هذا الفصل تقديم خلاصة عن هذه المبادىء حتى يفيد منها القراء الذين لا يملكون خلفية من المعلومات حول الموضوع . **ويمكن تعريف نظرية تشومسكي بأنها النظرية التي تعالج نظام القواعد والأحكام التي تحدد وتعين كيفية اجتماع الوحدات الأساسية للغة اجتماعاً صحيحاً وسليماً ومنتجاً وواضحاً .** وهنا نجد أن النظرية تغطي عنصرين : الجانب المنتج من اللغة وجانب الوضوح والسلامة فيها . وبعد ذلك يقدم الكاتب عرضاً لأعمال الباحثين ودراساتهم التي انتقدوا فيها نظرية تشومسكي .

وظائف اللغة علمياً

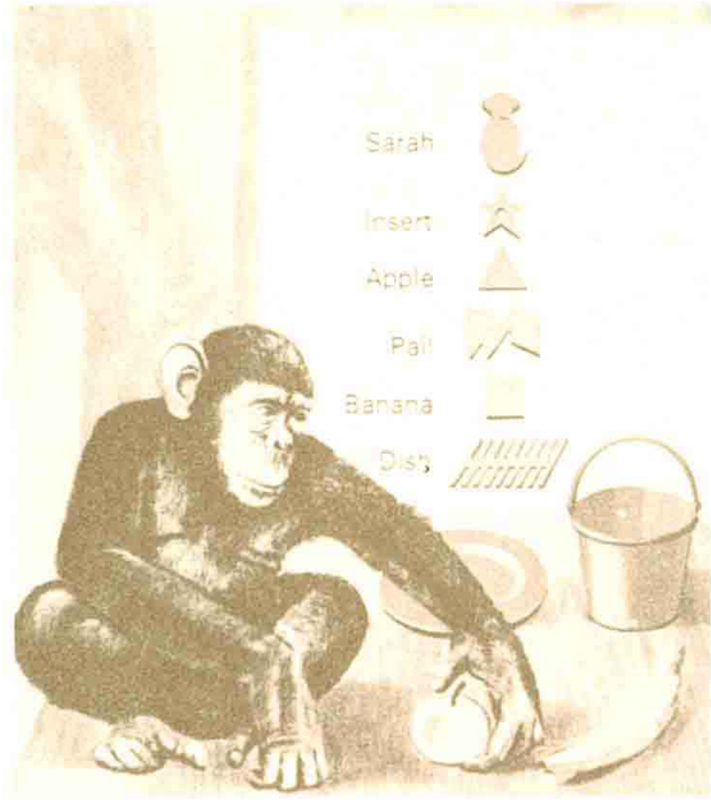
أما **الفصل السابع ،** فيهتم بوظائف اللغة في ضوء استعمالاتها العلمية . ويشير الكاتب في هذا المجال إلى **ثلاث وظائف رئيسية** لها وهي :

٢ ـ الوظيفة التصويرية ـ التعبيرية .
٢ ـ الوظيفة الاجتماعية .
٣ ـ الوظيفة النَّصِّية .

علم المعاني

ويختص **الفصل الثامن بعلم المعاني ،** فقد ظهر في السنوات





القليلة الماضية اهتمام متجدد ملحوظ بين اللغويين **بنظرية معاني الألفاظ** Ttheory of Semantics وأحد الأسباب الرئيسية لذلك نجاح نظرية تشومسكي وتأكيدها على التفريق بين البنية العميقة والبنية السطحية في اللغة .

وقد تأثرت كثير من الأعمال التي نشرها علماء اللغة بالطريقة التجزيئية في تحليل المعاني أي محاولة وصف تركيب المفردات على أساس مجموعة صغيرة من عناصر المعنى تسمى **المكونات** Components .

تحليل النصوص اللغوية

ويهتم الكاتب بصورة أساسية في **الفصل التاسع** ، بموضوع **تحليل النصوص اللغوية** وتدور مناقشاته ضمن نطاق نظرية العالم تشومسكي ، الذي يحاول أن يستنبط قواعد اللسان التي تمكن الإنسان من استعمال جمل جديدة وفهمها .

علاقة المنطق بالعلوم اللغوية

ويبحث الفصل العاشر العلاقة بين علم المنطق (Logic) والعلوم اللغوية ، ومن مظاهر هذه العلاقة أن علماء اللغة أمثال **باتش وماكاولي وسورن** يستعملون كثيراً من التعابير والمفاهيم المستخدمة في علم المنطق الحديث **(علم القياس) .**

والقراء الذين لا يملكون خلفية من الثقافة في علم المنطق يجدون صعوبة في فهم بعض النقاط الغامضة في هذا الفصل .

الترجمة بواسطة الآلات الإلكترونية

أما الفصل **الحادي عشر** ، فيتضمن شرحاً عن **الآلات الإلكترونية واستعمالاتها الحديثة وحول امكانية الترجمة الأوتوماتيكية بواسطة الآلات الإلكترونية ، من لغة إلى أخرى ،** وهو ما تجري الآن دراسته من قبل المهندسين على المستوى التكنولوجي . وإحدى النقاط الهامة التي توضحت في هذا الفصل تتمثل في **أن الصعوبات التكنولوجية للترجمة الإلكترونية هي نسبياً طفيفة بالمقارنة مع الصعوبة الناجمة عن تزويد الآلة الإلكترونية بالمعلومات اللازمة التي تمكنها من تعرف الكلام المنطوق وتفسيره بنجاح .** بل إنه ليس من الواضح ما إذا كان التحليل الأوتوماتيكي الإلكتروني الكامل للنصوص اللغوية ممكناً فعلاً .

لقد كان للعلوم اللغوية الإلكترونية (والترجمة الأوتوماتيكية ليست سوى إحدى ثمراتها) تأثير مفيد في تطور النظريات اللغوية في السنوات الأخيرة ، فقد أدت إلى الزام علماء اللغة الذين يعملون بالآلات الإلكترونية بتوخي الدقة في تكوين أحكامهم وتقديراتهم . وهو ما لا يتوافر في الحالات العادية التي لا يستعان فيها بالآلات الإلكترونية . ولكن لحسن الحظ فإن السعي لبلوغ الدقة انتقل بالتدريج إلى حقل التحليل العادي غير الإلكتروني للنصوص اللغوية وهذه فائدة تحققت بفضل استعمال الآلات الإلكترونية في العلوم اللغوية ، ويلاحظ القراء أن الكاتب في هذا الفصل عندما يتصدى لمعالجة الآليات السيكولوجية والعصبية

والفيزيولوجية التي يتضمنها استعمال اللغة يستخدم تعابير ومفاهيم مستخلصة من علم الكومبيوتر (مثل التخزين - البرمجة - التغذية الراجعة) . وهذه الطريقة تشجع المثقفين على تكوين فرضيات واقعية تعتمد على التجريب .

بيولوجية الاتصال عند الإنسان والحيوان

ويدور **الفصل الثاني عشر** حول **بيولوجية الاتصال عند الإنسان والحيوان**، فالرأي السائد في السنوات الأخيرة أن اللغة البشرية لا بد أن تكون قد نشأت عن شكل من أشكال الاتصال البدائي الذي يشبه **نظم الإشارات** التي تستعملها فصائل الحيوانات، ومما قد يشهد على امكانية صحة هذا الرأي أن كثيراً من التجارب التي أجريت لتعليم اللغة للحيوانات قد تكللت بالنجاح . وفي هذا الفصل يقدم الكاتب خلاصة عن الشواهد المتوافرة حول هذا الموضوع ويخلص إلى نتيجة مفادها أن الفرضة التطورية (وما يهمنا الجانب اللغوي منها) ليس لها أساس تجريبي ولم تثبت صحتها الأبحاث الحديثة وأن **اللغة البشرية تختلف عن جميع الأشكال المعروفة للاتصال الحيواني** . ويرى الكاتب أن العلماء، على الرغم من توافر المعلومات ما زالوا غير قادرين على اقتراح نظرية بيولوجية معقولة في اللغة .

اكتساب اللغة

ويختص **الفصل الثالث عشر** بدراسة **اكتساب اللغة** والمقصود بذلك العملية التي يحرز فيها **الطفل** سيطرة تامة على لغته الأم . **وقد استعملت كلمة اكتساب بدلا من تعلم لأن الطفل يتوصل إلى اتقان اللغة بصورة تلقائية** . وتأثرت الدراسات التي جرت في مجال اكتساب اللغة بنظرية تشومسكي في النحو والصرف وقد حاجّ[4] صاحبها العالم تشومسكي بأن السرعة التي يصبح بها الأطفال قادرين على استنتاج الأحكام النحوية واستعمالها بنجاح في تركيب الجمل المنطوقة التي لم يسبق أبداً أن سمعوها من قبل يوحي بأن الأطفال يولدون وهم يملكون معرفة فطرية بالمبادىء العالمية التي تقرر البناء النحوي للغة . وهذا هو فحوى الفرضية العقلانية (أي فرضية الأفكار الفطرية) المعاكسة للفرضية التجريبية التي مفادها أن جميع أشكال المعرفة تأتي بالخبرة .

ادراك الكلام

ويرتبط **الفصل الرابع عشر** الذي يتمحور حول ادراك الجمل بصورة وثيقة بالفصل الثاني **(تلقي الكلام وادراكه)** . ويبدأ الكاتب هنا بالافتراض بأن من الممكن، من حيث المبدأ تكوين تفسير شامل للطريقة التي يمكن بها تعرف الأصوات المنطوقة وتمييزها ككلمات . ثم يمضي إلى البحث، من وجهة النظر السيكولوجية، في الطريقة التي تجتمع بها الكلمات لتؤلف معاني الجمل . وهناك ما يبرر القول بأن الكاتب في الفصل الرابع عشر يبدأ من حيث انتهى الفصل الثاني مع وجود بعض الاختلافات في طبيعة الدراستين .

الارتباطات الكلامية

وتناول **الفصل الخامس عشر (الارتباطات الكلامية)**، فن

المعروف أنه كان للتداعي الحر أي تداعي الأفكار بصورة عفوية شأن كبير في علم النفس ، فقد كان **فرويد** يعتمد على مثل هذا التداعي اعتماداً أساسياً عند تحليل مرضاه تحليلاً نفسياً . وللتداعي أو الترابط دوره أيضاً في اللغة ، فهناك نظرية تقول أنه عندما تجتمع كلمتان في وقت واحد تتشكل بينهما صلة ترابطية في عقل السامع أو القارىء . وكلما تعدد اجتماع هاتين الكلمتين ازداد هذا الترابط وأصبح أقوى وأثبت .

ويقدم الكاتب في هذا الفصل شرحاً حول النظريات المختلفة المتعلقة بالعلاقات الترابطية بين الكلمات وبخاصة النظرية اللغوية الحديثة .

العلوم اللغوية الاجتماعية

ويتعرض **الفصل السادس عشر للعلوم اللغوية ـ الاجتماعية** التي هي ليست مجرد مزيج من علم اللغة وعلم الاجتماع بل إنها تحتضن في مبادئها الأساسية على الأقل ، جميع الجوانب المتعلقة ببناء اللغة وتركيبها واستعمالاتها المتصلة بالوظائف الاجتماعية والثقافية . وكثيراً ما يقال أن هناك صراعاً بين الطريقتين المتبعتين في تناول اللغة ودراستها وهما الطريقة **(اللغوية ـ الاجتماعية)** والطريقة **(اللغوية ـ النفسية)** ، وقد أصبح التفريق الآن بين الطريقتين المذكورتين أكثر وضوحاً مما كان . ويحبذ العلماء والباحثون هذه الطريقة أو تلك حسب ما ينسجم مع اجتهاداتهم ونظراتهم وتخصصاتهم .

إن قدرة الفرد على استعمال لغة ما بصورة صحيحة وسليمة في نطاق المواقف الاجتماعية الطبيعية تؤلف جزءاً من السلامة اللغوية لا يقل أهمية عن الصحة النحوية والصرفية في إنتاج الجمل . ويؤكد اليوم الكثيرون من المعنيين بالعلوم اللغوية على هذه الناحية ويطالبون بضرورة توسيع مفهوم السلامة اللغوية ليشمل الجانب الاجتماعي . وهذا هو الموضوع الرئيسي في الفصل .

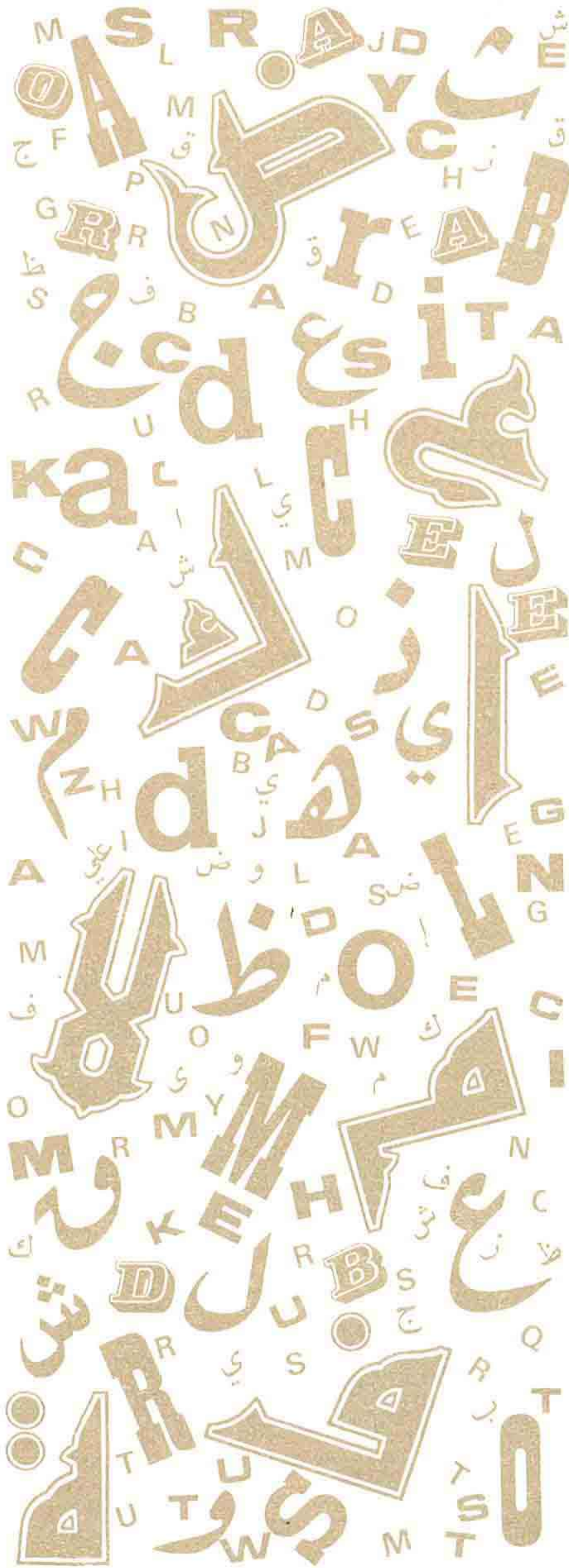
تاريخ اللغات

ويدور **الفصل السابع عشر** حول **تحليل تاريخ اللغات** وفهم الطريقة التي تتغير بها على مر العصور خاصة تغيرها الصوتي .

لقد كان هناك في الماضي عدد من اللغات الأم التي تشعبت إلى فروع كثيرة أصبح كل منها يمثل لغة مستقلة . فاللغة **(الأوروبية ـ البريطانية ـ الهندية)** الأم انشطرت بفعل سلسلة من العمليات التاريخية إلى عدد من اللغات المنفصلة مثل **الألمانية والسلطية والسلافية** . . . الخ . وهذه بدورها انقسمت إلى لغات أخرى وهكذا دواليك .

وبانتهاء الفصل الأخير نأتي إلى **مسرد العبارات الفنية** الذي يشرح **المصطلحات المتخصصة المعقدة** التي وردت في الكتاب ومعظمها مصطلحات مستخدمة في العلوم اللغوية ، يلي ذلك **قائمة بأسماء المراجع** التي أشير إليها في أمكنة متفرقة من فصول الكتاب .

إن كتاب (آفاق جديدة في العلوم اللغوية) ، كما سبق وأشرنا في بداية هذا العرض يمثل اسهاماً قيماً هاماً في مجال الدراسة العلمية الصحيحة للغة ، خاصة أن مؤلفه عالم كبير ضرب بسهم وافر في العلوم اللغوية وبرع في تدريسها في أشهر جامعات العالم . وما أحوجنا نحن العرب إلى الاستزادة من



المؤلفات والدراسات التي تبحث في موضوع اللغة حتى تزداد قدرتنا على الحفاظ على تراثنا اللغوي ودرء الأخطار التي تتهدد **لغتنا العربية** في الوقت الحاضر .

وفي سوق الكتب العالمية يتوافر اليوم عدد كبير من الكتب الأجنبية باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية تبحث في علوم اللغة . **حبذا لو عمدت المجامع اللغوية في البلدان العربية إلى انتقاء أفضل هذه الكتب والعمل على ترجمتها إلى اللغة العربية .**

إنها إن فعلت ذلك ستقدم خدمة جليلة لقضية اللغة . وقد قام مترجمون عرب فعلاً بتعريب بعض الكتب اللغوية الأجنبية مثل **(كتاب اللغة)** المترجم عن الانجليزية . إلا أن جهودهم ليست كافية ولا تفي بالحاجة . ولا بد من التوسع في ترجمة البحوث والكتب التي تتصدى للعلوم اللغوية الحديثة . وليس في هذا تقليل من أهمية الكتب اللغوية العربية . **فالعرب كانوا أول من ابتدع علم الأصوات الذي يتناول الصوت والتقلبات الصوتية ضمن إطار اللغة ، ثم جاء الغربيون فطوروها .**

ومن أمهات الكتب العربية التي تشهد على باع العرب الطويلة وقدحهم المعلى في المجال اللغوي كتاب (نشأة الألفاظ) **لابن سينا** وكتاب (سر الفصاحة) **لابن سنان الخفاجي .**

وما نؤكد عليه ضرورة الجمع بين الكتب العربية والكتب الأجنبية المترجمة وعدم الاقتصار على الجهد العربي في مجال اللغويات . وبهذه الطريقة سنكون أكثر قدرة على تدعيم لغتنا العربية العظيمة وحمايتها من محاولات العبث بها ، بطريقة علمية سليمة .

الهوامش

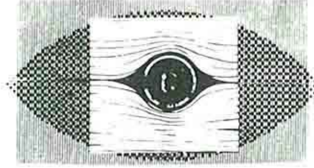
(١) وللحصول على مزيد من المعلومات حول موضوع اللغة والتعلم يمكن الرجوع إلى مقالنا المترجم الدراسات الحديثة في اللغة ، المنشور في عدد كانون الثاني ١٩٧٧م ، من مجلة أفكار الأردنية ، وكذلك مقالنا المترجم اللغة والتربية المنشور في عدد أيلول ١٩٧٦م ، من مجلة المعلم العربي .

(٢) الفونيمة هي إحدى وحدات الكلام الصغرى التي تساعد على تمييز نطق لفظة ما عن لفظة أخرى في لغة ما .

(٣) المورفيمة هي أصغر وحدة صرفية لا تقبل التجزيء أو التقسيم وهي ذات دلالة .

(٤) أي جادل وقدم الحجج .





موضوع خاص

★ محراب المسجد النبوي في المدينة المنورة ★

المدينة العربيَّة الاسلاميَّة

بقلم: د. عبد الرّحمٰن زكي



★ مدينة البصرة في العراق ★

أنشأ العرب في الجزيرة العربية مدناً كثيرة قبل الإسلام ، في طليعتها **مكة ويثرب** (المدينة) **والكوفة** . ولما ازدهر الإسلام ، أقام المسلمون مدائن عدة لتكون قواعد لهم ، **فكان الأساس فيها دينياً وحربياً** ، وبعد مرور الزمن آلت إلى مدن وحواضر تتوافر فيها الاعتبارات الإسلامية والاقتصادية والثقافية ، **كالفسطاط وبغداد ، والقيروان والقاهرة** ، وأهم تلك الاعتبارات إقامة **المسجد الجامع** في وسط المدينة .

فالعرب منذ انطلاقتهم فاتحين من **الجزيرة العربية** ، لم يكتفوا بسكنى المدن الساسانية أو البيزنطية ، **كنهاوند ودمشق** ، بيد أنهم أقاموا أيضاً مدناً جديدة لتكون مراكز حربية يستقر فيها المجاهدون ، فلا يلبثون أن يلحق بهم أفراد أسرهم . . وكان ذلك في عصور حروب الفتح الإسلامية ، ولما انتهت تلك العصور وأخلد الخلفاء إلى الاستقرار ، لم تتجاوز رغبتهم تشييد قصور ومساكن لهم ولحاشيتهم في مكان خاص بالقرب من جامع المدينة بل سرعان ما قامت حواليها حاضرة مجيدة ، كما كان الحال في **بغداد وقرطبة والقاهرة والقيروان** .

فمنذ صدر الإسلام شاهدنا العرب يخططون الأمصار والمدن ، ثم يعمرونها وقد اندثر بعضها أو قلّت أهميته ، في حين ازدهر بعض آخر وتطور إلى مدائن كبرى ، وأصبحت منائر اشعاع للحضارة الإسلامية . في غربي آسيا ، شيد **عتبة بن غزوان** في خلافة عمر بن الخطاب مدينة **البصرة** (١٤ هـ/ش٦٣٥ م) ، وأسس **أبو الهياج** الأسدي **مدينة الكوفة** (١٧ هـ/٦٣٨ م) ، كما بنى **الحجاج الثقفي** في أيام الخليفة الأموي **عبد الملك بن مروان** مدينة **واسط** (٨٣/ ٨٤ هـ - ٧٠٢/ ٧٠٣ م) ، كما أسس الخليفة العباسي **أبو جعفر المنصور بغداد**: أو مدينة السلام (١٤٥ هـ/٧٦٢ م) فأصبحت أمجد مركز للحضارة العربية عرفها العالم حتى قضى المغول عليها (١٢٥٨ م) .

فإذا انتقلنا إلى شمال إفريقيا ، قابلتنا **الفسطاط** أولى المدائن العربية الإفريقية ، أسسها القائد **عمرو بن العاص** (٢١ هـ/ ٦٤١ م) بمعاونة بعض قادته الذين قاموا بتخطيطها ، ثم شيّد **صالح بن علي العباسي** على أيام **السفاح مدينة العسكر** شمال الفسطاط (١٣٣ هـ/ ٧٥٥ م) ، كما أسس **أحمد بن طولون « القطائع »** (٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م) . ولا ننسى **القيروان** التي بناها القائد **عقبة بن نافع** في تونس وجامعها الكبير (٥٠ هـ/ ٦٧٠ م) ، **ومدينة تونس** التي أقامها **حسان بن النعمان** ، **والمهدية الفاطمية** (٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م) ، ثم قاهرة المعز لدين الله التي أقامها **جوهر الصقلي** (٣٥٨ هـ/ ٩٦٩ م) لتكون حاضرة دولة عظيمة الشأن .



★ مدينة دمشق ـ منظر عام ★

تطور المدينة العربية

ليس هذا فحسب . . فالعرب حينما شيدوا تلك المدائن الفاخرة معالم ترمز لأهم حضارات العالم ، وهي الحضارة الإسلامية ، كانوا يضعون نصب أعينهم أهم اعتبارات تخطيط المدن الحديثة . كانوا يعنون بالتحريات الطبوغرافية لمعرفة مدى صلاحها للأغراض الحربية ، ولذلك كانوا يحسنون اختيار مواقع مدنهم ، واهتموا أيضاً بالاعتبارات الصحية ، فكانوا يرسلون المتخصصين من الأطباء ليختاروا المكان الذي تتوافر فيه الشروط الصحية . كما فعل الحجّاج عندما أراد بناء واسط[١] والخليفة **المعتصم بالله** حينما رغب في بناء **سامراء**[٢] .

والجدير حقاً بالفخر ما ذكره **العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد ابن أبي الربيع** (ت ٢٧٢ هـ/ ٨٨٥م) في مؤلفه «كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال»[٣] . الذي ألفه للخليفة المعتصم بالله العباسي (ت ٢٢٧ هـ/ ٨٤٢م) وقد تولى الخلافة بين عامي ٢١٨ هـ/٨٨٣م .

كتب المؤلف الجليل تحت عنوان «**ما يجب على من أنشأ مدينة أو اتخذ مصراً ثمانية شروط**» (ص ١٢٠/ ١٢١) .

★ **الشرط الأول** : أن يسوق إليها **الماء العذب** ليشرب أهلها ويسهل تناوله من غير عسف .

★ **الشرط الثاني** : أن يقدر **طرقها وشوارعها** حتى تتناسب ولا تضيق .

★ **الشرط الثالث** : أن يبني فيها **جامعاً للصلاة** في وسطها لتتعرف على جميع أهلها .

★ **الشرط الرابع** : أن يقدر **أسواقها** بحسب كفايتها لينال سكانها حوائجهم من قرب .

★ **الشرط الخامس** : أن يميز **قبائل ساكنيها** بأن لا يجمع أضداد مختلفة متباينة .

★ **الشرط السادس** : إن أراد سكناها فليسكن أفسح أطرافها وأن يجعل خواصه محاطين من سائر جهاته .

★ **الشرط السابع** : أن يحيطها **بسور** خوف اغتيال الأعداء ، لأنها بجملتها دار واحدة .

★ **الشرط الثامن** : أن ينقل إليها من **أهل العلم والصنائع** بقدر الحاجة لسكانها حتى يكتفوا بهم ويستغنوا بهم ، ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها .

أشهر الكتاب العرب الذين وصفوا مدننا

والمدن العربية التاريخية ، ونقصد ما زال منها ناهضاً ، يقص تاريخ حضارتها ، وصفها كثير من المؤلفين العرب الذين تميزوا في هذا اللون من الدراسة الأثرية والتاريخية ، فممن كتبوا عن البصرة : **ابن شبة** ، وألف عن بغداد « **طيفور** » (٨١٩-٨٩٣م) وابنه ، **والسرخي والخطيب** ، وألف عن الكوفة : **الهيثم بن عدي** ، وعن المدينة المنورة : **المدائني وابن شبة وابن أبي سعيد الوراق** ، وعن مكة المكرمة : **الواقدي والازرقي** ، كما كتب عن دمشق : **ابن عساكر ، ولأحمد بن عيسى** كتاب عن وصف **حمص** وتاريخها ، **وللزهراوي** كتاب عن **قرطبة** ، كما ألف عن مدينة القيروان أبو العرب الصنهاجي . وممن ألفوا عن مدن مطر : **المؤرخ ابن عبد الحكم** صاحب كتاب فتوح مصر وأخبارها ، **وللكندي** « الخطط » ، **وابن زولاق المصري** له « الخطط » **والمسبحي** « أخبار مصر » . وعميد كتاب الخطط ـ المؤرخ **تقي الدين المقريزي** مؤلف « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » ، وغير هؤلاء من المؤرخين والجغرافيين والرحالة يتوجههم **ابن جبير ، وابن سعيد المغربي وابن بطوطة والعياشي والمقري .. ولسان الدين بن الخطب .**

وقد لا نكون مبالغين في القول بأنه قلما نجد مدينة من المدن العربية دون أن يؤلف لها تاريخ خاص بها ، إن لم يكن أكثر من كتاب .

مميزات المدينة العربية الإسلامية

ولا يخفى أن أغلبية قدامى العرب في الجزيرة العربية يعيشون في **الخيام** ، وإن كان العرب الحَضَر قد عرفوا المدن والقرى . ولكن لأن العرب أصبحوا مسلمين ، ثم وصلوا إلى البلاد المفتوحة المتحضرة ، فقد كان ذلك سبباً في أن ظهر أسلوب خاص بهم في المدينة العربية ، بما يتفق أولا مع مزاج العرب وعاداتهم ، ومع روح الدين الجديد . **فكانت المدينة العربية الإسلامية في انبثاقها متأثرة بالطابع الديني ، كما شاهدنا في المدينة المنورة (يثرب) ، وبالطابع الحربي للأمصار التي أنشئت لتكون معسكرات .. كالبصرة والكوفة .. فهذا الخليط من الاعتبارات المدنية والحربية أوجد أسلوباً للمدينة الإسلامية يسكنها العرب .. ثم عم هذا الأسلوب فيما بعد بلاد دار الإسلام .**

وكانت المدينة الإسلامية الجديدة تخضع لاعتبارات عامة وهامة ، وكان أهم شيء فيها هو المسجد ، فهذا البناء هو أول ما يدل على طابعها الإسلامي ، فهو مكان العبادة لأنه بيت الله . **وكان المسجد في أول نشأته مكاناً تفصل فيه الجماعة الإسلامية فيما يتصل بشؤونها ندوة للنقاش ، ومجلس للقضاء ، وفي كثير من الأحوال مدرسة لتلقين أصول الدين ودراسة القرآن الكريم .**

ولم يكن في المدينة التي يقيم فيها المسلمون سوى مسجد كبير واحد ، عرف بالمسجد الأعظم أو الأكبر أو الكبير ، وإن غلب عليه اسم المسجد الجامع ، فلم يكن في المدينة أو البصرة أو الكوفة أو الفسطاط أو دمشق في أول قيامها سوى مسجد كبير واحد ، وإن وجدت مساجد صغيرة للقبائل .. إلى أن جاء **العباسيون** ، فاستكثروا من المساجد الكبيرة التي تتسع لايواء عدد كبير من

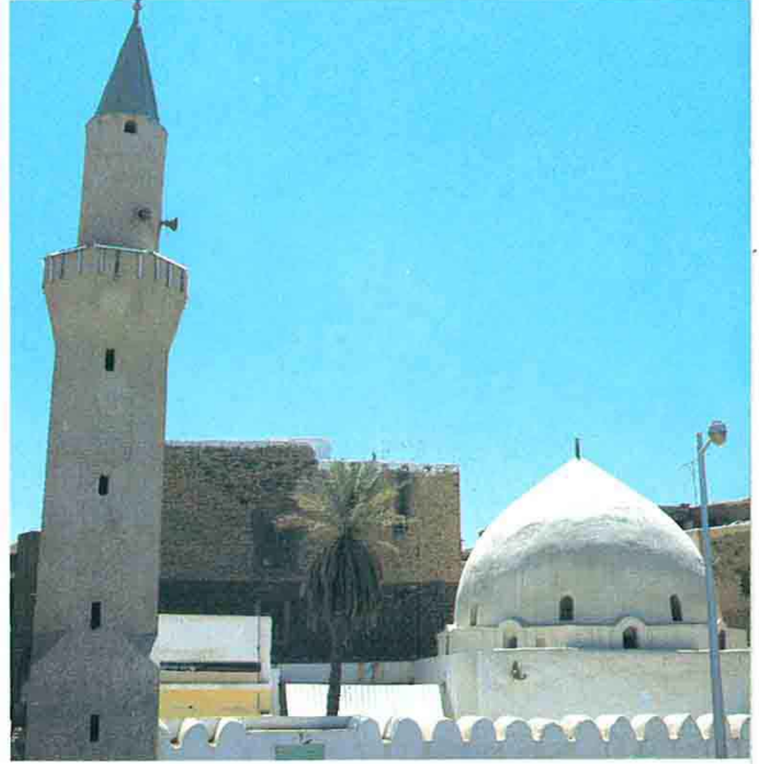


★ مسجد الغمامة في المدينة المنورة ★

المصلين أو المجتمعين ، **وكانت الدولة الإسلامية تشرف على صيانة المساجد وتنفق على موظفيها من إمام وخطيب ومؤذن وخدم ، فتوقف عليها الأموال .**

ولما كانت معظم المساجد في وسط المدينة غالباً ، فقد أحيطت بالأسواق التي يحتاج إليها سكان المدينة ، وكانت هذه الأسواق تقيمها الدولة أو الناس ، وكان أغلبها مغطى بالسقف وبعضها مضاء ليلاً ونهاراً بالقناديل لتيسير الانتقال في الأسواق ، وجدت عند نواصيها الحمر المسرجة لتكون في خدمة من يريد الركوب .

وكان أهم مكان في المدينة بعد المسجد الجامع ، **دار الإدارة** الذي أصبح قصراً منذ عهد **الخليفة الأموي معاوية** . فبعد أن كانت مساكن الخلفاء الراشدين غرفات قليلة كمساكن الأهالي ، فقد أصبحت في عهد الأمويين ومن خلفهم قصوراً عالية ذات عدة أبواب ، تشتمل على الأبهاء الفسيحة وقاعات الجلوس ، وساحات ومخازن تلحق بها ، كما أضيفت لها الحدائق التي أبدع المسلمون في رسمها والعناية بها . وكان يحيط غالباً بقصر الخليفة أو دار الأمير **معسكرات الجند** وخططهم أو ثكنات إقامتهم . وقد عرفت هذه الخطط بالحارات أو القطائع (**قطائع ابن طولون**) ، فمثلاً قسمت مدينة البصرة سبعة أقسام أو « **دساكر** » يسكنها الجند حسب قائلهم ، واشتهرت القاهرة بحاراتها التي عني المؤرخ المقريزي بوصفها في خططه . كانت هذه الحارات تشبه المدن الكاملة ، ففيها بالإضافة إلى المساكن ، **الدكاكين والأسواق والحمامات** ، وكانت المياه تتوافر في هذه المساكن التي كان السقاءون ينقلون إليها الماء بوساطة الروايا ، وكان من أعمال المحتسب ، الإشراف على نظافة نقل الماء ، وكانت بعض المدن القريبة من الأنهار ، يحفر أهلها القنوات لكي تكون الماء قريبة منهم .



★ مسجد عمر بن الخطاب في المدينة المنورة ★

وزودت المدن الإسلامية بالحمامات، وقد دخل الحمام في نظم الإسلام منذ عهد مبكر لارتباطه بفريضة الوضوء التي تسبق الصلاة، وعلى مر الأيام أخذ الحمام مظهراً إسلامياً وكثر عددها في المدينة الإسلامية، فقد ذكر بعض الرحالة أنه وجد بالفسطاط أيام الفاطميين سبعين ومئة وألف حمام، وفي قرطبة بالأندلس قرابة ثلاثمئة. وأصبح للحمام العام موظفون مخصصون له، فبلغوا في حمام واحد بالقاهرة سبعون، منهم الحمامي والقيم والزبال والسقاء والوقّاد والحلاق (المزين) والمدلّك والناطور الذي يحفظ ملابس الداخلين، وكان للنساء حماماتهن الخاصة بهن وفي كثير من الأحيان كانت تخصص لهن ساعات بعد الظهيرة. وفي حمامات النساء وجدت المتخصصات في شؤون التجميل، كالماشطات أو البلانات وغيرهن.

وظهر في المدن الإسلامية **المستشفيات**، أي **البيمارستانات**، ودور الشفاء، **ويبدو أن دور الشفاء ظهرت لأول مرة في عهد الأمويين**، لكنها **كثرت في أيام العباسيين** ومن ثم انتشرت في جميع مدن الإسلام كحلب ودمشق والقاهرة وقرطبة وكان الحكام يوقفون عليها الأموال الطائلة [٤].

وكانت مقابر المدينة الإسلامية منفصلة عن مقابر غير المسلمين، من أهل الأديان الأخرى، وقد عرفت باسم القرافة.

ومعظم المدن الإسلامية كانت **مسورة تكتنفها الأبواب الضخمة والأبراج الدفاعية**، كما كان الحال في بغداد والقاهرة **وحلب** وما زالت آثارها باقية إلى اليوم.

وعلى سبيل المثال سنقدم للقارىء صفات بعض المدائن العربية الأولى.

المدينة المنورة

تستمد مدينة الرسول ﷺ «يثرب» قدسيتها من أصول كثيرة عزيزة عند المسلمين، وتعتبر ثانية المدن الإسلامية المقدسة للأسباب التالية:

● **أولها**: هي موطن أنصار رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، وقد اتخذها النبي مركزاً للدعوة بعد هجرته من مكة ثم أصبحت عاصمة الدولة العربية الأولى.

● **ثانيها**: بها مسجد رسول الله ﷺ وروضته الشريفة وقبره.

● **ثالثها**: بها دفن **أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وفاطمة الزهراء والحسن بن الإمام علي وعلي بن الحسين، وإبراهيم بن رسول الله**.

● **رابعها**: بها دار الصحابي الجليل **أبي أيوب الأنصاري** التي آوت رسول الله ﷺ سبعة أشهر **ودار عبد الله**[٥] **بن عمر بن الخطاب**.

● **خامسها**: كانت قاعدة الإسلام الأولى في عهد رسول الله ﷺ وعهد خلفائه الثلاثة من بعده «أبو بكر وعمر وعثمان» ثم أصبحت دمشق عاصمة الدولة.

أخذت أهميتها تقل حينما تحولت عنها الخلافة إلى دمشق (٦٦٢م) ثم تعرضت لكثير من المعارك المحلية وتوالى على حكمها طائفة من الحكام القليلي الشأن. ثم انتقلت إلى **الحكم العثماني** عام ١٥١٧م. وفي عام ١٨٠٤م فتحتها القوات السعودية، ثم جاءها **محمد علي** والي مصر عام ١٨١٢م.

آلت إلى شريف مكة واستولت عليها قواته، ومن ثم أعلن **الشريف الحسين بن علي** استقلاله عن تركيا (١٩١٢م)، ثم احتضنتها **الحكومة السعودية** عام ١٩١٤م، بعد حصار مئة وخمسة عشر شهراً.

بالمدينة الحرم المدني وهو **مسجد رسول الله** ﷺ ويقع في وسط المدينة يميل إلى الشرق. مستطيل التخطيط ويحتوي على **المسجد والصحن**، والمسجد مغطى بقباب ترتكز على عقود وتقوم على عمد صوّانية مكسوة بطبقة من المرمر الموشى بماء الذهب، والصحن مستطيل الشكل يحيط به من جهات ثلاث أروقة ثلاثة فيها أعمدة تحمل عقوداً، رفعت عليها قباب عالية. ويبلغ عدد هذه الأعمدة ثلاثمئة وسبعة وعشرين عموداً، منها ٢٢ عموداً داخل المقصورة الشريفة.

الحرم (المسجد النبوي الشريف)

كانت الأرض التي أقيم عليها المسجد النبوي ملكاً لشقيقين يتيمين: **أسهل، وسهيل**، سألهما الرسول عن ثمن الأرض فأبديا استعدادهما للتنازل عنها قائلين لا نطلب ثمناً لها إلا ثواباً من الله. لكن الرسول الكريم حدد ثمنها بعشرة دنانير دفعها أبو بكر من ماله. ثم شيد محمد مسجداً بسيطاً في أسلوب بنائه فقد كان مربعاً مكشوفاً تحيطه جدران غير عالية من اللبن، ثم أمر الرسول ﷺ فيما بعد بأن تمتد السقف المسطحة من الأبنية المجاورة لكي تحيط كل المساحة المكشوفة اتقاء للشمس وكان السقف مكونا من جذوع النخل.

ويمكن القول بأن المسجد النبوي في أوائل عهده تألف من:

١ ـ الصحن.

٢ ـ السقف الظلة: للوقاية **والمنبر** البسيط ثم أصبح له فيما بعد



★ مدينة البصرة اشتهرت بانتاج التمور لكثرة نخيلها ★

محراب وسرعان ما أصبح المحراب ظاهرة معمارية في المساجد، ثم استحدثت **المقصورة** في أيام الخليفة معاوية الأموي.

وتطورت عمارة الحرم النبوي، فزاد فيه عمر وعثمان، وأضيفت إليه **حجرة النبي** ﷺ التي دفن فيها على عهد **عمر بن عبد العزيز**. وزاد فيه بعض الخلفاء والملوك وجددوا عمارته.

التوسعة السعودية

وفي ربيع الأول عام ١٣٧٤ هـ (٢١ يوليو/ تموز ١٩٥٥ م) وضع حجر الأساس لتوسعة المسجد النبوي وفي الخامس من ربيع الأول عام ١٣٧٥ هـ (٢٢ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٥٥ م) انتهى العمل في عمارة التوسعة. وموجز القول فقد كانت مساحة الحرم النبوي عندما بناه الرسول الكريم ﷺ هو وأصحابه ٢٤٧٥ متراً مربعاً، وظلت التوسعات تجري به حتى وصلت قبل التوسعة السعودية إلى ١٠٣٠٣ أمتار مربعة. **وفي العهد السعودي بلغ مجموع التوسعات ٦٢٣ متراً مربعاً والمباني القديمة التي هدمت وأعيد بناؤها ٦٢٤٧ متراً مربعاً، فأصبحت المساحة الكلية للحرم الشريف بعد التوسعة السعودية الأولى ١٦٣٢٦ متراً مربعاً، وبلغت تكاليفها حوالي ٧٠ مليون ريال سعودي. وحدثت توسعة ثانية في أيام المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز.**

مساجد المدينة

تفيض المدينة قداسة، ففيها عدة مساجد تاريخية ذكر منها السمهودي قرابة **ستة وخمسين مسجداً**، ومع التوسع العمراني استحدثت مساجد كثيرة، مثل مسجد المصلى أو **مسجد الغمامة** ويقوم على المكان الذي كان الرسول ﷺ يصلي فيه صلاة العيدين وصلاة الاستسقاء.

★ **مسجد الفتح** ويقع شمال المدينة الغربي على قطعة من **جبل سلع**، ويسمى أيضاً **بمسجد الأحزاب** والمسجد الأعلى، وسمي بهذا الاسم لأنه أجيبت فيه دعوة النبي على الأحزاب.

★ **مسجد الصدّيق** ويقع في الجهة الشمالية الغربية لمسجد المصلى، وكان أمامه منهل من مناهل العين الزرقاء وهو من الأماكن التي صلى فيها الرسول ﷺ وصلى فيه أبو بكر.

★ **مسجد علي** ويقع في الجهة الغربية للمناخة شمالي مسجد الصديق بقليل، بناه عمر بن عبد العزيز ثم جدده السلطان العثماني **عبد المجيد** عام ١٢٦٨ هـ.

★ **مسجد الجمعة** أو الواحدي، وذلك أن الرسول ﷺ لما خرج من قباء أثناء مقدمه المدينة أدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها وهي أول جمعة صلاها.

★ **مسجد قباء** ويقع في جنوب غربي المدينة وشكله مربع ويبلغ ضلعه



★ الجامع الأموي في دمشق ★

٤٠ متراً وعدد أعمدته ٢٩ ، وفيه محراب ومنبر رخامي قديم . كان الأشرف السلطان قايتباي أهداه للمسجد النبوي . ومسجد قباء أول مسجد بني بالمدينة وكان الرسول ﷺ يعمل فيه بنفسه .

★ **مسجد القبلتين** وهو مسجد صغير صلى فيه النبي ﷺ يقع على حافة وادي العقيق للشمال الغربي من المدينة وفيه **قبلتان :** الأولى منها متجهة للشمال في **اتجاه بيت المقدس ،** والثانية إلى الجنوب في **اتجاه مكة المكرمة .**

★ **مسجد الاجابة ،** يقع في شمالي البقيع بانحراف إلى الشرق وهو **مسجد بني معاوية بن مالك من الأوس** أحاطت به الأحياء الجديدة بعد توسع المدينة وأعيد ترميمه وكان قائماً على عهد الرسول الكريم ﷺ .

★ **مسجد الراية ،** يقع على يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام القديم **فوق جبل ذباب .**

★ **مسجد السقيا ،** ويقع عند بئر بحيرة المدينة الغربية .

★ **مسجد الفضيخ (الشمس)** يقع في شرقي مسجد قباء المذكور شرقي العوالي وهو مسجد صغير ، ويعرف هذا المسجد بمسجد الشمس لأن أول ما تطلع الشمس تطلع عليه .

★ **مسجد بني قريظة** شرقي مسجد الفضيخ وبالقرب من الحرة الشرقية .

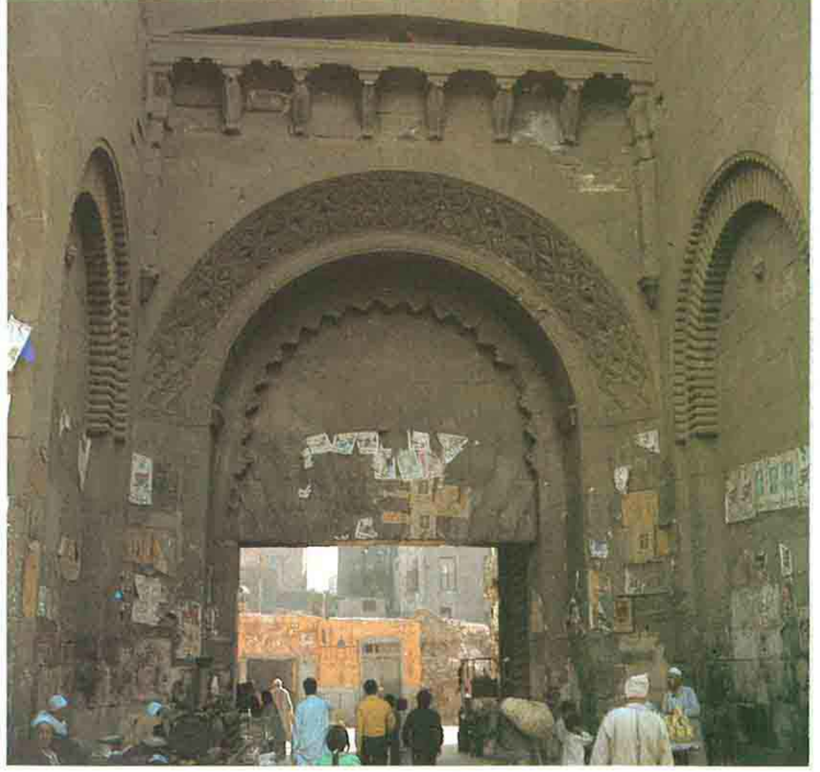
★ **مسجد بني ظفر** ويقع شرقي البقيع بطرف الحرة الغربية .

★ **مسجد أبي بن كعب ،** ويعرف أيضاً **بمسجد بني جديلة .**

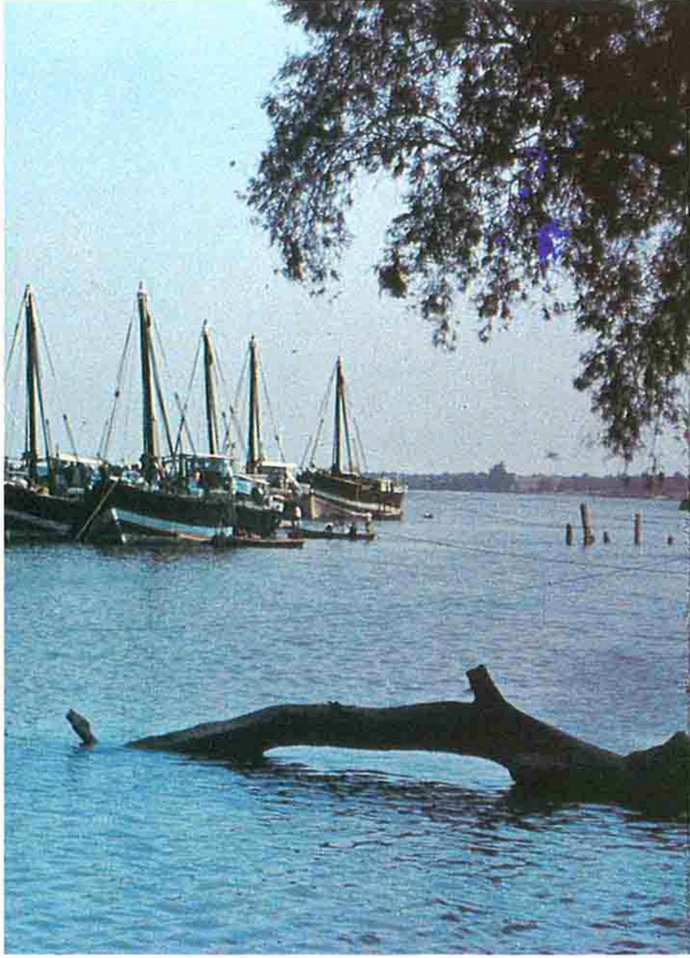
وفي المدينة مساجد أخرى **كمسجد عروة ومسجد المائدة ، ومسجد الجمعة** بالإضافة إلى المساجد المستحدثة .

البصرة
مهد الفقه والتفسير

اكتسحت الجيوش الإسلامية أراضي العراق في وسطه وشماله ، فرأى الخليفة **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** أن يحفظ ميمنة جنوده من الجنوب حيث بقي أهل فارس يمدون إخوانهم المقاومين للفتح الإسلامي ، فاستدعى **عتبة بن غزوان** وقال له : « أريد أن أوجهك إلى أرض الهند لتمنع أهل تلك الجيرة من امداد إخوانهم على إخوانكم وتقاتلهم لعل الله أن يفتح عليكم ، فسر على بركة الله ، واتق الله ما استطعت ، واحكم بالعدل . . » فأقبل عتبة في ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً ، وانضوى إليه قوم من الأعراب وقدم البصرة في نحو خمسمئة رجل ، فنزلها في ربيع الأول أو الآخر سنة ١٤هـ . **وكانت البصرة تدعى يومئذ أرض الهند .** فنزل **الخريبة** وليس بها إلا سبع دساكر . فأقام هناك وأخذ في تخطيط المدينة وبنائها ، وتكاثر قدوم الجنود فاتسعت وعظم شأنها كمركز للبعوث والسرايا ، بعد أن كانت مرفأً للسفن التي تنتقل بين الخليج إلى الشرق الأقصى واستطاعت القوة الصغيرة التي رأسها



★ باب زويلة في القاهرة ★



★ شط العرب . . . أو مجمع البحرين ★

★ جامع محمد علي بالقاهرة ★



عتبة أن تحطم بقايا المقاومة الفارسية في الجنوب وأن تحمي ميمنة المسلمين . وبعد ورود ألوف من أبناء القبائل أخذ عتبة يناجز العدو ويتقدم .

ولم تبن البصرة لتكون مدينة يستقر فيها الناس ، بل كانت الغاية الأولى منها أن تكون « مصراً » أي مركزاً يحتشد فيه المقاتلون ليكونوا على أهبة السير إلى أي مكان . وسكنها في بادىء الأمر عدد من رجال قبائل شرق الجزيرة العربية ، ولم يقوموا بعمل حربي كبير أولا ، فلم تتحسن حالتهم المالية من مكاسبهم . لكنهم بعد تكاثرهم ، اكتسحوا عدة مقاطعات وفازوا بأرباح طائلة . ولما كانت البصرة على تقاطع عدة طرق تجارية فقد ازدهرت بسرعة .

البصرة في التاريخ الإسلامي

ولما تولى **أبو موسى الأشعري** ولاية البصرة ، حفر بأمر الخليفة نهراً طوله ثلاثة فراسخ حتى بلغ به المدينة ، وجدّد حفر هذا النهر **زياد بن أبيه** في عهد عثمان وعمّقه . وتعاون الولاة وأصحاب الاقطاعات على إحياء الأراضي الموات وتجفيف المستنقعات . وبنى **محمد بن سليمان** حوضاً يؤتى بالماء إليه بقنوات (مواسير) من رصاص ، وشق **نهر معقل** وأصبح بعد ذلك الطريق الرئيسي للمواصلات النهرية لتجارة العراق وخورزستان في العصر الأموي . ومدت سلسلة على نهر **بلال بن أبي بردة** لتقف عندها السفن لأخذ العُشر



★ مسجد قباء في المدينة المنورة ★



منها ، وشقت ترع كثيرة أيضاً للشرب أو للري .

ولا نستطيع أن نذكر أسماء القبائل والبطون التي سكنت البصرة ، فقد اتخذ كل منها فيها حياً خاصاً . ولكننا لا يجوز أن ننسى أربعة أسماء وهي : **الخريبة ، الزابوقة ، المربد ، المسجد الجامع** . فلهذه الأماكن ذكر عظيم في التاريخ الإسلامي والأدب العربي .

فأهل البصرة ، مثل أهل الكوفة ومصر ، نقموا على عثمان بن عفان ، وانتدبوا نحو ٦٠٠ رجل منهم ساروا إلى المدينة واشتركوا مع عدد مماثل من أهل الكوفة ومصر في حصار دار الخليفة حتى قتل .

وفي « الخريبة » أو « الزابوقة » وقعت **معركة الجمل** بين جيش **علي بن أبي طالب كرم الله وجهه** وأخصامه ، وقتل فيها خلق كثير .

وحرص السكان بعد ذلك على عدم الاشتراك في القلاقل ما استطاعوا حتى إنهم لم يمدوا **سليمان بن صرد** الذي ثار ضد الأمويين وتزعم أهل الكوفة الذين تخلفوا عن نصرة الحسين بن علي رضي الله عنه وسموا أنفسهم « **التوابين** » وثلاثمئة فارس وصلوا لنجدته بعد أن فشل معظم الذين أطاعوه .

ويقع **المربد** في مدخل البصرة الغربي من جهة الصحراء ، وبه مرت القوات الإسلامية لأول مرة ثم صار سوقاً للإبل ومستقراً للبدو ، وأصبح بعد

★ جامع عقبة بن نافع بمدينة القيروان في تونس ★



ذلك مكاناً يلتقي فيه الشعراء واللغويون انتجاعاً للفصيح من لغة البادية ، وكان مجمعاً ثقافياً ومحلاً للأحداث السياسية وفيه اجتمع العرب استعداداً للقتال بعد وفاة **يزيد بن معاوية** . وفيه عسكرت **بنو تميم** لمقاتلة **يزيد ابن المهلب** .

وسكة المربد شارع عريض يصله بالمسجد الجامع وكان شرياناً للمواصلات حتى القرن الرابع الهجري .

المسجد الجامع مدرسة كبرى

والمسجد الجامع هو المركز الرئيسي للثقافة الدينية ، بني بالقصب إبان ولاية عتبة بن غزوان . قال **البلاذري** : كان المسلمون إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو ، فإذا رجعوا أعادوا بناءه ثم يختط الناس ويبنون المنازل ، فبنى **أبو موسى الأشعري** المسجد ودار الإمارة باللبن والطين وسقفها بالعشب . وزيدت سعة المسجد كلما دعت الحاجة . ولما استعمل **معاوية بن أبي سفيان** زياداً على البصرة أضاف إليه إضافة كبيرة وبناه بالآجر والجص وسقفه بالساج وبنى منارته بالحجارة وأتى بسواريه من **جبل الأهواز** . وأضيفت إليه زيادات أخرى في عهد معاوية . **وولي المهدي محمد بن سليمان بن علي** على البصرة فوسع المسجد وحسنه ، وكانت في آخره منارة يجلس عليها **الإمام حسن البصري للقضاء** . كما أمر ببناء سور للمدينة .

وفي هذا المسجد كان يجتمع جُلة فقهاء المسلمين فيتناقشون في الدين وتفسير القرآن الكريم وإلى جانبهم حلقات لدراسة اللغة والشعر ورواية أخبار العرب وأنسابهم .

وظهر **المعتزلة** في البصرة أيضاً والسبب في هذا الاسم هو أن فريقاً من الفقهاء اختلفوا مع زملائهم في القضاء والقدر ، وهل الإنسان مسير أم مخير وغير ذلك ، فجلسوا في حلقة منفردة واعتزلوا بقية المتحدثين .

ونبغ من أبنائها عدد كبير ، وإليها كان يهرع كل راغب في الاستزادة من الفقه والتشريع والنحو والشعر وصحيح اللغة وكل الفقهاء والشعراء في الصدر الأول من الدولة العباسية حتى **عهد المعتصم** من تلامذة حلقاتهم ، وظلت كذلك مقصداً للراغبين في العلم إلى قرابة القرن السادس الهجري .

وسكنها كذلك من أوائل تخطيطها عدد من الصحابة مثل **عمران بن الحصين** ، وعدد من القراء ، ومات فيها **أنس بن مالك الصحابي** ، إذ جاء إليها مع **أبي موسى الأشعري** وسكنها . ومن الذين توفاهم الله فيها **حليمة السعدية أم رسول الله ﷺ بالرضاعة وابنتها رضيع النبي ، وأبو بكرة الصحابي والإمام الحسن البصري** سيد التابعين (وأبوه من سبي معركة ميسان) **ومحمد بن سيرين ومحمد بن واسع**



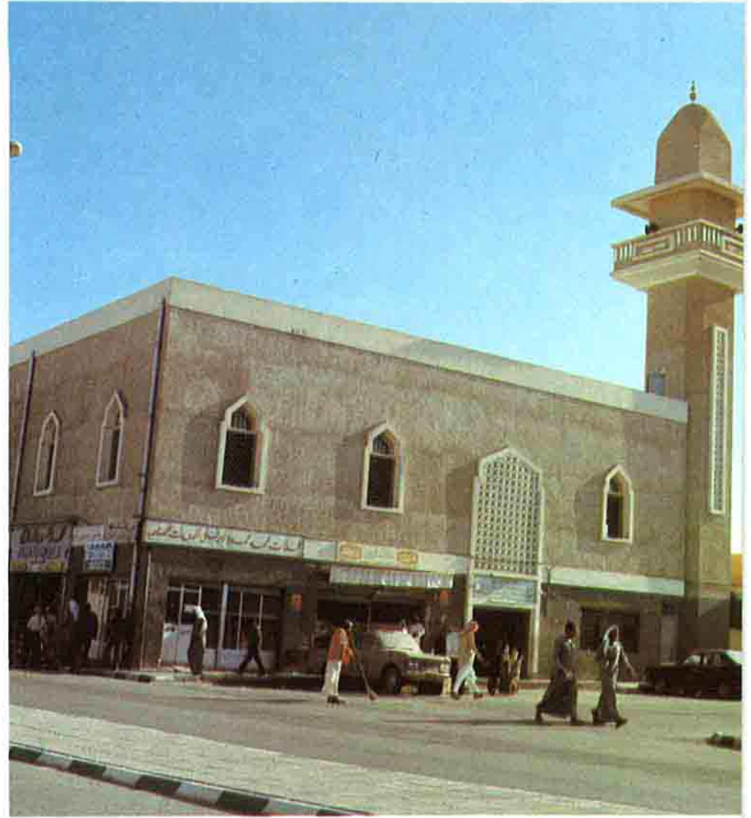
★ الجامع الأزهر في القاهرة ★

ومالك بن دينار وغيرهم من أقطاب الشريعة والحديث والفقه .

وفي البصرة **قبر طلحة** رضي الله عنه . أما **قبر الزبير بن العوام** فيقع في ضواحيها ، إذ قتل رضي الله عنه غيلة في **وادي السباع** .

الفتن والثورات في البصرة

وعانت هذه المدينة كثيرا من الأحداث السياسية والحروب والفتن ، فهاجمها **الخوارج** بعد موت يزيد بن معاوية ، وهاجمها **الزنج** عام ٢٦٥ هـ وافتتحها **القرامطة** عام ٢٨٦ هـ ، وثار فيها عدد من الخارجين على الخلفاء .



★ مسجد السبق في المدينة المنورة ★

ونشأت فيها طائفة من الرقيق الذين عملوا في الصناعة والزراعة والتجارة وفريق منهم من أسرى الحروب التي شنها أبناء البصرة وجاء **عبد الله بن زياد** بألفين تقريباً من أسرى بخارى فأسكنهم في ضاحية حول قصره وكان هؤلاء أول جند مأجور عند العرب ، وقد وجههم لاخضاع بعض المتمردين عليه من العرب . فلما ثار قسم من العرب ضده بعد وفاة يزيد رفضوا الدفاع عنه ، واشتدت شوكة هذه الطائفة التي كانت تسمى **بالزط** حتى صارت خطراً اجتماعياً كبيراً ، وغلبت على المدينة مرة ووقع فيها **الطاعون** سنة ١٣٠ هـ ، وقت اشتداد القتال بين الخوارج ومروان بن محمد وبين العباسيين ومروان . وحدثت فيها معركة واحدة عام ١٣٢ هـ بين العباسيين والأمويين ثم بعدها انتقل الأمر للعباسيين .

ورغم تقلب الأحداث فقد احتفظت البصرة برخاء عظيم نسجت حوله قصص تشبه الخيال . فنها كانت تخرج السفن إلى الملايو والصين وأندونيسيا أثناء الرياح الموسمية وتعود محملة بنفائس الشرق الأقصى . وروى ابن بطوطة في رحلته أنه شاهد كثيراً من التجار العراقيين في الأقطار النائية التي زارها . وازدهرت الزراعة والصناعة حولها . وقال **ناصري خسرو الفارسي** عندما زارها ، بعد أن حل بكثير من أحيائها الخراب بسبب القلاقل والفتن : ينصب السوق في ثلاث جهات كل يوم . في الصباح يجرى التبادل في **سوق خزاعة** ، وفي الظهر في **سوق عثمان** ، وفي المغرب في **سوق القداحين** .

وكانت المدينة تسترد نشاطها وعمرانها - إثر كل فتنة بسرعة - وذلك بفضل مركزها الجغرافي وعلو همة أبنائها . ولكن لم يبق أثر من القصور والعمارات التي بنيت فيها ، إلا القليل ، وهذا طمرته العواصف الرملية ، ووصف ابن بطوطة البصرة حوالي عام ٧٢٥ هـ فقال : « نزلنا بها رباط **مالك ابن دينار** . وكنت رأيت عند قدومي عليها على نحو ميلين منها ، بناء عالياً مثل الحصن ، فسألت عنه فقيل لي هو مسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكانت البصرة من اتساع الخطة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها وبينه الآن وبينها ميلان وكذلك بينه وبين السور الأول المحيط بها نحو ذلك فهو متوسط بينهما » .

ومدينة البصرة إحدى أمهات مدن العراق الشهيرة الذكر في الآفاق الفسيحة الأرجاء ، ذات البساتين الكثيرة والفواكه الأثيرة . وهي مجمع البحرين ، الأجاج والعذب ، وليس في الدنيا أكثر نخلاً منها . ويصنع من التمر عسل يسمى السيلان ، وهو طيب كأنه الجلاب . والبصرة ثلاث محلات : الأولى محلة هذيل ، والثانية محلة بني حرام ، والثالثة محلة العجم .

ولأهل البصرة مكارم أخلاق ، يقومون بحق الغريب فلا يستوحش بينهم وهم يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين علي ، ثم يسد فلا يأتونه إلا في يوم الجمعة التالية . وهذا المسجد من أحسن المساجد وصحنه متناهي الانفساح مفروش بالحصباء الحمراء التي يؤتى بها من وادي السباع ، وفيه **المصحف الكريم الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قتل .**

الحواشي

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ .

(٣) طبع هذا الكتاب لأول مرة في القاهرة عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) .

(٤) د . عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص ٩٥ - ١٠٥ ، القاهرة .

(٥) كانت تلك الدور جميعها تقع حول المسجد النبوي .

أهم التراجم الأوربية لكتاب ألف ليلة وليلة

بقلم: عبد الجبار محمود السامرائي

تتعاقب الأجيال ... وتتوالى العصور .. ولا ينتهي حديث الناس عن كتاب عجيب ، حوى كل شائق وغريب ، وظفر بما لم يظفر به كتاب قصصي في العالم من الشهرة الواسعة ، والمكانة اللامعة ، في الأوساط الشرقية والغربية ... ذلكم هو كتاب (ألف ليلة وليلة) .

وقد اهتم رجال الأدب في العصر الحديث بهذا الكتاب الذي يزخر بأكبر مجموعة قصصية عربية ، تمتاز بالصراحة ، وخصب الخيال ، والتصوير البديع ، والأجواء الساحرة ، وتزدحم بالصراع بين الخير والشر ، والفساد والصلاح ، والفشل والنجاح ...

ولقد بدأ الأوروبيون ، منذ أوائل القرن الثامن عشر يهتمون بكتاب ألف ليلة وليلة ، ويعدونه ذخيرة أدبية ضخمة . وكانوا قبل يتهمون الشرقيين بضيق الأفق في القصص[١] .

ويكفي أن نعرف ان الليالي طبعت أكثر من ثلاثين مرة مختلفة في فرنسا وانجلترا في القرن الثامن عشر وحده ، فلنتصور إلى أي حد تغلغل هذا الأثر في نفوس هؤلاء القراء وخاصة الأدباء منهم[٢] وهذا دليل على خفة حركة الليالي وعمق أثرها .

وفي بحثنا هذا سنعرض لأهم وأبرز التراجم الأوروبية التي احتفلت بكتاب الف ليلة وليلة .

١ ـ التراجم الاسبانية

يخطىء من يقول بأن « **انطوان جالان** » Antoine Galland الأديب الفرنسي هو أول من ترجم ألف ليلة وليلة .

والحقيقة أن كتاب ألف ليلة وليلة دخل **الاندلس** في وقت مبكر ، وانتقل إلى **إسبانيا** المسيحية قبل أن يعرف الغربيون شيئاً عن الترجمة الفرنسية التي وضعها « جالان » خلال الأعوام ١٧٠٤ , ١٧١٧ م .

وقد ورث الأدب الاسباني بعض القصص الواردة عن ألف ليلة وليلة ، كقصة (**الجارية تودد**) التي وردت في مدونة « **الفونسو** » **الحكيم ، وصاغ منها المسرحي الاسباني الخصب (لوب دي فيجا)** إحدى مسرحياته[٣] .

ويرى الباحث الاسباني « **مننذث بيلايو** » في كتابه (**أصول الرواية**) أن حكاية الجارية تودد هي الحكاية الوحيدة التي يمكن القطع بانتقالها المبكر إلى الأدب الاسباني وتأثيرها فيه ... فقد طبعت ترجمتها **الاسبانية والبرتغالية** عشرات الطبعات ابتداء من سنة ١٥٢٤ م . وأقدم ترجمة إسبانية لها هي الترجمة المنسوبة إلى « الفونسو الارغوني » Al fonso Aragonis . ويبدو أنه كان أديباً مسلماً عاش في القرن الرابع عشر . وقد حرف اسم الجارية تحريفاً قليلاً حتى يتلاءم مع شبيهه الاسباني « **تيودور** » Teodor .

وقد نشر (**هرمان كنوست**) نص الترجمة الاسبانية عن مخطوطتين في مكتبة **الاسكوريال** سنة ١٨٧٩ وهو نص الحق ببعض الأصول الخطية لترجمة « مختار الحكم » **لمبشر بن فاتل** الذي عرف في الاسبانية باسم Bocados de oro .

ونجد خلاصة حكاية الجارية تودد في كتاب « **التاريخ العام** » Crónica General الذي ألفه **الملك الفونسو العالم** في القرن الثالث عشر ، أي قبل أن يتم جمع قصص ألف ليلة وليلة بالشكل الذي نعرفه بزمن طويل . وهذا دليل على أن قصصاً كثيرة مفردة من هذه المجموعة قد عرفت في الأندلس منذ عهد مبكر .

بل إننا نجد في المجموعة المطبوعة بين أيدينا قصصاً كثيرة متعلقة بالأندلس وفتحها على يد **موسى بن نصير** والعجائب التي رآها ، ومن بينها « **مدينة النحاس** » وغيرها ، وهي قصص نجد أصولها الأولى فيما كتبه بعض الرحالة المتقدمين عن الأندلس مثل **ابن خرداذبة وابن الفقيه وابن رستة** ، وكذلك في تاريخ **عبد الملك حبيب الألبيري** المتوفى سنة ٢٣٨ ـ ٨٥٢ ، وفي (**الامامة والسياسة**) المنسوب **لابن قتيبة** والذي أثبتت بعض الأبحاث الأخيرة أنه لمؤلف مصري عاش في القرن التاسع الميلادي ، وكان من نسل موسى بن نصير نفسه . فقد عرفت ترجمة هذه القصة في **الأدب الموريسكي** الذي كتبه المسلمون عن بقية الشعب الأندلسي وهي بعنوان (**قصة مدينة النحاس والقماقم**) Estoria de la ciudad de Alton y de los alcancames. نشرها **المستشرق الاسباني ادوارد سافيدرا في مدريد** سنة ١٨٨٢ وهي تتفق تماماً مع القصة كما هي مروية في ألف ليلة وليلة[٤] . وترجم (فنسنت بلاسكو ايبانز) Vincente Blasco Ibanez الكتاب إلى الاسبانية .

٢ ـ التراجم الفرنسية

كانت ترجمة (**انطوان جالان**) التي ظهرت خلال ١٧٠٤ ـ ١٧١٧ م ، أشهر الترجمات لألف ليلة وليلة . وقد اعتمد جالان في هذه الترجمة على ما كان يقصه عليه الراهب (**حنا الحلبي**) الذي أتى به الرحالة « **بول لوكا** » Paull Lucas إلى **باريس** فكان جالان يأخذ مذكرات للحكايات التي يرويها له الراهب ثم يكتبها فيما بعد . وقد أشار إلى ذلك جالان نفسه في مذكراته التي نشر بعضها مع (**حكاية علاء الدين والفانوس السحري**) في طبعة زوتنبرغ في باريس عام ١٨٨٨ م .

والواقع أن ترجمة جالان لم تكن أمينة ، لدرجة أنه يمكن القول إن خيال المترجم شارك في بعض الحكايات ... فقد تضمنت هذه الترجمة حكايات لا توجد في طبعات ألف ليلة وليلة العربية المتداولة اليوم .. مثل حكاية (**علي بابا والأربعين حرامي** الذين صرعتهم جارية) وحكاية (**أمير دريابار**) وحكاية (علاء الدين والفانوس السحري) وحكاية (**الوجيا حسان الحبال**) وحكاية (**الأعمى بابا عبد الله**)[٥] .

لقد ترجم (جالان) أول جزء من ألف ليلة وليلة وهو يظن أنه لا يضيف إلى الأدب الفرنسي إلا نوعاً جديداً قد يكون طريفاً من تآليف الرحالة في الشرق[٦] ومع أن جالان اعترف في مقدمة كتابه بأنه فرنج كتاب ألف ليلة وليلة ليلائم ذوق قرائه ، إلا أنه أصر على أن كل الأمم الشرقية ، من **فرس وتتر وهنود** قد ميز بينهم هنا ، ويظهرون كما هم حقاً من المليك إلى أحقر رعاياه بشكل يستطيع القارىء أن يمتع نفسه برؤيتهم يعملون ويسمعون ويتكلمون ، دون أن يتعب نفسه بالسفر إلى بلادهم المختلفة .

ونجحت ترجمة جالان لقسم من كتاب ألف ليلة وليلة نجاحاً منقطع النظير، لدرجة كان المارة يتجمهرون تحت نوافذ بيته يصيحون صيحة **شهرزاد** عند طلوع الصباح والسكوت عن الكلام المباح[٧].

لقد غيرت ترجمة جالان اتجاه النظر إلى الشرق ولكنها أثرت أيضاً في الغرب تأثيراً أقوى من ذلك، فقد دخلت حياتهم عن طريق الأدب، وكل ما يتعلق به من مسرح وفن، لا لشيء، إلا لهذا الخيال الرائع الذي كشفت عنه للغرب، والذي كان معيناً غنياً وبديلاً جميلاً عن الينابيع الكلاسيكية التقليدية التي كان الغرب قد بدأ يملها[٨].

ورجح النقاد ومنهم المستشرق (**ماكدونالد**) بأن جزءاً كبيراً من النجاح الذي لاقته الليالي في الغرب يرجع إلى (جالان) نفسه، فقد كان قاصاً بطبعه.

وقد أغرى النجاح الذي لاقته ترجمة (جالان) الفرنسية بأن يطبعها مراراً، وكان في كل مرة يضيف إليها شيئاً، يعينه على ذلك المعاونين له أمثال (**جوتييه**) و (**بروسفال**) و (**دو لاكرو**)[٩].

وظلت ترجمة (جالان) تلك طوال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر تمثل للأوروبيين المعنى المفهوم من ألف ليلة وليلة. وقامت الشعوب غير الفرنسية بنقل هذا الأثر إلى لغاتها، حتى لم يبق شعب في أوروبا لم يترجم هذه الترجمة، ولاقت هذه التراجم جميعاً نجاحاً كبيراً.

أما ترجمة جالان فقد طبعت عدة مرات طبعات مختلفة، مضافاً إليها ومنقحة طوال القرن الثامن عشر والتاسع عشر[١٠].

وأبانت الأبحاث الأخيرة أن ترجمة جالان لم تكن حدثاً منعزلا، بل منتهى حركة طويلة الأمد للتصوير الفني، غذته القصص الموريسكية وبداية الرحلات إلى المشرق واستعماره، كوصف (**تافرنييه**)[١١] و (**شاردان**)[١٢] و (**بيرنييه**)[١٣] وغيرهم للحياتين الهندية والفارسية. والخيال المحلي الذي خلفته سفارات متعددة شرقية كانت تأتي مدينة باريس فتبهرها وتفتنها بجمالها وروعتها[١٤] كانت كلها - في الواقع - سطحية جداً وضحلة على أنها بنت خلال هاتيك السنين تلكم الصورة الرومانتيكية بلونها الحار العاطفي وغرابتها وغموضها وما زالت هذه الصورة تستغل حتى يومنا هذا[١٥].

وفي سنة ١٨٢٨ م ظهرت في فرنسا ترجمة أخرى قام بها (**تريبوتيان**) Trébutien وهي تأتي بعد ترجمة جالان من حيث الشهرة.

وثمة ترجمة أخرى هي ترجمة (**ماردروس**) Mardrus وهي أقرب الترجمات إلى الطبعات العربية على الرغم من وجود الحشو والاضافات في بعض الحكايات والتي كانت محل انتقاد عدد كبير من المستشرقين الفرنسيين وعلى رأسهم (**غودفروا دمومبين**) Gaudefroy Demombynes.

والجدير بالذكر ان هذه الترجمة هي أحسن ترجمات ألف ليلة وليلة إخراجاً وطبعاً[١٦].

٣ - التراجم الانكليزية

بعد أن لاقت ترجمة (جالان) الفرنسية لألف ليلة وليلة نجاحاً خارج فرنسا، طبعت بعد تسع سنوات أي في سنة ١٧١٣م للمرة الرابعة في **انكلترا**[١٧].

وظلت انكلترا قرناً معتمدة على الترجمة الفرنسية في تراجمها لألف ليلة وليلة، حتى نشط بعض مستشرقيها للترجمة عن الأصل العربي. وكان لعثور (ماكان) على نسخة مخطوطة لهذا الكتاب - ألف ليلة وليلة -[١٨] أكبر حافز وأعظم معين لقيام المستشرقين الانكليز بتراجم عن الأصل العربي. وكان أبرز من قام بذلك (جونثان سكوت) Jonathan Scott سنة ١٨١١ م.

ويقول (**تورنز**) إنها ترجمة لترجمة (جالان) أصلحت في بعض المواطن عن أصل عربي.

ثم جاء بعد (**سكوت**): (هنري تورنز) Henri Torrens فاعتمد على نفس الطبعة، ولقد بدأ عمله في (**سملا) في الهملايا** سنة ١٨٣٨ م.

والظاهر أنه كان يريد عملاً عظيماً، فقد أراد أن يلحق بالترجمة تعليقات مطولة عن التقاليد الشرقية والحوادث التي تساعد على تفهم الأصل وتذوق حياة الشرق، ولكنه كان بعيداً عن مصادره، فاهتم بمراعاة النص الأصلي قدر المستطاع، واختصر كثيراً من التعليقات القليلة التي أوردها. وتكاد هذه الترجمة تكون أحسن التراجم وأقربها إلى إظهار الجمال الأدبي لكتاب ألف ليلة وليلة، غير أنها لم تكتمل؛ لأن صاحبها مات بعد اتمام الخمسين ليلة الأولى، لذلك نجدها مطبوعة في سنة ١٨٣٩ م في لندن تحت عنوان [**الخمسون ليلة الأولى من الليالي العربية وفيها شعر**]. وكان عمل (تورنز) أول عمل جدي قام به الانكليز في سبيل اهداء هذا الكتاب إلى مواطنيهم[١٩].

ومن التراجم الانكليزية المهمة ترجمة كاملة للمستشرق (**ادوار وليم لين**) - ١٨٠١ - ١٨٧٦ م) E. Lane وقد ظهرت هذه الترجمة سنة ١٨٣٩ - ١٨٤١ م.

ويعتبر (لين) من مشاهير المستشرقين الذين اهتموا بالحضارة العربية في هذا القرن. فقد كان يجيد اللغة العربية قراءة وكتابة وحديثاً. ومن الجدير بالذكر أن (لين) عاش في **مصر** مدة أربع سنوات ونشر كتاباً عام ١٨٣٦ م عن مصر في تلك الفترة... ولا يزال هذا الكتاب مصدراً عن مصر لتلك الفترة.

كما ترجم (لين) ألف ليلة وليلة ونشرها في ثلاث مجلدات عام ١٨٤٠ م.

وهي أول ترجمة انكليزية (من العربية مباشرة). وهذه الترجمة ناقصة، فقد حذف (لين) كافة القصص التي ترفضها التقاليد الخلقية البريطانية التي سادت في تلك الفترة. وقد جمعت تعليقات لين عن ألف ليلة وليلة في كتاب بعنوان (**المجتمع العربي في العصور الوسطى**) ونشرت عام ١٨٨٣م[٢٠].

ويقول (لين) في ترجمته الثانية: إن ترجمته الأولى كانت عن الفرنسية (ترجمة جالان) وإليه ترجع أخطاؤها، لأن ترجمة جالان انحرفت بالكتاب عن أصله، ولم يكن صاحبها يعرف شيئاً عن البلاد العربية، وكل همه كان أن يلائم الكتاب الذوق الأوروبي.

ولكن (لين) اعتمد في ترجمته الثانية على نسخة **بولاق** المعروفة، واعتمد كثيراً على تجاربه في الشرق[٢١].



وقام (بين) John Payne في سنة ١٨٨٢م، بترجمة محدودة النسخ زعم أنها أول ترجمة انكليزية كاملة للنص العربي. وقد اعتمد فيها على نسخة (**برسلو**، و**بولاق**، ونسختي **كلكتا**، ويعتبر في مقدمته بأن ترجمته أول ترجمة يظهر فيها الشعر مترجماً إلى شعر[٢٢] وذلك لأن ترجمة (تورنز) غير كاملة، كما مر بنا، ولقد راجع هذه الترجمة (**برتن**). والظاهر أنه قد ساعد فيها أيضاً[٢٣].

أما ترجمة (**ريتشارد بيرتن**) لألف ليلة وليلة، فقد ظهرت عام ١٨٨٥م، وامتازت بأنها كاملة، كما تظهر قابلية بيرتن على خلق لغة انكليزية تمكنه من التعبير عن الطبيعة الشرقية هذه القصص، كما فعل (**فيتزجيرالد**) من قبله في ترجمته **لرباعيات الخيام**[٢٤].

وكانت ترجمة بيرتن ضخمة، في عشرة أجزاء، ألحقها بملحق في سبعة أجزاء على تقسيم الكتاب إلى ليال، وكان المترجمون قد تركوا هذا التقسيم حتى أن (جالان) نفسه أهمله بعد الجزءين الأولين من ترجمته، لسبب طريف فيما يقال، وهو أن شباب باريس كانوا يقلقون نومه بالصياح تحت نافذته بتلك الجمل المكررة المشهورة في آخر الليلة وفي أولها.

واعتمد بيرتن على نسخة كلكتا الثانية، وأكمل بعض النقص من نسخة (برسلو)، وقد اهتم أيضاً، كما اهتم لين، بالتعليقات الطويلة الكثيرة زاعماً أن الانجليز في أمس الحاجة إلى معرفة الشرق في حياته الاجتماعية، لتسهل عليهم مهمتهم فيه. وهو ينظر في ذلك نظرة لا تخلو من اتجاه استعماري قوي[٢٥].

وبترجمة (بيرتن) دخلت ألف ليلة وليلة الأدب الانكليزي وأصبحت جزءاً منه ولا تزال مختارات منها تنشر بين حين وآخر حتى اليوم. وقد عاش بيرتن ما يقارب الأربعين سنة في الوطن العربي وشرق إفريقيا وكتب العديد من الكتب عن زياراته. ومن تلك الكتب ما نشره عن زياراته إلى مكة والمدينة متنكراً بزي تاجر سوري[٢٦].

وقام (**ماذر باويس**) Mather Powys بترجمة ترجمة (**ماردروس**) Mardrus الفرنسية إلى الانجليزية، وأخرجها بنفس الفخامة من حيث الصور والطبع[٢٧].

وخلال القرن التاسع عشر ظهرت تسع ترجمات رئيسية لألف ليلة وليلة أعيد طبعها ٦٨ مرة، وكان القارىء الانكليزي يعتقد بأن هذه القصص هي صورة حقيقية لأسلوب الحكم والأخلاق في الشرق العربي[٢٨].

٤ ـ التراجم الألمانية

بعد أن هدأت الفورة من نقل الترجمة الفرنسية إلى مختلف اللغات، أصبح هم المترجمين الأكبر أن ينقلوا عن النص العربي وأصبحوا يمتازون بالمباراة في اقتناء نسخ ألف ليلة وليلة وفي الأمانة في أداء الأصل.

وأول من قام بنقل هذا الأثر إلى ألمانيا، هو المستشرق (فون هامر) Von Hammer **فقد ترجم قصصاً من القاهرة واسطنبول لم تكن موجودة في ترجمة جالان، ثم طبع الترجمة الالمانية لترجمة جالان. ولقد ترجمت قصصه تلك فيما بعد إلى الفرنسية من قبل (تريبوتين)** Trébutien سنة ١٨٢٨م.

ثم تأتي ترجمة (**فيل**) Weil بين سنة ١٨٣٧م وسنة ١٨٤١م. وقد اعتمد فيها على نسخة (برسلو) ونسخة بولاق ومخطوط عربي في مكتبة Gotha وهو لا يتبع تقسيم الليالي ولا يهتم بسجع أو شعر. وقد أخذ نفسه بالأمانة للنص الأصلي قدر الامكان، ولذلك خرجت ترجمته مملة غامضة في نظر النقاد، وأضاف إلى غموضها أن الملاحظات التي تعين على تقريب أثر شرقي غريب إلى الأوروبيين كانت قليلة وقصيرة.

ثم ظهرت في نهاية سنة ١٨٩٦م ترجمة (**هانج**) Hanning عن العربية معتمداً فيها على نسخة بولاق المصرية حاذفاً منها الأشعار ومحاولا أن يكون أميناً لهذه النسخة قدر المستطاع.



ثم ظهرت ترجمة (**جريفه**) Grévé Félix Paul معتمداً على ترجمة (بيرتن) Burton الانكليزية، التي اعتمدت بدورها على نسخة كلكتا الثانية. وكانت ترجمة (جريفه) نواة لأحدث التراجم الالمانية وأشهرها. وهي ترجمة المستشرق الأستاذ (**ليتمان**)، فقد كلف بمراجعة ترجمة (جريفه) على الأصل العربي سنة ١٩١٨م، فأصدر الجزء الأول من أجزائها الستة بعد أن أصلحه وأضاف إليه كثيراً من النثر المسجوع والشعر المترجم ترجمة جديدة. ثم بدأ منذ الجزء الثاني ـ كما قال في المقدمة ـ بإصدار ترجمة جديدة كل الجدة، فوضع لها العنوان التالي: (ترجمة المانية كاملة لأول مرة عن الأصل العربي، طبعة كلكتا عام ١٨٣٩م).

وقد استعان بنسخة بولاق التي تعتمد في الأكثر على نسخة كلكتا الثانية، التي اتخذها أساساً لها، واستعان أيضا بنسخة (برسلو).

ولما كانت بعض القصص المشهورة في أوروبا لا توجد في الطبعات الشرقية لهذه المجموعة، فقد أضافها ذاكراً في المقدمة مرجع كل من هذه القصص أمثال قصة علي بابا وعلاء الدين وقدادار، الخ... وقد قدم لترجمته هذه، الشاعر النمساوي المشهور Hugo ـ Von Hoffimann – Staha II بمقدمة متأثرة جداً بنزعته الشعرية عن أثر ألف ليلة وليلة في النفس[٢٩].

٥ ـ التراجم الرومانية

تعود أول مخطوطة باللغة الرومانية تحتوي على حكايات من مجموعة (ألف ليلة وليلة) إلى عام ١٧٧٩م، منقولة عن الأصل اليوناني. وقد قام (**روفائيل**) رئيس رهبان دير هوريزو الروماني في عام ١٧٨٣م، بأول ترجمة للأصل اليوناني ترجمة كاملة... ولقد انطلقت هذه الترجمة من **البندقية** في ثلاثة أجزاء بعنوان (**ارابيكون ميثولوجيكون**) أي قصص عربية.

وقد احتفظت ترجمة (روفائيل) بتقسيم الأصل اليوناني إلى ثلاثة أجزاء وتحتوي على (٢٢) قصة من مجموعة ألف ليلة وليلة (الجزء الأول) و(٤٥) قصة من مجموعة (**ألف يوم ويوم**)..

وفي عام ١٧٧١م، صدرت ترجمة بعنوان (**قصة هارون الرشيد**) تحتوي إضافات، خلافاً للنص اليوناني. مما يدل على أن أصل هذه الترجمة ليس يونانياً، بل ترجمة من لغة سلافية، ربما الترجمة الروسية الصادرة ١٧٦٣ ـ ١٧٧١م.

أما المخطوطة المؤرخة ١٨١٢ ـ ١٨١٤م، والمعنونة (**حكايات وأحاديث الامبراطور الكبير قمر الزمان**) فيطرح مرة أخرى قضية الأصول التي تمت عليها التراجم الرومانية.

حيث قيل إن هذه الترجمة تمثل الجزء الثاني لترجمة رومانية بقيت غير معروفة لحد الآن . وأشبه ما يكون نص هذه المخطوطة بترجمة (جالان) الفرنسية ، ولكن التأثيرات اليونانية في هذه الترجمة لا تؤيد فكرة نقل مباشرة عن اللغة الفرنسية .

والمعروف أن حكاية قمر الزمان انتشرت انتشاراً واسعاً طوال القرون الوسطى ، ولكن لم يتم العثور عليها في أية ترجمة من التراجم الرومانية قبل الأزمنة الحديثة .

وتم اكتشاف عنوان [**حليمة**] الذي أصبحت قصص مجموعة ألف ليلة وليلة معروفة به . . . وشهدت مجموعة (حليمة)[٣٠] خلال القرن التاسع عشر انتشاراً بالغاً ، فقد صدرت (١٥) طبعة من ثمانية مترجمين . أما في القرن العشرين ، فقد صدرت حتى الآن (١٨) طبعة من أكثر من عشرة مترجمين .

ومن أهم التراجم الرومانية ترجمة (**غيراسيم غورجان**) التي قام بها عام ١٨٣٥ ـ ١٨٣٨ بأربعة أجزاء تحت عنوان (**حليمة أو قصص ميثولوجية عربية**) .

وقد قارن هذا المترجم بين ترجمة الراهب (روفائيل) والأصل اليوناني وهذبها . . وتتميز هذه الترجمة بأنها تمثل أصل طبعة رومانية صدرت بين الأعوام ١٨٣٥ ـ ١٨٣٨ م بمدينة (**سيبيو**) ، كما تتميز بالتعليقات التي أدرجها (**غورجان**) في نص الترجمة وتفسيرات الأمثال العربية والمواعظ الموجهة إلى القراء ، وتغيير أسماء الأعلام حسب هذا النوع من الأسماء الرومانية ، واحلال بعض الحوادث في الأراضي الرومانية .

وتمتعت الترجمة التي قام بها (غورجان) بقبول بالغ من قبل القراء ، مما أدى إلى إعادة طباعتها عدة مرات .

وفي الفترة من ١٨٣٦ ـ ١٨٤٠ م قام الأديب الترانسيلفاني (**يوان باراك**) بترجمة على أساس الأصل الألماني لـ (**ها بيكت**) المنقول بدوره عن ترجمة جالان الفرنسية . وتحمل هذه الترجمة عنوان (ألف ليلة وليلة) (قصص عربية) أو (حليمة) ، وهي أول ترجمة رومانية تحمل عنوان الأصل العربي دون تجاهل العنوان الذي حملته مختلف التراجم الرومانية السابقة .

وفي القرن العشرين ، ساهم عدد من الكتاب الرومانيين المشهورين بترجمة وتحقيق حكايات **ألف ليلة وليلة** . . فعلى سبيل المثال ، أعاد القاص الروماني (**اميل غارليانو**) في عامي ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ م ، ترجمة (**يوان باراك**) وهذبها وقام بتغييرات عليها إثر مقارنتها بترجمة (ماردروس) الفرنسية ولكن هذه الترجمة التي لها ميزات فنية واضحة اقتصرت على تسع قصص فقط ، ومن ناحية أخرى ، احتفظت هذه الترجمة بالعنوانين ، أي (حليمة) و (ألف ليلة وليلة) .

وفي عام ١٩٢٢ م ، قام الروائي الروماني المشهور (**ليفيو ريبريانو**) بأهم محاولة لترجمة مجموعة (ألف ليلة وليلة) انطلاقاً من ترجمة (ماكس هيننغ) الألمانية ومقارنتها بترجمة (ريتشارد بيرتن) ، و (ليونارد سميذرس) الانجليزية . وقد نشر في عام ١٩٢٢ م ، مجلدين بعنوان (ألف ليلة وليلة ـ الكتاب الكامل) . ويلفت النظر في هذا العنوان أن المؤلف كان ينوي ترجمة المجموعة بأكملها ، ولكن لأسباب غير معروفة توقف ، وترك الموضوع دون عودة إليه .

وكان مستوى الترجمة ممتازاً من الناحية الفنية ، وتميزت بناحيتين : الأولى ، الاستغناء النهائي عن (حليمة) والاقتراب من الأصل العربي . والثانية ، الاحتفاظ بترقيم أو تعديد الليالي .

أما في العقود التالية من القرن العشرين ، فقد صدرت مختارات ومعالجات فقط لأقاصيص من مجموعة ألف ليلة وليلة ، على أساس التراجم الألمانية والفرنسية . وابتداء من عام ١٩٦٦ م ، تحملت إحدى أكبر دور النشر في **رومانيا** وهي (**دار ميترفا**) مسؤولية نشر طبعة كاملة لحكايات ألف ليلة وليلة .

وفي عام ١٩٧٦ م ، أي بعد عشر سنوات من بداية هذا المشروع الذي اشترك فيه عدد من رجال الثقافة الرومانيين ، وانتهى بالمجلد الرابع عشر ، نشرت أول طبعة كاملة لمجموعة ألف ليلة وليلة في رومانيا . ورغم أنها ليست ترجمة علمية بمعنى الكلمة ، إلا أن الفضل يعود إليها في وضع أحد الملاحم الكبرى لآداب العالم أمام القراء الرومانيين .

وقد نشرت هذه المجلدات الأربعة عشر في مجموعة (**مكتبة الجميع**) وفي أكبر المجموعات شعبية في رومانيا ، حيث صدرت فيها حتى الآن ما يقارب (٩٠٠) عدد من العناوين في العقدين الأخيرين .

وإذا أضفنا إلى كل ذلك الأمر أن (حليمة) العنوان الأصلي الذي انتشرت به حكايات مجموعة (ألف ليلة وليلة) في رومانيا ، أدركنا صورة نجاح هذا الأثر العربي بين صفوف القراء الرومانيين[٣١] .

٦ ـ التراجم الروسية

لعل أهم ترجمة روسية لألف ليلة وليلة هي الترجمة التي قام بها (**ساليه**) S.A. Salier ونشرها المستشرق **كريمسكي** Krymsky, A.E. عام ١٨٧١ ـ ١٩٤١ م .

وقد ترجم **مكسيم جوركي** ألف ليلة وليلة هو الآخر عام ١٩٠٤ م . ومما جاء في مقاله بالمجلد الأول : « إن حكايات شهرزاد هي أضخم أثر من الآثار الرائعة للأدب الشعبي غير المدون[٣٢] » .

وترجم (**ليف تولستوي**) (١٨٢٨ ـ ١٩١٠) ، عدداً من حكايات الليالي منها على وجه الحصر : (حكايات علي بابا والأربعين حرامي والدرويش والغراب الصغير ، والملك والقميص ، وتاجر بغداد) وقد ضمنها جميعاً في مؤلفه الذي صدر ضمن (**كتب المطالعة**) . . . وكان تولستوي حريصاً على جمع كل ما صدر من طبعات (ألف ليلة وليلة) سواء منها التي صدرت بالروسية أم باللغات الأجنبية (كالفرنسية والألمانية والانكليزية) .

وكان يحافظ على اللون والمغزى والنكهة العربية في الأقاصيص والمأثورات والأساطير والحكايات العربية التي كان يترجمها ، ولكنه كان يمنح شخوصها أسماء روسية[٣٣] .

وهناك ترجمات أخرى صدرت لألف ليلة وليلة في معظم أرجاء روسيا ، من بينها ترجمة روسية صدرت في فترة أعوام ١٧٦٣ ـ ١٧٧١ م[٣٤] وأخرى في عام ١٩٠٥ م .

٧ ـ التراجم التشيكية

يحفل الأدب التشيكي بعدد من الترجمات والاقتباسات والقصص الجديدة من حكايات ألف ليلة وليلة . فمنذ العام ١٩٧٥ م ، نشر (**فلاسلاف ماتي**) من **براغ** كتاباً يحتوي على قصص عربية . وكان هذا الكتاب في الحقيقة منقولاً عن ترجمة (جالان) . وفيما بعد صدرت طبعات أخرى من واقع ترجمة جالان الألمانية أيضاً لألف ليلة وليلة خلال الأعوام ١٨٥٩ ـ ١٨٦٢ م ، وحكايات عربية عام ١٩٦٢ م ، في براغ .

ومنذ بداية القرن العشرين ترجمت ألف ليلة وليلة من الأصل العربي . ففي عام ١٩٠٥ م ، أصدر **الدكتور جوزيف مركوس** ترجمة من الأصل العربي الذي طبع في بيروت .

وترجم (كارل شافرج) مقتطفات من ألف ليلة وليلة من العربية مباشرة عن قصص **السندباد البحري** (براغ ١٩١٤ م) . وكذلك فعلت (**ماري تاوروفا**) **حين ترجمت حكايات من ألف ليلة وليلة في براغ عام ١٩٢٤ .**

وصدرت مؤخراً ، ترجمة تشيكية لكتاب (ألف ليلة وليلة) عن دار اوديون لنشر القصص والفنون ، وهذه الطبعة لا تختلف عن الطبعة الكاملة التي أصدرتها **أكاديمية العلوم التشيكوسلوفاكية** بين عام ١٩٥٨ و١٩٦٣ م ، بترجمة (**البروفسور تاور**) في عدة أجزاء ، ابتداء من عام ١٩٢٧ م ، إلا في تغييرات بسيطة[٣٥] .

٨ ـ التراجم البولونية

صدرت الترجمة الأولى لألف ليلة وليلة باللغة البولونية في القرن الثامن عشر عام ١٧٧٤ م ، تحت عنوان (المغامرات العربية أو ألف ليلة وليلة) .

وصدرت الترجمة الثانية في عام ١٩٥٩ م ، عن المكتبة الوطنية . . أما الترجمة الثالثة ، فقد صدرت عام ١٩٦٦ م .

وفي عام ١٩٧٧ م ، صدرت الطبعة الرابعة من ألف ليلة وليلة عن معهد الدولة البولونية للنشر في ستة أجزاء قام بإعدادها مترجمين بولونيين[٣٦] .



٩ ـ التراجم الايطالية

في الفترة من ١٨٢١ ـ ١٨٢٢ م ، صدرت في مدينة **(البندقية)** الطبعة الايطالية المنقولة عن اللغة الفرنسية ، والتي ضمت اثني عشر جزءاً .

وفي الفترة الواقعة بين الأعوام ١٧٥٧ ـ ١٧٦٢ م ، صدرت في البندقية أيضاً أربعة أجزاء من حكايات ألف ليلة وليلة وحكايات « ألف يوم ويوم » بعنوان « قصص عربية » وقد نقلت إلى اليونانية عن أصلي المجموعتين باللغة الايطالية(٣٧) .

١٠ ـ الترجمة اليونانية

يعتبر بعض الباحثين ، أن الترجمة اليونانية صدرت في ثلاثة أجزاء ، وقد احتفظ المترجم اليوناني **(بوليزويس لامبانيتسيوتس)** الذي عاش فترة لدى قصر أحد الأمراء الرومانيين ، احتفظ بالقصة الافتتاحية من مجموعة ألف ليلة وليلة وشطب مقدمة مجموعة (ألف يوم ويوم) التي وضعها (بيتيس دي لا فرواه) والتي كانت لا تتناسب مع مقدمة مجموعة ألف ليلة وليلة . ثم استغنى عن التقسيم إلى ليالي وبالتالي إلى أيام . وبدل اسمي بطلتي المجموعتين أي (**سوتليميمه**) بطلة مجموعة (ألف يوم ويوم) و (شهرزاد) بطلة مجموعة ألف ليلة وليلة باسم (حليمة) وأخيراً احتفظ بعنوان (ألف ليلة وليلة) لترجمته(٣٨) .

تراجم أخرى

وظهرت ترجمات عديدة لألف ليلة وليلة في كل من **البرتغال وهولندا والدانمرك والسويد وهنغاريا** . . . وقد خصص المستشرق **(شوفان)** Chauvin مائة وعشرين صفحة من كتابه (ببلوغرافيا المؤلفات العربية) لمجرد تعداد طبعات وترجمات ألف ليلة وليلة في مختلف لغات العالم(٣٩) .

الخاتمة

لقد أثارت ألف ليلة وليلة بعد أن نقلت إلى لغات أوروبا شغفاً في نفوس الأوروبيين لجمع الأدب الشعبي ودراسته على نحو لم يكونوا قد بدأوا يحسون الحاجة إليه أو الحافز نحوه ، ولكنها من ناحية أخرى قد أثارت في نفوسهم التطلع إلى معرفة هذه الشعوب التي أنتجت هذا الأثر والتي دارت حوادث كتاب الليالي حولهم(٤٠) .

وقد أثرت ترجمات الليالي العربية تأثيرات متنوعة كثيرة في الأدب الأوروبي ، في المسرحيات والقصص والشعر الغنائي والمسرحيات الغنائية ، مما يضيق المقام هنا عن تفصيله ، وعظم تأثيرها بخاصة في أواخر القرن الثامن عشر ثم طوال العصر الرومانتيكي(٤١) .

لقد أقام كتاب الليالي أوروبا وأقعدها وغير مجرى حياتها ، وكان سبباً في اندحار الكلاسيكية . . وظهور الرومانتيكية . . . كما ولد الرهافة في الحس والتعبير بين كتاب القرن الثامن عشر ، فهذا « روسو » شيخ الرومانتيكية دون منازع ، ما كان ليستطيع أن يبلغ هذا الشأن الأدبي الذي بلغه لو كانت ترجمة ألف ليلة وليلة قد تأخرت إلى ما بعد عصره .

إن الصور الهائلة التي عرضها كتاب ألف ليلة وليلة أيام القرن الثامن عشر جعلت الفرنسيين يقارنون بين هذا العالم الديمقراطي العجيب ، وعالمهم المليء بالظلم والاستبداد . . فأي فارق بين خليفة ـ أي هارون الرشيد ـ يطوف في الأسواق والشوارع متنكراً ليطلع على أحوال رعيته فينصف المظلوم ويوزع الهبات على مستحقيها ، وبين **الملك لويس الرابع عشر** الذي يقول : « أنا المملكة ! » **ولويس الخامس عشر** الذي يقول : « فليكن بعدي الطوفان ؟! »(٤٢) .

ولا نبالغ إذ نقول : إن ألف ليلة وليلة كانت الحافز لعناية الغرب بالشرق عناية تتعدى المناحي الاستعمارية والتجارية والسياسية ، كما لا نبالغ إذا أرجعنا كثيراً من قوة حركة الاستشراق وانتشارها إلى ما ترك هذا الأثر الخالد في نفوس الأوروبيين(٤٣) .

وكان أثر ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي متشعباً متفرقاً فقد تأثر بالناحية الخيالية والشعرية الغامضة السحرية التي تكشفت عن الشرق بفضل هذا الأثر ، وأصبح الكتّاب الغربيون في كثير من الأحيان يتجهون إلى هذا الأثر وإلى تعبيرات خاصة به وصور مأثورة عنه كلما أرادوا أن يفصلوا في أدبهم كلاماً عن السحر الخارق أو البذخ الشرقي بوجه عام .

كما تأثر الأدب الأوروبي بهذه الصور العديدة التي كشفت الليالي من حياة الشرق في ناحيتين هامتين :

● الأولى ـ في ناحية **الوصف** : حيث استفادت بذلك القصة الغربية آفاقاً جديدة وميادين جديدة لحوادثها وعواطفها .

● والثانية في ناحية **المناظر المسرحية** : فقد اكتسب المسرح غنى هائلاً وأصبحت صناعة المناظر المسرحية تعتمد اعتماداً قوياً في إبراز الأدب المسرحي الشرقي على هذه الصور التي أوحت بها الليالي(٤٤) .



المصادر والمراجع

١ ـ جليل كمال الدين (الدكتور) :
تولستوي والأدب العربي ـ جريدة (الثورة) العدد ٣٠٩٧ بغداد ١٩٧٨/٨/٢٧ م .

٢ ـ زكريا هاشم زكريا (المهندس) :
فضل الحضارة العربية والإسلامية على العالم ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ م .

٣ ـ سهير القلماوي (الدكتورة) :
ألف ليلة وليلة ، دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م القاهرة .

٤ ـ صفاء خلوصي (الدكتور) :
دراسات في الأدب المقارن والمذاهب الأدبية ـ مطبعة الرابطة ١٩٥٨ م بغداد .

٥ ـ طاهر الطناحي :
ألف ليلة وليلة (طبعة دار الهلال الخاصة المهذبة) ج ١ القاهرة (دون تاريخ) .

٦ ـ عادل عبد الله :
ألف ليلة وليلة وصورة المجتمع العربي ـ مجلة حوار ـ العدد الأول/١٩٦٤ م بيروت .

٧ ـ عصام الخطيب (الدكتور) :
مظاهر عربية في الأدب الانكليزي ـ مجلة (الجامعة) الموصلية ـ العدد الرابع/١٩٧٧ بغداد .

٨ ـ فاروق سعد (المحامي) :
من وحي ألف ليلة وليلة ج ١ ـ الطبعة الأولى ـ منشورات المكتبة الأهلية ـ بيروت ١٩٦٢ م .

٩ ـ نيقولا دوبريشان :
دخول وانتشار حكايات ألف ليلة وليلة في التراث الثقافي الروماني مجلة (التراث الشعبي) بغداد ـ العدد الثاني/١٩٧٧ م .

١٠ ـ هاملتون الكساندر روسكين (البروفسر كب) :
بحثه عن (الأدب) في كتاب (تراث الإسلام) تعريب جرجيس فتح الله ـ دار الطليعة بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٢ م .

١١ ـ ؟ أحد أعداد مجلة الدستور (لندن) ١٩٧٧ م .

١٢ ـ ؟ ترجمة تشيكية لألف ليلة وليلة ـ مجلة (تشيكوسلوفاكيا) الطبعة العربية ـ العدد ٢٤٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٦ م .

الهوامش

(١) طاهر الطناحي : ألف ليلة وليلة : طبعة دار الهلال ج١ ص (٢٥) من المقدمة .
(٢) سهير القلماوي : ألف ليلة وليلة (دراسة) ص (٧٥) .
(٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة العربية والإسلامية على العالم ص (٥٨٥) .
(٤) د . سهير القلماوي ، د . محمود علي مكي : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ص (١٠٩ ـ ١١٢) إصدار اليونسكو .

(٥) فاروق سعد : من وحي ألف ليلة وليلة ج ١ ص (٢٥) .
(٦) د . سهير القلماوي : ألف ليلة وليلة ص (٦٦) .
(٧) عادل عبد الله : ألف ليلة وليلة وصورة المجتمع العربي ـ مجلة حوار ١٩٦٤/١ ص (٨٠) .
(٨) القلماوي : نفس المصدر ص (١٨ و ٦٦) .
(٩) نفس المصدر .
(١٠) نفس المصدر ص (١٩) .
(١١) تافرنييه : Tavernier (١٦٠٥ ـ ١٦٨٩) : رحالة فرنسي . رحل ثلاث رحلات إلى الشرق . ترجم الجزء الخاص برحلة العراق الاستاذان كوركيس عواد وبشير فرنسيس وعلقا عليه .
(١٢) شاردان : Chardin (١٦٤٣ ـ ١٧٤٣) رحالة فرنسي عاش في انكلترا .
(١٣) برنييه : Bernier (توفي ١٦٨٥) رحالة فرنسي ترجمت رحلاته إلى عدة لغات . وكانت رحلاته إلى الشرقين الأقصى والأدنى .

(١٤) تراث الإسلام : ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .
(١٥) نفس المصدر : ص (٢٨٩) .
(١٦) فاروق سعد : نفس المصدر ص (٢٤ ـ ٢٥) .
(١٧) القلماوي : نفس المصدر ص (١٩) بتصرف .
(١٨) طبع هذه المخطوطة (ماك ناتن) في كلكتا وتعرف باسم نسخة كلكتا الثانية .
(١٩) القلماوي : نفس المصدر ص (٢١) ، فاروق سعد : نفس المصدر ص (٢٥) .
(٢٠) د . عصام الخطيب : مظاهر عربية في الأدب الانكليزي ـ مجلة الجامعة (الموصلية) العدد الرابع/١٩٧٧ ص (٣١) .
(٢١) كان (لين) لا يرى ترجمة الشعر العربي الى شعر انكليزي . وقد دافع عن نظريته هذه في مقدمته لترجمة (تورنز) .
(٢٢) ترجم (لين) الشعر في الف ليلة وليلة الى شعر انكليزي : سهير القلماوي : نفس المصدر ص (٢١) .

(٢٣) القلماوي : نفس المصدر ص (٣١) .
(٢٤) كما في المصدر رقم (٢٠) ص (٣١) .
(٢٥) القلماوي : نفس المصدر ص (٢٢ ـ ٢٣) .
(٢٦) كما في المصدر رقم (٢٠) .
(٢٧) القلماوي : نفس المصدر ص (٢٣) . (لا يمكن اعتبار ترجمة مردروس ترجمة علمية لتفاهتها ، وقد انتقدها المستشرقون أشد انتقاد منهم الأستاذ (دومنيين) ؛ وانظر دائرة المعارف الإسلامية ـ الترجمة العربية ـ مادة (ألف ليلة وليلة) ص ٥٣٥ .
(٢٨) كما في المصدر (٢٠) .
(٢٩) القلماوي : نفس المصدر ص (١٩ ـ ٢٠) .

(٣٠) حليمة : هي بطلة قصة (قمر الزمان وزوجة الجوهري) في مجموعة ألف ليلة وليلة العربية .
(٣١) نيقولا دوبريشان : دخول وانتشار حكايات ألف ليلة وليلة في التراث الثقافي الروماني . مجلة (التراث الشعبي) البغدادية ـ العدد الثاني/١٩٧٧ ص (٧٧ ـ ٨٤) بايجاز وتصرف بسيط .
(٣٢) فاروق سعد : نفس المصدر ص (٢٥) ، نجيب العقيقي : المستشرقون ج٣ ص (٩٢٢) .
(٣٣) د . جليل كمال الدين : تولستوي والأدب العربي . جريدة (الثورة) البغدادية ، العدد ٣٠٩٧ في ١٩٧٨/٨/٢٧ .
(٣٤) كما في المصدر (٣١) ص (٨١) .
(٣٥) مجلة تشيكوسلوفاكيا (الطبعة العربية) العدد ٢٤٧ إكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٦ م ، ص (٢٧) .
(٣٦) مجلة (الدستور) لندن ١٩٧٧ م ، أحد الأعداد (؟) .
(٣٧) كما في المصدر (٣١) ص (٧٩) .
(٣٨) المصدر نفسه ص (٧٩) .

(٣٩) فاروق سعد : نفس المصدر ص (٢٦) وليتصور القارىء كم يستغرق من الصفحات إحصاء طبعات وترجمات ألف ليلة وليلة منذ التاريخ الذي وقف عنده شوفان ، أي سنة ١٨٨٥ م ، حتى اليوم ، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار تطور المطبعة واتساع النشر في العالم .
(٤٠) القلماوي : نفس المصدر ص (٦٤) .
(٤١) راجع دراستنا المفصلة عن (ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية) في مجلة (الآداب) البيروتية ـ العدد (٣ و ٤) ١٩٧٧ م ، ص (٦٦ ـ ٧٩) .
(٤٢) د . صفاء خلوصي : دراسات في الأدب المقارن ص (٢٦) .
(٤٣) القلماوي : نفس المصدر ص (٦٤ ـ ٦٦) .
(٤٤) نفس المصدر ص (٦٩) .

أشعار حب يابانية

ترجمها عن الإنجليزية

د. غازي القصيبي

« ١ »

الليـلُ :
وَهـذا البـابُ المفتـوح
على أضْواءِ القمـر البَسَّـامْ
قـال حبيبي :
سـأجيء الليلةَ في الأحـلامْ

« أوتومو نو ياكاموشي »
القـرن الثـامن

« ٢ »

وتمطـر ..
لكنني لا أحسُّ المطـر
لأنـي اتخـذتُ هَـوَاكَ مَظَـلَّة !

« أغنية شعبية يابانية »

« ٣ »

لا تبتسم
كالجبلِ المُخْضَرِّ غَطَّاهُ السَّحابْ
سـيعرفُ النـاسُ بأنَّا عَـاشِقَانْ

« السيدة أوتومو نو ساكانو »
القـرن الثـامن

« ٤ »

وتبتعـد يـوماً
واشعـر في وحـدتي
بأنـك سَافَرْتَ مِنْ ألْف عـام
وحـين تغيـب
ينـوح الغـدير
وحـين تعـود
يفيض شعاع القمر
على غـرفتي

« كونوسوكي كوماي »
القـرن العشرين

« ٥ »

أتـدريـن كم ذا أحِبُّـكِ ؟ !
لا تسخري يـا حبيبة
أني أحبُّـكِ حـتى لأكره كل الألى
اجتـرأوا أن يحبّـوك ..
حـتى لأكره أكثر كل الألى
اجترأوا أن يـروك ولـم يعشـقوك !

« كونوسوكي كوماي »
القـرن العشرين

« ٦ »

ليتـني مـا انتـظرته ... مـا تجلـدت للسَّـهرْ
ليتني ضـعتُ في السَّـبَاتِ وأبْحَـرتُ في الحـذرْ
ليتـني مـا انتـظرته ... هـا هنا أرقبُ السَّحرْ
وأرى الليـلَ كَالـخِضَمِّ هَـوَى نحـوه القمـرْ

« السيدة أكازوما نوايمون »
القـرن الحـادي عشـر







★ ابن سينا ★

كتاب "الشفاء" لأبي علي بن سينا

بقلم: علي بركات

يشغل الفيلسوف الإسلامي الشيخ الرئيس « **أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا** » (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ/ ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) ، مكانة شامخة في الفكر الإنساني ، بفضل شخصيته الفذة ، إذ أحاط بجهده الذاتي الدؤوب بالتراث الثقافي ، وتيارات عصره العلمية والفكرية فاستوعبها وتمثلها ، ومارس العلوم نظراً وتجربة ، فعكس روح عصره ، بعقل مبدع متفتح ، ومن ثمة خلف آثاراً متنوعة وعميقة شهدت بأصالته ، وأكدت ريادته ، مما هيأ له أن يضيف جديداً إلى علوم عصره ، ويثري التراث الفكري بثروة فكرية فلسفية وعلمية ذات قيمة لا تنكر ، فلا جرم أن صار من مفاخر الإنسانية المفكرة ، الملهمة في مجالات شتى .

فقد أسهم « ابن سينا » في كافة علوم عصره ، ولم يدع فرعاً من فروع المعرفة ، في ثقافة زمانه السائدة ، إلا وأبدى فيه رأياً تميز بالجدة والطرافة ، فأشع بنور عقله الفياض على الفكر الإسلامي من نواحيه المختلفة ، فتحقق له تأثيراً واسعاً وعميقاً في العالم العربي ، وتجاوزه إلى الفكر المسيحي ليكون له تأثيره على الفكر العربي منذ أن ترجمت أعماله في القرون الوسطى إلى **اللغة اللاتينية** حيث ذاع نتاجه المبدع الخصب ، المتسم بالموسوعية في مصنفاته المتعددة التي يتصدرها مصنفه « الشفاء » .

وينفرد « الشفاء » بأنه إحاطة مستوعبة لصنوف العلوم العقلية المتباينة المصادر والأصول ، التزم فيها بصدق التحري ، وأمانة العرض ، ونزاهة المناقشة ، فسبق دوائر المعارف الحديثة بنحو ستة قرون ، ولذا ظل محتفظاً بقيمته وأهميته التي لا تمارى حتى عهد الموسوعات قبيل القرن التاسع عشر ، ومناط التقدير فيما أنجزه « ابن سينا » أنه انفرد بطاقته وجهده في وضعه ، بينما صدور الموسوعات اليوم يتعذر ما لم تتضافر جهود الخبراء والمتخصصين ، ومع ذلك توفر في « الشفاء » الإحاطة في العرض ، والدقة في تصنيف المعلومات والحقائق مع التنسيق الذي يبرزها ويمكن الوصول إليها في سهولة ويسر ، حيث **يضم أربعة أقسام هي المنطق ، والطبيعة ، والرياضة والعلم الإلهي** ، وقد أعانته الذاكرة على التمكن من جميع العلوم دون الرجوع إلى المصادر فكان يكتب رؤوس المسائل كلها « بلا كتاب يحضره ، ولا أصل يرجع إليه بل من حفظه وظهر قلبه ... وكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فيما يقول تلميذه « **الجوزجاني** » الذي عايش « الشفاء » وهو رحلة فكر في عقل صاحبه .

وعلى الرغم من أن « الشفاء » دائرة معارف فلسفية ، فقد حملت هذا اللفظ ، لأن « ابن سينا » قصد به « شفاء النفوس » ، وبذا يطبع المصنف بخاصية الابتكار التي تميز بها من مفتتحه حتى منتهاه ، وقد تحقق لهذا العنوان أن يجد من يقلده في العالم العربي ليكون له رحلته أيضاً إلى جانب المتن ذاته ، وقد ترجم إلى اللاتينية في شيء من التحريف Sufficientier .

وإذا كنا نتابع المصنف في رحلته ، فإن مضمونه نفسه قد ظل في صحبة صاحبه يعمل فيه فكره أثناء رحلاته التي لم تنقطع وصبغت الفترة التي وضعه فيها بالاضطراب والقلق ، ولذا فقد سجل مواده أثناء تنقله في رحلاته ، ولم تفل عزيمته دون إنجازه السِّفْرَ العظيم في عام ٤١٨ هجرية .

مضمون الشفاء

يستهل « ابن سينا » مصنفه موضحاً مقصده من وضعه إذ يقول : « إن غرضنا في هذا الكتاب أن نودعه لباب ما تحققناه من الأصول في العلوم الفلسفية المنسوبة إلى الأقدمين ، المبنية على النظر المرتب المحقق ، والأصول المستنبطة بالافهام المتعاونة على إدراك الحق المجتهد فيه زماناً طويلاً ، حتى استقام آخره على جملة اتفقت عليها أكثر الآراء ، وتحريت أن أودعه أكثر الصناعة .. ولا يوجد شيء يعتد به إلا وقد ضمناه كتابنا هذا .. وقد أضفت إلى ذلك مما أدركته بفكري ، وحصلته بنظري ، وخصوصاً علم الطبيعة ، وما بعدها ، وفي علم المنطق » .

ويبين « ابن سينا » أن الغرض من الفلسفة أن يوقف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه والأشياء الموجودة إما أشياء موجودة ليس وجودها باختيارنا وفعلنا ، وإما أشياء وجودها باختيارنا وفعلنا .

ومعرفة الأمور التي من القسم الأول تسمى **فلسفة نظرية** ، ومعرفة الأمور التي من القسم الثاني **فلسفة عملية** ، والفلسفة النظرية إنما الغاية فيها تكميل النفس بأن تعلم فقط ، والفلسفة العملية إنما الغاية تكميل النفس ، لا بأن تعمل فقط ، بل أن تعلم يعمل به فتعمل . فالنظرية غايتها اعتقاد رأي ليس لعمل ، والعملية غايتها معرفة رأي هو في عمل ، فالنظرية أولى بأن تنسب إلى رأي . **والغاية في الفلسفة النظرية معرفة الحق ، والغاية في الفلسفة العملية معرفة الخير .**

ويبين « ابن سينا » فائدة المنطق ، وجدوى تعلمه وممارسته ، فيرى أن استكمال الإنسان من جهة ما هو إنسان وعقل ، هو في أن يعمل الحق لأجل نفسه ، والخير لأجل العمل به واقتباسه ، وجل ما يحصل عليه من ذلك إنما يحصل بالاكتساب ، والاكتساب هو اكتساب المجهول ، ولذا يجب أن يبدأ الإنسان بتعلم كيف يكون له اكتساب المجهول من المعلوم ، وكيف حال المعلومات وانتظامها في أنفسها ، حتى تفيد العلم بالمجهول ، أي حتى إذا ترتبت في الذهن الترتيب الواجب انتقل الذهن منها إلى المجهول المطلوب فعله .

والمنطق عند « ابن سينا » آلة سلبية تعصم من الزلل ، وتعين على اجتناب الخطأ ، وتدرك الحقائق بهداية الحكمة ونور البصيرة ، فهي مصباح والمنطق ميزان .

وما أكثر ما نستخلصه من مصنف « الشفاء » من آراء وأفكار تزيدنا قرباً من عقل « ابن سينا » ، فهو في **الطبيعيات** يرى المادة الأولية والصورة والعدم هو **الأصول الثلاثة** التي تصدر عنها كل الأجسام الطبيعية ، والعالم مخلوق في زمان ، فالكائنات إما أن تكون ممكنة الوجود جميعاً ، وإما أن تكون جميعها واجبة الوجود ، ومحال أن تكون ممكنة الوجود جميعاً ، لأن الممكن يحتاج إلى علة تخرجه من حيز الامكان إلى حيز الفعل ، ومحال أن تكون واجبة الوجود جميعاً ، لأنها بين متحركة تحتاج إلى محرك ، وبين مركبة تحتاج إلى علة لتركيبها ، ولا بد أن تسبقها أجزاؤها ، فهي إذن بعض ممكن الوجود ، وبعض واجب الوجود ، وواجب الوجود هو الذي لا نتصور عدمه ، مسبوقاً ، لأن الذي يسبقه يكون إذن أولى بالوجوب .

ويمضي « ابن سينا » ليصل إلى **تقسيم الوجود** إلى واجب بذاته ، وممكن بذاته ، ولكنه واجب بغيره ، وبذلك وفق بين القائلين بقدم العالم وخلقه ، فإن العالم ممكن بذاته ، ولكنه واجب بغيره ، لأنه كان في علم الله .

والنفس كما يحدها « ابن سينا » كمال أول لجسم طبيعي آلي أو جسم طبيعي ذي حياة ، فالجسم الحي يمايز غير الحي بنفسه لا ببدنه ، فالنفس إذن صورة له أو ماهية ، والصورة أو الماهية هي الكمال الذي يتحقق به وجود الذات ، **وكل كمال فهو ينقسم إلى قسمين :** الكمال الذي هو مبدأ الأفاعيل ، والكمال الذي هو ذات الأفاعيل ، والأول هو الكمال المؤثر والثاني هو الكمال المتأثر .

ويلزم « ابن سينا » الدقة وقوة الملاحظة فيما يعرضه من وصف للظواهر ، مما يضفي على مصنفه طابع تجريبي ، ودقة علمية ، فإذا تكلم عن **الظواهر الجوية ، وعلم طبقات الأرض** ، وغير ذلك في الطبيعيات قال : « أما الزلزلة فإنها حركة تعرض لجزء من أجزاء الأرض بسبب ما تحته ، ولا محال أن ذلك السبب يعرض له أن يتحرك ، ثم يحرك ما فوقه . والجسم الذي يمكن أن يتحرك تحت الأرض ، ويحرك الأرض إما جسم بخاري دخاني قوي الاندفاع كالريح كما يشق الخواني إذا تولد في العصير » .

تأثير وتأثر

وإذا كانت رحلة « الشفاء » تشهد بمدى تأثيره في الفكر الإنساني حيث كان له صداه في كافة المحافل العلمية التي حل بها ، فإن الأفكار والنظريات التي حملها « الشفاء » وتفاعل بها « ابن سينا » قطعت رحلات طويلة من بقاع دانية ونائية حتى امتزجت ببنائه الفكري ، وارتبطت بتكوينه العقلي ، وكان موقفه منها سواء بالرفض أو القبول ، قائماً على فحص وبحث . فقد كان لا يمل عن مواصلة الدرس والتحصيل والعكوف على القراءة والاطلاع دون أن يعتريه الكلال أو الفتور ، وينفعل ويتفاعل بما يدرس فيهضم ويتمثل الحقائق التي يظهر أثرها أوضح ما يكون في الشفاء ، فإذا تحدث عن رحلة الأفكار في بنائه الفكري قال : « كنت .. أشتغل بالقراءة والكتابة .. وما زلت كذلك حتى أستحكم معي جميع العلوم ، ووقفت عليها بحسب الإمكان الإنساني .. حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي ، ثم عدلت إلى الإلهي .. وقرأت ما بعد الطبيعة .. وطالعت فهرس كتب الأوائل ، وطلبت ما احتجت إليها فيها .. ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط .. فقرأت تلك الكتب ، وظفرت بفوائدها ، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه .. » .

ولا نكران أنه تأثر بأفكار فلاسفة توطدت صلته الفكرية بهم في سنوات التكوين الأولى مع تباين درجة التأثير ونوعيته ، ومن هؤلاء **أفلاطون ، وأرسطو والفارابي** ، وبعض المتفلسفة من قدماء الهند وفارس ، فهو يقترب من الفارابي في توفيقاته الدينية ، ويقارب **فرفريوس والأفروديسي** ، في رموزهما الصوفية ، ويماثل أرسطو في تفكيره المنطقي ، ويقارب أفلاطون في



★ الفارابي ★



★ الغزالي ★



★ ديكارت ★

النزعة الصوفية ، ولكن أبعاد هذه العلاقات محل نظر وموضع يقاس بين التأييد والمعارضة إذ يرى «**برتراند رسل**» في مصنفه «**تاريخ الفلسفة الغربية**» أن ابن سينا كان في فلسفته أقرب إلى أرسطو منه إلى الأفلاطونية الجديدة ، إلا أنه فيما يقرر **كورتس** S. J. Curtis في «**موجز تاريخ فلسفة العصور الوسطى**» قد عبر في «الشفاء» عن آرائه الذاتية التي تميز شخصيته كفيلسوف إسلامي له خصائصه المتفردة التي تكسبه الجدة والابتكارية .

رحلة الشفاء في العالم العربي

لقد بدأ تأثير مصنف «الشفاء» في العالم العربي منذ القرن الخامس الهجري ، حيث سادت فلسفة «ابن سينا» ، وطبعت الفكر الفلسفي بطابعها إلى أوائل القرن الرابع عشر ، ، وقد اطلع كثير من الفلاسفة والمتكلمين على «الشفا» بحسبانه المعبر عن فلسفة فيلسوف الإسلام غير منازع . وأقبل الكثيرون على تفهم واستيعاب «الشفاء» ولم يكن الموقف من آرائه بين الفلاسفة قائماً على الموافقة والاتباعية تماماً ، ولكنه كان يتردد بين القبول والمعارضة ، «**فالغزالي**» في «**تهافت الفلاسفة**» و«**الشهرستاني**» في «**نهاية الإقدام**» حينما يوضحان القول في حدوث العالم واستحالة قدمه يستمدان نصوصهما من «الشفاء» ويعمدان إلى عرض كثير من الأفكار والآراء التي تضمنها للتأييد أو المعارضة .

ويقع «الشفاء» في رحلته بين يدي **عبد الرحمن بن خلدون** ، فيقرأه ، ويحيط به ، ويشير إليه في أكثر من موضوع في «مقدمته» فهو عندما يعرض «الفصل السابع عشر في علم المنطق» ينص على أن «لابن سينا كتاب الشفاء استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها» ، ويستعين بما جاء فيه في شرحه للمنطق وأقسامه ، ويؤكد على أن أعمق من كتب في الفلسفة هو «ابن سينا» لأنه «أوعب من ألف في ذلك «ابن سينا» في كتاب «الشفاء» ، وفي الفصل الحادي العشرون في **علم الإلهيات** فيقول : «وكتب المعلم الأول فيه موجودة بين أيدي الناس ، ولخصه «ابن سينا» في كتاب «الشفاء» ، وهكذا في أكثر من موضع .

ويسري تأثير «الشفاء» في المصنفات التي تمثل الدراسات والبحوث العقلية الإسلامية في العصور الأخيرة ، فالنسفي صاحب مصنف «العقائد» يشرح ويفسر التصور والتصديق على النحو الذي انتهجه «ابن سينا» في «الشفاء» ، وفي مصنف «**المواقف**» للإيجي نقرأ توضيحه للعلل وأنواعها فنسمع صدى بحث العلة في طبيعيات «الشفاء» ، وعندما يبين «الفارابي» في «**المقاصد**» جوهر الحركة ، يسير على درب السماع الطبيعي في «الشفاء» ، وهكذا يتخذ «الشفاء» مساراً فعالاً عبر رحلته الفكرية الطويلة في الدراسات الإسلامية المتنوعة .

الترجمة تحمل «الشفاء» إلى آفاق بعيدة

عرف العرب المصنفات العلمية اليونانية عندما ترجمت إلى العربية في عهد الترجمة الزاهر ببغداد أيام هارون الرشيد عام ٧٨٦ م ، وكان من أشهر المترجمين إلى العربية **حنين بن اسحق** الذي ترأس مدرسة «**دار الحكمة**» التي شيدها **الخليفة المأمون** لنقل أمهات المصنفات اليونانية لتيسر الاطلاع عليها ودراستها ، وبحثها ، ويعقب «دي لاسي أوليري» De lacy o'leary في مصنفه «**علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب**» على ذلك بقوله : «إن التراث اليوناني الذي تلقاه العرب قد ازدهر في البيئة العربية وتطور تطوراً حقيقياً ، فهم لم يكونوا مجرد نقلة له إلى من خلفهم من الأمم ، فقد طابقوا ووفقوا بين مؤلفات العلماء الإغريق والهنود» .

وتظل حركة الترجمة في نشاطها مما يتيح لابن سينا أن يطلع على شوامخ الفكر اليوناني الذي ينعكس أثره في «الشفاء» ، وحين تخمد آخر مراحل حركة الترجمة في **آسيا** بعد وفاة آخر أفراد عائلة حنين من المترجمين ، تبرز **حركة الترجمة في الأندلس** كومضة أخيرة تحت الحكم العربي في ظل الأمير الأموي **عبد الرحمن** الذي اتخذ لقب خليفة سنة ٩٢٩ ، وقد اهتم بالترجمة بسبب إهداء الإمبراطور البيزنطي **قسطنطين السابع** له نسخة من «**ديوسقوريديس**» باليونانية وأرسل له راهباً يجيد العربية واليونانية ليترجمه

له ، فأتم ذلك وعلم اليونانية للكثيرين ، وعندما استخلصت **إسبانيا** استقلالها سنة ١٠٨٥ م ، نشطت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، وكان من أبرز ما ترجم فيها منجزات ابن سينا ومن بينها كتاب « الشفاء » .

رحلة الشفاء في الفكر الغربي

لقد كانت إسبانيا كما يفصح «**موريس دي ولف**» Maurice de Wulf صاحب «**تاريخ فلسفة العصور الوسطى**» في القرن العاشر ملتقى أجناس كثيرة مختلفة أشد الاختلاف ، وكانوا يعيشون جنباً إلى جنب مع العرب .. ونجم عن ذلك أن أصبحت إسبانيا مركزاً لحركة فلسفية خصبة إلى القرن الثالث عشر . والحق أن إسبانيا كانت في العصور الوسطى حلقة الاتصال الأولى بين الأفرنج والثقافة العربية الإسلامية ، وكان « الشفاء » له الصدارة في الترجمة إلى اللاتينية ، حيث بدىء في ترجمته ولما يمض على وفاة « ابن سينا » قرن واحد ، وما كاد يظهر جانب منه مترجم حتى امتدت إليه الأيدي لهفة في كافة **العواصم الأوروبية** ورحلت إلى أكثر من مكان بعض أجزاء من نسخه التي بلغت الخمسين .

وقد أثار الاطلاع على محتواها حركة فكرية بلغت أوجها في القرن الثالث عشر ، فذاع اسم « ابن سينا » علماً على **مذهب سينوي لاتين** ، وقد تمت الترجمة على فترتين أولاهما بدأت في الربع الثالث من القرن الثاني عشر ، والثانية جاءت بعدها بنحو مئة سنة ، إذ أسس « **ريمون** » **رئيس أساقفة طليطلة** من سنة ١١٢٦ إلى ١١٥١ م ، ديواناً للترجمة أشرف عليه **دومينك جونزاليز** المدعو حبذ يسالقي وحبذ يسالينوس ، وقد ترجم فيما بين ١١٣٠ و١١٥٠ م ، مصنف الشفاء ولم تكن الترجمة سهلة ولا ميسرة ، ولم تستخدم العربية وسيطاً كالعادة ، ولكن تم النقل من العربية إلى لغة دارجة هي **القشتالية** في نص حرفي ، ومنها إلى اللاتينية . وقد وضع **حبذ يسالينوس** مصنفاً في « خلود النفس » اقتبس موضوعاته من أقوال ابن سينا في طبيعيات « الشفاء » ، ويتتابع تأثير أفكاره في جملتها عند «**جيرار دودي كريمونا ، وجيوم دوفرني والكسندر أوف هاليس**» ويزداد تأثيره عند « **روجر بيكون** » الذي اطلع على أمهات الكتب الإسلامية ، ويعرض لآراء ابن سينا في الشفاء بين الرفض والقبول ، بالإضافة إلى أثره في فكر ومنهج **القديس البرت الأكبر** الذي استوعبه وجرى على نهجه في عرض آراء ابن سينا بالتمثيل والتكميل لا شرحاً حرفياً .

ويواصل « الشفاء » رحلته المدفوعة بطاقة الفكر العربي الأصيل ، ليثير حركة وفاعلية حيثما التقى بمفكر يستهويه جدة الفكر وأصالته .

أثر « الرجل المعلق » في الفكر الفلسفي

وإذا كانت رحلة « الشفاء » هي في حقيقة الأمر رحلة مضمون ومحتوى ، فإن اقتفائنا لفكرة هامة من أفكاره الزاخرة يبين لنا إلى أي مدى لا زال لتأثيره في الفكر الفلسفي صداه حتى العصر الحديث ، ولتكن فكرة « **الرجل المعلق في الفضاء** » سبيلنا لمتابعة رحلتها في الآفاق ، ويوضحها ابن سينا في « الشفاء » بقوله : « يجب أن يتوهم الواحد منا كأنه خلق دفعة ، وخلق كاملاً ، لكنه حجب بصره عن مشاهدة الخارجات ، وخلق يهوي في هواء أو خلاء هوياً لا يصدمه فيه قوام الهواء صدماً ما يحوج إلى أن يحس ، وفرق بين أعضائه فلم تتلاق ولم تتماس . ثم يتأمل أنه هل يثبت وجود ذاته ، فلا شك في إثباته لذاته موجوداً ، ولا يثبت مع ذلك طرفاً من أعضائه ولا باطناً من أحشائه ، ولا قلباً ولا دماغاً ولا شيئاً من الأشياء خارج . بل كان يثبت ذاته ولا يثبت لها طولا ولا عرضاً ولا عمقاً .. وأنت تعلم أن المثبت غير الذي لم يثبت والمقر به غير الذي لم يقر به . فإذن للذات التي أثبتت وجودها خاصية على أنها هو بعينه ، غير جسمه وأعضائه التي لم تثبت » .

وواضح أن افتراض « ابن سينا » للرجل المعلق في الفضاء يبين أن الذات وهي التي أثبت صاحبها وجودها حين غفل عن كل شيء سواها ، مختلفة عن بدنه وأن إدراكه لنفسه ومعرفته لوجود إنيته لا يحتاج إلى بدن ، فالنفس تدركها إدراكاً مباشراً ، ومعرفتها أيسر من معرفة البدن ، فأول الإدراكات وأجلاها هو إدراك الإنسان نفسه . وقد أثارت فكرة « ابن سينا » في الرجل المعلق معاصريه ، ولذا يرجع إليها في « **المباحثات** » بالشرح والايضاح .

وقد ذاعت وشرحت هذه الفكرة عندما ترجمت في الشفاء إلى اللاتينية ، ولذا يبدأ « حبذ يستالينوس » ، رسالته في النفس بسرد براهين وجودها مستخدماً رمز الرجل المعلق في الفضاء المنقطع الأصرة بالعالم الخارجي ، ويستشهد بنص « ابن سينا » الذي يقول : « ارجع إلى نفسك وتأمل .. ولو زعمت أن ذاتك ... معلقة لحظة ما في هواء طلق ، وجدتها قد غفلت عن كل شيء إلا عن ثبوت إنيتها » .

ويعارض « **جيوم دوفرني** » الكثير من آراء ابن سينا ولكنه ينقل ويوافق على رمز الرجل المعلق في الفضاء . وتواصل الفكرة رحلتها بين محتويات الشفاء ، فيطلع عليها « **ديكارت** » أبو الفلسفة الحديثة ، ويكون لها أثرها في تكوين فكرته عن الحد الفاصل بين صيغات المادة وخصائص الجسم ، وبين صفات النفس وما لا يمكن أن يخص إلا جوهراً مفكراً ، ومن هنا نجد التشابه بين فكرة الرجل المعلق في الفضاء التي عبر عنها « بالاينة السينوية » و« كوجيتو » ديكارت الذي ينص على : « **أنا أفكر ، إذن فأنا موجود** » فالشك يدل على الفكر ، والفكر يؤكد الوجود ، وبهذا يثبت ديكارت النفس هذا الاثبات الذي لا يعتمد على الاستدلال ، ولكن على الحدس الذي يدرك بومضة من ومضات الفكر تغوص الأعماق في لمحة واحدة ، فالشك يتضمن إدراك الوجود ، والوجود يتضمن الفكر ، والفكر يدرك إدراكاً مباشراً ، وبذلك التقى الفيلسوفان في البرهنة على أن النفس جوهر روحاني غائب عن الحواس والأوهام فيما يعبر « ابن سينا » وأنها مستقلة تماماً عن الجسم .

ولا نكران أن آراء « ابن سينا » في « الشفاء » قد تركت بصماتها على الفكر الإنساني منذ باكورة رحلته من المشرق العربي إلى المغرب العربي ، حتى التقت بالفكر الغربي ، ولا زال « الشفاء » يتدارس في بعض مساجد الشرق إلى اليوم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، بالإضافة إلى معاهد العلم الدينية .

وقد مكنت ترجمة الشفاء باللغات القديمة والحديثة من تسهيل حركته ، فيواصل رحلته إلى بقاع شتى ، ولا زالت مخطوطات منه موزعة في المكتبات في أجزاء العالم شرقاً وغرباً .

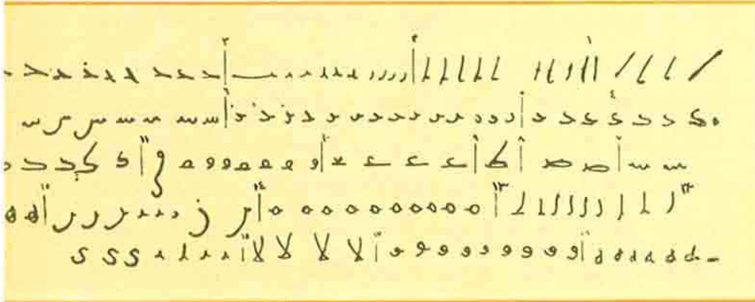
وإذا كان الشفاء قد طاف الآفاق في رحلته ، واستوعبته العقول الناضجة ، وتأثرت به ، وانعكس محتواه على نتاجهم ، فإن الفضل في ذلك مرده إلى « ابن سينا » صاحب الذهن الموسوعي الواعي الحصيف الذي استطاع أن يهضم ويتمثل ، فتمكن أن يخرج أفكاراً وآراء لها جدتها وطرافتها وأصالتها ، ولذا استمر نتاجه فعالا ، لأنه صدر عن عقل فعال استوعب ثقافة عصره ، ثم أبرزها في إطار مبتكر فيه شخصيته الفذة .



رحلة مع: الخط العربي



خط النسخ



★ الخط النسخي القديم ، المعروف بالحجازي .. وهو عبارة عن أشكال للحروف الأبجدية المكتوبة على أوراق البردى ، يرجع تاريخه إلى القرن الأول للهجرة ★

★ الخط النسخي الحجازي ، الذي انتهى إلى عرب الحجاز في صورته الأخيرة ، بعد أن تخلص من صورته القديمة قبل عصر النبوة .. ثم ظل متداولا في صدر الإسلام .

وضع أصوله .. وقواعده ، الوزير العباسي الملقب بشيخ الخطاطين «أبو علي محمد بن مقلة» .. وأخوه «أبو الحسن» ، اللذان فارقا الحياة وبينهما ما يقرب من عشر سنوات .

فالأول فارقها في (٣٢٨ هـ) ، والثاني فارقها في (٣٣٨ هـ) .

هناك رأي يقول : بأن التطور قد أدخل على خط النسخ في القرنين الثالث والرابع الهجريين .. وهناك رأي آخر لبعض المؤرخين يقول : «إنه قد بلغ التجويد في الخط النسخي في (٥٤٥ هـ) ، في عصر **«الأتابكة»** ، وهو ذلك العصر الذي كتبت فيه **مصاحف العصور الوسطى الإسلامية** .

والقدماء في خط النسخ ، وضعوا نسباً معينة ، حيث كانت الطريقة بالنقط على غرار حروف **«المثلث»** وهي خاضعة لعرض ذلك القلم الذي تكتب به .. وعلى هذا الأساس نقطت سائر حروفه المفردة .

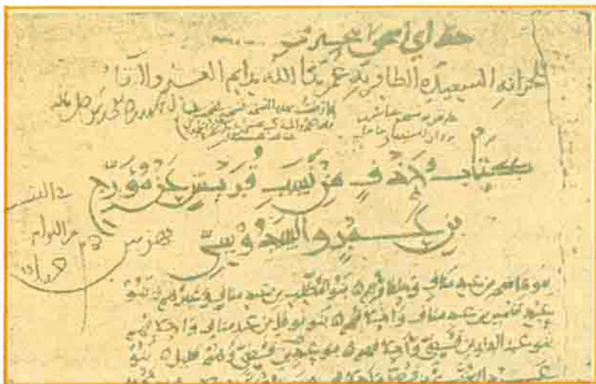
وكان خط النسخ يستخدم في تدوين مراسلات الدولة .. وكتب المعارف والمخطوطات .. وأغلب المخطوطات ، قد كتبت في القرن الثاني للهجرة بالنسخ القديم .. وقد أطلق عليه اسم «النسخ» لأن الكتّاب كانوا ينسخون به المؤلفات .. فالكتابة بخط النسخ ــ بالنسبة للخطاط ــ تساعده على السير بقلمه بسرعة أكثر من الخط الثلث .. وذلك يرجع إلى صغر حروفه .. وتلاصق مدّاتها .



★ شكل يوضح الخط النسخي غير المنقوط ، كتبه «أبو علي ، الحسن بن إسحاق ــ القرن السادس الهجري ★

وقد أخذ أبو علي محمد بن مقلة اجادة الخط عن «الأحول المحرر» ، واستطاع أن يترك لنا عدداً من الخطاطين الذين تتلمذوا على يديه بإحسان الصنعة واتقانها .. وكان واحداً من أبرع كتّاب قلم **«الرقاع»** و **«التوقيعات»** .. كما يقال إنه أول من نقل الخط **«الكوفي»** إلى الطريقة العراقية .

وكان أول من اخترع كتابة **حروف التاج** المفردة والمركبة هو الخطاط **محفوظ المصري** عام (١٣٤٩ هـ) ، دون الابتعاد عن القواعد المبتكرة ، الموضوعة ★



★ خط النسخ المتطور ــ القرن الرابع الهجري ★



★شكل يوضح كتابة مفردات حروف خط النسخ بمعيار النقط★



★شكل يوضح بداية سورة البقرة من القرآن الكريم بخط النسخ★

★شكل يوضح كتابة حروف التاج المفردة والمركبة (النسخية) التي اخترعها الخطاط محمد محفوظ المصري عام ١٣٤٩ هـ، وهي موزونة حسب معيار النقط المدورة التي تخضع للقواعد المبتكرة الموضوعة★



★رقبة شمعدان من النحاس عليها كتابات بالخط النسخي★



بمناسبة
عام
الطفل

طفل ما قبل المدرسة
«الروضة»

بقلم : عبد التواب يوسف

● لم يعد المربون وحدهم في ساحة العمل مع طفل الرياض ، ولكن على هدي البحوث والدراسات العلمية والميدانية ، بدأت أجهزة الثقافة والإعلام ، تعمل في دأب لتشارك التربويين وتساندهم وتعينهم على مسؤولياتهم الجسيمة .

● إن الإذاعة .. المرئية والمسموعة ، والكتاب والمجلة ، السينما والمسرح ، واللعبة ، لن تحل مكان « المربية والمربي » ولكنها وسيلة مساعدة تحاول تأدية دور هام وبناء .

١

عندما ألحقت طفلي بالرياض ، كانت تتنازعني **مدرستان تربويتان** ، لم تستطع مدرسة منها أن تستأثر بي ، وتأخذني إلى جانبها .. **المدرسة الأولى** تقول إننا يجب أن ندع الطفل يعيش طفولته . ويجب ألا ندفعه بعيداً عنها ، وإلا فإنه سوف يدفع في المستقبل ثمناً غالياً لحرمانه من طفولة مرحة سعيدة بلا مسؤوليات ، وترى هذه المدرسة أن « **الرياض** » ليست مدارس ، بقدر ما هي مكان أمن ممتع ، يقضي فيه الطفل وقتاً جميلاً ، ويرى فيه بديلاً للبيت ، وجواً آخر يلعب فيه مع رفاق عمره وسنه بعيداً عن الكبار من أفراد الأسرة ، وأطفالها الذين يمارسون عليه صنوفاً من السيطرة ، ويستطيع الطفل خلال ذلك أن ينمي بعض مهاراته اليدوية ، التي يصاحبها بدون شك بعض النمو العقلي .. بينما كانت **المدرسة الثانية** ترى أن هذه المرحلة من مراحل عمر الطفل من أخطر سنوات حياته ، بل هي أهمها على الاطلاق ، وفيها تترسب في نفسه ألوان من الخبرة والمعرفة ، وأننا يجب أن ننتهزها فرصة من أجل ضبط سلوكه **الشخصي والاجتماعي** ، ومن أجل تلقينه بعض جوانب التعليم ، **الذي هو في الصغر كالنقش على الحجر** ، لا يزول أبداً .

دفعت بطفلي إلى الرياض ، وأنا أميل إلى المدرسة الأولى ، وحين زرته بعد بداية التحاقه بأشهر ثلاثة ، قالت لي المربية في فخر وفرح :

ـ لقد تعلم طفلك الكثير .. الكثير جداً .. خلال هذه الفترة القصيرة .

ودهشت ، بل خفت في واقع الأمر ، وسألتها في لهفة ؟ ! **هل تعطونه قلماً وورقاً ؟ !**

قالت : **لا ، ليس بعد ، لكنه تعلم أن يخلع معطفه ويعود إليه في آخر يومه الدراسي .. كما تعلم الذهاب إلى الحمام .. وتعلم اللعب مع رفاقه .. كما أنه يشاركهم الغناء .. و . . .**

واستمرت تسرد قائمة بما تعلمه الصغير ، وشعرت بارتياح عميق ، فقد حقق نجاحاً ولا شك ، لكن المربية فاجأتني بقولها :

ـ ماذا تعمل يا سيدي ؟ ! زملاؤك من الآباء والأمهات وأولياء الأمور غاضبون لأن أولادهم لم يتعلموا القراءة والكتابة ، وهم يشكون قائلين إنهم يدفعون الكثير بلا مقابل ؟

قلت لها إنني أشاركها العمل مع الأطفال ، كاتباً ، وإن ما تعلمه الصغير فيه الكفاية ، بل رويت لها أنه جاءني بعد أسبوع من التحاقه بالدار يشكو من طفل زميل له ، يحمل مسدساً يقتل به الأطفال ، وأنه لا يريد أن يذهب للرياض خوفاً من هذا **(القاتل)** وزرته في الدار ، وتجولت معه في الحديقة معلناً تصديقي لكل حرف قاله ، وبحثنا معاً عن الطفل حامل المسدس ، ولم نجده بالطبع ، وأعلنت لصغيري أن هذا الطفل لا بد وأن يكون مختبئاً وراء شجرة .. وتركته لحظات ، لأعود إليه قائلاً إنني وجدت الطفل ، وانتزعت منه المسدس وكسرته وألقيت به في الشارع .. وقضيت معه بعض الوقت ، سألته عن أصحابه ، وتنقلنا قليلاً في الحديقة ، وعدنا معاً إلى البيت ولم يعد يذكر حكاية **الطفل والمسدس** ، بل لقد سألته عنه ، فقال إنه لم يعد يجيء به .

وسعدت المربية بالحكاية ، **ورحنا نتحدث عن الفارق الكبير بين التوهم والكذب ، وعن تلك القصص الخيالية المثيرة التي يبتكرونها ، لكي يطالبوا الآباء بابقائهم في البيت ..** كما ناقشنا **فكرة مصروف الجيب** ، وطالبتني بضرورة منحه إياه ، لأنه لا يكفي قط أن يحمل الصغير الحلوى من الدار ، بل إن عملية الشراء والاختيار تسعده سعادة بالغة ، وتلقنه الكثير . . . وروت لي أن صغيراً يبيع « **السندوتش** » لزميل له ، ويشتري بالثمن حلوى قليلة لا تشبعه ، وأنه يعود جائعاً للبيت يومياً .

ولقد بقيت على مدى عامين أرقب صغيري ، وأحدث مربيته ، وكانت على دراية كبيرة بعملها وتؤديه بشغف كبير ، بعد أن تلقت عنه دراسات واسعة في **إنجلترا** ، وعلى الرغم من أنها لم تكن تحسن اللغة العربية ، إلا أن الأبناء تلقوا عنها « **ثقافة** » عريضة والتقطوا كلمات عدة من لغتها الإنجليزية ، بل إنهم بعد قضاء العامين معها كانوا يحسنون التعبير عن أنفسهم بهذه اللغة الغريبة الجديدة عليهم .. وواصل الصغير دراسته الابتدائية ، وما بعدها بنجاح كبير ، أعزوه للدور الهام الذي لعبته « **الرياض** » في حياته ، وكانت الحصيلة التي فاز بها خلال هذه الفترة زاداً على طريق طويل ، قطعه خطوة خطوة بتفوق ملحوظ ، اعتماداً على فترة ما زال يذكرها بحنين غريب ، ويكثر الحديث عنها بشكل حلو وجذاب .

وكانت هذه التجربة الذاتية درساً لها ، فقد كشفت لي أننا نخطىء في حق الطفل إذا نحن لم نحاول من خلال اللعب أن نعلمه ونربيه ، وأثبتت لي أن من واجبي أن أكون من أنصار المدرسة الثانية ، فالطفل ليس نباتاً في حديقة ، ندعه ينمو بشكل طبيعي بعد أن نمده بالماء والطعام ، **بل هو كائن ينمو جسمانياً وعقلياً واجتماعياً ، ولا بد من أن نعينه على هذا النمو ، ونيسر له أسبابه ، ونساعده من أجل « التفوق » شريطة ألا نحول الرياض إلى مدرسة ، وألا نجعل من كل ألوان اللعب دروساً تعليمية ، وألا نفرض عليه ما نريد ، ونروح نحشو رأسه الصغير بمعلومات تثقله ، فالصغير في مرحلة ذهنه كالبالون علينا أن نجعله يكبر ويكبر ، ليستوعب في المستقبل .**

أما إذا كانت البداية أن نملأ رأسه في هذا العمر الصغير بما نتصوره مفيداً له ، وأن نضع بين يديه القلم ليكتب حروفاً وكلمات ، بل وجملاً صغيرة ، وليرسم ، فإننا بذلك سوف نسيء إليه إساءة بالغة .. ولعل في شخصية **(ديبز)** ، الذي قدمته **السيدة أمينة السعيد** ، في كتاب الهلال منذ أشهر قلائل ـ انذاراً للآباء الذين يحاولون أن يجبروا أبناءهم على التعلم قبل أن يكون قادراً وقابلاً للتعلم ، فإن أم هذا الصغير المسكين علمته وعمره عامان أن يكتب جملاً من ثلاث كلمات ، ورأت أنه

عبقري ، وإذا به يفقد ذاته ونفسه ، ويفشل في سن الرابعة في أن يكون طبيعياً ، ويصبح خلال السبع سنوات أو الثماني التالية أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان ، ويعتزل الأطفال والناس ويقبع وحيداً في غرفته : أبله أو كالأبله ، **ولولا أن قيض الله له من انتشله لبقي عمره كله متخلفاً ، عاجزاً عن اللحاق بأقرانه .**

إن شعرة معاوية — **في التوازن** — ألزم ما تكون هنا للآباء ، الذين يجب ألا يدعوا الصغير يبدد وقته وطاقته في نفس الوقت الذي يجب ألا يحولوه إلى حقل تجارب لتعلم ما هو فوق قدراته وطاقاته .. **هذا التوازن هام وحيد وخطير ، وهو وحده الذي نجح في جعل معاوية « رجل الدولة » الإسلامية العربية .. وما أحوجنا إلى أن يصبح « التوازن مسؤولية تربوية » .**

٢

وكانت التجربة الثانية لي مع رياض الأطفال ، أن أعمل لهم ومن أجلهم .

لم يكن من الممكن بالطبع أن أعمل داخل دار للرياض ، ولم أجد « **رجالا** » في هذا العمل الذي هو أقرب للأمومة ، لكنني رغبت في أن أصل إليهم حيث هم .. لم أكن أريد ولا أستطيع أن أعمل مع أطفال الرياض داخل حجرة ، أو حتى حديقة ، غير أنني حاولت أن أعمل مع جموعهم في كل دور الرياض ومع أفراد منهم في البيوت ، بلا فرصة للالتحاق بهذه الدور .. ولجأت بعد قراءة العديد من البحوث والدراسات التي أجريت في هذا المجال إلى أسلوب غير مباشر للوصول إليهم والعمل لهم ، كانت وسيلتي إلى ذلك هي « **الإذاعة المسموعة** » .. ويجب أن أتوقف هنا عند البحوث والدراسات ، فكلها نفسي وتربوي ، وأغلبها مترجم عن اللغات الأجنبية ، والقليل منها هو الذي أجري ميدانياً ، وعلى طفل بلادنا .. **بجانب أن البحوث في مجال احتياجات واهتمامات طفلنا العربي متواضعة والمنقول والمترجم لا ينطبق عليه ، ثم إن موضوع اللغة ، والقواميس اللغوية العربية ، لطفل الوطن العربي ، أمر لم يلق الاهتمام ، إلا في السنوات الأخيرة ، ولدينا قاموس واحد — صدر في الأردن — ومحاولات جرت في مصر ، ولم تستكمل ..** لذلك كان عسيراً علينا أن نبدأ تجربة العمل الإذاعي — **المسموع** — لأطفال ما تحت السادسة ، غير أن الهدف الجليل جعلنا نخوض التجربة ، ونغامر .. وكانت الاستجابة أكثر من رائعة ، وكانت ردود الفعل طيبة إلى درجة حفزتنا إلى المضي على الطريق ، **نقدم من خلال الميكروفون يومياً ولمدة عشر دقائق قصة وأغنية تدوران حول فكرة واحدة ، وموضوع واحد ، فهذه المرحلة من العمر لا تحتمل الشتات . ولا تتقبل من مثل هذا العمل أكثر من فكرة واحدة .. إنها « ساعة إذاعة »** كاملة خلال ستة أيام من الأسبوع ، وزيارات خلال هذه الدقائق لعدد من دور الرياض

والاستماع مع الأطفال إلى هذه الحصة المنتزعة من الإذاعة ، من أجل هذا الجمهور العزيز ، كنا بالطبع نكتب قصصاً عن المحسوسات ونبتعد عن المجردات والمعنويات ، وكثير من هذه القصص عن الحيوان ، وهو ما يستهوي الطفل كثيراً ... وكنا نصر من جانبنا على أن نبين الوعظ ، والارشاد والقاء النصائح ... **كان هدفنا دائماً أن نرسب في ذهن الطفل صورة ، وانطباعاً ، وإحساساً لا أكثر ..** وتغلبنا في موضوع اللغة في غيبة قواميسها المدروسة المدونة ، بواسطة استخدام **لغة الحياة اليومية** ... لغة ليست مغرقة في العامية ، ثم هي ليست بالفصحى كلها موضوعة في جمل قصيرة ، مكررة فيها الكثير من المرادفات التي تعين الصغير على الفهم .... وساعدتنا على ذلك ما نسميه « **القصص المدورة** » وهي كثيرة .. **(نريد رغيفاً من الخبز ، لا بد من القمح ، وهو عند الفلاح ، والفلاح يريد محراثاً من الخشب والخشب عند النجار ، والنجار يريد المنشار والمنشار عند الحداد) .**

وكثير من هذه القصص يعتمد على التمييز السمعي حتى ولو كانت كتابته صعبة ، ويحتاج إلى بعض الخبرات والخلفيات عند الأطفال لاستيعابه ... إننا نسمعه باباً يغلق ، نأمل أن يدرك الأطفال من الصوت الذي يصاحب القصة ما يجري من أحداث ... إنه العم فلان خرج من بيته وأغلق بابه ... ونزل الدرج **(صوت أقدام على السلم)** وركب **(صوت السيارة)** .. ونمضي مع أحداث اليوم خطوة بخطوة .. ويعود العم فلان بنفس الطريق وتتكرر الأصوات **(عكسياً)** وفي تكرارها تثبيت لها .. وكثير من مثل هذه القصص يجري داخل أماكن لها مميزاتها الصوتية مثل **محطة السكة الحديدية** ، أو **المطار** ، وما شابه ذلك ... وكثيراً ما لجأ إلى **العبارات المسجوعة** ، الموقعة ، التي تستهوي الطفل ، لأن موسيقاها القريبة إلى نفسه تجعله يقبل عليها ، ويستمتع بها ، ويقلدها ، ولا ينساها . **إن الاعتماد على الكلمة ، والنغمة ، والمؤثرات الصوتية ، وسيلتنا للوصول إلى الطفل .**

والسؤال الذي يطرح نفسه إزاء مثل هذه التجربة : **ما الذي نستهدفه منها ؟!**

إن الهدف الأول والأساسي ، هو تدريب الطفل على الاستماع ، والاستمتاع .. والحق أننا نفتقد إلى عملية الاستماع في أقطارنا ، فقد نشأنا على المقاطعة للمتحدثين . ولا نكاد نستوعب ما يقال لنا ، والمحاضرات والندوات يحضرها عدد متواضع ، يجعلنا نشعر بالخجل ، وعدد الذين يتابعون البرامج المسموعة يتناقص بشكل كبير ، إذ أن أيدي هؤلاء على مؤشر جهاز الإذاعة بحثاً عن الأغنيات والمادة الخفيفة .. ومثل هذا البرنامج لأطفال الرياض يستهدف التدرب على السماع للكلمة والنغمة .. وكثير من القصص يكون « **البطل** » فيها آلة موسيقية أو نغمة كل ذلك بجانب الأغنية ، وهي كلمات وأشعار بسيطة ، ملحنة ، مغناة ، بأصوات جميلة ، والفرق الموسيقية التي تصاحبها ليست كبيرة ، والألحان ليست معقدة .

وهناك أهداف ثانوية للبرنامج ، كأن يحرص الأطفال

على موعده ، ويتعرفون عليه فإن فاتهم شعروا بالأسف .

وقد لجأت بعض الدور إلى تسجيل البرنامج على **كاسيت** لتكرار إذاعته على الأطفال ، وتقول المربيات إن إقبال الأطفال على الاستماع كبير ، وإن حفاوتهم بالبرنامج وحرصهم عليه يؤكد نجاحه .. وكثيراً ما تلجأ المربية إلى الأطفال لكي يعيدوا بكلماتهم أنفسهم بعض القصص لكي تختبر مدى استيعابهم لها .. كما أن البرنامج يود لو تعلم الأطفال الإقبال على الإذاعة كجهاز ثقافي وإعلامي ، والتدرب على إعطائه آذانهم ، فذلك يجعلهم يركزون على حاسة السمع وحدها ، الأمر الذي يوجد لديهم القدرة على التصور ، ويوسع من خيالاتهم ومداركهم هذه الأهداف ، بجانب المضمون التربوي والأخلاقي والتعليمي الذي تحتويه القصص والأغنيات المقدمة من خلال البرنامج ، **وهو مضمون يتفق مع الأهداف القومية ، فما من مناسبة إلا وانتهزناها للاحتفال من خلالها ، لتنبيه الأطفال إليها ، ولفت نظرهم إلى مجريات الأمور ..**

وهذه المناسبات قد تكون أعياداً وطنية ، وقد تكون دينية مثل **رمضان** والعيدين ، وقد تكون اجتماعية مثل **يوم الأم ، ويوم المعلم** وغير ذلك .. والمحاولات تبذل بدأب شديد لكي تناسب القصص الموضوعة مستويات العمر ، كما أن اختيار الكلمات يتم بدقة لكي لا تكون أعلى من إدراك الأطفال ، فينصرفون عن السماع .

وقد لا يدرك البعض أن هذا البرنامج موجه لمن هم أقل من ست سنوات ، فيدهش لإذاعته صباحاً خلال وجود الأطفال بالمدارس ، كما أنه يجده أقرب إلى البساطة فيظنه ساذجاً ، ولكن جمهرة مستمعيه في دور الرياض وفي البيوت تجعلنا نشعر أن البرنامج يحقق الكثير من أهدافه .. وليس في البرنامج مسلسلات ، إنما هو حلقات ، كل منا قائم بذاته ، منفصل عما قبله ، ولا يتصل بما بعده .. **وكثيراً ما تطالب المربيات بإعادة بعض القصص التي تستهوي الأطفال وبعض الأغاني تم تسجيلها على كاسيت وبيعت في الأسواق .**

إن التمييز بين الأصوات ، أمر له أهميته ، وزيادة ثروة الطفل من الكلمات المسموعة ضرورة قصوى وتثقيف ، وتربيته ، وتعليمه ، مهمة جليلة .. ولكن كل ذلك لا يعني أبداً إلا امتاعه وبهجته وفرحه .. وهذا الجهاز الخطير ــ **الإذاعة** ــ يستطيع أن يصل إلى كل مكان وأجهزة الاستقبال أصبحت رخيصة ويسهل اقتناؤها وصيانتها ، ومن هنا تأتي الحاجة إلى استخدامها ، والافادة منها إلى أقصى حد .. فالقصص والأعمال التي نقدمها من خلال الميكرفون مرجع للمرجعين ، ونبع نستقي منه ما نقدمه للأطفال ، خاصة وكتب المربيات في مجال القصص والحكايات لا وجود لها تقريباً في بلادنا وكيفية رواية هذه القصص وتلك الحكايات لم يصدر عنها بالعربية كتاب حتى الآن .. **ولذلك ستظل الإذاعة مصدراً لهذه القصص ، وأسلوبها الحي وسيلة لتدريب المربية على الحكاية ــ والرواية .**

٣

وكانت **التجربة الثالثة** مع طفل الرياض في اتجاه إنتاج كتب لهم .. إن واحداً من هذه الكتب طبع في الكويت تحت عنوان **(أصحاب الفيل)** ، يروي قصة **أبرهة والكعبة ، ومولد الرسول** ﷺ وليس في الكتاب الذي يضم (١٦) صفحة ــ كلها مرسومة ــ غير كلمات لا تتجاوز العشرين كلمة .. ومع الكتاب دليل للمربيات يشرح لهن كيف يحكين القصة ، وما هي الأعمال اليدوية التي يمكن أن يقوم الأطفال بها ، بجانب عدد من المشاهد الحوارية **بين أبرهة وعبد المطلب ، وبين عبد المطلب والعرب** ، وكل مشهد لا يتجاوز ستة سطور ، في كل سطر عبارة واحدة .

والكتاب جميل الرسوم جذاب الإخراج ، ممتع للطفل بقدر ما هو مفيد .. إلى جانب أنه واحد من سلسلة من الكتب دفعت بها للمطبعة مؤخراً وكل كتاب معه دليله .. وهذه الكتب تهدف إلى إحاطة الطفل بالكتب منذ المهد .. من أجل أن تتثقف عيناه باللوحات والرسوم ، والألوان ، والمساحات ومن أجل أن يألف الكتاب ويصادقه ويحبه .. وقد لجأت أوروبا إلى كتب من الورق المقوى وكتب أخرى من القماش الملون ، الذي يغسل فلا تضيع منه الرسوم ولا الألوان ولا الكتابة .. **وأكرر أننا لا نتصور أن الطفل قادر على القراءة ، لكننا نريده أن يحس أن له كتاباً خاصاً به ، وأن تتعود عيناه على الكلمات المطبوعة ، وأن يعرف بعض الحروف ، والأرقام .. وقبل كل هذا نرغب في أن يصادق « الكتاب » في هذه السن المبكرة .**

والسلسلة التي أتحدث عنها فيها كتب دينية ، وأخرى علمية ، وثالثة تربوية .. الخ ، وهي تسير وفقاً للمنهج الموضوع لطفل الرياض في المدرسة التي تنادي بالجمع بين اللعب وتدريب الأيدي وبين التعلم والتدرب على الانضباط .. وواحد من هذه الكتب مثلاً يحمل عنوان الكلمات الطيبة ، وهي « **بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، والسلام عليكم ، وشكراً ، ومبروك ، وأرجوك ، ومن فضلك** » إلى آخر هذه الكلمات والعبارات التي نود لو أن الطفل في هذه السن المبكرة تدرب على نطقها واستخدامها .

وهناك كتاب عن حروف الكتابة ، وهي الحروف الصادرة كأصوات عن بعض الحيوانات التي يعرفها الطفل ، وبعض الطيور أيضاً .. إنها تضم قائمة من : الخراف **(ماء)** الكلاب **(هو هو)** العصافير **(صو صو)** .. الخ ، وكلها أصوات يهمنا أن يعرفها الصغير ، ويعرف كيف تنطق ككلمات ونغمات ، على الرغم من أنها تصدر عن حيوانات يعرفها أو سمع بها .. والكثير من هذه الكتب يعد معبراً ما بين المحسوسات التي تحيط بالطفل ، ويدركها وما بين المجردات التي يصعب عليه فهمها واستيعابها ، فكلنا يعرف أن الحروف والأرقام ما هي إلا

رموز ، ويمر وقت طويل إلى أن يحس الصغير ويدرك معنى هذه الرموز وقيمتها وجدواها .

وقد وضع كتاب في الحساب يجمع بين المحسوس والمجرد ، بين الملموس والرمز ، بجانب سلسلة كتب عن المعرفة ، قل أن تحتوي إلا على الصور ، وبعض العبارات للأمهات والمربيات وامتداداً لفكرة كتب الرياض نحتاج إلى **مجلة دورية لطفل هذه المرحلة** ، تضم صفحات ملونة وموضوعات مصورة ، وتحتاج في تحريرها إلى الأفكار بقدر ما تحتاج إلى الفن .

والتجربة في هذا المجال حتى الآن تؤكد أنه من الممكن أن نحقق الكثير من النجاح ، خاصة إذا توافرت الدراسات الميدانية العربية حول احتياجات طفل هذه المرحلة ، وميوله ، والسبيل إلى اشباعها ، كما لا بد من مؤسسة تربوية ثقافية تصدر منها مثل هذه الكتب بعد فحص شديد الدقة ، وحتى لا نضع بين أيدي الأبناء ما قد ينفرهم من الكتاب .. خاصة ، وصلة الصغير به مستمرة على مدى عمره ، ولا بد أن نزرع في نفسه قيمة الكتاب وخطورته ، **وأن يعرف أن الله سبحانه وتعالى حين أراد أن يهدي البشرية أنزل عليها الكتب ، والقرآن الكريم خاتمة هذه الكتب السماوية .**

٤

والتجربة الأخيرة هي تقديم برنامج من الإذاعة المرئية **(التلفزيون)** لطفل الرياض .. ليس داخل الدور ، بل في البيوت .. والتجربة أميريكية الأصل تحمل اسم **(شارع السمسم)** وتتعاون ست دول عربية خليجية لإعداد هذا البرنامج للطفل في هذه المنطقة .. والبرنامج تعليمي تربوي ثقافي .. من عناصره المنهجية تقديم « **التمثيل الرمزي للأصوات** » عن طريق الحروف الهجائية ، وبواسطة الكلمات التي تبدأ بهذه الحروف .. كما يقدم كلمات هامة يجب أن يدركها الطفل ، مثل كلمة **(خطر)** وكلمتي **(دخول ، وخروج)** وكلمتي **(مفتوح ومغلق)** إنها كلمات يراها في كل مكان ويحتاج إليها وهي مصنفة لا تتجاوز العشرين كلمة .. وذلك بجانب تعليم الأطفال العد من **(١ ــ ٢٠)** ، وإجراء بعض العمليات الحسابية البسيطة ــ **جمعاً وطرحاً** ــ وذلك في أفلام ممتعة ، وألعاب جذابة تسعد الطفل بقدر ما تعلمه .

وهناك أيضاً أربعة أشكال هندسية يهمنا أن يعرفها **(الدائرة ، والمثلث ، والمربع ، والمستطيل)** .. ويقدم كل ذلك في رسوم متحركة ، تشد الصغار .. ويستهدف البرنامج تنظيم الإدراك لدى الأطفال : فيميزون بصرياً بين الحروف والأشكال ، ويعرفون الأشياء المتماثلة ، ويدركون الكل وأجزاؤه ، تدريباً للعين على معرفة الأشكال المضمنة .

وهناك أيضاً برامج للتميز السمعي ، فيقدم للطفل كلمات على وزن واحد ، كما يسمع أصواتاً لا يعرف مصدرها ، وقد يكتشفها فيفرح بذلك ، أو لا يعرفها فيبتهج إذا عرفها .. وثالث ما يستهدف البرنامج « **المفاهيم العلائقية** » : التشابه والاختلاف ، العلاقات الحجمية والكمية ، العلاقات المكانية والزمنية .. ويأتي « **التصنيف** » هدفاً رابعاً من أهداف البرنامج ، إذ نود لو يتعرف الصغير على الفرز وموازنة الأشياء بنظائرها .

وفي مجال الصحة والنمو الجسدي والنفسي والعقلي يغطي البرنامج موضوع الجسم البشري وأعضاءه ، ويركز على نظافة الجسد والبيئة والعادات الصحية والتغذية الجيدة ، ولا تفوته القدرات العقلية بل إنه يعاون الطفل على تحصيل المهارات والتذكر والتخطيط والتحليل ويساعده على التمييز بين العواطف والمشاعر المختلفة والمتباينة وفي ميدان الاجتماع يتعرف الصغير على الجهات المحيطة : **الأسرة والجيران** ، ثم **المدرسة والمجتمع** عامة لنصل به إلى فكرة **(الوطن)** وإلى خدمته عن طريق العمل بألوانه والمهن على اختلافها كما يسعى إلى تقريب بعض جوانب التفاعل الاجتماعي إلى المشاهد الصغير فيعرض عليه صوراً من التعاون ، والعمل الجماعي .

ويؤكد البرنامج على أن الإنسان يغير الكثير في البيئة بواسطة الآلات والتكنولوجيا وعن طريق المباني والمنشآت مستفيداً من الطاقة ويقدم البرنامج تفسيراً لبعض أسباب الظواهر الطبيعية ، كما يقدم دراسات مبسطة حول البيئة الطبيعية .. ويقف طويلاً عند **الروحانيات ، والإنسانيات وعلم الجمال : الجمال الطبيعي ، الفني ، والسلوكي** ، ويعرض **للدين والإيمان والأخلاق** بجانب المشاعر **الوطنية ، والإنسانية** : وهذه الأهداف التي يتصورها البعض فوق متناول أطفال هذه المرحلة ، ويراها أعلى من مداركهم تقدم بصورة شديدة الجاذبية بواسطة مشاهد متتابعة بعضها لا يزيد على ثلاثين ثانية ، وكل الفقرات لا تتجاوز الثلاث دقائق .. والمشاهد ملونة ، وتستخدم فيها الصور المتحركة ، والعرائس والدمى ، والمواقف المرحة ، وأيضاً الأفلام الحية المصورة ، ولا يعطى الطفل خلال العرض ــ الذي يحمل عنوان **(افتح يا سمسم)** فرصة للانصراف عن المشاهدة إذ يستفاد من الصورة والصوت والحركة واللون بحيث تتضافر كلها في عمل شديد الجاذبية .

والبرنامج يعرض في كثير من بلدان العالم ، وكل بلد يعيد صياغة الكثير من فقراته لكي تلائم بيئة هذا البلد ، كما تستخدم اللغات المحلية .. ويواكب عملية الإعداد والصياغة فريق من الباحثين والدارسين ، كمستشارين للكتّاب والمخرجين ، من أجل أن يخرج البرنامج بشكل علمي ، ولا يقل مستواه عنه في نسخته الأصلية .. ولعلنا بمثل هذا البرنامج نتفادى سلبيات التلفزيون وبرامجه التي يبدد الصغير ساعات طوال جلوساً إليه ، مشاهداً الأفلام والبرامج غير الصالحة له ، وليست مجدية ولا هي مفيدة ، بل لعلها تسيء إليه اساءة بالغة .

٥

وأود أن أقدم خلاصة ما وصلت إليه في تجربتي مع أطفال الرياض، ختاماً لهذا العرض السريع.

إن دور الرياض يجب أن تكون عوضاً عن الأسرة وبديلاً لها وأن يشيع فيها نفس جو الحب والحنان الذي يوجد في البيت، فلا يشعر فيها الطفل بالغربة ولا يحس بالوحدة.. ومن المهم ألا يضيق بهذه الدار وألا يكرهها، بل يقبل عليها في رضا وفرح.. لأنه يمارس جديداً بعيداً عن أوامر ونواهي الوالدين وقد يقعان في أحد المحظورين: **التدليل المفرط الذي يفسد الطفل أو معاملة الطفل على أنه رجل صغير ولا يقل ذلك سوءاً عن تدليله..** وهذه التجربة المبكرة التي يخوضها الصغير، وقد يعانيها، وقد يستمتع بها، سوف تؤثر فيه تأثيراً كبيراً وبالغاً لا بد أن تترك بصماتها على حياته بأكملها شئنا أم أبينا فهي باعتراف الجميع أخطر سنين العمر.

وإذا كان **النشاط التلقائي** الحق هو السمة الأولى لمرحلة الرياض، وفيه يبذل الصغير جهداً مضنياً يتفق مع رغبته الشديدة في الجري والحركة والقفز، **فإن البرامج الثقافية من خلال الإذاعة والتلفزيون، الكتاب والمجلة، المسرح والسينما، ستجعله متلقياً، لبعض الوقت، وتدربه على أن يظل هادئاً في مكانه لحظات.. يريح خلالها ويستريح..** وإذا كنت قد رأيتها شيئاً ايجابياً، فالبعض يحسونها مقيدة للطفل وحركته، الأمر الذي قد يزهده فيها.. وأياً كان تناولنا لها فالمهم أن نحاول النفوذ إلى عالم الأطفال.

ذلك العالم الذي غادرناه ولن نعود إليه، والأطفال في الواقع يرون الأمور من زاوية مختلفة كل الاختلاف عما نراه، وهم يتعلقون بالأوهام، وأحياناً يحولونها إلى أكاذيب بيضاء أو تصرفات نراها حمقاء (قرأت عن طفل الرياض الذي صحب أمه في سيارة أوتوبيس، وانهمكت الأم في حديث مع جارتها، وعندما وصلا إلى مكان نزولهما جرى الطفل ودفع الواقفين والجالسين وصولا إلى باب الأوتوبيس بشكل أثار كل الركاب.. وكادت الأم تعاقبه لولا أن كشف لها السر في تصرفه أنها عندما أهملته بحديثها مع جارتها خشي أن تنساه عند نزولها.. إنه لا يستحق عقاباً ولا يلام على تصرفه).

إن البيت ودور الرياض وأجهزة الثقافة والإعلام يجب أن تتضافر جهودها من أجل تنشئة هذا الصغير.. فهذه المرحلة مدرسة للآباء والأمهات والمربيات والعاملين من أجل طفل الرياض في هذه الأجهزة.. ولقد أدهش طفل الرياض في **فرنسا** ــ مثلاً ــ المربيات برفضه مشاهدة التلفزيون في دور الرياض لأنه عنده في البيت، وهو قد جاء إلى الرياض من أجل شيء آخر: **الحركة، مجتمع زملائه، الحياة الجديدة..** وكانت البرامج التلفزيونية لهذه المرحلة مكلفة ولا تعطي الثمرة المطلوبة لانصراف الأطفال عنها، فألغيت.

وقد يدهش البعض لمثل هذه الأمور التي لن تنكشف لنا إلا بالبحث والتجريب والدراسة، **دون خلق صراعات بين التربويين من جانب وبين العاملين في مجال الأطفال في أجهزة الثقافة والإعلام..** يجب أن يكمل كل منهما عمل الآخر ولا يضيق به ولا بد أن يتعاون الجميع لتنشئة هذا البيت لما فيه صالح الإنسانية والوطن، والطفل نفسه. خاصة وهو ما زال في مجال البحث والدراسة والاستقصاء.. **وإذا كان كل من الطرفين: رجال التربية والتعليم ورجال الإعلام والثقافة يتجه نحو طفل هذه المرحلة، فهناك قضية مشتركة والجميع مطالبون بالتعاون، فهم في خندق واحد، ولا نريد أن يتكرر عندنا ما قالته سوزان لابير المفتشة العامة للرياض في فرنسا ورئيسة الاتحاد الدولي لدور الرياض..** قالت:

«يقول التربويون في وزارات التعليم إنه لا بد من قتل ذلك (اللاتروي) الذي يقدم للأطفال برامجهم في الإذاعة المرئية والمسموعة».

يا مهر أحلامي

شعر : زكي قنصل

هــزَّ الحــداءُ ضمائــرَ العــربِ
يــا حــاديَ الآمــالِ لم تخِــبِ
أيقــظتَهم مــن لَيْــلِ غفلتِهــم
وَدَفَعْتَهــم للسَّعْيِ والغَلَــبِ
كانــوا النِّعــاجَ تســوقهنَّ عصــا
فتمــرَّدُوا آســادَ محــتربِ
ثــاروا على الأصْفَادِ واتفقــوا
أن يــكتبوا التَّــاريخَ بــالذَّهبِ
الــكرْمُ كَرْمُهُــمُ فــإن غضبــوا
فــلأنَّهم حُــرِمُوا مِــنَ العِنَــبِ
والــدارُ دارُهُــمُ فــإن مَنَعُــوا
عنهــا اللصــوصَ فليس مِــنْ عَجَــبِ
الحِلــمُ أنــواعٌ وأنــكَرُهُ
حلــمٌ يــكمُّ فضــيلةَ الغَضَــبِ
لــولا الحســام لــظلَّ حقّهــمُ
أضــحوكةَ الأجْيَــالِ والحِقَــبِ
ولــظلَّ عــرضهمُ لمنتهــكٍ
بــاغٍ ، وأرضــهمُ لمنتهــبِ
لا عَــاشَ مَــنْ هَــانتْ كَرَامَتُــهُ
ما الفــرقُ بــينَ الــذلِّ والجَــرَبِ ؟

رَجِعَ الدَّخيلُ إلى قَوَاعِدِه
مُتَعثِّراً بالوَيْلِ والحَرَبِ
وتقلَّمَتْ أظفار مغتصبِ
وتقلَّصَتْ أنياب منتدبِ
دار العروبة لن تَهُونَ ولَنْ
تُنْسَاقَ بعد اليوم في السلَبِ
لم يَبْقَ في أقداسِها هُبَلُ
تحنى الرقابُ له بلا سَبَبِ
نفضَتْ مِنَ الأصْنَام أيديَها
ماذا تفيدُ عراقةُ الحَسَبِ
الجاهلية لا مَكانَ لها
في وَثْبَةٍ قدسيّةِ اللّهَبِ
رفعَتْ على الإيمانِ قبّتَها
وبَنَتْ قَوَاعِدَها على الأدَبِ
يحمي شبولُ المجدِ رايتَها
وتحيطُها اللبواتُ بالقُضُبِ
من ظَنَّها وَهْماً فقد خلَطَتْ
عيناه بين الماءِ والحببِ
لا يقطعنّ طريقَها حمِقٌ
النارُ جائعةٌ إلى الحطبِ

هيهات لن تطوى رسالتُها
حتى تحقَّقَ وحدةَ العربِ
وتطهّر الأرضَ التي نكِبتْ
بعصابةِ التَّدجيلِ والكذِبِ
وتعيدها غنَّاءَ ضاحكةً
عربيةَ السماءِ والنَّسَبِ
وتردَّ للفُصْحى كَرَامتَها
وتحلّها في أشْرَفِ الرُّتَبِ

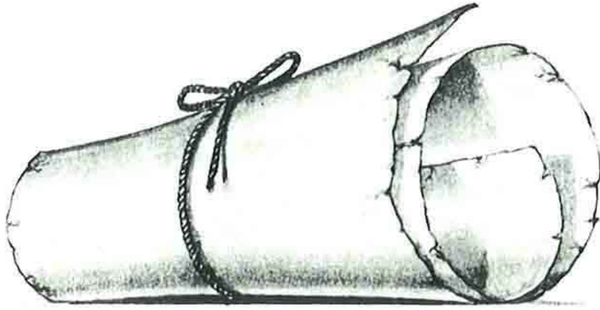
★ ★ ★

يا مَهْدَ أحلامي لَئِنْ شردتْ
قدمي ، فروحي عنكَ لم تغِبِ
ما زلتُ في مغناك أذرعه
من مرتع خصبٍ إلى خصبِ
إن كان لي في العَيْش من إرَبٍ
يُغري ، فإنك منتهى إربي
أهواكَ مزْوَرّاً ومُبْتَسِماً
وأراكَ في حُزْني وفي طَرَبي
أغفو ورسمك في مخيّلتي
وأفيقُ وهْو يجول في هُدُبي
قالوا التغرّبَ قلت كارثةٌ
ما الفرق بين ردٍ ومغترب [1]
إيوان كسرى في مَهَابتِهِ
لا أرتضيهُ بكوخِك الخربِ
هيّأتُ نفسي للرُّجوع فيا
ربّاه لا تكسرْ فؤادَ أبي !

الهوامش

(١) الردي هنا بمعنى الميت .

رسالة.. إلى المُعلِن



يسرّ إدارة مجلة **الفيصل** أن تنهي إلى السادة المعلنين أنها قد وقعت عقداً مع مؤسسة **تهامة** للإعلان والعلاقات العامة وأبحاث التسويق أسند إلى **تهامة** بمقتضاه امتياز الإعلان في مجلة **الفيصل** وذلك اعتباراً من غرّة شهر شوّال ١٣٩٩هـ وبموجب هذا العقد أصبحت **تهامة** هي الممثل الإعلاني الوحيد لـ **الفيصل** داخل المملكة وخارجها، وألا تتلقى **الفيصل** أيّ إعلانات من أي عميل إلا عن طريق **تهامة**. لذلك فالمرجو من السادة المعلنين الراغبين في الإعلان عن سلعهم وخدماتهم ونشاطهم في المجلة توجيه طلبات النشر إلى **تهامة** على أحد العناوين الموضحة أدناه علماً بأن تسليم المواد الإعلانية يتعين أن يتم قبل شهرين من تاريخ صدور العدد من المجلة المراد الإعلان فيه.

★ وفي هذه المناسبة نشير إلى أن أسعار الإعلان في المجلة هي على النحو التالي ★

الغلاف الخارجي الأخير	٤ ألوان	١٥٠٠٠ ريال	
الغلاف الداخلي الأول	٤ ألوان	١٣٠٠٠ ريال	
〃 〃	لونان	٨٠٠٠ ريال	
〃 〃 الأخير	٤ ألوان	١٣٠٠٠ ريال	
الغلاف الداخلي الأخير	لونان	٨٠٠٠ ريال	
صفحة داخلية ملونة	٤ ألوان	١١٠٠٠ ريال	
صفحة داخلية أسود / أبيض		٥٠٠٠ ريال	
صفحتان إضافيتان مزدوجتان	٤ ألوان	٢٢٠٠٠ ريال	

ولمزيد من التفصيلات حول الإعلان بالمجلة يرجى الاتصال بتهامة:

* تهامة جدة: ميدان وزارة الخارجية - تليفون: ٤٠٠٠٠
* تهامة الرياض: شارع المطار - خلف البعثة الأمريكية - تليفون: ٦٨٢٠٧ - ٤٧٨٠٣٩٤
* تهامة الدمام: شارع الظهران - محل ابن خلدون - عمارة بقشان - الدور السابع - تليفون: ٣٢٥٥٥ - ٢٠٤٣٤
* تهامة مكة: شارع الستين - امتداد الحفائر - تليفون: ٣٢٧٠٩ - ٣٥٠٢٣
* تهامة لندن: TIHAMA ADVERTISING & MARKETING (UK) LTD, INTERNATIONAL PRESS CENTER, 76 SHOE LANE, LONDON EC4A 3JB TEL: 01 353 6859 & 01 353 6826 CABLE: TIHAMCO, LONDON EC4

تهامة TIHAMA





د. محمد عزيز الحبابي



الاسلام في مواجهة التحديات

أجرى الحوار:
جابر رزق

الدكتور محمد عزيز الحبابي عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالمغرب، شاعر .. وفيلسوف .. وروائي وقصاص، ترجمت كتاباته إلى ما يقرب من ثلاثين لغة أجنبية، وكانت أبحاثه موضوعاً لعديد من الدراسات الأكاديمية في جامعات الغرب.

من مواليد مدينة «**فاس**» بالمغرب، حيث أتم فيها دراسته الثانوية، ثم ذهب إلى **باريس** للدراسة الجامعية. فدرس **الفلسفة**، وحصل على شهادة في **الفيزياء العامة**، ثم **انتسب إلى المركز الوطني للأبحاث العلمية بفرنسا**.

عاد إلى بلده المغرب، وعمل بجامعة الملك محمد الخامس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ثم أصبح عميداً لها.

يقول الدكتور الحبابي:

«أسرتي من أبي وجدي أسرة علم .. فقد كانا من العلماء المتخصصين في التفسير، وكان جدي ورعاً مخلصاً للتدريس كما يخلص المجاهد الحق في جهاده .. ومن جهة أمي كانت أسرة علم أيضاً.. وساعدني الحظ أني ربيت بالقرب من شيخ الإسلام بالمغرب.

سجنت أكثر من مرة بسبب مشاركتي في العمل الوطني، وتعرفت على سجون مدنية وعسكرية، كما عرفت النفي، فتكونت لي بذلك تجربة حلوة وتعيسة في نفس الوقت، ولكنها أعطتني صورة عن الواقع السياسي للاستعمار، وبلورت نظرتي إلى الحياة والعلاقات الإنسانية .. ومن تجربتي أنه كلما عانى الإنسان الألم من أجل قضية عادلة ازداد إيماناً بنجاح القضية وانتصار الخير على الشر. وفي هذا الإيمان من شعور الاطمئنان والسعادة ما لا يعادله أي سرور آخر».

هذا اللقاء أجري معه في مدينة «**القاهرة**» أثناء زيارة من زياراته.

ماذا نأخذ .. وماذا ندع ؟!

●● **سألت الدكتور الحبابي .. ماذا نأخذ .. وماذا ندع من حضارة العصر ؟!**

● أجاب: «نأخذ ما توجبه الظروف وندع ما لا حاجة لنا به، على أن ما نأخذه يجب أن يكون طبقاً لتصميم محكم وأن نكيفه مع أوضاعنا. **لكن وللأسف إلى حد هذه الساعة ما أخذناه عن الغرب يتصل بميادين الترفيه .. فنحن نتبع الموضة من ألفها إلى يائها ..** لكنا لم نستسغ بعد أحسن ما عند الغرب، وهي روح التنظيم والتصميم والمنهجية والفكر الموضوعي – في مقابل محاباة النفس ومجاملات الغير – واحترام الوقت والدقة في الكلام المنطوق والمكتوب !!

والإسلام لا يعارض أبداً المعرفة، فكما يقول الرسول الكريم ﷺ: «**اطلبوا العلم ولو بالصين**» و«**تعلموا من المهد إلى اللحد**». وليس للعلم إقليم خاص وليس وقفاً على جنس من الأجناس.

لقاء مع:

• الاسلام بريء مما يجري في العالم الاسلامي اليوم !!
•• لم يضرب الغرب كتابنا وشعراءنا بالسوط للكتابة عن الجنس ..

••• الصراع العربي-العربي منبع كل الشرور !!.
•••• ماذا نأخذ وماذا ندع من حضارة الغرب ؟

والمعرفة في ذاتها ليست شراً ولا خيراً فالاستعمال التطبيقي للمعرفة هو الذي يخضع للمعايير المنطقية والأخلاقية ، أي إن المعرفة سلاح في يد الأفراد يستعملونه للدفاع أو للهجوم .

فالمعرفة من وجهة نظر الأخلاق محايدة .. والأخلاق تأمر وتنهي الأشخاص .. وليس النظريات والقوانين العلمية .

والقرآن الكريم يصرح : **﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾** . (سورة الأعراف ، الآية ٣٢) ، فكل ما يمكن أن يكون متعة ويلبي حاجة من حاجاتنا دون أن يحدث أي ضرر بأي أحد هو مباح إسلامياً ، وكما يقول الرسول ﷺ : « **الحلال بيّن والحرام بيّن** » .. **لذلك من العبث أن نجعل من مبادىء الإسلام معوقات في طريق التقدم والتحضر** » .

شبابنا .. والغزو الفكري !!

•• لقد انتهى الغزو العسكري لأمتنا العربية الإسلامية ، فمتى وكيف ينتهي الغزو الفكري ؟

● الغزو يكون على الضعيف ، فنحن الذين تخلينا عن أنفسنا وعن مقوماتنا . وأظن **أن الذين يتغنون دائماً وأبداً بخطر الثقافة الغربية وغير ذلك ، هم الكسالى فكرياً وأخلاقياً ، فلو التزموا بالكفاح من أجل الثقافة العربية الإسلامية الحق لما دافعوا عنها سلبياً ، بل لكافحوا من أجل نشرها وتعميمها ، لكنهم يكتفون بالصيحات ضد الآخرين .**

إذا كان بيتي منظماً هادئاً فلا أخاف عليه ، لكنه إذا كان محل مراء وتناقضات وصراعات داخلية نغيصة ، فإن الأخطار تحيق به من كل مكان ، ويكون مآله لا محالة إلى الخراب . فكما جاء في الكتاب العزيز : **﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ . فشبابنا لا يجد محيطاً ثقافياً يغذي فضوله الفكري فيأخذ ما يأتيه من الخارج . وينظر حوله يميناً وشمالا ، فيرى سوء الأخلاق فيثور على وسطه ويتوجه** **نحو وجهة أجنبية .**

اعملوا وتواضعوا وانفتحوا على قضايا العصر لتعرفوا الحقيقة وتجدوا الحلول الملائمة ، فإن الوعظ والارشاد الذي لا يعتمد قبل كل شيء على دراسة تحليلية وميدانية للأوضاع الحالية لا يجدي نفعه . **والوجدان الإنساني والفكر الإنساني لا يقبلان الفراغ لأنهما أوعية متحركة دائماً وفي شوق إلى الامتلاء ، فإما أن تملأهما بقيمك ومبادئك ، وإما أن يملأهما غيرك ..** فالاختيار بين أيدينا ولن يصارع الفكر إلا الفكر ، والتجربة قديمة وما التخلف إلا نتاج كسلنا وتنكرنا لمبادئنا وقيمنا في صفائها .

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

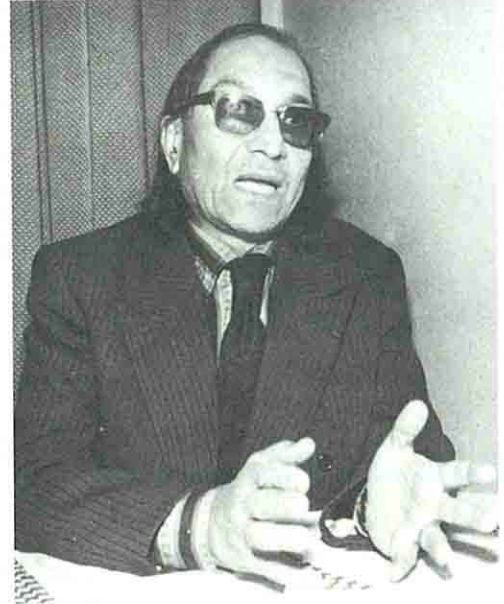
الغرب لم يضربنا على أيدينا !!

•• كيف نقضي على صور وأساليب الحياة الغربية التي هيمنت على سلوكنا والتي تتعارض مع قيمنا وأخلاقنا الإسلامية ؟!

● أظن أن أوروبا لم ترغم أي أحد على شيء ، فالحروب الاستعمارية كانت من أجل قضايا أعمق وأفيد لهم ونحن مستقلون سياسياً اليوم أو بعبارة أدق مستقلون بشكل من أشكال الاستقلال السياسي ، لكننا نصنع أفلاماً تقوم على الجنس ونذيعها في التليفزيون وفي قاعات السينما ولا يحضرها أوروبي ولا يراها أوروبي ولم يأت الأوروبيون بأسلحة ليرغمونا على صناعة تلك الأفلام ومشاهدتها ، وكذلك **لم يضرب الغربيون بالسوط على أصابع الكتاب والشعراء الذين يكتبون عن الجنس بالطريقة البشعة التي نعرفها في عالمنا العربي والإسلامي ،** فلذلك يجب ألا نزكي أنفسنا خوفاً من المسؤولية ونبحث عن كبش الضحية في الآخرين !!

أوروبا لها عيوبها وهي مسؤولة عنها ، ولنا مساوئنا وعوراتنا ، فلماذا لا تريدون أن نتحمل مسؤوليتها مباشرة وفي واضحة النهار ؟! .. وبالفعل هناك صحفيون .. ورجال فكر يعلنونها حرباً شعواء على هذا النوع الرخيص من الفن والأدب .





الإسلام بريء مما يجري

●● المجتمع العربي الإسلامي مجتمع يغزوه للأسف الشديد التفسخ والتمزق وصورته مشوهة في نظر الآخرين وشخصيته ضائعة .. ترى ما سبب ذلك ؟! وما السبيل إلى استرداد مكانتنا في العالم ؟!

● كما يكون وجهكم تعكسه المرآة بمساحيق أو بلا مساحيق !! فالقضية هي أن الصورة المشوهة التي تذكرون والتمزق يعكسان الواقع . لكنه واقع يتصل بالمسلمين لا بالإسلام في ذاته . **فالإسلام الذي رفع القبائل العربية الجاهلية المتفسخة المتمزقة المتحاربة أبداً إلى مستوى أمة لها ثقافة محددة المعالم ولغة تحمل حضارة وإيماناً بالإنسان وكرامته ، وحدة حضارية ودينية من الصين إلى الاتلانتيك أليس بقادر على أن يمدنا بإخصاب لذهنيتنا ومبادىء الاصلاح لسلوكنا ؟!**

قد تسألون لماذا لم يفعل ؟! .. فأقول لأن بعض من يدعي الإسلام لا يريد أن يكون حقاً مسلماً ، أو لأنه يجهل حقيقة الإسلام .. أو لا يعرف منه إلا القشور والأسطورات التي تكونت عبر العصور .

فإذا أردنا أن نعتمد على الأسس الإسلامية لنكن أولا مسلمين ولنصارع بالإسلام تخلفنا ؟!

أنا شخصياً أومن بأن في الإسلام تكمن طاقات جبارة لتطويرنا وأؤمن كذلك بأن الإسلام بريء مما يجري في العالم الإسلامي وأن إيماني بذلك لا ينبني على تقليد بل على دليل عقلاني . وبودي لو تكون هناك مناقشة عامة حول هذا الموضوع بين المقلدين من المسلمين الجامدين وبين المسلمين الجغرافيين والملحدين وستكون ندوة لصالح الإسلام واتهاماً مخجلاً للمنتسبين إليه .

●● هل أزمة الأمة العربية هي فقط في الصراع العربي الإسرائيلي أم أن الأزمة الحقيقية هي في الحصار الذي يفرضه الاستعمار الحديث بكل جبهاته حول الإسلام حتى لا تسترد الأمة العربية الإسلامية ذاتها فيفقد مصالحه فيها ؟!

● أولا : إن عدم قدرتنا على تحمل المسؤولية جعلنا نرمي كل مساوئنا على الآخرين ، دائماً نبحث خارجنا لنجد من نصب عليه تبعات ما نحن فيه من تخلف .

المشكلة أننا لا نريد الحياة في عمل دائب لكننا نريد الحياة الهادئة بفتات ما يبعثه لنا الغرب ؟!

الصراع العربي .. العربي منبع كل الشرور

●● لقد أجبت عن الفقرة الثانية من السؤال بقي أن تجيب على الفقرة الأولى منه وهي : هل أزمة الأمة العربية هي فقط في الصراع العربي الإسرائيلي ؟!

● حقاً هناك صراع عربي إسرائيلي ، لكنه لا يخفي وجهاً آخر من مأساتنا وهو الصراع العربي العربي !! وأظن أن هذا الأخير هو صانع كل الشرور والمآسي التي نعاني منها الأمرين . لا أقول الحرب مع إسرائيل ليست حقيقة ، ولكننا قد ضخمناها أكثر من اللازم وجعلنا منها القناع الذي نستر خلفه سيئاتنا نحو أنفسنا .

لقد انعدم عندنا الشعور بالمسؤولية وصرنا نبحث عن سحب نغطي بها الأعين عن مجابهة الواقع .

وأقف عند هذا القدر من الحديث .. حتى لا تمل عزيزي القارىء .. فقد اتصل حديثي مع الدكتور محمد عزيز الحبابي ساعات .. وساعات كنت أتأبط ذراعه في شوارع القاهرة .. وكان كثيراً ما يمسك ذراعي ويقف ويقول في انفعال : أكتب هذه الجملة وأضفها للحديث .. وضعها بين عبارة كذا .. وعبارة كذا .

أشهد أنني ما سمعت مثل إجابات الدكتور الحبابي من قبل .. بما فيها هذا القدر من الصراحة .. والشجاعة .. والصدق !!

لوحة و فنان

بيوت في الصحراء



● يمكننا أن نميز في إنتاج جاذبية سري الأول بين لوحات شعبية تتضمن مجرد التقاط لمشاهد من الحياة اليومية لأبناء الشعب ، وبين لوحات شعبية تتضمن قضايا اجتماعية ، هذا الإنتاج هو ما يُعرف بمرحلة **الواقعية الاجتماعية** ، والذي تجاوزته الفنانة إلى المرحلة الأخرى والتي تعرف **بالواقعية الابتكارية** .

● وربما كانت مجموعتها الفنية المسماة **«الناس والبيوت»** والممتدة من عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٣ م ، هي خير تعبير عن مرحلة الواقعية الابتكارية ، ويرتكز هذا الجانب ، كما هو واضح في هذه اللوحة ، على طابع خيالي طفولي لا يخلو من مسحة سيريالية .

● والواقع أن هذا الخيط الابتكاري ، قد حقق للوحات جاذبية سري بعامة ، ومن بينها هذه اللوحة . . **«بيوت في الصحراء»** ، عنصر الطلاوة وعنصر العصرية في وقت واحد ، فالبيوت لها تأثيرها الطفولي البهيج في خيال الأطفال ، وعندما يخيم عليها الليل ، ولا يستطيع الضوء أن يطرد ظلمتها من الأركان ولا من على الحوائط ، فإن كل ظل أو لون يتضخم في مخيلة الأطفال ، وتستحيل الغرف والحوائط إلى كائنات آدمية ، وترتسم هنا وهناك في الأركان والأسقف وعلى النوافذ وجوه بشرية ، وتصبح الحجارة الصماء بشراً نابضين بالحياة .

● ويمكننا أن نميز في مرحلة البيوت بين لوحات تحتل فيها البيوت حيزها كله ، فتبدو اللوحة مثل بساط من الحجر ، وبين لوحات لا تحتل البيوت حيزها كله ، مثل هذه اللوحة التي تبدو فيها البيوت وكأنها تغزو الصحراء ، ثم تمضي متشبثة بالأرض ، منغرسة فيها ، وقد اكتسبت حياة فبدت كأنها أنفاس البشر وسط صمت الصحراء .

● وهكذا يمكننا أن نميز في هذه اللوحة بيوتاً تراصت إلى جوار بعضها البعض ، وارتسمت عليها بعض القسمات الإنسانية ، مما يدل على أنها ليست بيوتاً فحسب ، بل هي بيوت عامرة بأنفاس البشر . بحيث تظل اللوحة مشيدة أصلاً من بيوت متراصة ، ترمز فحسب من بعيد أو من قريب للوجود البشري .

● لقد استطاعت جاذبية سري أن تحقق التوازن بين البيوت الصحراوية وبين القسمات البشرية المرتسمة عليها ، وذلك من خلال مستويين . . طبقة خلفية تسطيحية من النوافذ والأبواب والحوائط والشرفات ، وطبقة فوقية أمامية من الأشكال الإنسانية غير المكتملة ، المرسومة على تلك الخلفية ، وقد تبدو اللوحة للوهلة الأولى بعيدة عن القواعد التشكيلية الصحيحة ، لكنها في الحقيقة وفي النهاية تتضمن طاقة تعبيرية كبيرة ، ونزعة ابتكارية مبدعة .

الفنانة جاذبية سري

● من مواليد مصر .

● تعمل حالياً أستاذة بالمعهد العالي للتربية الفنية بمصر .

● أقامت أول معرض تشكيلي لها في عام ١٩٥٠ م ، واستطاعت أن تخط اسمها في الحركة التشكيلية المصرية الحديثة ، من خلال هذا المعرض ، حيث نالت لوحتها الغربة الثانية ، إحدى جوائز الدولة .

● سافرت إلى أمريكا عام ١٩٦٥ م ، حيث أقامت معرضاً لاقى نجاحا ملحوظاً ، أسفر عن حصولها على زمالة مؤسسة هانتنجتن هارتفورد بولاية كاليفورنيا .

● أقامت معرضاً بالقاهرة عام ١٩٦٦ م ، عرضت فيه لوحاتها عن الصخر والجبل والماء على أطراف الصحراء ، وعلى ضفاف البحر الأحمر .

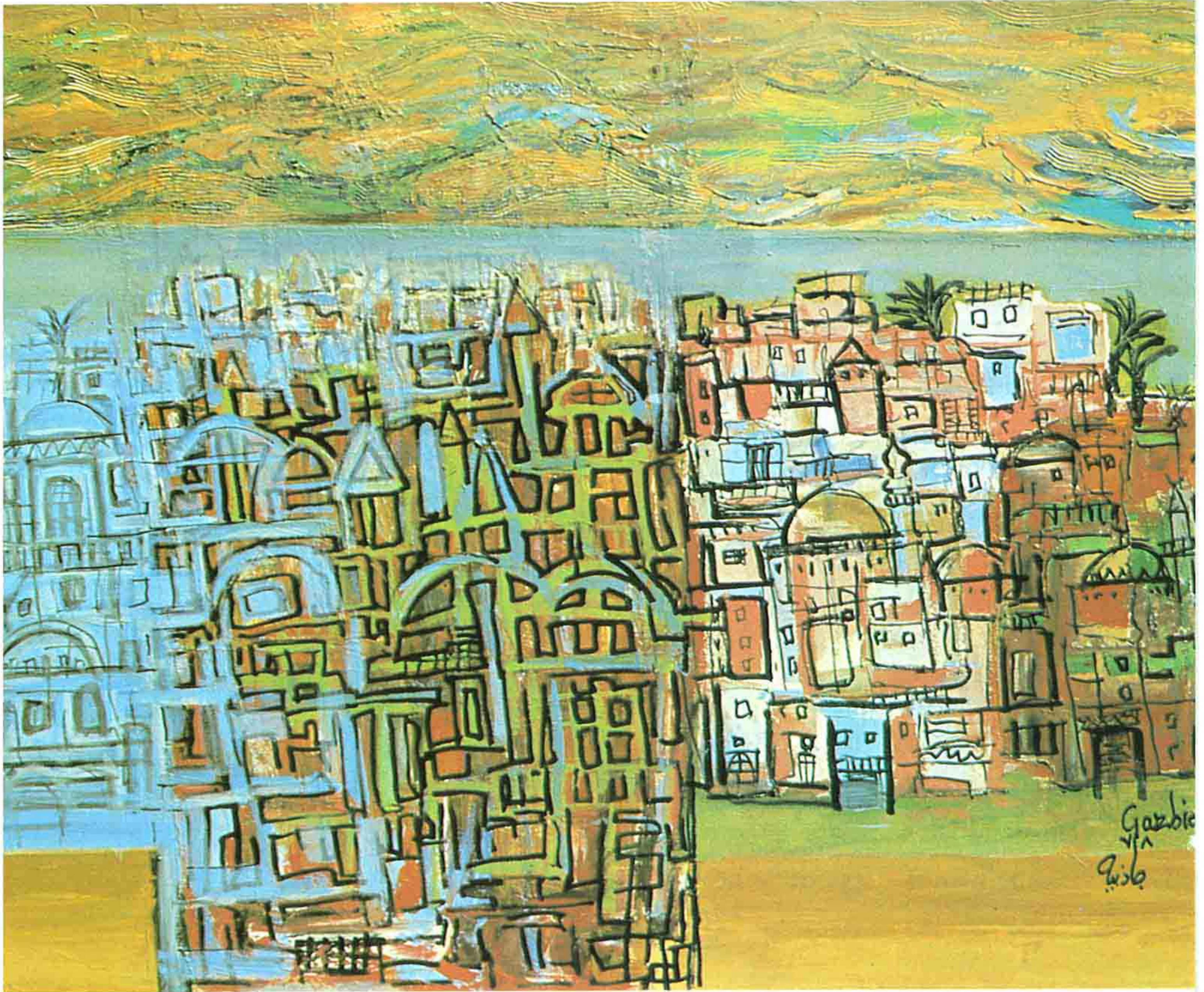
● دعيت للعرض في معرض السيرياليين العالمي عام ١٩٦٦ م .

● أقامت معرضها الهام في القاهرة عام ١٩٦٨ م ، وهو الذي انتقلت فيه إلى «مرحلة البيوت» أو مرحلة الواقعية الابتكارية ، بعد مرحلة «الواقعية الاجتماعية» .

● أقامت معرضها السيريالي في قاعة إخناتون عام ١٩٧٣ م ، وهو الذي يعد أهم معارضها الفنية حتى الآن .

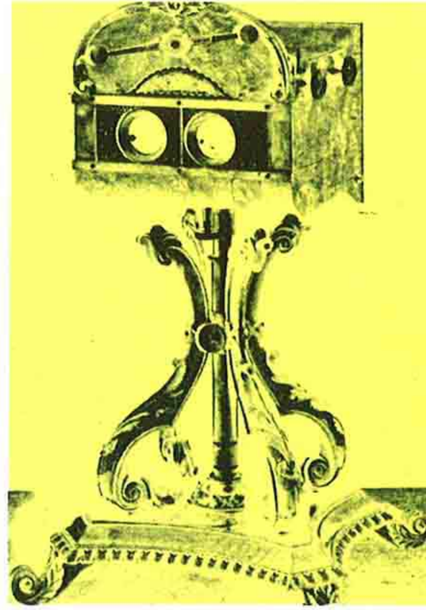
● حصلت على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٧٠ م ، وقد جاء في تقرير اللجنة أن إنتاجها لم يقل عن عشرين لوحة في السنة ، غير الدراسات المكملة لها .

● لقد كان شاغل جاذبية سري الملامح والحركات التعبيرية وتجمعات البيوت في الأحياء الشعبية ، ثم جاءت رحلتها إلى الصحراء ، فأيقظت حسها بالمشهد الطبيعي ، الذي عالجته كإطار ومحتوى لحياة الناس في البيوت ، بل لحياة البيوت ذاتها ، وذلك كله من خلال إحساس شرقي أصيل يجنح إلى الامتلاء ويتجنب الفراغ .



بيــوت في الصحــراء

من تاريخ التصوير الفوتوغرافي



بقلم: إبراهيم رمزي

«هل أنت من هواة التصوير الفوتوغرافي؟ إذن تخيل نفسك وأنت تشتغل بأدوات قديمة: آلة تصوير تزن أكثر من ٢٢ كلغم. ولالتقاط صورة واحدة فقط يجب أن تبقى عدسة الآلة مفتوحة ثماني ساعات، وإن أردت نسخة منها أعدت نفس العملية!!»...

.. تمر بنا في رحلة العمر لحظات من السعادة، فنتمنى لو يقف الزمن عندها لنَعُبَّ كأس السعادة حتى الثمالة. لكن الزمن لا يقف، غير أن لحظة السعادة – مع ذلك – تدخل متحف الذكريات بالذهن، وقد يلحقها النسيان فتصبح ضبابية متلاشية الجزئيات، لا تقاوم عوادي الأيام.

لكننا إذا سجلناها بآلة تصوير فوتوغرافية نكون قد حصّناها ضدّ البلى السريع، وضمنّا للانفعالات – المتبدّية في تلك اللحظة – مزيداً من الخلود – ولو أنه معنوي – تنضاف إليها انفعالات جديدة في كل مرة نستعرض الصورة أمام أعيننا، انفعالات يمتزج فيها الحنين بالحسرة، والبهجة بالأسى، والبشر بالآهات...الخ.

ونقلب المجلة والجريدة فتنصرف أعيننا – قبل كل شيء – إلى الصُّوَر التي تحفل بها الصفحات نستوضحها قبل أن نستوضح مكنون المقال الذي أرفقت به. **وكم من صورة يرجع لها الفضل في إغرائنا بقراءة المقال المصاحب لها،** وربما كنّا سنمر به عرضاً غير ملتفتين إليه. **وكم من صورة استغنينا بها عن مقالة تحقيقاً للمثل الصيني القائل: «رب صورة تغني عن عشرة آلاف كلمة».**

إن الصورة التي تسترعي انتباهنا نندفع إلى تأملها واستكشاف مضمونها، ثم نعلق عليها بما نراه مناسباً لموضوعها. نقارنها بما عداها من صور أخرى – منطبعة بالذاكرة أو نراها وقتئذ – أو نقارنها بالواقع – كما نراه، أو نعايشه – ثم نحكم لها أو عليها، وفي كل ذلك نكون قد حققنا عدة عمليات متلازمة متزامنة:

* المشاهدة وإعمال النظر الثاقب الفاحص الباحث.
* التذوق الجمالي والفني.
* الموازنة والنقد.
* الانطباع الاجمالي، وقد ينتج عنه الارتياح أو الانقباض أو اللامبالاة.

وتعاملنا مع صورة من الصور بهذا الشكل – غالباً ما – يتم في ثوانٍ معدودة.

وتعودنا على رؤية الصور الفوتوغرافية في كل مكان ووقت، جعلها شيئاً عادياً في حياتنا، وبالتالي فنحن لا نكلف أنفسنا طرح عدد من الأسئلة، مثل:

** **ما هي المراحل التي مرت بها الصورة حتى وصلت إلينا؟**

** **ماذا يحدث بالمختبر؟ وما أدوات العمل فيه؟**

** **هل التصوير في متناول الجميع؟ أم لا؟**

** **ما هي الأشواط التي مر منها عالم التصوير إلى يومنا هذا؟**

والاسئلة التي يمكن أن تراود الذهن في هذا المجال كثيرة ومتنوعة. وأود أن أصحب القارىء الكريم في رحلة إلى هذا العالم الفني لنتعرف عليه من قريب، وخاصة من حيث تاريخه، آملاً أن تسنح الظروف لنتعرف على جوانب أخرى.

الخاصية العامة للتصوير

لو أننا أحدثنا ثقباً صغيراً في علبة لارتسم على جدارها – المقابل للثقب – صورة تكون دائماً مقلوبة – واضحة أو غير واضحة – لشيءٍ ما خارج العلبة مُضاءٍ إضاءة كافية.

هذه الخاصية التي تبدو لنا اليوم جد مألوفة لم تكن معروفة قبل القرن الماضي، رغم أن المؤرخين يحدثوننا بأنه تم استعمالها في مجال آخر – غير التصوير – وذلك عند **رصد الكسوف.** ثم جاء **ليوناردو فانشي** (١٤٥٢ – ١٥١٩) Léonard de Vinci فأولاها دراسة مهمة.

والغرفة المظلمة لم يتم استخدامها إلا في نهاية القرن الثامن عشر، ومن طرف بعض الرسامين للتغلب على صعوبة قد تعترضهم في تدقيق البعد الثالث، أو من طرف مهندسين أثناء بناء القناطر. وحين أريدَ استغلالها في مجال التصوير كانت المشكلة هي أن الصورة تبقى سجينة العلبة السوداء، إذ لا مجال لاستنساخها والاحتفاظ بها. ولم تتحقق هذه الغاية إلا في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر بعد أن توصل الكيميائيون إلى دراسة الأجسام الحساسة للضوء، وخاصة كلوريد الفضة ونتْرات الفضة.

المرحلة الأولى

وهكذا حصل: **ويدجوود** Wedgwood ١٧٧١–١٨٠٥ عن طريق التّماس المباشر على «شبح» ورقة شجرة بعد وضعها على ورقة حساسة وتعريضها لأشعة الشمس. ولكن «أشباحه» – كانت – سرعان ما تختفي. غير أن طريقته كانت بمثابة ميلاد الأمل للوصول إلى إمكانيات عديدة.

وفي نفس الوقت، اخترع: **الويز سنفلدر** Aloys Senefelder سنة ١٧٩٦ وسيلة أخرى لإخراج الصور وتكبيرها، وذلك باستغلال الخصائص

★ أول صورة حقيقية صورها نيبس ★

★ التصوير بالاعتماد على المرايا ★

الكيماوية لبعض الصخور – الموجودة قرب ميونيخ – ثم تعريضها للضوء (Lithographie).

وانتقلت هذه الطريقة لفرنسا فاستعملها: **نسفور نيبس** ١٧٦٥-١٨٣٣ Nicéphore Niepce لإجراء تجارب مهمة كانت موضوعاتها أشياء مختلفة.

المرحلة الثانية

طوّر نيبس Niepce طريقتي: وود، وسنفلدر، حتى توصل إلى طبع الصورة ابتداء من سنة ١٨١٦ حيث بدأ يرسل إلى أخيه نماذج منها – رغم أنها كانت باهتة جداً – لتركيبها من لون فاتح بدل القاتم الكائن في الأشياء، ثم إنها سرعان ما تتلاشى حين تعريضها لضوء الشمس.

ووالى نيبس تجاربه مستعملاً أخلاط مواد كيماوية متنوعة من ضمنها **أملاح الفضة والبترول** ليطبع الصورة التي يلتقطها على لوحات معدنية، قبل أن يفكر في طبعها على الزجاج – فيما بعد – ثم على الورق أخيراً.

وهكذا **كانت الصورة «الحقيقية» الأولى على يد نيبس، وتمثل طاولة مد عليها خوان الطعام.** لكننا مع ذلك لا نميز إلا السمات العامة للأشياء البادية في الصورة، ويرجع السبب في ذلك إلى ضعف حساسية المواد الكيماوية المستعملة. فكان لا بد من ثماني ساعات تحت أشعة الشمس الساطعة لالتقاط صورة واحدة. ومن البدهي ألا تكون الصورة واضحة دقيقة الجزئيات، لما يطرأ خلال هذه الفترة من تنقل الظلال ونحولها وامتدادها أو تقلصها تبعاً لتحول الشمس في مدارها، ودرجة انعكاس أشعتها.

وفي سنة ١٨٣٩ يوقع نيبس **وداكير**[١] عقد اشتراك ينص على أن: «نيبس توصل إلى اختراع يؤدي إلى تثبيت الصور

المحصل عليها في العلبة السوداء» وأن: «داكير سيقدم تركيباً جديداً للعلبة السوداء بالإضافة إلى كفاءته وصناعته»[٢].

ويتوصل داكير بمذكرة المعلومات السرية الهامة من نيبس، والمتضمنة لشروح وافية ودقيقة عن طريقته. فينكبُّ عليها داكير بالدراسة والبحث والتجريب والتنقيح والإضافة.

وفي ١٨٣٥ أي بعد سنتين من وفاة نيبس، يتمكن من الحصول على **صورة موجبة**، ويستطيع تثبيتها بحيث لم تعد تؤثر عليها أشعة الشمس.

وكانت النتائج التي توصل إليها مدهشة أكثر لأنها حققت وضوح الصورة بكل جزئياتها، ولتقليص فترة التعرض أم فتحة الآلة من ثماني ساعات إلى بضع دقائق (من ١٥ إلى ٣٠ دقيقة)[٣].

وقد تهافت الناس - القادمون إلى **باريس** أو المقيمون بها - على داكير وهو يمارس التصوير بالآلة أمام **متحف اللوفر** Le Louvre أو **قصر التويلوري** Le Tuileries أو **القنطرة الجديدة** Le Pont-neuf فأدهشهم عمله وبهرتهم نماذج الصور التي التقطها.

وتطير شهرته داخل إلى كل أنحاء **فرنسا** وأقطار **أوربا**. أما كتابه الذي يشرح فيه نظريته فقد طبع خمس مرات خلال الفترة الممتدة من: غشت إلى ديسمبر سنة ١٨٣٩ كما ترجم إلى عدة لغات. وتلقى داكير مظاهر التقدير والإعجاب من الهيئات والدول المختلفة[٤].

المرحلة الثالثة

وتتكاثف جهود كثير من العلماء على اختلاف اختصاصاتهم، سواء في البصريات أو الكيمياء أو الفيزياء، لتطوير نظرية (داكير) وهكذا أمكن في سنة ١٨٤٠ تقليص وقت الالتقاط إلى ثوانٍ معدودات، وتحسين العدسات، وتخفيف الآلة، ومع ذلك بقي وزنها يتراوح بين: ١٥ و ٢٢ كلغم.

ويتمكن الفيزيائي (**فيزو** Fiziex) والنقّاش (**بروفيير** Brévière) من معالجة الصورة الوحيدة المطبوعة على اللوحة المعدنية ليَسْتَنْسِخا منها صوراً متعددة على الورق. ولكن النسخ المحصل عليها كانت قليلة جداً لأن اللوحة المعدنية كانت تتلف في النهاية، وذلك ما عمل على تجنبه العالم: **فوكس تالبو** ١٨٠٠-١٨٧٧ Fox Talbot[٥] فأصبح بالإمكان استنساخ ما لا يحصى من الصور من لوحة واحدة. وإلى هذا العالم يرجع الفصل في اختراع «**المثبت** Fixateur» والمستعمل منذ أزيد من مائة سنة.

ويجب ألا نغفل ذكر مجهود (**هيبُوليت بايار** ١٨٠١-١٨٨٧ Hippolyte Bayard) الذي عرض على (**أراكو** Arago) صوراً موجبة على الورق قبل تقديم مشروع (داكير) إلى أكاديمية العلوم بثلاثة أشهر، ولكنه لم يلاق النجاح، بسبب - بعض العيوب - ولافتتان الناس بنتائج (داكير) ذات المشاهد الأخاذة.

ثم ظهرت طائفة أخرى من الباحثين[٦] وكان لهم اهتمام مشترك يتجلى في الحصول على **الصورة السلبية** على قطعة من الزجاج (٣٠×٤٠ سم) مستعملين كيمياوياً مادة Collodion[٧].

ومن الاختراعات المهمة كذلك في هذه الفترة - منتصف القرن التاسع عشر: التصوير الاستيريوسكوبي La Photographie stéréoscophie من طرف: (**براوستر**) و(**دوبوسكا**) و(**موانيو**) Brewster et Dubosca et Moigno والأخير استطاع أن يبرز عمق الظلال بصورة أوضح، كما طبع على الزجاج صوراً شفافة يمكن عرضها على شاشة صغيرة باسقاط الضوء عليها.

المرحلة الرابعة

وانطلاقاً من سنة ١٨٧١ تبدأ المرحلة الرابعة والمهمة، خاصة بعد:

١ تطوير «مزيج من المواد أساسها أملاح فضية سريعة الجفاف» إلى تركيب آخر أصبح يطلق عليه: Gélatino-bromure d'argent وصار واسع الانتشار منذ سنة ١٨٨٠ ويباع على مدى واسع.

٢ وبعد ظهور الشريط «**الفيلم**» سنة ١٨٨٤ وهو ما عوض الصفائح المعدنية - التي اخترعها نيبس - أو الألواح الزجاجية.

وهكذا دخل التصوير مرحلة متطورة هامة، ولم يبق مقتصراً على الاختصاصيين والمحترفين، بل أصبح في متناول الهواة أيضاً.

ومنذ مائة سنة لم تتغير المبادىء التي قام عليها التصوير، ولكن الذي تغير هو الأدوات والآلات والمواد .... التي انتقلت من البدائية والبساطة إلى الفاعلية والسرعة والدقة والضبط ثم التعقيد.

فالمحاليل أصبحت أكثر فاعلية مما جعل فترة اللقطة تصبح أقصر مما كانت عليه، وهكذا أصبح بالإمكان تصوير الأشخاص وهم في حالة حركة دون خوف على الصورة من الفشل. وإذا كان زمن انفتاح العدسة في سنة ١٨٨٦ لا يزيد عن ١/١٠٠ / ثانية فإنه أصبح في سنة ١٨٩٥: ١/١٠٠٠ / ثانية. والواقع أن تحقيق سرعة أكبر من هذه كان يرجع بالدرجة الأولى إلى معوّقاتٍ ميكانيكية تتعلق بـ: «سدّادِ الآلة» Obturature. ولكن بحلول سنة **١٩٣٩** أمكن تحقيق سرعة مذهلة (جزء من مليار من الثانية).

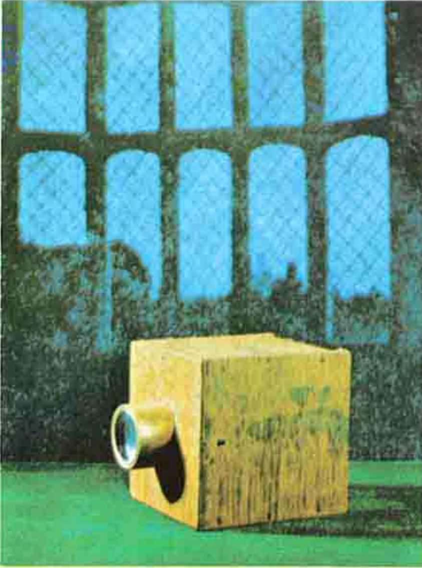
وفي خط متوازٍ مع الأبحاث السابقة سار البحث عن: خصائص **الألوان الطيفية**، وحساسيتها، وتأثيرها على عَتَمَةِ التصوير من جهة، وعلى الصورة الموجبة المستخلصة في النهاية. وذلك ما مكن - بعد مدة طويلة - من **طبع صورٍ ملونةٍ** على الورق مطابقة في ألوانها للأصل.

كما أن اختراع الكهرباء وكل وسائل الإنارة الاصطناعية ساعدا على التصوير في أي وقت - ولو كان ليلاً حالكاً -. وساعدا كذلك على عملية الإظهار والتكبير، وكانت من قبل تعتمد على أشعة الشمس وتستغرق مدة أطول.

ولعل من الطريف أن نذكر في ختام هذه المرحلة أن التصوير لم يحظ بالقبول لدى جميع الناس، بل منهم الذين وقفوا منه مواقف عدائية صريحة إما لاعتقادهم أنه ضرب من ضروب السحر أو الشعوذة، وإما لأنه أصبح يهدد طائفة منهم في مجال حياتها الاجتماعية والاقتصادية، ومن هؤلاء - خاصة -: الرسامون[٩].

هل التصوير فن ؟

منذ ظهور التصوير وحتى سنة ١٨٣٩ **وأكاديمية الفنون الجميلة الفرنسية** تنظر إليه نظرة استخفاف، وتعتبره «شيئاً» ثانوياً بالنسبة لاهتماماتها، وكان لا بدّ من مضي عشرين سنة (١٨٥٩) لتعترف الأكاديمية بفضل التصوير. وهي نفس الفترة التي تخلى فيها الشاعر **بُودْلِير** عن نظرته العدائية للتصوير، وأصبح يعتبره: «خادم العلم والفنون، ولكنه الخادم المبجّل، مثله مثل الطباعة، وهما لم يخلقا الأدب ولم يعدماه».



أما غيره فكان يرى في هذا الاختراع «خدمة جليلة للفنون».

ويبقى السؤال قائماً: **هل التصوير فن ؟**

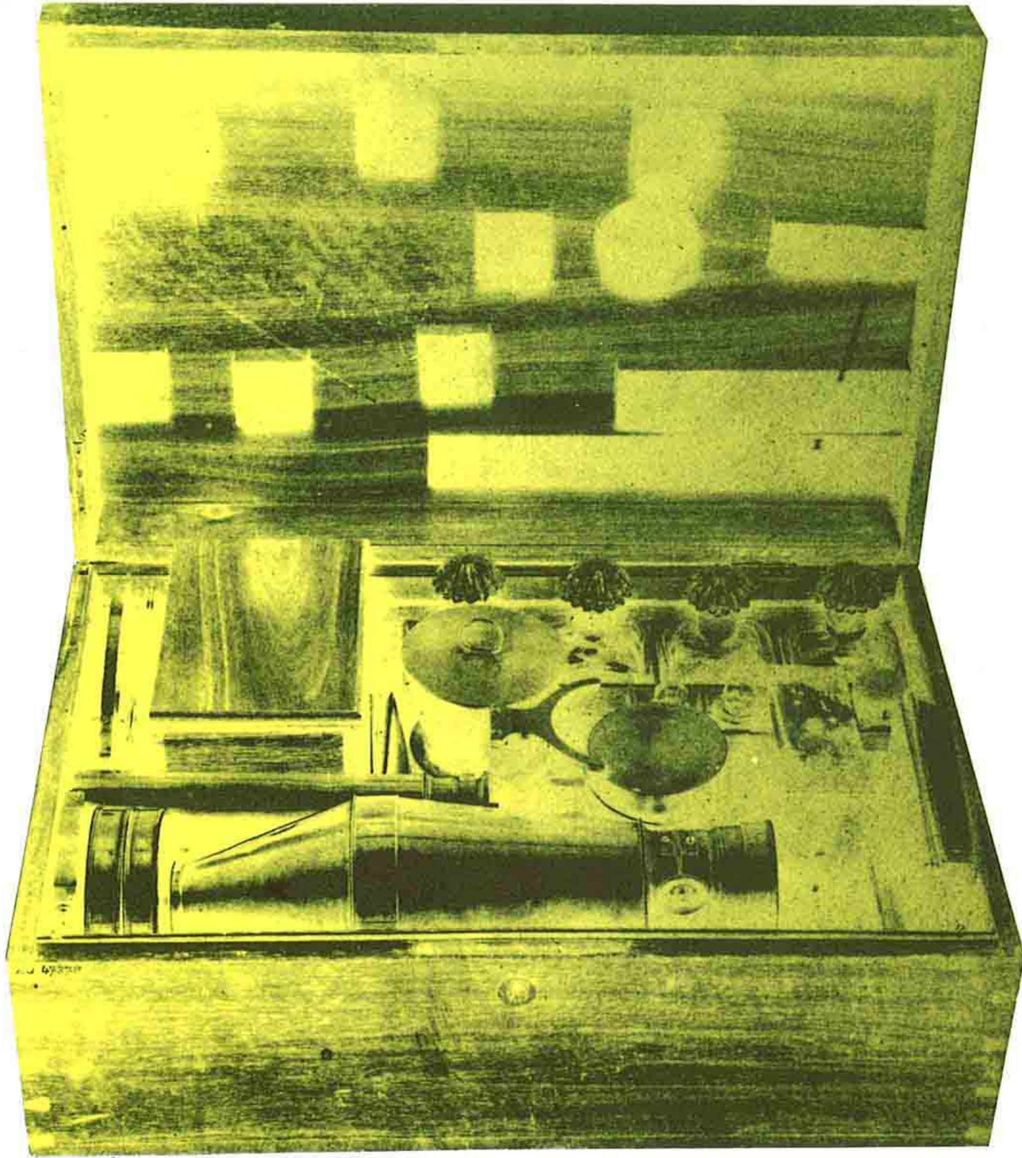
إذا اعتبرنا الآلة الحديثة، أو الأشياء «الغريبة» التي تتم بمجرد ضغطنا على زرّ، وإذا اعتبرنا فجائية الطبع، وكيمياء الإخراج .... كل ذلك بالإضافة إلى تدخل المصور:

أ حينما يختار موضوعاً، ويدرس تركيبه، محللاً أو مركباً عناصره ليخرج منها نموذجاً جديداً تتداخل فيه تركيبات الضوء والرؤية....

ب وحينما يعطي قيمة أكبر لجُزْيء بإبرازه أكثر، أو باختياره زاوية النظر المناسبة، أو الإضاءة الملائمة....

فإنه في كل ذلك يقوم بعمل الفنان، إنه ملزم بحدس كل ما سيحدث، وبدراسة الجزئيات دون إهمال. إنه تحت تأثير «الموضوع» وله رد فعله الخاص، إنه يتقبل الحواجز ثم يتحداها ليعبّر - مثله مثل الشاعر الذي يستجيب لإلهام الشعر - وذلك في حدود قدرته على أن يكون سيد الموقف بتقنيته وإحساسه المرهف. وقدرته - كذلك - على توجيه هذه العين السحرية - عدسة الآلة -. خاصة وأن الآلات الحديثة يمكن تشبيهها بأعضاء إضافية لها حساسية شديدة يمكن إخضاعها لرؤيتنا وحركتنا، غير أنها تستطيع أن ترى وتسجل أدق الجزئيات - أكثر من أعيننا -. كما يمكن أن تغيِّر أبعاد الموضوع، لأن تحديد الأبعاد لديها مخالف لما عند الإنسان. ولذلك، غالباً ما تفاجئنا الآلة بصورة لم نكن نتوقعها، ولم يكن بإمكان أعيننا وحدها ملاحظتها.

في كل أعمال التصوير هناك - دائماً - مكان للخيال، والجرأة، والرقة، والموهبة، والذكاء. وما أروع كل هذا حين



★ من تاريخ التصوير الفوتوغرافي ★

تعززه ثقافة علمية حقيقية عن كل شعب التصوير والمجالات التي تتعلق به.

كان الشاعر الفرنسي **لامارتين** يعادي التصوير لاعتقاده أنه: ضرب من ضروب الشعوذة. ولكنه في سنة ١٨٥٩ عدل عن موقفه هذا، وكتب عنه: «... إذا ضاعفنا النسخ فالتصوير هو المصوِّر نفسه، ولا نقول إنّما هو مهنة، بل نقول إنه فن، بل شيء أفضل من فن. إنه عمل شمسي، لأن الفنان يتعاون مع الشمس».

وطبعاً قليل هم المصورون الجديرون بهذا الوصف: التعاون مع الشمس. ومنهم الهاوي الذي يعتمد اعتماداً - أعمى - على آلته، والذي يَكِلُ إلى (الطبيب أو المعالج) إصلاح أخطائه.

إنه فن خطير ونافع، وهو اليوم عماد من أعمدة الحضارة المعاصرة القائمة على استغلاله في أدق وأجل مناحيها، فهو مستعمل في دراسة الفضاء والطب والأرصاد الجوية والفيزياء والكيمياء ... وجميع أصناف العلوم، مستعمل في الكتاب والتلفاز والسينما والاعلانات ... وغير ذلك من المجالات التي لا غنى عنه فيها. فهل يمكن بعد هذا أن نطلق على الحضارة المعاصرة: حضارة التصوير، أو حضارة الصور ؟!..

الهوامـــش

(١) داكير ١٧٨٧–١٨٥١ Daguérre رسام نشيط تعرف على نيبس في باريس بواسطة صديقهما المشترك السيد شوفاليبي النظاراتي L'Optien Chevalier وذلك عندما كان نيبس في طريقه سنة ١٨٣٧ إلى لندن لزيارة أخيه كلود Claud وكان داكير آنذاك شاباً يعمل في المسرح ومهتماً بتثبيت الصورة المحصل عليها داخل العلبة السوداء. وبعد سنتين من هذا اللقاء رأى نيبس نفسه مضطراً إلى إبرام عقد اشتراك مع داكير لتأثير الشيخوخة عليه من جهة ولإفلاسه المادي من جهة أخرى.

(٢) يرى البعض أن داكير لم يكن يتوفر إلا على الحيوية، وخبرة الرجل التجاري، وعلو كعبه في الرسم، وبذلك أثر على نيبس.

(٣) أطلق داكير على اختراعه هذا Daguérrétype وحاول ترويجه مع شريكه الجديد إيزيدور Isidore ابن نيبس. ولكن صعوبات جمة اعترضتهما، ولم يكتب التوفيق لهذا المشروع إلا بعد أن تبنّته الحكومة الفرنسية بعد عرضه على أكاديمية العلوم سنة ١٨٣٩ وقد قدم العرض صديقه أراكو Arago

(٤) لكن منتقديه عابوا عليه عدم الاعتراف بفضل نيبس ومجهوداته وأبحاثه.

(٥) فوكس تالبو: عالم كيميائي التقى به (نيبس) سنة ١٨٣٧ في لندن، ومنذ ذلك الحين وهو يجري أبحاثه وتجاربه، وتوصل إلى نتائج مهمة توازي في الزمن الفترة التي توصل فيها (داكير) إلى نتائجه التي عرضت على أكاديمية العلوم. أخرج تالبو الصور التي التقطها في كتابه: «قلم الطبيعة» سنة ١٨٤٤. ولكنه كان يشعر بالأسف الشديد لكونها صوراً «سلبية».

(٦) أمثال: Le Gray et Fry et Archer .

(٧) الكلوديون: محلول يتركب من مسحوق القطن مخلوطاً بالأثير الكحولي.

(٨) تصوير يعتمد على آلة تبدي الصور للعين مجسمة.

(٩) لمزيد من الايضاح حول هذه الفكرة تراجع مجلة الهلال، يناير ١٩٦٩ ص ٩٦.

المـراجـع

١– JEAN PRINET, La photographie et ses applications (Paris, 1969).

٢– LAROSSE MONTEL, Toute la photographie, (Paris)

٣– «المعرفة» موسوعة علمية.

٤– معجم الفنون الجميلة – الاستاذ عبد العزيز بنعبدالله، الرباط ١٩٧٣.

٥– مذكرات خاصة.

المبيدات وأثرها في الأرض وما عليها

بقلم : د . عبد اللطيف أبو السعود

كل منا يعتمد على **الأرض** إلى حد معين . حتى أولئك الذين لم يتح لهم مشاهدة الأراضي الزراعية ، ولا يعلمون أهميتها ، فإنهم يستخدمون منتجاتها في حياتهم اليومية .

ففي كل مكان من العالم ، يعتمد الإنسان على **التربة الزراعية** لإنتاج الغذاء ، ومع تزايد عدد السكان ، يحتاج الإنسان إلى مساحات مزروعة أكبر ، ليطعم أفواهاً أكثر .

ونحن نستخدم **المخصبات الكيميائية** لزيادة كميات المحاصيل الزراعية ، وتحسين نوعياتها . كما نستخدم **الكيماويات** لإبادة الآفات والأعشاب ، في محاولة مستميتة لزيادة الإنتاج الزراعي .

وكثير من هذه العمليات تبدو لنا كما لو كانت تحقق أهدافها . ولكنها في الواقع تضر أكثر مما تفيد . ذلك لأنها تؤثر على التوازن الطبيعي بين الكائنات الحية . ذلك التوازن الذي لم يمكن تحقيقه إلا بمرور آلاف السنين . **وعندما يستخدم الإنسان هذه الطرق في محاولاته لإنتاج طعام أكثر ، فإنه ينزع من الأرض معادن كثيرة ، أكثر مما يمكنه أن يعيد إليها ، ويتسبب في إتلاف التربة الزراعية ، التي يعتمد عليها لإنتاج طعامه .**

وبدلا من أن يتمكن من زراعة محاصيل أكثر ، فإنه سيصل يوماً إلى الحالة التي لا يمكنه عندها زراعة أي شيء على الاطلاق . وبالرغم من سلامة نيته ، لأنه يسعى إلى إنتاج طعام أكثر لقومه ، إلا أن الأمر سوف ينتهي بمشاكل أعظم مما كان موجوداً بادىء ذي بدء .

كيف تعمل التربة ؟

في بعض الأحيان ، تكون نتيجة أعمالنا واضحة للعيان ، فعندما نستخدم التربة فوق طاقتها ، فإنها تتوقف عن الإنتاج ، وتتحول إلى تراب ، ويحدث نفس الشيء عندما تزال الغابات عن مناطق شاسعة .

ففي التربة بلايين من الكائنات الحية الدقيقة ، التي تعتمد عليها في نهاية الأمر جميع صور الحياة على الأرض . فلولا هذه الكائنات ، ما كانت الديدان ، ولا الأشجار أو الشجيرات ، ولا الحشرات أو الطيور ، وما عاش الإنسان .

فهؤلاء الأحياء يعتمدون على بعضهم البعض في بقائهم . فأصغر الكائنات الحية في التربة تعتمد على جذور الأشجار والنباتات لتبقى حية . كما أن النبت يعتمد على هذه الكائنات الدقيقة .

وعندما تسقط الأوراق من الأشجار ، وعندما تموت النباتات ، فإنها تعود إلى التربة ، فتعوضها عما امتصته الجذور منها . وهذا يضمن استمرار الحياة على الأرض .

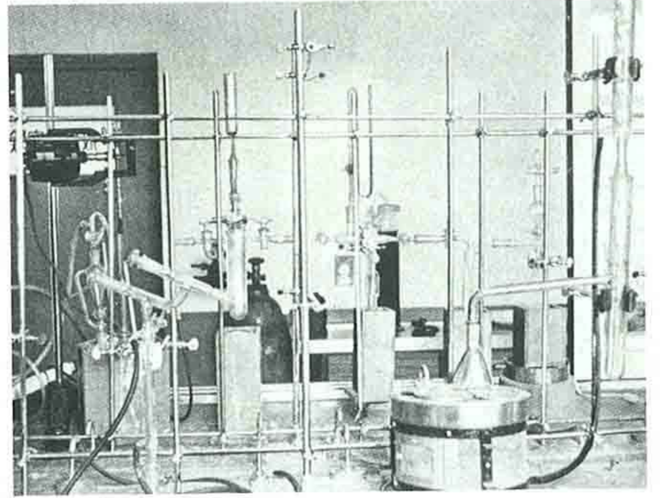
أما إذا تدخلنا في عملية الحياة هذه ، أو إذا أزيلت الحياة من فوق التربة ، فإن التربة تموت ، وتتحول إلى صحراء جرداء .

ويحدث نفس الشيء إذا دمرنا الحياة تحت التربة ، وذلك باستخدام الكيماويات ، أو باستخدام ظاهر التربة فوق طاقته .

ومجمل القول إننا إذا اعتنينا بالتربة واحترمناها ، فإنها ستبقى خصبة صالحة للزراعة . أما إذا أسأنا استخدامها أو أسأنا إليها ، فإنها تموت . وهناك أمثلة عديدة في أنحاء العالم تبين مقدار جهل الإنسان في هذا المجال .

إنهم يدمرون التربة

في **أواسط الولايات المتحدة ،** توجد مساحات واسعة من التراب القاحل . كانت هذه المساحات في بادىء الأمر غابات ومراع . ولكن الناس قطعوا الغابات ليزيدوا من مساحة المراعي التي ترعى عليها الماشية . ولكن هذا أثر في النبت ، وحدد أنواع المزروعات التي قد تنمو هناك . وزادت **حموضة التربة ،** فهربت ديدان الأرض ، واختفت المغذيات الطبيعية ، وهي أنواع الحياة الطبيعية التي تغذي التربة ، وأخيراً تحولت المنطقة إلى صحراء جرداء ، تنفخ الرياح منها المواد الغذائية الطبيعية القريبة من السطح . وتتعرض المنطقة لفترات جفاف طويلة ، تجعل سطح الأرض صلباً ، والتربة جافة . وهذا يعني أن النباتات لن تستطيع أن تمد جذورها في الأرض . كما أن غمر هذه الأراضي بالمياه لا



★ البحث عن مبيدات أشد فتكاً ★

يفيد ، لأن هذه التربة الفقيرة تتحول إلى بحر من الأوحال ، يستعيد صلابته بفعل حرارة الشمس ، هذه الصحراء الجرداء القاحلة إنما هي من صنع البشر .

وفي **إسبانيا** صنع الإنسان مشاكل مماثلة . أما في **شمالي انجلترا** ، فقد صنع الإنسان مستنقعات غير خصبة ، بعد أن أزال الغابات ، ليحول الأرض إلى مراعي ، ولكنه حول آلاف الأفدنة إلى عشب كثيف ، ونباتات غير مفيدة .

مضار إزالة الغابات

في انجلترا ، أزيلت الغابات من **انجليا الشرقية** . فأدى هذا إلى إزالة الحاجز الطبيعي الذي كان يمنع الرياح القوية التي تأتي من بحر الشمال ، من الهبوب على الأرض . فتسبب ذلك في تغيير المناخ والحيوانات والنباتات التي كانت تعيش هناك . كما غير من طبيعة التربة ، وأخل بالتوازن الطبيعي العام في تلك المنطقة .

لم تستخدم كيماويات ولا مخصبات غير طبيعية في تلك المناطق . ولكن الإنسان تدخل ، فأزال ما خلقه الله هناك من أشجار وغابات ، فأفسد الأرض ، وأضاع نفعها .

هل نترك الأرض على ما هي عليه ؟

إن جميع أشكال الحياة على سطح الأرض ، بما في ذلك الإنسان ، تعتمد على التربة ، فالإنسان يحتاج إليها ليزرع الطعام الذي يأكله ، والأخشاب التي يستخدمها في البناء والوقود ، وليزرع الأعلاف لإطعام الحيوانات التي يربيها . فهو يحتاج إلى ما تنتجه التربة ، وتحتاج التربة إلى ما تحتويه أصلاً من عناصر ، وما يعاد إليها ثانية من تلك العناصر ، إذا كان للتربة أن تبقى .

ولا يعني هذا أنه يجب علينا أن نترك الأرض على ما هي عليه ، ولكن يجب علينا أن نسوسها بعناية وحكمة ، فإذا رغبنا في زراعة الأرض ، فإنه يجب علينا أن نقوم بذلك بطريقة سليمة ، ويجب أن نعيد إليها ما نأخذه منها من عناصر . إذا أعيدت المخلفات الطبيعية إلى الأرض ، فإن هذا يكفي في أغلب الأحيان . أما إذا لم يكن ذلك في الإمكان ، فإن البدائل الصناعية يجب أن تختار بعناية وأن تضاف بحساب .

ماذا يحدث لو غيرنا سطح الأرض ؟

إنهم يرددون اليوم أنه يمكن زرع النباتات بدون تربة . هذا صحيح ، ولكننا لا نعرف أثر استخدام **المخصبات الصناعية** على المدى البعيد ، وإذا استخدمنا هذه الطريقة لإنتاج الطعام ، فإن التربة سوف يساء استخدامها ، وسوف تتدهور حالتها . وهذا يؤدي إلى تدمير جميع صور الحياة تقريباً . وهذا يعني أنه لن يكون لدينا ذلك **المصدر الطبيعي للأوكسيجين** ، ولن يكون من الممكن إزالة **ثاني أكسيد الكربون** الذي ينتج عن العمليات الحيوية ، وهي العمليات التي تقوم بها النباتات والأشجار . حينئذ ، نكون غيَّرنا البناء الكلي لسطح الأرض .

ولا نستطيع أن نتصور تأثير ذلك على الإنسان ، ولكنه يمكننا أن نتخيل بعض النتائج المخيفة ، وخاصة إذا كان عدد السكان أكبر ، وبقيت اتجاهات الإنسان كما هي بدون تغيير .

نحن نعاني اليوم من مشكلة التزايد الكبير في أعداد المصابين بأمراض عقلية ، وذلك في المناطق المكتظة بالمباني . ولكن إلى أي مدى يمكن أن تسوء هذه المشكلة لو جعلنا من كوكبنا هذا غابة من الخرسانة ؟

ومن المؤكد أنه يجب علينا أن نحافظ على الأرض وعلى تربتها ، لنتفادى خلق مشاكل أكثر مما نستطيع حله ، وحتى لا ندمر أنفسنا بأيدينا في زمن وجيز .

★ مزيد من المخصبات لزيادة المحاصيل الزراعية وتحسين نوعياتها ★





★ إنهم يقطعون الأشجار ليزيدوا من مساحة المراعي ★

هل يفيد استخدام مبيدات الأوبئة ؟

اليوم نستخدم **مبيدات الأوبئة وقاتلات الحشائش** على نطاق واسع . ولكن هذه المواد ذات أثر مدمر على البيئة وعلى الحياة البرية . فكثير من هذه المواد لا يختفي بعد أداء واجبه من إبادة الأوبئة ، ولكنها تبقى في التربة ، وتنتقل إلى صور الحياة الأخرى .

وعلى هذا ، **فإن رش المحاصيل بهذه الكيماويات يؤدي إلى موت الطيور ، والثدييات ، والزواحف . وكثير من هذه الحيوانات مفيد للإنسان ، فهي تقضي على الحشرات الضارة ، والحيوانات القارضة ، فتقلل من عددها ، ومن خطرها .**

وعلى ذلك فإن الإنسان يخلق بتدخله ، وقصر نظره ، مشاكل تزيد عما كان لديه في بادىء الأمر . وإذا ما حاول الإنسان أن يعالج هذه الأخطاء باستخدام نفس الطرق التي سببتها ، عم الخراب والدمار .

كيف تعمل مبيدات الأوبئة الدائمة

في منطقة من **أميريكا الشمالية** ، قام المزارعون برش مساحة صغيرة نسبياً من الأرض بالكيماويات لقتل نوع من الفطر كان منتشراً فيها ، واستخدموا لهذا الغرض محلولا يحتوى على **الزئبق السام** . وبعد مدة ، تبين أن جميع **الطيور من فصيلة الروبين الأميريكي** قد ماتت في تلك المنطقة . وجدت آلاف من هذه الطيور ميتة على الأرض ، وتبين من فحصها أنها ماتت بسبب التسمم بالزئبق . والمعروف أن طائر الروبين الأميريكي صديق للفلاح . فهو يقضي على ملايين الحشرات ، وديدان الأرض .

من هذا المثال ، يتبين لنا أنه عندما يستخدم الإنسان المواد السامة للقضاء على الأوبئة ، فإنه يقتل معها صوراً أخرى للحياة . ينتقل السم من الحشرات إلى الحيوانات التي تقتات عليها ، ثم إلى الحيوانات الأكبر التي تتغذى عليها ، حتى تنتقل السموم إلى الإنسان . ويؤدي انتقال السموم إلى زيادة تركيزها ، إلى أن تصبح موجودة بكميات قاتلة .

كيف يمكن أن يكون التأثير النهائي لهذه المواد على الإنسان الذي يقف في نهاية السلم ؟

هل تؤثر مبيدات الأوبئة على الإنجاب

إذا لم تقتل الكيماويات الحيوانات ، فإنها تتسبب في سلبها القدرة على الإنجاب . إن كميات قليلة من المبيدات الدائمة للأوبئة قد تسبب العقم للطيور ، بحيث لا يفقس بيضها .

وقد تبين للعلماء أن السموم تنتقل إلى البيض . كذلك وجد أن هذه السموم تؤدي إلى أن يصبح البيض رقيق القشرة ، بحيث يكسره الطائر أثناء احتضانه له .

وفي أميريكا الشمالية ، وجد العلماء أن اثنين من هذه المبيدات وهي

بعض الحالات ، كما حدث في **حرب فيتنام** مثلاً ، فإن الأثر الدائم لهذه الكيماويات على البيئة أهم بكثير من أي شيء آخر . وسوف ينظر أحفادنا يوماً إلى ما قمنا به من تخريب ودمار ، ولن يكون في مقدورهم ، أن يفهموا كيف قمنا بذلك دون أن ندرك أننا كنا نلحق الضرر بهذا العالم .

ومعظم الكيماويات التي تستخدم في الزراعة ، يجري تخليقها في المعامل ، **فالإيدروكربونات المكلورة** ، وهي من مشتقات **الكربون** ، قد استخدمت على نطاق واسع في الأعوام الأخيرة ، ولقد كانت النتائج غير مرغوب فيها ، بل قاتلة في كثير من الأحيان ، وهذه المواد سامة إلى درجة خطيرة ، في كثير من الأحوال ، ولكنها ما زالت تصب فوق الأرض صباً .

هل يمكن للحيوانات مقاومة آثار المبيدات

إذا نظرنا جيداً إلى استخدام مبيدات الأوبئة ، فإننا نجد لها آثاراً على البيئة تفوق كثيراً ما يبدو منها لأول وهلة .

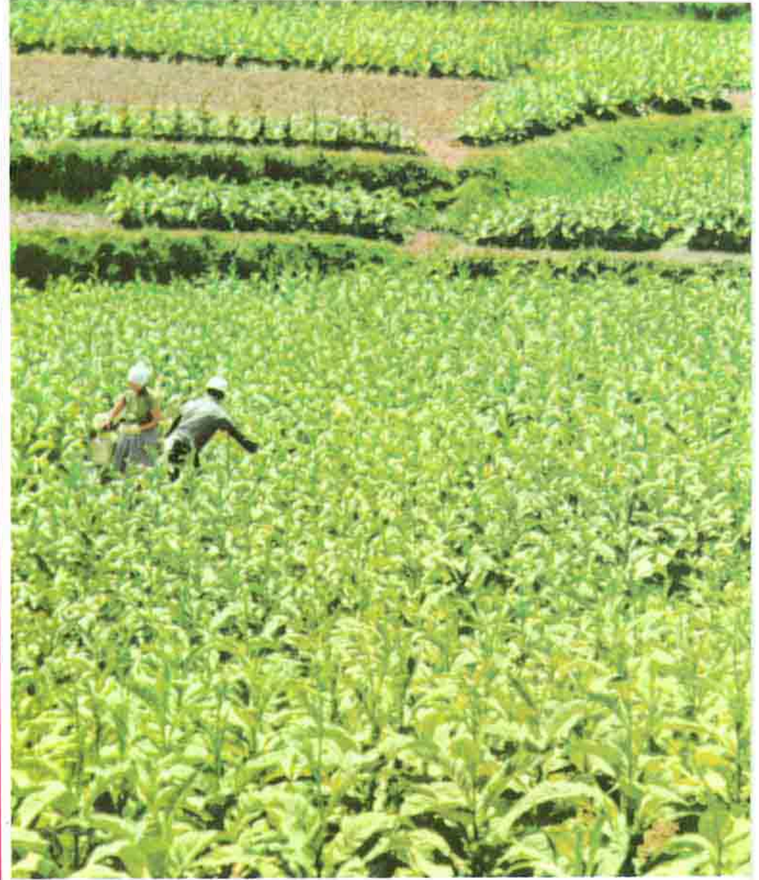
ففي بعض البلاد ، استخدمت مبيدات الأوبئة لعدة سنوات ، في محاولة للتحكم في **الملاريا** ، ذلك المرض الخطير الذي ينتشر في **المناطق الإستوائية .**

وهناك مثال واضح على قصر نظر الإنسان وجهله ، يأتي من **أميريكا الوسطى** ، حيث كانت الملاريا تتفشى بين أهل البلاد . وفي الخمسينات ، قامت الحكومات المختصة بحملة لتخليص هذه المناطق من هذا الداء الوبيل ، فقررت أن السبيل إلى ذلك هو رش المبيدات الحشرية على المنطقة كلها ، حيث كان يتفشى هذا المرض . استخدم **مبيد الدلدرين** في بادىء الأمر . ولكن بعد مرور وقت قصير ، تبين أن الحشرات التي تحمل **الفيروس** اكتسبت مناعة لهذا المبيد . فاستخدم **مبيد د . د . ت** بكميات هائلة . ولكن الحشرات اكتسبت مناعة له الآخر ، ثم استخدم مبيد ثالث .

وفي بداية الحملة ، لوحظ نقص واضح في عدد الإصابات بالملاريا ، ولكن في عام ١٩٧١ م ، عاد الأمر إلى ما كان عليه في الخمسينات ، ولكن ليس هذا كل ما في الأمر ، فقد تدهورت البيئة إلى درجة تنذر بالخطر .

لم تفلح المبيدات في خفض عدد الإصابات بالملاريا . ليس هذا فحسب ، ولكنها تسببت في تلوث المنطقة كلها ، وبالإضافة إلى التدمير الواضح للحياة البرية ، فقد وجدت المبيدات بتركيزات كبيرة في الأغذية الحيوانية والنباتية . كذلك نجد أن التلوث بمبيد د . د . ت أعلى منه في أي مكان آخر في العالم الغربي .

وفي **جواتيمالا** ، وهي إحدى البلاد التي تأثرت بهذا المبيد ، نجد أن المبيد موجود على أعلى مستوى في **القمح الأبيض** ، وهو غذاء أساسي في هذه البلاد . كما نجد هذا المبيد في **لبن الأمهات** ، ينتقل بواسطته إلى الأطفال .



★ محاصيل أكثر من نوعيات أفضل ★

(د . د . ت) و **(ديلدرين)** لهما هذا التأثير على طائر الكسترل الأميريكي ، وهو طائر يقضي على عدد كبير من القوارض كل عام .

وحدث نفس الشيء في القارة الأميريكية ، وفي **غربي أوروبا ،** بالنسبة لنوع من **الصقور** اختفى تماماً من بعض المناطق .

أما ذلك النوع من **العقاب** الذي تتخذه أميريكا شعاراً قومياً لها ، فقد نقصت أعداده كثيراً نتيجة لاستخدام هذه المبيدات .

وقد قامت بعض البلاد بوضع **القيود على استخدام الكيماويات في الزراعة** . ولكن هذا ليس كافياً . فإن كميات هائلة من هذه المبيدات ما زالت تستخدم في بلاد كثيرة ، وخاصة في المناطق الإستوائية ، وفي البلاد النامية . إن رش المحاصيل بالكيماويات لا يعني أن هذه الكيماويات تبقى في المنطقة التي ترش فوقها ، ذلك أن جزءاً كبيراً منها تحمله الرياح إلى مناطق أخرى حيث يرسب فيها .

نتائج استخدام مزيلات أوراق الأشجار

إن مزيلات الأوراق هي كيماويات ترش لتقتل أوراق الأشجار والشجيرات . وهي تستخدم اليوم في بعض البلاد ، ولها آثار مدمرة على البيئة . كما أنها تحول المناظر الطبيعية الخلابة ، إلى أراض مجدبة ، وغير صالحة للزراعة . أضف إلى ذلك أنها تقتل الحياة البرية على بعد مئات الأميال حول المنطقة التي ترش فيها .

وبالرغم من أن رجال السياسة قد يزعمون بأن هذا ضروري في



★ غابة من الخرسانة المسلحة ★

هل يمكن لمبيد د . د . ت أن يقتل البشر ؟

إن وجود مبيد د . د . ت بكميات قليلة في جسم الإنسان يمكن أن يكون له آثار ضارة للغاية . أما إذا وجد بكميات كبيرة ، فإنه قد يصبح قاتلاً . ذلك أن هذا المبيد **يقلل المناعة لعدد من الأمراض** ، كما أنه يستطيع أن يسبب **اضطرابات عصبية خطيرة** . وقد دلت تجربة أميركا الوسطى على أن استخدام المبيدات لفترة طويلة لا ينهي المشاكل القائمة ، ولكنه يخلق مشاكل أكبر . ولكن بالرغم من ذلك ، فإن هذه المبيدات نفسها ما زالت تستخدم في بلاد كثيرة ، وبكميات كبيرة ، ولفترات طويلة .

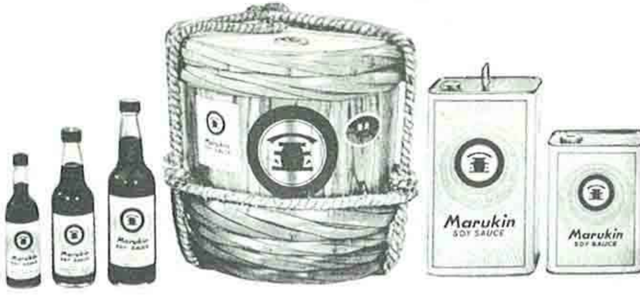
هل تشكل أكوام المخلفات مصدراً للخطر ؟

وهناك مثل لتلوث الأرض واضح للعيان ، ألا وهو **مشكلة المخلفات** ، وماذا نعمل بها ؟ في المدن ذات الأعداد الكبيرة من السكان ، وفي المدن الكبيرة التي يسكنها ملايين البشر ، نجد أن التخلص من النفايات مشكلة تزداد حدتها عاماً بعد عام . والكثير من المخلفات في عصرنا **التكنولوجي** الحديث لا يمكن التخلص منها بسهولة . ولذلك فإنها تكوم في مقالب للقمامة . فتتكون كومات ضخمة من النفايات هي قذى للعين ، كما أنها مصدر للعدوى : فهي تأوي جميع أنواع **البكتيريا** التي تضر صحة الإنسان ، وكثيراً ما تتجمع الطيور والحيوانات عند مقالب القمامة هذه ، لتتغذى على الفضلات . وعندما تطير الطيور ، فإنها تنقل منها الجراثيم والبكتيريا ، فتنقل معها مصادر العدوى إلى مناطق جديدة .

وكومات القمامة الكبيرة هذه يمكن أن تكون مصدراً للخطر ، إذا لم تكن محل عناية . ففي **مقاطعة ويلز** في انجلترا ، حدث أن انهارت كومة كبيرة من النفايات فوق مدرسة مجاورة . فقتل عدد كبير من الأطفال كانوا بداخل المدرسة في ذلك الوقت .

كيف نتخلص من النفايات ؟

هناك وسيلة للتخلص من بعض المخلفات والنفايات بطريقة مفيدة .



★ مزيد من المعلبات ومزيد من المخلفات ★

فإذا أمكن فصل المخلفات الحيوانية والنباتية ، فإنه يمكن مزجها بالمواد الصلبة التي توجد في مياه المجاري ، وذلك بعد فصل الماء منها لتنقيته ، ثم يخمر المزيج ، أي يحلل بالحرارة ليكون مواد جديدة ، وهذا هو ما يحدث في كومة من **السماد البلدي** توضع في حديقة ، والنتيجة واحدة في الحالتين . ثم تعاد هذه المركبات إلى الأرض ثانية ، وبذلك نعيد إلى الأرض بعض ما أخذناه منها . ولا تسبب هذه الطريقة أي تلوث ، أضف إلى ذلك أنها تحفظ جودة التربة .

أما عندما تحرق المخلفات ، كما يحدث اليوم في أماكن كثيرة ، فإن هذا يسبب تلوث الهواء ، ولكن حرق النفايات يمكن استخدامه لتوليد الكهرباء ، بدون أن تطلق الغازات الضارة في الهواء .

ولقد أمكن تحقيق ذلك في بعض البلاد المتقدمة ، فلماذا لا يعمم في جميع البلاد ؟

لنوقف صناعة الأغذية المغلفة

في السنوات الأخيرة ، كانت هناك زيادة ملحوظة في أعداد العلب ، والمواد المستخدمة في **تغليف الأغذية** . ويستخدم ملايين الناس في كل مكان هذه الأغذية المحفوظة والمعلبة والمغلفة كل يوم .

فما مصير هذه العلب والأغلفة بعد استهلاك ما بها من أغذية محفوظة ؟ الكثير منها يلقى به في مقالب القمامة أو يحرق . والكثير من هذه المواد لا يحترق ، ويترك ليزحم الأرض بكميات تتزايد يوماً بعد يوم . وبعض هذه العلب والأغلفة يصنع من **اللدائن** ، وبعض هذه اللدائن ينتج عنها عند حرقها أدخنة سامة ، تنتشر في الهواء الجوي .

وحتى نحصل على حل عملي لهذه المشكلة ، فإنه يتحتم علينا أن نستغني عن الأغذية المعلبة أو المغلفة .

وللأسف الشديد ، نجد أن الحال على عكس ذلك ، فالأغذية المعلبة أو المغلفة عملية مريحة والزجاجات التي لا تعاد ثانية محببة للغاية ، لأنها تلقى في القمامة بعد فراغ محتوياتها . ولكن هذا يتسبب في قمامة أكثر ، ومقالب قمامة أكبر .

والكثير من هذه المواد غير قابل للاحتراق ، وسيتراكم ، إلى أن نجد وسيلة أفضل للتخلص منه . وحتى ذلك الحين ، ستتحول الأرض إلى مقلب قمامة كبير .

قصة قصيرة

بقلم : محمد المجذوب

اللقاء السعيد



نظر في ساعة يده وتمتم : الثالثة والنصف . . لا يزال أمامنا ساعة كاملة . .

وما لبث أن عاد إلى وضعه الأول ، رأسه إلى مؤخر المقعد ، وعيناه شاخصتان في الفضاء ، وكأن ذهولا قد استغرقه ، فهو معزول به عما حوله من الناس والأصوات وحركات المضيفات في ذهابهن وايابهن بين صفي المقاعد . . ولعله وجد في ذلك الاستغراق شيئاً من المتعة النفسية ، فاستسلم إليه في كثير من الرضى ، ومضى مع أطيافه يلاحقها حيثما اتجهت به . .

إنه ليشخص إلى تلك اللحظات التي قضاها ذات صباح مع والدته ، وقد لبثت كعادتها كل يوم في أعقاب صلاة الفجر ، لتتلو أورادها المأثورة ، ولترفع ضراعتها الحارة إلى الله . وكان عائداً من المسجد المجاور ، فلم يستطع الانصراف لما اعتاد من مذاكرة دروسه ، وهو يسمع إلى نشيجها الذي لم تطق كتمانه . واقترب منها بهدوء ، ثم تناول يدها فقبلها وأمرها على عينيه ، وهو يقول : إن بكاءك ليجرح قلبي يا أماه . .

ومسحت الأم دموعها بطرف غطائها الأبيض ، وضمت ولدها إلى صدرها ملياً ، وجعلت تعالج أنفاسها حتى استعادت بعض الهدوء ثم قالت :

● **لا أريد أن تشغلوا بالكم بي يا ولدي . . إني أجد في هذه الخلوة متنفساً يخفف عني الكثير مما أعانيه . .**

— ولكن استمرارك على ذلك سيضعف جسمك . . وإذا ضعفت فستشغليننا عن كل شيء .

● **سأحاول أن أخفف من ازعاجكم . . فامض إلى دروسك ، وأيقظ أخاك ليدرك الصلاة قبل فوات الوقت .**

وفعل ما أمرت . ولكن خاطراً عرض له ، فما لبث أن عاد إلى حبوته بجانبها ، ثم مضى يحاورها .

— أماه . . إن في نفسي فكرة تراودني منذ أيام . . فدعيني أفضي بها إليك .

● **تكلم يا محمود .**

— لقد مضى على هذه القطيعة ما يزيد على السنتين دون أن نتلقى منه خبراً أو معونة . . فما رأيك في سفري إليه ؟ . .

وكأنما مستها صدمة كهربائية فانتفضت قليلاً ، ثم امسكت بكتفه تهزه وهي تقول : **ما هذا اللغو ؟ الا يكفيك ضياع أبيك حتى تلحق به ! . . حذار أن تعود إلى مثل هذا الكلام . .**

— ولم لا يكون سفري إليه منقذاً له من ضياعه . . الا تثقين بي يا أماه ! . .

وسره ما أعقبت كلمته في نفسها فتابع : وإن لم أوفق إلى التأثير فيه ، فسأوفق إلى عمل يقدرني على مساعدتك إن شاء الله .

وادنت رأسه من صدرها وهي تقول : **لا أحب أن تفكر بأي عمل قبل أنهائك الدراسة .**

— ولكن كثيرين من طلبة العلم هناك يجمعون بسهولة بين الكسب والدراسة .

وأطرقت صامتة كأنها تدير الفكر في ما تسمع ، ثم نظرت إليه في حنان غامر : أنت موضع ثقتي يا محمود . . ولكنها أميريكا يا بني . . أميريكا التي تجر العالم إلى الدمار . . حتى هؤلاء الذين تشير إليهم . . كم نسبة الذين ثبتوا منهم على مقوماتهم الإسلامية ! . . ألم تر . . ألم تسمع ما يفعل وما يقول أكثر هؤلاء الذين عادوا من أميريكا محملين بجرائم الكفر والفسوق والمروق !؟ . . أنسيت ما صنعت أميريكا بأبيك ! . . ألم يهاجر إليها لمجرد العمل والاستزادة من العلم ، فإذا هي تسلخه من هويته ، ثم تجرده من دينه ومن أبوته !! . .

وكان محمود يتلقى هذه الكلمات من أمه ، وكأنها شريط من الصور المتحركة ، يرى من خلالها كل ما عرضت له من الوقائع . . فلم يجد سبيلاً للاستمرار في حواره ، وعاد مرة ثانية إلى حيث أمرته . . ولكن عبثاً حاول تركيز ذهنه في ما يطالعه من هذه الأوراق ، إذ أبت فكرة السفر أن تزايل ذهنه . . وتساءل في حيرة : أفحتم على كل مهاجر إلى تلك الديار أن ينسلخ من فضائله ! . . وهل عليه أن يصدق كل ما يقوله بعضهم عن انحراف والده ! . .

إنه ليتذكر بوضوح أيام أبيه وهو يغمرهم بحنانه ، ويكافح بكل قوته لتأمين ما يعوزهم من



الغذاء والكساء وحاجات الدراسة . . وبالوضوح نفسه يتذكر أيضاً مواهبه العالية التي كادت تجعل من بيته مخبراً لاجراء التجارب العلمية . . ثم شكواه المستمرة من ضيق المجال أمام هذه المواهب ، التي لا تجد مشجعاً ولا متسعاً لمطامحها الكبيرة . . وكيف دأب على عرض رغبته في السفر إلى الولايات المتحدة ، حتى ظفر بموافقة والدته ، بعد أن أخذت عليه المواثيق بأن لا يغفل شأنهم مهما تقلبت به الأحوال . . ولقد وفى بعهده مدى خمس سنوات لم ينقطع خلالها عن مدهم بالعون ، والاهتمام المتصل بأمرهم . .

وينطلق هنا من أعماقه هذا السؤال : كيف يستطيع ذلك الوالد أن يقطع صلته بأسرته دفعة واحدة ، فلا يسأل عنهم . ولا يتفقدهم بأي مساعدة منذ عامين . . وهو يعلم يقيناً أن ليس لهم من مورد سوى الراتب الهزيل الذي تتلقاه هذه الأم المسكينة من عملها في التعليم ! . .

وفجأة يقفز التأمل إلى تلك الساعة الأخرى ، حين استطاع جارهم الكريم الحاج حسن اقناع والدته بترحيله إلى والده ، وأقرضهم المال اللازم لذلك ، أملاً بأن يكون وجوده بقربه موقظاً لضميره وراداً له إلى أهله . . ولقد تم له ما أراد من لقاء والده . . ولكن . . هل قدر له أن يحقق ما أملوه جميعاً من هذا اللقاء ! . .



وما إن يصل من تأملاته إلى هذا ، حتى تتلاشى من مخيلته حواجز الزمن ، فإذا هو يتابع خطوات الفتى ، وقد أخذ يغادر الطائرة الأمريكية إلى رحبة المطار ، الذي سيجمعه بوالده في مشارف **واشنطن** .

لقد أبرق إليه قبل أسبوع يخبره بموعد وصوله . . وسيعتبر نفسه سعيداً إذا وجده بانتظاره ، لأن ذلك سيعطيه الدليل أنه لا يزال على ذكر منه ، بل من الأسرة كلها . .

وحمل حقيبته الصغيرة باتجاه القاعة مع الناس ، وقد جعلت دقات قلبه تتسارع كلما اقترب من الرصيف ، وأحس برودة تنساب في أنامله ، وكأن ثقلاً غير منظور يضغط على صدره ، فيشيع في رأسه طلائع دُوار لا يدرك له سبباً . . وتساءل في جزع : أين أمضي إذا لم أجده ! . . لن أكون إذن أكثر من قطرة تسقط في جوف المحيط . . ورفع بصره قليلاً إلى الأعلى وهمس : « يا هادي الضالين . . كن معي . . » وبغتة يقع بصره على وجه خيل إليه أنه يتطلع نحوه من وراء الزجاج . . إنه . . إنه نسخة طبق الأصل للوجه الذي يحتفظ بصورته في أعماقه . . . هاتان هما العينان الواسعتان السوداوان الصارمتان . . وذلك هو الأنف ذو الانحناءة التي يقل شبهها في غير أهله . . وتلك هي الجبهة التي تكاد تشمل مقدمة الرأس كلها . . وما لبثت الصورة أن استكملت عناصرها ، حين برز هيكله من خلال النظارة ، تماماً كما عهده في امتداده وامتلاء عضلاته . وهيهات أن يخطىء شيئاً من صفاته ، وهو الذي يكاد يكون توأماً له ، أو مثاله المترائي في المرآة ، كما يقول عارفوهما من الأقرباء والبعداء .

وشد ما كان فرحه كبيراً عندما رأى الرجل يلوح له بيمينه ، كما يفعل المنتظرون الآخرون للعائدين من أعزائهم . . . وألقى محمود بنفسه بين ذراعي والده وهو يشرق بدموع الحبور ، ووجد في قبلاته الدفء نفسه الذي طالما غمره أيام الطفولة . وما هي سوى دقائق حتى انطلقت بهما السيارة . . وعلى مدخل المنزل استقبلتهما المرأة التي عَرَّفها الأب بأنها صديقته . . وأشار إليه فتبعه حتى انتهى به إلى الحجرة التي توشك أن تكون في معزل على البناء ، وقد أعد له فيها ما يعوزه من الأثاث الذي لا بد منه ، والتفت إليه ليقول : هذا مسكنك ، تنام فيه وتذاكر دروسك ، وهذه مرافقك الخاصة لا يشركك فيها أحد .

وغاب الوالد قليلاً ثم عاد إليه بصندوق من اللدائن الشفاف وهو يقول : هذه أدوات الحلاقة فابدأ بلحيتك قبل كل شيء . . وعبثاً حاول الولد اقناع أبيه باعفائه من ذلك ، وجهد ليذكره بأنه يطلقها عملاً بالسنّة النبوية التي لم يألف مفارقتها . . وشد ما آلمه موقف ذلك الوالد عندما أصر على ازالتها حالا ، ولم يدعه حتى أكرهه على الجلوس وراح ينحتها بيده وهو يدمدم : هكذا ينبغي أن تفعل كل صباح . . فلا سنّة هنا ولا فرض بعد اليوم . . .

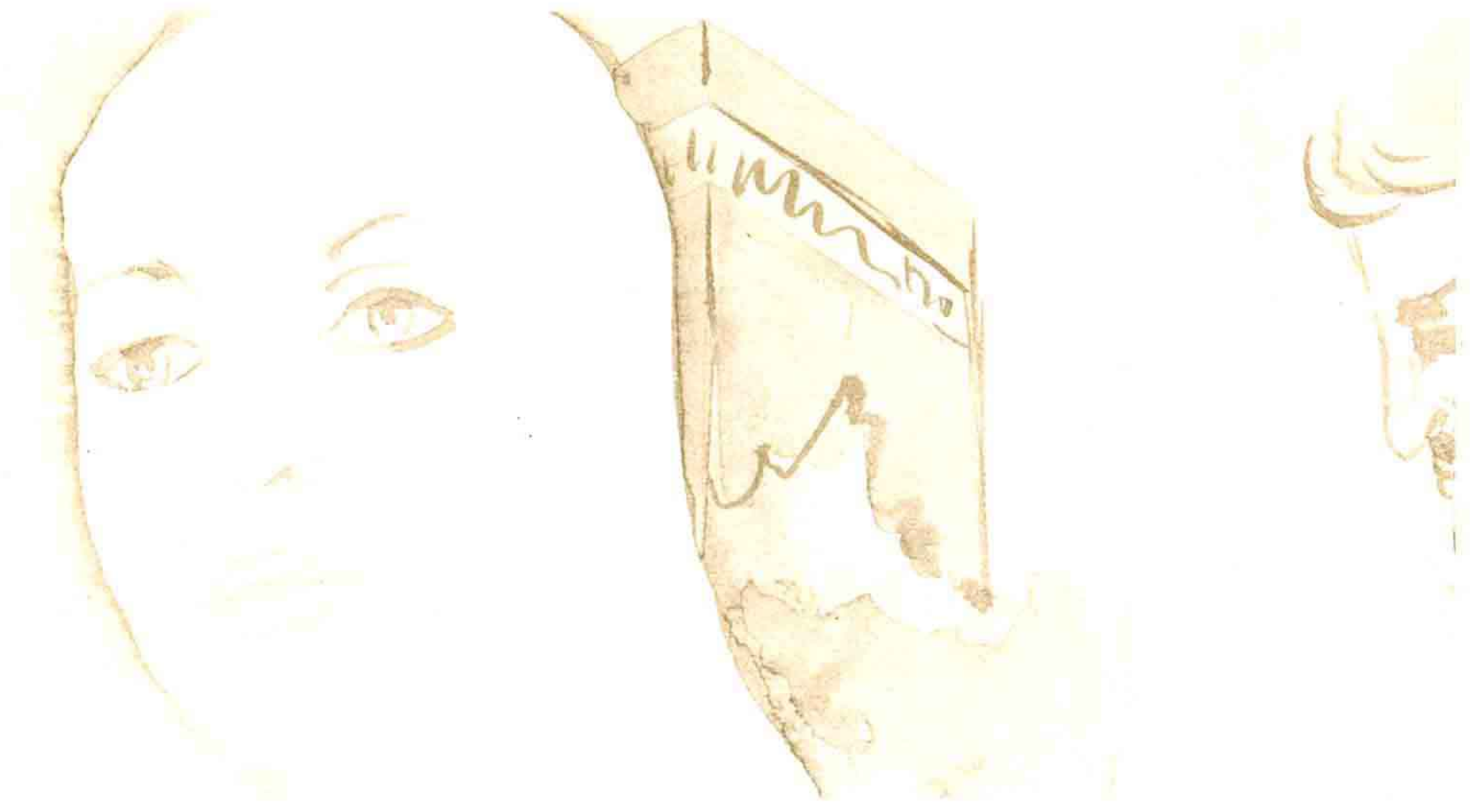
وأدرك محمود منذ تلك الساعة صعوبة التجربة التي يتعرض لها . . . ويتذكر تحذيرات والدته وخوفها عليه من مفاسد أميريكا . . فيخيل إليه أنها تتزاحم عليه كلها من خلال ذلك الاعلان الرهيب : لا سنّة هنا ولا فرض بعد اليوم . . .

ويمضي محمود في ملاحقة أخيلته ليرى صاحبه الفتى ، وقد ألحق بإحدى المدارس الثانوية ليستأنف دراسته ، ثم ليشهد حياته في ذلك المنزل ، وهو يكافح لاستبقاء الخصائص الذاتية التي تلقاها في ظلال تلك الوالدة ، التي لا ينسى آخر عهده بها ، وهي تؤكد عليه أن يحرص على دينه حرصه على حياته بل أكثر .

إنه مدعو للتخلي عن كل الفضائل التي نشأ عليها ، والتملص التام من كل الأخلاق التي تميز المسلم ، فيهجر الصلاة والصوم ، ويتناول الخمر ، ويأكل لحم الخنزير ، ويتهيأ للاندماج الكلي في الجو الذي جرد والده من كل صلة بدينه وماضيه . .

وصبر وصابر . . وقابل كل تلك المحاولات بكل الوسائل التي أمكنته . . حتى اضطر إلى التخفي بصلاته ، والاكتفاء من الطعام بما لا يتعرض لشبهة الحرام . . إلا أن ذلك لم يزد أباه إلا ضيقاً به وحنقاً عليه . . وأنذره بأنه سيضطر إلى طرده من البيت إذا هو استمر على شذوذه المزعج بل الذي يعتبره إهانة له لا تحتمل . .

وكان على محمود إن يستعد لتلك الساعة التي لا مندوحة عنها مهما تأخرت ، فلما أبلغه والده قرار الطرد لم يتأخر إلا ريثما جمع أمتعته القليلة ، ومضى بها إلى الغرفة التي دعاه إليها بعض الطلاب من المسلمين ، الذي وفدوا للدراسة ، واستطاعوا الحفاظ مع ذلك على دينهم وأخلاقهم . . وبمساعدة هؤلاء وجد العمل الذي يعينه على الحياة ، بل يقدره على معونة والدته أيضاً ، دون أن يغفل دروسه ، أو يعرض نفسه للتخلف بها . .



ولكن . . . هل أعفاه والده من مضايقاته بعد الطرد ؟ . . هيهات . . بل ظل يلاحقه بهذه المضايقات دون ما ملل . لقد كبر عليه أن يقول مواطنوه إنه ، وهو ذو المرتب الضخم ، الذي يتقاضاه على خدماته العلمية في **مراكز الدراسات الذرية** ، قد ضاق به حتى أكرهه على الخدمة في بعض المطاعم . . . وإذن فلا مناص له من التخلص من ذلك الولد ، الذي استعصى حتى على المغريات الأميريكية ، فلم تستطع أن تغير من أخلاقه الرجعية قيد شعرة ! . . . وها هوذا أخيراً يساومه للعودة إلى مصر . . ثم يأتيه بقسيمة الطائرة ، ومعها تحويل مالي **بألف دولار** . . وكان طبيعياً أن يقبل محمود هذا العرض ، وهو الذي يجاهد ليل نهار لتوفير ما يوصله إلى مأمنه في ظل الوالدة ، التي لم تقطع عنه رسائلها المذكورة أبداً بضرورة العودة . .

وبغتة يرتفع صوت المكبر ليبشر الركب الطائر بقرب الوصول ، وينبههم إلى وجوب الاهتمام بأحزمتهم وأمتعتهم . . وكان ذلك كافياً لرد محمود إلى الواقع الذي كان في شغل عنه بتصوراته المثيرة . . ويستعيد ظروف رحلته شيئاً فشيئاً ، فيتذكر أنه هابط بعد دقائق في **مطار جدة الدولي** . . وأن عليه أن يتهيأ لدخول الميقات في رداء الإحرام ، الذي كان قد أعده لهذه المناسبة .



وتتهادى الحافلة بركابها في الطريق العريض إلى **البيت الحرام** ، وقد تعالت أصواتهم بالتلبية في نبرات تتباين لهجاتها ، ولكنها تتحد في نغمة الفرح واللهفة التي تنتظمها جميعاً . وسرعان ما تعاود محموداً ذكرياته في هذه الغمرة المؤثرة ، فيرجع إلى اللحظة التي قرر فيها تغيير اتجاهه عن مصر إلى جدة ، ليتاح له أداء فريضة الحج مع الوافدين إلى بيت الله من مختلف أنحاء العالم ، ومن ثم ليبحث عن عمل يمكنه من مساعدة أهله في هذه البلاد التي يتوافر فيها العمل والخير لكل راغب ، والتي تعين المسلم على الاحتفاظ بخصائصه التي لا يكون مسلماً إلا بها ، فضلاً عن قربها من أسرته التي لا يفصله عنها سوى ساعة من الطيران . . فلا يتمالك أن يمزج التلبية الخالصة بالشكر الحار لله تعالى الذي يسر له كل هذا الخير . .

ويطل الركب على مشارف **مكة المكرمة** ، وسرعان ما تستحيل الأصوات بكاء ونحيباً . . إذ يغرق هؤلاء في غمرات من الذكريات المتوهجة ، تفجر في أخيلتهم أطياف **إبراهيم وإسماعيل** ، وهما يرفعان القواعد من البيت ، وتكاد تريهم مشهد **إمام المرسلين** ، من بعد وهو يهتف بالوافدين على موسم الحج : **(أيها الناس . . قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . .)** .

وتقف السيارة على مقربة من **البيت العتيق** ، فيغادرها المكبرون ليواجهوا **الكعبة المشرفة** لأول مرة ، وقد بدت كالطود يتدفق من حوله السيل في حركة لا تقف ولا تنقطع ، وما هي إلا لحظات حتى يمتزجوا في غمار السيل البشري ، وقد ذهل كل واحد هناك عن كل شيء إلا مولاهم ، الذي استجابوا لدعوته ، وزحفوا من كل حدب وصوب لطاعته ومناجاته ، واستمناح مغفرته .

وتوقف محمود قليلاً بمواجهة **الحجر الأسود** ، ليختم شوطه الخامس . . وفي كثير من الحذر جعل يتحرك ليبدأ الشوط التالي ، خشية أن يمس أحد الطائفين بأي أذى ، ولكن الضغط الشديد كان أكبر من طاقته ، فإذا هو يطأ قدماً ويسمع صوتاً يردد في خفوت : « آه . . سامحك الله . . » ومع شديد أسفه لما حدث لم يستطع أن يمنع عينيه من التحديق في مصدر الصوت . . وأراد أن يعتذر ، ولكن الألفاظ تعثرت على لسانه ، ودون أن يعي ما يقول وجد نفسه يهتف في دهشة بالغة : أمي ! . . أمي !! . . وكرجع الصدى جاءه صوتان يهتفان : « ولدي . . أخي . . »

وكأن من حولهم من الحجيج قد أخذوا بهذا المشهد ، ففسحوا لهم ما استطاعوا ، ومكنوا لكل منهم أن يعانق الآخر . . واستأنف الثلاثة سيرهم وقد أحاط الأخوان بأمهما ، ومضوا في دفقة الزحف وقد غرقت وجوههم بالدموع الحارة ، وأحس كل منهم أن حالا جديداً قد احتواه ، فهو يجد للكلمة الذاكرة إيحاء لم يتذوقه قط ، ويكاد يرى كل شيء في الكعبة وما حولها يشاركه غبطته التي فجرتها في أعماقه المناسبة العجيبة . .

وتوقف الثلاثة ـ بعد الطواف ـ بعيداً عن الزحام في **ساحة الصفا** ، يستردون أنفاسهم ، وينظر بعضهم إلى بعض باهتمام بالغ ، كأنه يريد أن يستوثق من يقظته . وأثبت محمود ناظريه في الوجه المنمنم الحييّ الذي طال تلهفه إلى رؤيته ، وأدنى رأسه من الصدر الذي طالما تشوق إلى رائحته ، وجعل يتمتم ، وذراعه الأيسر حول عنق أخيه : « كم أنا سعيد بهذه المفاجأة يا أماه » .



وأتمت الأسرة حجها على أفضل مما توقع كل منها ، وكان على الأم أن تسعى لضم محمود إلى إقامتها في مكة المكرمة ، حيث بدأت عملها منذ مطلع العام الدراسي في تعليم البنات . . والحق محمود بالفصل الدراسي الذي تقتضيه مؤهلاته من **جامعة الملك عبد العزيز** .

وتستعيد المرأة وولداها وقائع الأحداث التي انتهت بهم إلى هذه العاقبة البهيجة ، فلا يراودهم شك في أنها رعاية الله تحفهم ، فتملؤهم يقيناً بأنهم ليسوا وحدهم في هذه المعركة ، التي جرها عليهم ذلك الهاجر الظالم ، وأن الله تعالى معهم أبداً بهدايته ورحمته ما داموا مستمسكين بطاعته .

وفي خشوع عميق تتلو الأم قول العزيز الرحيم : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب . .** ﴾ ، وبالخشوع نفسه يعيد كل من الأخوين تلك البشرى الرحمانية ، وقد استشعر من وهجها وألقها ما لم يفطنا إليه من قبل ، على كثرة ما مرت بهما هذه الآية من كتاب الله العزيز .

قصة قصيرة

بقلم : مصطفى الخشن



الطعام المالح

احتدم أوار المعركة بينه وبين والده ، فانقطع عن الدراسة ، ثم هجر منجر والده وركن إلى العزلة يرين عليه الأسى ، فيذوب الدمع عن عينيه ، وقبع ساهراً ليله ، يناجي طيفها الغالي ، ويستذكر حديثها عن الحب ونار الوجد والسهد ، فيزكو جوى قلبه . تارة يضحك وطوراً يبكي ، فلا يجد له عزاء ولا سلوى ، إلا أن يخف إليها ويجتمع بها . وما إن يفترقا حتى يعلل نفسه بالآمال ، في أن زواجه منها صائر لا محال إن عاجلاً أم آجلاً .

كان اللقاء الأول محفوراً في ذاكرته ومرتسماً أمام ناظريه . . . لقد أقبلت عليه ، تخطر كقضيب البان ، في عينيها ألق يتوهج كأنه النور الساطع . وحيته بتحية فحيا بأحسن منها . مدت إليه يمناها ، بارتعاش فسعى إليها مشرق البسمة ، وأخذها بيمناه المرتعشة أيضاً . وتعانقت أعينهما برهة وأخيراً تعاهدا على شركة العمر ، لما سمعا وجيب قلبيهما متساوقاً بين الضلوع .

أنشب القدر أول سهم في تاريخ علاقتهما ، فخالط الكدر صفوهما ، إذ أحنى رأسه لوالده ، فوقع صك زواجه من ابنة عمه ، وكأنه لا يفعل شيئاً ، بل كأنه يلهو حتى عندما زفت إليه .

تطاول البعد بينهما . ولكن أنى لحياته الجديدة أن تمحو ذكراها . واهتز كيانه بالسقم فانعكست على وجهه ، صورة للشقاء والآلام والعذاب . ولم تعد آهته بخافية على أحد . وأنها لتصخب بالضر في حشاشة قلبه ، فيود محالا أن يخلص من مرها أو أن لا تزيد من ضرائها .

طرق مسامعه ، ذات يوم ، أنها مريضة ، فهب كالملسوع ومعه الطبيب فدب الشفاء في أوصالها ، وما كان الطبيب مداويها ، وإنما كان هو الطبيب المداوي ، فما إن تعانقت عيناهما حتى انتعش قلبها ، ولم تلبث أن نهضت من فراشها .

علا وجهها الجميل ورس شديد ، ورفت على شفتيها الرقيقتين رواء ابتسامة :

— لقد أطلت غيبتك ، فجزعت أن يكون قد أصابك مكروه فرضت أضرق في حزني .

● **ما كان غيابي إلا لأني ارتكبت ذنباً .**

قاطعته بلعقة عسل :

— مثلك من لا يأثم .

انشرح صدره فغذ فيها نظرة حانية .

● **هذه عين الرضى .**

وتمتم بخفوت :

● **لا سعادة مع وخز الضمير .**

تهدج صوتها العذب :

— نفسي فداك . ما همني زواجك .

انتفض كعصفور بلله الماء .

● **إذا كان هذا لا يهمك فما يهمك إذن ؟**

تضرج وجهها بحمرة خفيفة :

— حسبي أن حبك باق .

وباطراقة المذنب التائب :

● إن حبك يسري في كياني مسرى الدماء في العروق .

تلألأت بالفتنة :

— لقد امتزجت روحانا في روح واحدة .

أطل على المستقبل فتظاهر بالغبطة :

● هناءتي في قربك .

مطت شفتيها بحسرة ممضة :

— فرط الفارط .

وكمن يعزي نفسه :

● مستحيل ، مستحيل ، فالقلب يخفق مرة ولن يخفق مرتين .

نطقت عبراتها بالحزن الدفين ، فأمطرت تبلل الخدود . . . تضرعت إليه والدتها ألا يذهب مع الطبيب ، فمكث أسبوعاً إلى أن استردت عافيتها وأزهر الورد على وجنتيها . ولما هم بالرحيل ، تدحرجت الدموع من عيون البنت والأم على السواء ، ولما مد يده إلى والدتها ، صافحته ، بكل عواطف الأمومة ، وهي تصب الحرارة في توسلها :

— لا تطل غيابك ، فما أطيق أن أراها مريضة .

★ ★ ★

صب جام غضبه على والده فغدا في نظره إنساناً غريباً مجلبباً بالسواد : خداه مجرحان وعيناه تقدحان الشرر . . وقف على قبر أمه ، نطق بلغة العقل :

● كلانا : والدي وأنا مجني عليه . أنا كبش الفداء ووالدي ضحية التقاليد والتعصب والجهل .

طن في أذنيه صوت التقاليد ، ضعيفاً كأنه صادر من بئر عميقة :

— ابنة العم لابن العم .

وجلجل التعصب ككورس .

● الزواج محظور بين طائفتين .

وعوى الجهل :

— أنا الذي يعمي القلوب والأبصار .

أسفرت الحقيقة عن وجهها الصبوح ، كالشمس الساطعة . أدرك أن الجهل والتعصب والتقاليد البالية معوقان للتقدم في المجتمع ، كالعصي في عجلة الزمن ، شهر عليها حرباً عواناً ، ولكنه ظل رهين حبه ، فجنح به إلى طريق مسدودة ، تحيطه الخيالات والأشباح من كل جانب ، يبكي ويضحك . ويكاد لا يصدق أنه يعيش إلى جانب امرأة ، وهي بعيدة عنه وتطير به الأحلام إلى أخرى ، يحسب أنه يحيا بها وهي بعيدة عنه . وكثيراً ما كان يتلمس عنقه ، يحسب الدم يسيل . فوالده ـ على حد علمه ـ ذبحه ذبح الجزار للشاة ، وهو على قيد الحياة ، وهيهات أن يشعر بالطمأنينة والسعادة إلا في الأوقات الهنيئة ، ويقضيها بين الحين والحين ، في القرية مع من خفق لها قلبه لتكون شريكة حياته . . وزوجة المستقبل .

★ ★ ★

أضاءت شمعة الأمل حندس الليل ، فأعرضت عن كل طلبات الزواج وختمت على كنز القناعة في صدرها ، فصمتت صمت القبور ، وألقت إليه زمام المبادرة ، يكفيها أن حبه لها باق .

عيل صبر والدها . . . جاء رجل مناسب يحمل إليه ثلاثمئة ليرة ذهبية فاستلمها بيد وسلمه ابنته بيد . أسلمت قيادها ، كالحمل الوديع ، فسارت بحذائه مجذوبة العينين ، مكبوتة العبرة خشية أن تضام . وتعقبته فامتطت جواداً ، مثلما اعتلى جواداً وبيده زمام جواد آخر ، على متنه حوائج العرس من الثياب . وغذا السير مسافات طويلة ، وكأن على رأسيهما الطير ، إلى أن جاوزا منتصف الطريق المؤدي إلى منزل العريس .

أراد القدر أن يتحداه ، لما أراده أن يكون شاهداً الوداع ، فابتلاه بهزيمة نكراء . كان أحمد جالساً على هضبته ، وغير بعيد عن ناظريه مر الموكب . أحس أن الأرض تميد به وهم بالنهوض فما استطاع ، حسب أن يداً ضخمة تمسك خناقه وتحاول ن تقتله ، تعالت نفثات صدره تخترق الفضاء الواسع . الجبال ملتصقة بالأفق نحاسية باردة . الطبيعة ساكنة لولا أن للنسيم رنيناً متوتراً . ظلل نور عينيه خط ثقيل كشبح الموت ، يدفعه إلى البكاء ، ولكنه تجلد ، مط شفتيه فرنت ضحكة . بها بقايا نشوة قديمة ، واعتراه الذهول بعد ذلك . فما استساغ طعاماً ولا عرف نوماً ، طوال خمسة أيام بلياليها حتى دب فيه السقم ، ولكنه لم يأو إلى الفراش لكيلا يشمت به الشامتون .

وهكذا أغلق قلبه على غرامه ، يطوي صفحاته ، كمن يطوي صفحات كتاب جيد ، ويستذكر بلذة أسلوب الكاتب وكلماته وعباراته وصوره ، فيكاد يحفظها عن ظهر قلب . ويتراءى له طيفها ـ وما أكثر ما يتراءى ـ فتراوده النشوة . في كل مكان لها أثر محبب . فالمقعد الخشبي أثير لديه لأنها جلست عليه عندما جاءت مع شقيقتها ، تبتاعان الثياب . وهذه الزاوية من الشارع حبيبة قلبه ، لأنه قرأ فيها أول كتاب منها و و . . . وحتى البيت فإن كل شيء يذكره بها . . .

دفع خالته مرة ، أن توجه الدعوة ففعلت ولكنها اشترطت ألا يراها فيه فقبل . ولكنه ترك ضيفه ـ والدها ـ واقتحم جناح الحريم ، يرحب بها ويتلطف معها الحديث . وكم وضع في أذنيه وقرأ العبارة التي كررتها خالته :

— ابرح مكانك يا أحمد وعد إلى ضيفك .

أبداً لم ينعم بالسعادة في بيته ، مثلما نعم بها عندما كانت فيه . كأنها لم تأت إلا لتكون زهرته الفواحة ومصباحه المنير وطيره المغرد . محال أن تكون لزوجته عذوبة حديثها وجرس صوتها . لكأن هذا الجرس زقزقة العصافير . وأنى لزوجته جمالها ودلها ونظرتها وبسمتها وقدها ورشاقتها . ولا تمشي زوجته ، بل تنقل خطوها على رؤوس أصابع قدميها ، فلا تسمع لمشيتها ضجة كالطير . وإنها لتأكل أيضاً ، قليلاً من الطعام ولقمة لقمة ، وتجرع الماء فلا تكاد تجرع شيئاً ، كالطير سواء بسواء ، لا يميزها عنه إلا الجسم .

ويظل على هذا الحال ، يعدد صفاتها ، لا سمير له غير النجوى ولكنه لا يكشف أمره للناس ، فلا تظهر عليه علائم المدله الولهان بل لكأن ما مضى قد انقضى وراح .

★ ★ ★

ودارت الأيام ، فجمعت الصدفة بينهما . . يربع والد أحمد على عدة فرش وعن يمينه وشماله الوسائد النظيفة ، وأقعى الزوج على ساقيه ، كالذئب ، يزجي ضيفه عبارات المجاملة والترحيب ثم تخافت بالكلام :

— فاوضت أحمد بالتخلي عن وديعة فلم يقبل .

تصنع الوالد الجهالة :

— ولماذا التخلي؟ وهل أنت ملاق أفضل منها؟

بلع ريقه وكمن يشهر افلاسه :

— لا أفضل ولا أجمل ولكنها تميل بكليتها إليه . اعتدل في جلسته ، وبكثر من الاهتمام وماذا كان جوابه ؟

— قال لي وكأنه في مأتم : مكتوب علينا أن ندفع ضريبة العذاب فلا أسعد بزواجي ولا تسعد ـ هي ـ بزواجها .

تهدج صوت الوالد ، بعد صمت قصير :

● هذه جنايتي . . .

تخطف بصره ، عندما أقبلت وديعة ، كقارورة عطر مفتوحة ، تحمل طبق الطعام . فتوقف عن الحديث وأصبح فؤاده فارغاً ، كالجائع المحروم . وحملق .

تخابث الزوج ضاحكاً :

— مد يدك إلى الطعام .

أفصح عن مكنوناته ، بعفوية :

— مرأى وديعة أذهب عني الجوع والعطش .

وبراءة الطفل :

● الولد سر أبيه .

قهقه الثلاثة بالضحك ، كمقبلات . . أطبق فمه على الملوحة الزائدة في الصحن الأول ثم ملعقة إثر ملعقة في الصحن الثاني والثالث والرابع والخامس ثم تجرع كوباً من الماء وانكفأ إلى الوراء ، وتفجر غيظه كالزائدة :

● يقينى أنك تحسنين الطهي ، فعلام هذه الملوحة الزائدة؟

وبتعجب شديد أردف قائلاً :

— لقد أحرقت قلبي بطعامك .

رشت على وجهها النرجس والياسمين . وحسبت أنها أدركت ثأرها فأجابته بتشف تشوبه الحرقة :

— لئن أحرقت قلبك لدقيقة واحدة ، فلقد أحرقت قلبي إلى الأبد! . . .

قصة قصيرة

بقلم: هدى جاد

قش في مهب الريح!

الجو يميل للاكفهرار .. السحب تتصارع .. تمتزج .. تختلط ألوانها فيتوه الاحمرار ويشحب الاصفرار .. وتبدو الزرقة القاتمة التي تتحول بدورها إلى لون دخاني رمادي .. ثم تعلن الغضب .. بضجيج الرعد .. وسطوع البرق .

أما البيت الصغير المستكين المرتجف الذي يتطلع سطحه إلى تلك السحب التي كانت تضيئه منذ حين . فيقطنه اثنان .. جد .. و .. حفيد .

حجرة الأول يغلب عليها دفء الخشب .. يجتذب نظر الرائي إلى أول وهلة . صندوق خشبي كبير محلى غطاءه بأصداف منسقة .. في الأزمان الغابرة كان يطلق عليه «**سحارة**» ، يكاد هذا الصندوق يحفظ كل ملابس وأردية الجد .

في ركن بعيد طاولة .. في ركن مقابل «**بارفان**» وتحت السرير .. بعض قطع الأخشاب غير المهذبة ، التي تخلفت من صنع بيت الطيور والحيوانات الأليفة التي بحديقة الدار . حجرة الحفيد تغلب عليها برودة الحديد ..

السرير من الحديد الملون .. وكذا صوان الملابس وبعض أدوات الرياضة البدنية «**كالجولف والأثقال**» .

يبدأ النهار ، يتأهب — **يوسف الحفيد** — للخروج من البيت المستكين المرتجف ليذهب إلى عمله .. أما أساس البيت أو الجد فيبدأ يومه بالتجول في حديقة الدار ، التي اصطنعها اصطناعاً بأن زرع في بعض الأصص شجيرات قصيرة الطول ، أضفت على الحديقة — **التي لم تكن في الحقيقة إلا الجهة الخلفية للبيت** — خضرة وخصوبة .

ثم ابتدع بيتاً خشبياً يتنفس من خلال أسلاك تحمي الطيور وتظهرها .. أما السلحفاة التي صاحبت الجد زمناً طويلاً ، فهي ترافقه في روحاته وغدواته .. تشرئب بعنقها أحياناً ، وتنكمش أحياناً أخرى حتى لا يبقى منها إلا ظهراً خشبياً متقوساً .

وبين وقت رجوع الجد إلى حجرته ومجيء يوسف من عمله — **ظهراً** — تكون المرأة العاملة التي تجيء يومياً قد قامت بالأعمال النهارية المعتادة .

يلتقي الاثنان حول مائدة الطعام ، يدان معروقتان عليهما بقع بنية تتناثر على الأصابع ، وظهر اليدين فيصعب على الرائي تحديد لون الجلد . هاتان اليدان — **بصعوبة** — تمسكان بالملعقة والسكين .

يقابلهما من الناحية الأخرى يدان ذات كفين ضخمتين تكاد تنضح منهما الدماء .. ثم تلتقي العيون .. عينا الجد التي لا لون لهما سوى زرقة حول الحدقتين .. زرقة غير حقيقية خلفتها سنوات طويلة ..

تطيلان النظر — **بحنو** — إلى عينين شابتين لاهيتين إلا عن طعام دسم شهي ..

ويبدأ الجد حديثه : **يا بني العزيز الجو اليوم لا أمان له .. فهل لك أن تتدثر جيداً حتى لا تصاب بالبرد ..**

ويقاطعه يوسف وهو يلوك لقمة كبيرة بين أسنانه :

— أرجوك .. دعني في حالي لاكمل تناول طعامي . وعلى فكرة سيحضر بعض زملائي في العمل في المساء .. أرجو ألا أزعجك ..

ثم يحدد إليه النظر قائلاً :

— وأنت يا جدي .. والتمس لي عذراً .. أرجو أن تؤجل لعب الطاولة مع نفسك ليوم آخر .. يغض الجد عن بصره ويقول بصوت خافت خفوتاً طبيعياً :

— كما تشاء يا بني ..

يصفر يوسف بشفتيه لحناً شعبياً ويدخل إلى حجرته ويغلق الباب بعنف . يرنو جده إليه ويهمس من بين شفتيه :

— أبقاك الله يا بني . إنك تذكرني بأشياء بعيدة .. بعيدة ...

ثـم يدخل إلى حجرته . يرفع غطاء « **السحارة** » وينحني ماداً كلتا يديه حتى لا يبقى منه إلا ظهراً خشبياً متقوساً .. وأخيراً يحصل على ما كان يبحث عنه « **ألبوم** » يحتفظ بصور عديدة للجد .. تمثل مراحل عديدة من عمره . صورة له وهو غلام يلبس طربوشاً عالياً أكثر مما يجب . ويقف وقفة متشنجة كأنه ــ بطريق غير مباشر ــ يعاون المصور على أن تظهر الصورة بطريقة أوضح . لقد كانت ملامحه متناسقة لطيفة ..

وهذه صورة أخرى له في المدرسة مع أقرانه . أما الاساتذة فمعظمهم معمم ذوو ذقون طويلة وعيون محملقة لعلها تثبت أستاذيتها ، ثم صورة أخرى وهو بملابس العرس . شعره مفروق من النصف لسبب لا ندريه فماذا يعني من هذا الفرق لعله يساعد على عملية « **التهوية** » وصديرياً تتدلى منه ساعة ثمينة وسلسلة طويلة وبجانبه عروسة .. الطرحة تكاد تغطيها تماماً ومع ذلك يهرب وجهها من هذه الأسوار البيضاء ليطل بجماله .. عندئذ يمصمص بشفاهه ، ثم يزفر زفرة طويلة متقطعة الأنفاس وتترى أمام عينيه ــ **التي لا لون لها سوى زرقة حول الحدقتين ، زرقة غير حقيقية خلفتها سنوات طويلة** ــ الصور الحقيقية التي لم تلتقطها عدسات المصورين ، بل الطبيعة التي تحولت ــ **مع السنوات** ــ إلى أمواج أثيرية ..



كان رجلاً ذا تجارة وأسفار ومعاملات ورأس مال وأرباح وأهداف يعيش لها ومنها ، ثم زوجاً لعروس كأنها أمنية كل رجل . وأباً لفتاة وحيدة لم تنجب ــ **بعد ذلك** ــ إلا ذلك الحفيد الشاب يوسف ..

ثم تنبه وارتد لنفسه ، فأصغى السمع لا زالت السحب تتصارع بصخبها و .. تنهد .. ماذا حدث بالضبط ؟ أمجرد أن شروقاً يتكرر ولياليَ تتوالى فيتحول هو إلى هذا الهيكل المتحرك ؟ يقولون إنه أصبح شيخاً لماذا وكيف ؟ إنه يأكل وينام ويمشي حقيقة ليس كما كان في الماضي لكنه ينتقل إلى حيث يشاء بلا أهداف ..

ثم هو يتألم ويفرح . يقلق .. ويشارك الآخرين مشاعرهم .. أليس في هذا دليل على أنه يحيا ؟ ولكن لمن ؟ ؟

ثم يتنهد . ضيوف حفيده في الخارج .

أصوات الأطباق تتصارع وأصوات الملاعق تصطخب والضحكات تجلجل وترن . ليفتح الباب قليلاً ليستمع ثم .. يحلم .. ما أجمل الذكريات وأمرها .. كأنه يعود للوراء خمسين عاماً ؟ أي نصف قرن ؟ ؟

ويقطع عليه تأملاته بعض الهمسات ، يبدو أن وجبة العشاء قد انتهوا من تناولها . أوراق لعب « **الكوتشينه** » تنتقل بين أيدي الشباب الوافد ..

يقول أولهم ــ **الشايب يكسب ، يرد الثاني ــ أبداً .. بل الولد ..**

يعقب الثالث : **لقد أخطأتما ، إنها البنت ..**

يسمع الجد صوت حفيده يوسف بعد زفرة متعبة . **وأين هي ؟ بيتنا المنعزل يفتقدها مات أبي وماتت أمي وأصل الشجرة باق ..**

ثم يرنو بعينيه إلى الحجرة التي يغلب عليها دفء الخشب ويقول :

ــ طميها غر أصيل . لم يعد لدي ماء أسقيها به .

ــ لا زالت السحب تتصارع .. وأسمع صوت الرعد ويكاد يبهر عيني البرق ، لكن المطر لا ينهمر لماذا ؟ يرد أخيرهم :

ــ لماذا لا تتزوج يا يوسف ؟

يضحك الأخير ضحكة كأنها العويل :

ــ ما الذي ستمنحني .. الحنان ؟ يزودني به جدي .. في كل خمس دقائق ينصحني بالتدثر كي لا أصاب بالبرد وقد نسي أن حجرتي كل ما فيها بارد برودة الحديد حتى ألفته .. ومع ذلك لا أنكر أنني أفتقد الأنامل الرقيقة الحلوة والصوت الرخيم النسوي .

يسأل أحدهم :



ـ أليس لجدك عائل غيرك ؟

يبكي ضاحكاً وهو يقول : **نعم .. نعم .. أما هو فليس عنده إلا طيوره وسلحفاته تمشي في ركابه أينما سار ..** تتوالى الأسئلة ثم تختتم :

ـ أتحبه يا يوسف ؟؟

يزداد عويله قائلاً :

ـ نعم .. يجب .. أن أحبه .

بعد دقائق وفي الحجرة التي يغلب عليها دفء الخشب ، يسمع صوت ارتطام عنيف آت من صندوق الطاولة .. **لقد فاز الجد على نفسه بعد أن فازت عليه ..**

وأخيراً .. أخيراً يتجول في حجرته يتحسس سحارته ويبعث بابتسامة إلى طاولته ويمد إحدى قدميه تحت سريره يلامس بعض الأخشاب غير المهذبة والتي تخلفت من صنع بيت الطيور والحيوانات التي بحديقة الدار .

تسرع تنفساته ويهبط صدره ويعلو .. الصدر الذي كساه اللحم في وقت من الأوقات وبعد أن يتأكد من أن البيت المستكين لم يعد يضم إلا صاحبيه يمشي حثيثاً ناحية الحجرة التي تغلب عليها برودة الحديد ..

يتحسس السرير البارد الذي يرقد عليه حفيده يحاول البحث عن أطراف الغطاء السميك ، وعندما يفلح يحكم تغطية يوسف ويهمس من بين شفتيه :

ـ لعلني أبعث إليك . ولو ببعض دفء السنين ..

يخرج من الحجرة محدودب الظهر ، خائف من صوت وقع قدميه ، وعندما تحتويه حجرته يمسك وجهه بكلتا يديه ، ثم يجهش بالبكاء .

تجف دموعه عندما تلامس صفحة وجهه الوسادة العجفاء وقرب الفجر يخرج إلى حديقة البيت فيتأمل من خلال أسلاك البيت الخشبي طيوره وحيواناته الأليفة ، ثم تقصر قامته بعد أن يحازي في وقفته طول البيت الخشبي .. يهمس لطيوره وحيواناته الأليفة :

ـ كم سأفتقدك أرجو أن ترعى صغارك حتى .. حتى يصبح الكل كبيراً .. الكل كبيراً ..

أما أنت ـ ثم يرنو إلى السلحفاة ، **فتعال معي ..**

وعندما يطلع النهار يلملم حاجياته ويخرج إلى الشارع . يشير إلى عربة حنطور ويقول لسائقها :

ـ هل تستطيع أن تسافر بي مشواراً طويلاً ؟

يأتي إليه السائق متعجباً ، ويسأله :

ـ لماذا اخترتني أنا بالذات ؟ هناك السيارات أسرع مني ؟؟

يبتسم الجد قائلاً : **لست متعجلاً ..**

تحتويه العربة والسلحفاة قابعة على فخذيه .. وبغتة يجد نفسه يطل من العربة يرنو إلى البيت المستكين . ثم يسمع صوتاً حبيباً أليفاً يقول :

ـ إلى أين يا جدي ؟ إلى أين ؟ ماذا حدث ؟

ويمد يوسف كلتا يديه ..

ـ هل ستتركني يا جدي .. لم يعد لي سواك .. متى سترجع ؟ أين عنوانك الجديد ؟ .

يهمس الجد للسلحفاة :

ـ ليتني مثلك .. ليتني في عمرك .. بل في عافيتك .. إنه يسألني .. أين عنوانك الجديد ؟ . وهل نعرف نحن أين عنوان أمه وأبيه ؟ . ثم يتنهد ويحث السائق قائلاً :

ـ ارفع سوطك يا رجل ..

فيرد السائق :

ـ لقد أخبرتك أن العربة قديمة والجواد هزيل عجوز .

يقول الجد :

ـ سيبان كافيان لأن تطرقع بسوطك في الهواء ..

ولما توالت الضربات الهوائية لسوط العربة أجفل الجواد وأسرع الخطى وفي دقائق لم يعد يظهر في الشارع شيئاً سوى ذرات التراب التي أخذت تعلو ..

انتابت يوسف فورة نفسية .. **فأخذ يصيح وهو يحاول اللحاق بسراب عربة شاهدها منذ دقائق قائلاً :**

ـ أرجوك يا جدي . ارجع .. ارجع .. يا جدي .. أتوسل إليك أن تعود إلي ..

أما السحب التي كانت تتصارع فتمتزج .. تختلط ألوانها فيتوه الاحمرار ويشحب الاصفرار ، وتبدو الزرقة القاتمة التي تتحول بدورها إلى لون دخاني رمادي ، ثم تعلن الغضب بضجيج البرق وسطوع البرق .

فقد صفا لونها وتدرجت زرقتها وتناثرت عليها ندف قطنية .. بعد أن هطل المطر مدراراً .. **ثم أشرقت شمس يوم جديد .**



العربية
ولغة الفن الصحفي

بقلم: د. عبدالعزيز شرف

في وسعنا أن نقول مع «العقاد» : «كما تكونوا تكن صحافتكم» لأن «الصحافة تابعة للأمة التي تعيش فيها، وليست بسابقة لها ولا مترقبة عليها. وإذا اتفق في موقف من المواقف النادرة أن تقدمت الصحافة على أمتها فتلك ولا ريب عارضة لا تدوم، لأن الصحافة إذا تقدمت أمتها على الدوام انقطعت منها، وليس في وسع صحيفة من الصحف أن تنقطع عن قارئها وعن البيئة التي تكتب لها، وهي مضطرة إلى الرجوع إليها يوما بعد يوم، أو أسبوعا بعد أسبوع أو شهرا بعد شهر، كما تضطر جميع الصحف اليومية والمجلات الدورية» [١]

قد يستطيع الكاتب ـ **كما يقول العقاد أيضا** ـ أن يسبق الأمة بكتاب لأنه يصدر مرة واحدة أو بضع مرات، وقد ينتشر بين أفراد الأمة لأنه يغضبها ويخالف أهواءها، كما ينتشر بينهم لأنه يرضيها ويوافق مزاجها.. أما أن يسبق الكاتب أمته بصحيفة دائمة فذلك أمل عسير، يستبعده العقل، ونحن نلمح أثر التقدم في صحافتنا كلما لمحنا أثر التقدم في أقوامنا وجماهيرنا، فنحن اليوم خير مما كنا بالأمس، ونحن غداً خير مما نرانا اليوم [٢]، وإذا كانت «الصحافة لا تسبق الأمة دائماً فهي قادرة على أن تسبقها في بعض الأوقات. وإذا كانت لا تعدو أمامها بخطوات فساح، فعليها أن تمشي معها وفي مقدمة صفوفها، ولا تمشي وراءها. وإذا كانت الصحافة تروج بمخاطبة العدد الأكبر من الغوغاء، فهي لا تخسر إذا خاطبت النخبة القليلة من الممتازين، بل تجمع بذلك زينة الاحترام إلى منفعة الرواج. ولهذا يقع اللوم كثيراً على **الصحفي العربي** الذي يتوانى عما يستطيعه وهو غير عسير. إنه لا يستطيع أن يسبق أمته في كل نسخة من الصحيفة ولكنه يستطيع أن يسبقها في بعض الأيام. وهو لا يستطيع أن يهمل حساب الدهماء، ولكنه يستطيع أن يحسب حساب النخبة الفضلاء. وهو لا يستطيع أن يثابر على المسير أمام الصفوف ولكنه يستطيع أن يتجنب المسير في الصف الأخير» [٣].

وتأسيساً على هذا الفهم، نتحدث عن «**البيان بالصحافة**» وهو ما يقابل «**البيان بالكتاب» في البلاغة العربية**، والذي قال عنه **ابن وهب** [٤] : «ثم إن الله ـ عز وجل ـ لما علم أن بيان الأشياء مقصور على الشاهد دون الغائب وعلى الحاضر دون الغابر، وأراد ـ تعالى ـ أن يعم بالنفع في البيان جميع أصناف العباد وسائر آفاق البلاد، وأن يساوي فيه بين الماضيين من خلقه والآتيين، والأولين والآخرين، ألهم عباده تصوير كلامهم بحروف اصطلحوا عليها، فخلدوا بذلك علومهم لمن بعدهم، وعبروا به عن ألفاظهم، ونالوا به ما بعد عنهم، وكملت بذلك نعمة الله عليهم، وأبلغوا به الغاية التي قصدها ـ عز وجل ـ في افهامهم وايجاب الحجة عليهم، ولولا الكتاب الذي قيد على الناس أخبار الماضيين لم تجب حجة الأنبياء على من أتى بعدهم، ولا كان النقل يصح عنهم، ولذلك صارت الأمم التي ليس لها كتاب قليلة العلوم والآداب، وقد امتدح الله ـ عز وجل ـ تعليم الكتاب في كتابه، وبين احتجاجه على الناس به، فقال: ﴿**اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم**﴾ (العلق/٣، ٤، ٥) وقال عز وجل: ﴿**أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى**﴾ (طه/١٣٣). وقال: ﴿**ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين**﴾ (الاحقاف/٤)» [٥].

خصائص وسائل الاعلام

وقد أجريت تجارب ودراسات عديدة حول **خصائص كل وسيلة من وسائل الاعلام**، وتشير نتائج التجارب التي أجراها **لازرسفيلد** Lazarsfeld **ودوب** Doop **ووابلز** Wables **وبيرلسون** Berelson إلى أن المطبوعات كالكتاب والصحيفة والمجلة واللافتات لها مميزات هامة تجعلها تتفوق على غيرها من الوسائل الأخرى. وأهم هذه المميزات أن القارىء يستطيع أن يسيطر على الوسيلة بالطريقة التي تلائمه، فهو يستطيع أن يطلع على الموضوعات التي يرغب في الاطلاع عليها، ويراجع ما يريد أن يراجعه بالسرعة التي تناسبه، وفي أي وقت يشاء فليس غريباً أن تكون الوسائل الطباعية ملائمة لنشر الموضوعات المعقدة في الدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة. وغني عن البيان أن المطبوعات تمكن الناس من النقد المدروس والعناية بالتفاصيل الدقيقة، التي ترد عادة في الدراسات المسهبة والموضوعات الطويلة، ويكفي أن نقارن مثلاً بين طول الأخبار الصحفية وطول النشرة الإذاعية، أو نقارن بين المقال الصحفي والتعليق الإذاعي [٦].

ولما كانت الصحف تصل إلى الجميع، فيما عدا الصغار جداً، فإنها تجتذب جمهوراً مختلفاً في تجانسه اختلافاً كبيراً. ويقرأ حوالي ٩٨٪ من جميع القراء شيئاً من الصفحة الأولى، ويقرأ نحو ٥٨٪ من القراء فقرة في أي صفحة أخرى، ولكن بعد الصفحة الأولى، يكون الموضوع أهم من رقم الصفحة في تقرير ما يقرأ، لأن مختلف القراء يبحثون عن مختلف المواد.

«الاحصائيات التالية من ١٩٧١م، توضح نماذج من الصحافة اليومية» في العالم العربي

- **مصر ١٥ صحيفة** توزع ٧٧٢,٠٠٠ نسخة بمعدل ٢٣ للألف.
- **الجزائر ٤ صحف** توزع ١٨٥,٠٠٠٠ نسخة بمعدل ١٤ للألف.
- **المغرب ١٤ صحيفة** توزع ٢٤٣,٠٠٠ نسخة بمعدل ١٦ للألف.



★ عباس العقاد ★

● **لبنان ٥٢ صحيفة** توزع ١٨٠,٠٠٠ نسخة بمعدل ٧٧ للألف.
● **الكويت ٥ صحف** توزع ٢٨,٠٠٠ نسخة بمعدل ٣٥ للألف.
● **السعودية ٥ صحف** توزع ٥٦,٠٠٠ نسخة بمعدل ١٠ للألف.
● **اليمن ٦ صحف** توزع ٥٦,٠٠٠ نسخة بمعدل ١٠ للألف.

* * *

الدوريات والمجلات

	المجموع	التوزيع	المعدل للألف
مصر	٢٨	٦٣٥,٠٠٠	١٩
الجزائر	٦	١٢٨,٠٠٠	١٠
المغرب	٥٢	٢٥١,٠٠٠	١٨
الكويت	٩	٤٤,٠٠٠	٦٢
لبنان	٤٦	—	—
السعودية	٥	٣٨,٠٠٠	٥
اليمن الجنوبية	١٤	٩,٠٠٠	٨
فرنسا	٩٣٧	٢٦,٤١٤,٠٠٠	٥٢٥
بلغاريا	٣٥	٦٢٤,٠٠٠	٧٣
الهند	٥٢	١٠٣,٠٠٠	٢
الولايات المتحدة	١٠١٠٩	٧٩,٨٣٤,٠٠٠	٤٠١
الاتحاد السوفياتي	٨٠٥٥	٥٩,٠٨٣,٠٠٠	٢٤٣
بريطانيا	١٢٢٣	٤٠,٤٠٠,٠٠٠	٦٦٨
السويد	٥٣	٦٧٧,٠٠٠	٤٦

* * *

والسن والتعليم، والجنس، والمركز الاجتماعي والاقتصادي، هي جميعاً عوامل تقرر ما يقرأ، وذلك وفقاً للدراسات التي أجراها **لبراشرام ودافيد مانتج هوايت**، وبوجه عام، **يميل الشباب إلى قراءة الصحيفة للترفيه، وكبار السن للاعلام، والمتواضعون في التعليم للترفيه.**

ويزداد مقدار ما يقرأ من الصحيفة بزيادة التعليم، ومع أن التجارب التي أجريت في مصر وسوريا والأردن ولبنان مجتمعة، قد أثبتت أن **٦٣٪ من الجماهير العربية تفضل الاذاعة على الصحافة**، فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها. الأمر الذي يرجعه **الدكتور إمام**، إلى تاريخ الصحافة المصرية الحافل بمواقف الجهاد الوطني المشرف. والدليل على ذلك أن كثيراً من الأميين في مصر يشترون الصحف ليقرأها لهم بعض المتعلمين، أو يجتمعون في المقاهي أو الدور الريفية للاستماع إلى تلاوة الصحف.

ولعل في ذلك ما يشير إلى أن «البيان بالكتاب» والصحافة امتداد له، جاء ليخرج الإنسان من «**سلطان الذاكرة**» ويحفزه على التصدي إلى «**الذاكرة المنشدة**»[٧]، إذ إن «**البيان بالكتاب**» يعمل على تحرير الفكر البشري، ويدعوه إلى كسر أسر العادة والتقاليد المكبلة للإبداع والمقيدة لحوافز التقدم والرقي. ذلك أن «**البيان بالكتاب**» رمز للواقع الذي نريد تصويره وأكثر من ذلك هو محاولة لمزج العالم بهدف السيطرة عليه وإبداعه من جديد عن طريق السيطرة على الكلمة وخلقها[٨]، ولعله من أجل هذا خلق مع الكتابة «**النثر**» الذي ولدت معه القراءة. **والقراءة نوعان**: نوع لعله هو الذي بدأت به البشرية ينحصر في القراءة بالانشاد والتغني وهي من باب التعلم والتدرب[٩]، ونوع هو القراءة الصحيحة الكاملة التي تعتمد العين وتعتمد الجوس في طرفة عين، خلال مجاهل هذا المخلوق المتقلب المتموج المصنوع من الحروف، المسطور بحكمة وإتقان ألا وهو النثر[١٠].

القراءة الصحيحة

وفن القراءة اليوم هو أعظم الفنون نصيباً من الاهمال الشديد، كما يقول الدكتور «**روبرت م. بير**» مدير مدرسة القراء بكلية دارعوث: فإن علينا أن نلتهم قدراً هائلاً من الأفكار المطبوعة، إن شئنا أن نظل على علم بما يجري في الدنيا، ولكن ضغط الأعمال لا يكاد يتيح لنا وقتاً كافياً للقراءة.

وإذا كنت مقتنعاً بأنك تقرأ بأسرع ما تستطيع فجرب هذه التجربة: اختر من إحدى المجلات عمودين لم تقرأهما من قبل ثم اقرأ أحد العمودين في نصف الوقت الذي تقرأ فيه الآخر جهراً. ففي وسعك إذن أن تزيد سرعتك فيما تقرأ زيادة عظيمة.

ويقرأ الشخص الوسط البالغ نحو ٢٥٠ كلمة في الدقيقة. ويستطيع بعد مدة وجيزة من تمرين بسيط أن يقرأ من ٤٠٠ إلى ٦٠٠ كلمة في الدقيقة.

والقاعدة الأساسية لزيادة السرعة هي: «**احمل نفسك على أن تقرأ خمس دقائق كل يوم، مدة شهر، بأسرع ما تطيق**» ولا تهتم إذا فاتك معنى تعبير أو جملة أو فقرة، بل استمر متفهماً أصل الموضوع، ولا تلق بالا إلى جمال التعبير.

وسجل كم كلمة تقرأ في كل خمس دقائق، وستجد أن فحوى ما تقرأ سيكون غامضاً في اليوم الأول، وبعد خمسة أيام أو عشرة تجد أنك تستوعب من المعاني أكثر فأكثر.

وليست القراءة بأسرع ما تطيق إلا جزءاً من التمرين، ولعل أشد العيوب التي أدت إلى البطء في القراءة هي طريقة القراءة كلمة كلمة. فقد تلقنا منذ كنا أطفالا أن نبين الكلمة الواحدة ونلفظها منفردة.

وحين تستمع إلى **موسيقى** فإنك لا تسمع سلسلة من الأنغام منفردة، بل تسمع أنغاماً متسقة منسجمة. فكذلك القارىء الخبير يعب من معاني المؤلف عباً، غير ملق بالا في أكثر الأحيان إلى ما لا خطر له من الكلمات.

ادرس الاعلانات بعناوينها الموجزة القصيرة وفقراتها الجامعة، الق نظرة إلى الاعلان خمس ثوان، ثم انظر ماذا تستطيع أن تستخلصه من الاعلان. أو اجعل في قطعة من الورق المقوى ثقباً في حجم سطر من سطور هذه المجلة، واسحبها رويداً إلى أسفل الصحيفة، وانظر ماذا تستطيع أن تتمثله من المعاني في كل نظرة.

ولعل خير طريقة للتغلب على كثير من صعوبات القراءة هي توسيع نطاق النظر، فإن العينين تتحركان فوق السطور في قفزات صغيرة، وبين هذه القفزات تقف العينان جزءاً من الثانية يسمونه «تثبيتاً». وفي أثناء هذه المرات من «التثبيت» ترى وتقرأ، فكلما قلت مرات «التثبيت» ازدادت سرعتك في القراءة، وزاد احتمال استيعابك لمعاني جمل بأكملها.

وإذا كنت ترجع البصر إلى كلمة أو كلمتين تريد استيعاب المعنى فاقض على عادة الرجوع هذه، واستمر في القراءة، حتى تنتهي من الجملة على الأقل.

وعلى كل قارىء أن يجعل سرعته تختلف باختلاف ما يريده مما يقرأ:

● **أولا: قراء الخطف** بأن تمر مراً خاطفاً على ما تقرأ من أخبار اليوم، أو على مقال أو كتاب تريد أن تقدر قيمته. كان **لتوماس كارليل وثيودور روزفلت** قدرة عجيبة تبدو مستحيلة، على قراءة صفحة بأكملها في نظرة واحدة. وفي وسع كل إنسان أن يصل إلى سرعة من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ كلمة في الدقيقة في قراءة الخطف.



★ يوهان جوتنبرج ★

● ثانيا : **القراءة العادية** وهذه ينبغي أن لا تقل عن ٣٥٠ كلمة في الدقيقة .

● ثالثا : **سرعتك في قراءة الدرس** وهذا النوع من القراءة يقصد به التحليل والنقد ، وتذوق الأسلوب ، وقد تبطىء سرعته أحياناً حتى تصل إلى خمس كلمات أو ست في الدقيقة فإذا كنت تقرأ خبراً من برلين ، فإنك تريد أن تنعم النظر في كل كلمة وتزن معانيها ومقاصدها .

اللغة الاعلامية ويسر القراءة

كما اتجه **المنهج الاعلامي** إلى دراسة **الأسلوب** الذي يؤثر في قابلية **اللغة الاعلامية** للقراءة أو الفهم ، وعلى اعتبار أن الرسالة الإعلامية هي العماد والأساس ، بحيث تختار الرموز الإعلامية وتقدم بعناية تامة ، فكان على المنهج الإعلامي أن يقيس قابلية الرموز المطبوعة أو المذاعة للقراءة والفهم ، من حيث : العوامل التي تميز الرموز التي يسهل أو يصعب قراءتها أو فهمها ، والاختلاف في الأسلوب ومدى سرعة القراءة لدى القارىء ، ومدى التركيز على الكلمات أو مجموعات الكلمات ، ومدى ما يستوعب في ذاكرته من المعاني المؤقتة حتى ينتهي من قراءة الجملة . وكان المنهج الإعلامي يركز في البداية على « **الكلمة** » في قياس قابلية القراءة ، فقسمت الدراسات الأولى القابلية للقراءة المواد إلى نسبة الكلمات « **السهلة** » إلى « **الصعبة** » الموجودة كما تدل على ذلك قائمة مقننة للكلمات مثل **قائمة ثورتدايك** وفي السنوات التالية أضيفت عناصر أخرى لبحثها مثل ـ **طول الجملة** ـ الجملة البسيطة والجملة الناقصة التي لا تحتوي على فعل والجملة ذات الفعل والفاعل فقط ، ثم تبع ذلك ما لا يقل عن ٨٢ عنصراً من عناصر الصعوبة التي زعم بحثها ، اختير منها أخيراً خمسة على أساس ارتباطها الوثيق باختبارات الفهم العام وهي : الكلمة المختلفة ، والكلمات الصعبة المختلفة ، والضمائر الشخصية ، والجملة الناقصة التي تتضمن حرفاً للجر ، وطول الجملة . . ووضعت في صيغة تعد تعبيراً مباشراً عن القابلية للقراءة على أساس السنوات الدراسية اللازمة لقراءة الفقرة بسهولة . وفي نفس الفترة من الوقت تقريباً تضمنت صيغة أخرى منتشرة مجموعة من ثلاثة عوامل هي : **طول الجملة ، والتفصيلات الشخصية وضمائر الوصل** . ويوجد حد هام لتطبيق تحليلات القابلية للقراءة ذلك أنه يتحقق من صدقها عن طريق قراءة القارىء العام لاختبارات الفهم .

لغة الفن الصحفي

توضح علاقات التأثير والتأثر بين الأجناس الإعلامية وما يذهب إليه علماء اللغة ، من أن « للتغيير في اللغة مزايا عديدة ، وأن المثل الأعلى للغة في مستقبلها ، لا في ماضيها » على حد تعبير « **أوتوجسبرسن** » ذلك أن أكمل اللغات هي تلك التي قطعت في التطور أطول شوط .

فالصحافة التي تحمل لغتها مسؤولية ما تشعر به من نقص في موادها التحريرية « هي صحيفة عاجزة ، وهي المسؤولة الأولى عن هذا النقص » . يقول **ديكارت** في كتابه « **حديث عن المنهج** » : « إن من حسن تفكيره وهضم أفكاره حتى يجعلها واضحة مفهومة ، يستطيع أكثر من غيره أن يفهم الآخرين آراءه ، ولو لم يتكلم غير البريتانية السفلى » . **فطاقة اللغة تتوقف على عدد الذين يمارسونها وعلى درجة تعليمهم** ، كما يذهب إلى ذلك **بوفون** .

وتأسيساً على هذا الفهم ، يمكن القول ، إن الكلمة المطبوعة ، في الفن الصحفي باعتبارها أداة من أدوات المساس بالعواطف البشرية والتأثير في الفكر والسلوك تتصف بنقطة ضعف بارزة هي أيضاً نقطة قوة . **فالكلمة الصحفية هي الوسيلة الخالية من الصوت البشري وبخلوها منه تفقد العنصر الذي تستمد منه اللغة الاذاعية والمرئية دفعا وتأثيرا . .** على أن في هذا الضعف قوة ، فالكلمة الصحفية هي الأداة التي تمكن الجمهور من التحكم في الوقت ، وعدم خضوعه لسرعة الصوت ، بحيث يستطيع أن يسبق الكلمات أو يتوقف عند بعضها متذوقاً ـ ويستطيع أن يرتد إلى الوراء ، وأن يسقط بعضها أيضاً .

ولقد تكون هذه الميزات طفيفة الأثر بين « **الجماهير غير المركزة** » كما يقول **أريك بارنو** ، بالنسبة « **للجماهير المركزة** » فهي كل شيء ، ذلك لأن طغيان التوقيت الصوتي ، هنا ، عبء فادح ، ولو لم تكن للكلمة المطبوعة غير هذه الميزة لظلت بالنسبة للجماهير المركزة ، المصدر الرئيسي للاطلاع .

ونقطة ضعف أخرى ، هي أيضاً نقطة قوة . . تلك أن الطباعة عندما تعتمد على الألفاظ تتطلب من جمهورها أكثر مما تتطلبه أية وسيلة من الوسائل الأخرى . ذلك أنها تقتضي مجهود القراءة ، وهو مجهود قد يصبح عبئاً على بعض الناس بسبب ما لديهم من عقبات عاطفية ، أو عيوب بدنية ، أو نقص في التدريب . كما أنها تتطلب عملية تحليل مستمرة ، والقراء الذين لا يستطيعون أن يفوا بهذه المطالب ، بسبب قلة التجربة أو الكفاية ، قد يتخلون عن عملية القراءة . أما الآخرون فإن مقدار مشاركتهم بالتخيل هي المتعة التي تتميز بها القراءة ، أي إنهم يستمتعون بالصحيفة أو الكتاب بقدر مشاركتهم (١١) .

ومن أجل هذا وحده تبدو الكلمة المطبوعة أكثر احتمالا في أن تظل مصدراً رئيسياً للاستمتاع بالنسبة للذهن اليقظ . بل إن لغة الصحافة ذات أثر كبير في الحياتين الفكرية واللغوية للأمة ، حيث تتيح للفكر فرصة الظهور والنمو ، كما تضيف باستمرار إلى رصيد هذا الفكر وحياته الفنية والتعبيرية جديداً .

فالصحافة توجه النشاط العقلي للأمة ، وتاريخ الصحافة العربية يشمل فترة من الزمن طويلة ، تسمح بتبين تأثير التطور الاجتماعي على عقلية الناس . والصحافة العربية ـ باعتراف **ماكلوهان** (١٢) ـ ضرورية لإثارة الشعور القومي ، هذا النموذج البصري الذي ينتزع الناس من النماذج المحلية والقبلية . . والغريب أن **الراديو** في مصر ظهر كأداة تجديد للقبائل القديمة وبعثها . وقد أضفى **الترانزستور** المحمول على ظهر الجمال ، على القبائل البدوية قوة وحيوية لم تمتلكها في الماضي ، بحيث أن استخدام كلمة « قومية » لوصف العنف والتأثير الشفويين ، اللذين أثارهما الراديو في نفوس العرب ، يبعدنا عن الوضع الحقيقي . **إن وحدة العالم العربي لا يمكن أن تكون إلا من صنع الصحافة** . فالقومية لم تكن موجودة في الغرب قبل عصر النهضة ، حيث جعل **جوتنبرج** لغة الأم متوحدة ومتماثلة ، أما الراديو فإنه لا يشارك قط في صنع هذه الوحدة البصرية المتماثلة التي لا بد منها للقومية . . . أما الصحافة فإنها تخلق نوعاً من الوحدة البصرية المتراخية بعض الشيء والملائمة لتوحيد عدة قبائل ولتنوع الآراء الشخصية .

ومهما يكن من أمر تصور ماكلوهان فإننا نكتفي هنا بالإشارة لأثر الصحافة والراديو على القومية العربية والفصحى المشتركة والعاميات ، على النحو الذي فصلناه في الباب السابق ، ولكننا ـ عند ماكلوهان ـ يجب أن ننظر إلى تفاعل التأثير بين الأجناس الإعلامية المختلفة عند الحديث عن الوطن العربي بمقوماته وخصائصه المتميزة عن غيره من الأوطان والقوميات .



★ ت . س . إليوت ★

فلغة الفن الصحفي اتجهت في الوطن العربي نحو التخلص من الخصائص الغيبية ونبذ التعبير عن الأفكار المشخصة لترقى إلى التجديد . على أن هذا التجديد لم تضعه به اللغة العربية قط ، لأنه يسير طبقاً لخصائصها وأساليبها الأصيلة القديمة ، فقد اتسع صدرها - كما يقول الأستاذ **عبد الحميد حسن** [١٣] - لمراحل متعاقبة من التهذيب والتطوير ، وبرهنت في كل ذلك على قدرتها وقوتها ، وعلى استجابتها للأجناس الإعلامية على اختلافها ، بما عاون على النهوض بها وتزويدها بقوة تساير ذلك النهوض الذي يزحف في سرعة على جميع الأقطار من كل جانب وفي شتى فروع الثقافة النقلية والعقلية [١٤] .

وبطبيعة الحال اتخذ الشعراء - في العالم - بعد **بودلير** - صيغة الجريدة - أي مميزاتها البنائية - لإثارة وعي شامل . كما يقول ماكلوهان :**إن صفحة الجريدة ليست رمزية وسريالية فحسب ، بل هي التي أوحت قبل غيرها بالرمزية والسريالية في الفن والشعر ، يحس بذلك أي إنسان قرأ فلوبير ، أو رامبو .** وإننا نتذوق بصورة أفضل مقطعاً من « أوليس » **لجيمس جويس** ، أو قصيدة من نظم **ت . س . إليوت** مثل الرباعيات ، لو اعتبرناهما شكلين من أشكال الجريدة .

والقارىء الحديث يجد إنتاج كبار الكتاب المعاصرين في جرائده ومجلاته ، وبعد مضي أشهر يجد المادة نفسها مغلفة بين دفتي كتاب . كما نجد عند **أنيس منصور ويوسف السباعي ونجيب محفوظ وثروت أباظة** وغيرهم من الأدباء . فإن الأدب كما يقول **جورج سانتيانا** :« هو عملية تحويل الأحداث إلى أفكار . . وعلى أي حال فإن الاستمرارية الجامدة لحضارة الكتاب تذهب إلى حد رفضها فتح عينيها على هذه « الصلات » لوسائل الاتصال [١٥] . فإن الصحافة كصورة جماعية ومشتركة تتخذ بالطبع اتجاهاً معارضاً ضد الطبيعة التقليدية للكتاب ، ولكنهما يلتقيان عند جمهور المستقبلين حيث لا تكمن القوة في الوسيلة فحسب ، بل في الرسالة ، وفي المحتوى كذلك .

البيان بالصحافة

لم يكن « **جاستس شالو** » قد جاوز طور الطفولة البريئة حين قال لاينشتت بيقول : « إذا جئتني يا سيدي بأنباء من القصر فإني آخذها وأتبع فيها إحدى طريقتين ، إما أن تقال ، وإما أن تخفى » .

وهذا كما يقول أطفال آخرون ، كان كل ما يعرفه « شالو » بينما توجد طرق ثلاث للقول ، وهذه الطرق بعيدة كل البعد عن أية طريقة من طرق الإخفاء والسكوت ، وعلى كل حال فإن **مونتيجيو** [١٦] « يذكر لنا طرقاً ثلاثاً لجعل هذه الأنباء شائقة جذابة عند قولها . »

فأنت تستطيع أن تقول مبالغاً فيها مضخماً لها حتى تجعلها أضعاف حقيقتها ، كما أنك تستطيع أن تقتضب فتجعلها نصف حقيقتها ، أما إذا كنت ماهراً حقاً ، شديد الثقة في هذه المهارة ، فإنك تستطيع أن تقولها كما قيلت لك دون إيجاز أو تضخيم لها . وتقابل هذه الطرق الثلاث في البلاغة العربية طرق ثلاث أيضاً هي : « **الايجاز والاطناب والمساواة** » مع الفارق الكبير جداً بين ما نجده عندنا وما نجده عند الأوروبيين - كما يقول الأستاذ **كامل البوهي** [١٧] ، فالإيجاز كما نجد عند الإمام **القزويني في « التلخيص »** هو « أداء المقصود بأقل من عبارة التعارف والإطناب أداؤه بأكثر منها » ، ثم قال : « والأقرب أن يقال : المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله بلفظ مساو له أو ناقص عنه واف ، أو زائد عليه لفائدة ، واحترز بواف عن الاخلال » .

وطريقة المبالغة والاطناب من الطرق التي لا تصلح في تحرير الخبر الصحفي أو الاعلامي بوجه عام ، وإن كنا نجد نماذج منها عند كبار الصحفيين الذين لهم جمهور عظيم من القراء ، ففي صحيفة مثل London morning past نجد فيها هذا التعليق الرشيق على « **مستر لويد جورج** » عند انتهاء مدة رئاسته للوزراة أيام الحرب العالمية الأولى : « لم يكسب لويد جروج سخط هذا الحزب أو ذلك فحسب ، وإنما اكتسب سخط جميع الأحزاب السياسية ، وغضب عليه كل الناخبين المحترمين ، وفي الحق أن كل المفكرين في جميع أنحاء العالم قد سئموا « **جورجية لويد** Lioyd Goorgeism » وكل ما تتضمنه هذه الجورجية وما تشير إليه [١٨] .

وفي هذا الأسلوب نلمح مع « مونتيجيو » [١٩] ، عدة أخطاء لا تصح في الأسلوب الإعلامي مثل « جميع » الأحزاب السياسية ، حتى حزبه الخاص وأتباعه المخلصين ، و« كل » الناخبين المحترمين و« كل » المفكرين في « جميع أنحاء العالم » الخ . . وإذا كانت هذه الطريقة تستخدم في البرلمانات ، فإن الصحافة يجب أن تبتعد عنها تماماً ، كما ينبغي أن تبتعد عن حيلة « **الايجاز الماكر** » الذي يجعلك تقول شيئاً قليلاً مما تعني على أمل أن يعي ذهن السامع هذا الذي قلته وينتبه إليه ، ويستفيد منه أكثر مما يستفيد من ذلك الجزء الكبير الذي أهملته وأعرضت عن ذكره [٢٠] ، مع ذلك فإننا نجد الكثير من الصحف إما أن تلجأ إلى المبالغة في تضخيم الأشياء حتى تبلغ ضعف حقيقتها ، أو أن تلجأ إلى الإيجاز والحذف حتى يصل هذا الشيء إلى نصف حقيقته .

على أن الوسيلة الثالثة للتعبير ، هي الطريق المستقيم ، في التحرير الصحفي والإعلامي ، وقليلون جداً هم الذين يسلكون هذا الطريق ، ويذكر « مونتيجيو » [٢١] ، مثالا يوضح هذه الوسيلة عن أحد الوعاظ المجيدين في **أكسفورد** ، لم يقل هذا الواعظ كما يقول غيره من الوعاظ ، لمائتين من الشباب الذين يفيضون صحة وقوة وأملاً ، إنهم قد يموتون في الليلة المقبلة ثم يجدون أنفسهم مضطرين إلى موقف الحساب في الصباح - بدلا من تناول طعام الإفطار - فيسألون أمام ربهم عما قدمت أيديهم وعن كل صغيرة وكبيرة فيما استخلفهم فيه ، لم يقل الواعظ الانجليزي هذا الكلام ، كما أنه لم يقل لهؤلاء الناس إنهم جميعاً سوف يعيشون حتى تبلغ أعمارهم سبعين سنة ، لم يكن يقول هذا ولا ذاك ، ولكنه كان يقول :

« إني أرى من الثابت في الإحصائيات ، أن مستوى ما يتبقى للإنسان من عمره بعد الحادية والعشرين هو ستة وثلاثون عاماً ، وقد يحق لنا أن نأمل في أكثر من ذلك بقليل ، وأن نخشى أن نكون قربنا أقل من ذلك بقليل ، ولكن عندما نتكلم بصفة عامة ، فإن ست وثلاثين سنة - أي ما يقرب من ثلاثة عشر ألف يوم - هي الزمن الذي ينبغي أن نتم فيه أعمالنا » .

ويذكر مونتيجيو أنه وبعض أصدقائه على الأقل ، كانت عقولهم الصغيرة حينئذ كأنما ينبعث فيها تيار من الكهرباء ، مع هذه الكلمات الدقيقة الغريبة التي لم يتوقعوا أبداً أن تصدر من فوق المنبر ، من أجل هذا فإن عقولهم سرعان ما تفتحت لتستقبل في ترحيب شديد ما يتبع ذلك من حديث .

وفي بلاغتنا العربية تأكيد على هذا الأسلوب في التعبير ، حيث نجد ابن وهب صاحب « البرهان » [٢٢] ، يقول إن **البلاغة** هي « **القول المحيط بالمعنى المقصود ، مع اختيار الكلام ، وحسن النظام ، وفصاحة اللسان** » ويؤكد عدم استعمال ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة . ولا كلام الملوك مع السوقة ، بل يعطي لكل قوم من القول بمقدارهم ويزنهم بوزنهم ، فقد قيل : « **لكل مقام مقال** » . وقال **جعفر بن يحيى** : « إذا كان الإكثار أبلغ ، كان الإيجاز تقصيراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً ، كان الإكثار هذراً » فبين ما نجد من الإيجاز ، وما يحتاج إليه من الإكثار .

وإذا كانت الصحافة مهنة فما هي مقومات الصحفي التي تؤهله لنشر

★ ثروت أباظة ★



أخباره وأفكاره ؟ ، إن **ستيد** يذهب إلى أن الصحفيين ينبغي أن يكونوا أصحاب « أقلام مستعدة » Ready bene للكتابة في أي موضوع من الموضوعات بغض النظر عن الموضوعات التي لا يعلمون عنها إلا النزر اليسير والقدر الضئيل فهناك أخبار صادقة ، وأخبار كاذبة ، وهناك موضوعات يضطر الصحفي إلى الخوض فيها تكون مما تميل إليه نفسه وتستهوي قلبه ، ولكن كثيراً من الصحفيين يخطئون في نصح المبتدئين بالدخول في ميدان الصحافة والمضي في سبيلها .

ويرى **ديكهم ستيد** عكس هؤلاء جميعاً ، فبعض الشباب يسألونه عن كيفية الدخول في ميدان الصحافة وعن كيفية اتخاذها مستقبلاً لهم ، فيلقي بالماء البارد على مطامحهم الحارة ، فبعض الهواة يرون ـ وبدون سبب معقول ـ أن الصحفيين قدوة أدبية ، ولكنهم في الواقع يبعدون عن الحقيقة كثيراً ولا يعرفون أن الإنسان قد يكتب عبارات صحيحة سليمة من الأخطاء ، ولكنه يكون غير صالح للصحافة ، على حين يرى الآخرون أن لديهم أفكاراً كثيرة يرغبون في نشرها ، ولكنهم لا يعرفون أن الصحافة تعتمد على الجانب التجاري كذلك ، وأن بعض الأفكار قد لا تجد قبولا عند جمهور القراء ، وقد تجذب الآخرين المرتبات الضخمة والأجور المرتفعة التي يحصل عليها الصحفيون الناجحون ولكنهم لا يدرون ما وراء هذه المرتبات وهذه الأجور . غير أن أكثر طلاب الصحافة يتمنون أن يدخلوا في ميدانها كقاعدة عامة بجوار عجلة الطباعة وأن يشاركوا بأيديهم في تكييف الفكر للأمة .

ولكن **ديكهم ستيد** الصحفي المجرب الخبير ، يقول إن كل من يعمل في صحيفة من الصحف ليس صحفياً ، **فالجريدة تضم كتبة مثل كتبة البنوك ، كما تضم مستخدمين وأطباء ومحاميين ورجال أعمال** ، وهؤلاء جميعاً لا تفتقدهم الصحافة في وقت من الأوقات ، ولكنها تفتقد الصحفيين الذين لا يمكن أن تستكفي بهم صحيفة من الصحف . إنهم رجال ونساء بعقول ذكية وأفكار نيرة وعزيمة ماضية للبحث والتنقيب في أرجاء المعمورة أملاً في الوصول إلى ذلك اليوم الذي ينشرون فيه آراءهم ويبثون فيه معتقداتهم في عقول الآخرين [٢٣] .

والصحفيون لا يستطيعون أن يضعوا تعريفاً جامعاً مانعاً للصحافة وإن كانوا يعرفون أن الصحافة تتكون من جمع الأخبار وطباعتها ونشرها يوماً بعد يوم بتعليق أو بدون تعليق وبوجهة نظر أو بدون وجهة نظر . والصحفيون يعرفون أن الصحافة عمل فيه كثير من المسؤولية ، لأن الأخبار ينبغي أن تكون صحيحة كما أن التعليق ينبغي أن يكون أميناً ، وعندما تطبع وتنشر الأخبار ينبغي أن تباع ، غير أن الجمهور ربما لا يحب الأخبار السيئة أو الآراء التي لا طعم لها ، فتحتجوا الصحف يعتمدون على ذوق الشعب ، ولكن كيف يؤهلون لذلك ، وإلى أي مدى يخدعون أنفسهم ويدعون ثقتهم ليحولوا أخبارهم وآراءهم إلى مادة توافق ذوق الجماهير ، وهل تلومهم في هذه الحال كما تلوم التاجر الذي يطفف في ميزانه ، والصانع الذي يزيف في صناعته ؟ وهذه الأسئلة وغيرها تساعد على بيان المبدأ السائد أو الذي ينبغي أن يسود [٢٤] في التحرير الإعلامي بعامة .

والطابع المميز لتحرير الأخبار يتمثل في الدقة والوضوح والمسؤولية ، والبعد التام عن طابع التحرير الأدبي ، والتعميمات التي لا معنى لها ، والجمل الطويلة ، والمترادفات والمستوى الجمالي في التعبير ، ومما يذكر في هذا الصدد أن الأديب العالمي **ارنست هيمنجواي** ، بعد أن ترك صحيفة « **كانساس سيتي ستار** » بسنوات ذكر المبادىء الأولى في تحرير الأخبار ، كما وردت في كتاب الأسلوب بتلك الصحيفة ، وقد كانت الفقرة الأولى عندئذ مثلها اليوم :

« **استعمل الجمل القصيرة ، استعمل الفقرات القصيرة ، اكتب بلغة قوية ، لا تنس السعي للكتابة بسلاسة ، كن إيجابيا لا سلبيا** » .

وقد نقل **تشارلز . ا . فنتون** عن هيمنجواي ، الكاتب الذي نال جائزتي **نوبل وبولتيزر** ، قوله عن تأثير كتاب الأسلوب :

« هذه هي أفضل القواعد التي تعلمتها لهذه الكتابة ولم أنسها أبداً . . ولا يمكن لأي شخص ذي موهبة ، يشعر ويكتب بصدق عن الشيء الذي يحاول التحدث عنه ، أن يفشل في الكتابة الجيدة إذا ما قيد نفسه بهذه القواعد » .

وعن هذا فإن التقيد بالمستويات الإعلامية في إعداد الأخبار من الأمور المفروضة وعندما يتم الاتفاق على إحداث تغييرات في هذه المستويات يتحتم شرح كل تغيير منها بحذر في رسالة تطبع وترسل إلى أفراد الصحيفة ، والغرض من ذلك التأكد أنه لن يكون هناك تدخل في جهاز الأخبار المعقدة وإذا لم تعط مثل هذه الشروح ، كما يقول « جون هوهنبرج » [٢٥] فإن النتيجة ستكون محاولات لا نهاية لها بين المخبرين والكتاب والمحررين الناسخين ورجال التحرير ويقول « **بيرنستين** » :

« إذا كان من الضروري أن تكون الكتابة بشكل دقيق من أشكال الاتصال ، فإنه يجب معاملتها كما لو كانت آلة دقيقة ومن الضروري أن تكون مرهفة ويجب أن تستعمل بعناية ، وإن كتاباً في التعليمات حول استعمال هذا الاقتراع قد يشير على الكاتب أن يستعمل الكلمة المناسبة ، الكلمة التي تصيب الهدف ، بدلا من استعمال الكلمة العامة التي قد تصيب أشياء أخرى بالإضافة إلى الهدف ، وأن يستعمل الكلمة في المكان الذي يناسب الغرض منها ، وأن يركز جمله بحيث تأتي محكمة ومنطقية » .

وعلى هذا الأساس أصبح « **كتاب الأسلوب** » من الوسائل الأساسية للصحفيين في الدول الأوروبية والأمريكية ، وهو ما ينقص صحفنا إلى حد كبير ، ولذلك ينبغي على كل صحيفة من الصحف العربية أن تعد كتاباً في الأسلوب ليطلع الصحفيون عن طريقه على الإجراءات المتبعة في صحفهم . ويقول كتاب الأسلوب لصحيفة « كانساس سيتي ستار » :

« إن كتاب الأسلوب لم يوضع ليحدد شكلاً ضيقاً من أشكال الكتابة ، أو ليعوق تشجيع التجديد والطرافة . إن مهمته هي توفير أخبار مقروءة أكثر عن طريق تركيز الاختصار ووضع علامات الوقف عند مقاطع الكلام والتهجئة وعلم النحو .

« وعلى الرغم من أن قسم المراجعة مسؤول عن تصحيح كل ما يرد إليه من أخبار فإن على المندوبين أن يعملوا على تعويد أنفسهم على القواعد وأن يكتبوا بموجبها . إن الجهد التعاوني حري بأن يثمر في صحيفة ممتازة » .

أما كتاب الأسلوب الذي تستعمله وكالة الأسيوشيتدبرس فإنه يؤكد :

« إن عرض الكلمة المطبوعة يجب أن يكون عرضاً دقيقاً ، مناسباً مريحاً للعين مطابقاً للقواعد اللغوية . فاللغة الانجليزية (والعربية مثلاً لغة سهلة تتغير باستمرار والذي كان كثير الجمود في سنة ما قد لا يبقى كذلك في السنة التالية) . وتضاف إلى اللغة بحيث تصبح جزءاً منها ، تركيبات الكلام والشعارات والمقاطع ، وكذلك فإن التعريفات المرتبة حسب الحروف الهجائية تلقى قبولا واسعاً » .

اللغة والأسلوب في الصحافة العربية

إن الوظيفة للصحافة ـ بطبيعة الحال ـ هي الاعلام والاخبار ، أي نقل الأنباء وتفسيرها والتعليق عليها على مستوى الأحداث الصغيرة والكبيرة ، وإذا كنا نعتبر التحرير الإعلامي هو المرحلة الأساسية في النشر والإذاعة ، فإنه في الصحافة



★ يوسف السباعي ★



★ ارنست همنغواي ★



★ الفيلسوف جورج سانتيانا ★

يمثل جوهر الفن الصحفي ، والذي ما كان يمكن أن يتطور لولا التقدم العلمي في خدمة الطباعة والتصوير والرسم وصناعة الكليشيهات ، فضلاً عن التقدم الهائل في فن التصوير الصحفي [(٢٦)] .

ويضم التحرير الصحفي عمليتين متداخلتين تعتمد كل منهما على الأخرى تعملان معاً ، فالعمل الصحفي في طريقه إلى الكمال الفني ، ينبغي أن ينق وتصفى كلماته بكل دقة ، وأن يخضع لعملية تطهير من الكلمات مرة بعد مرة كما لو كانت الكلمات قشوراً وشوائب ، والعملية الثانية أن تلقح هذه الكلمات القليلة ـ على حد تعبير مونتيجيو ـ تلقح وتطعم المرة بعد الأخرى ، بلقاح إعلامي ، يجعل الكلمات كاشفة المعنى ، ميسرة للفهم والقراءة معاً ، وكل ما في الأمر أنه « عتق للكلمات المختارة في هذه اللحظة ، وتحرير لها من قيودها الثقيلة التي ترهقها وتضطرها إلى أن تكون دون طبيعتها في الأوقات الأخرى » . ويمكن القول بأن المادة والصورة في التحرير الإعلامي ، بعامة ، مندمجان في وجودهما ، مشتركان في حياتهما ، فكل منهما شرط لوجود الآخر ، فإذا كنت الصورة ـ كما يقول مونتيجيو [(٢٧)] ـ قد رفعت « المادة إلى أعلى درجات قوتها الذاتية ، فإن المادة هي ذلك الشيء الذي منه ـ ومنه وحده ـ تستطيع الصورة أن تستمد وجودها وتمارس قدرتها على التشكيل » والتكوين الإعلامي . وفي أروع اللوحات الفنية والكتب الأدبية لا نكاد نجد للمادة الموجودة وجوداً ، وإنما ذابت في الصورة حتى لم يبق أي جزء من المادة إلا وقد أحيته الصورة وخلقت منه شيئاً آخر [(٢٨)] .

ولقد أسهمت الصحافة العربية في تجديد لغتنا المشتركة عن طريق عاملين رئيسيين ، أحدهما هو **الكسب الخارجي** أي ما يتسرب إليها من لغات أخرى عن طريق الترجمة البرقية ، ثم يتأصل فيها ويصبح جزءاً ثابتاً منها « وقلما نجد لغة لم تتأثر كثيراً أو قليلاً بسواها » على حد تعبير الأستاذ **أنيس المقدسي** [(٢٩)] .

فقيمة الكلمة يعنيها السياق ، إذ إن الكلمة في الصحافة بالذات ، توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً . والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي يمكن أن تدل عليها . ويخلص السياق الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها ، ويخلق لها قيمة « حضورية » على حد تعبير الدكتور مراد كامل .

والكلمة بكل معانيها الكامنة توجد في الذهن مستقلة عن استعمالاتها المختلفة التي تتشكل بحسب الظروف الداعية لخروجها . ذلك أنه ليس في الذهن كلمة واحدة منعزلة فالذهن يميل إلى جمع الكلمات واكتشاف صلات جديدة تجمع بينها عن طريق تنظيم المدركات .

وتأسيساً على ذلك وجدنا اللغة الصحفية تتجه إلى الوضع اللفظي لمختلف المعاني والأغراض ، فأضافت إلى اللغة كثيراً مما لم تعرفه من قبل ، واستخدمت في ذلك النعت والقياس والاشتقاق . وقد زاد هذا الاتجاه اتساعاً إبان نهضتنا الجديدة .

هـوامش

(١) عباس محمود العقاد : على الأثير ، ص ١٣٩ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .
(٣ ، ٤) المرجع السابق ، ص ١٤٢ .
(٥) البرهان في وجوه البيان ، ص ٦٦ .
(٦) د . إبراهيم إمام : الاعلان والاتصال بالجماهير ، ص ١٧٦ .
(٧ ، ٨) البشير بن سلامة : اللغة العربية ومشاكل الكتابة .
Jérôme Peignot, de L'écriture à La Typographie, Gallimard 1967.
(٩ ، ١٠) نفس المرجع ، ص ٤٠ .
(١١) اريك بارنو (الترجمة العربية) : الاتصال بالجماهير .
(١٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .
(١٣) مؤتمر المجمع اللغوي ـ الدورة الحادية والثلاثون ، ٦٤ ـ ١٩٦٥م .
(١٤) المرجع السابق ، ص ٢٤١ .
(١٥) المرجع السابق ، ص٢٤١ .
(١٦ ، ١٧) المرجع السابق ، ص ٥٣ وما بعدها .
(١٨ ، ١٩) المرجع السابق ، ص ٥٤ .
(٢٠ ، ٢١) نفس المرجع ص ٥٩ .
(٢٢) البرهان في وجه البيان ، ص ١٦٣ .
(٢٣ ، ٢٤) نفس المرجع ، ص ١٤٣ .
(٢٥) الصحفي المحترف ـ ترجمة فؤاد مويساتي ، ص ٥٧ .
(٢٦) د . إبراهيم إمام : دراسات في الفن الصحفي ، ص ١٤٨ .
(٢٧ ، ٢٨) عندما يكشف الكاتب أسرار مهنته (ترجمة كامل البوهي) ، ص ١٨ .
(٢٩) مؤتمر المجمع اللغوي ـ الدورة الحادية والثلاثون ، ٦٤ ـ ١٩٦٥م .

أ

آي القـرآن :

الآية في **اللغة** العلامة، والآية في **القرآن** أصغر وحدة معدودة في **السور**، سُميت بذلك لأنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدى بها .

يبلغ **عدد آي القرآن الكريم** ستاً وثلاثين ومئتين وستة آلاف (٦٢٣٦) .

وكانت **أول آياته** نزولا هي : **﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾** (العلق : ١)، **وآخر آية** ـ في قول ـ هي **﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ﴾** (المائدة : ٣) . **وأطول آية في القرآن الكريم** هي آية الدَّين : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾** . إلى آخر الآية (البقرة : ٢٨٢) .

معرفة الآي وعددها يترتب عليها **أحكام فقهية** منها : اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات، واعتبارها في **الخطبة**، فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة ولا يكفي شطرها، واعتبارها في الوقف عليها، **والصلاة لا تصح بنصف آية .**

أما لفظ « آية » فقد ورد في القرآن الكريم أربعاً وثمانين مرة (٨٤) بمعان مختلفة، كما ورد جمعه على « آيات » ثماني وأربعين ومئة مرة (١٤٨) .

ب

البسملة :

للبسملة في القرآن الكريم ثلاثة مواقع :

ـ موقع هي فيه آية في مفتتح سورة الفاتحة .

ـ ثم هي على رأس كل سورة عدا سورة براءة .

ـ وهي بعض آية في سورة النمل (آية ٣٠) .

واختلف العلماء في البسملة الواقعة في أول السور إلى ثلاثة مذاهب :

١ ـ أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة، وعلى هذا فقراءتها واجبة في الفاتحة، وحكمها حكم الفاتحة في السر والجهر .

٢ ـ أنها أُنزلت للتيمّن والفصل بين السور، فهي آية مستقلة، وأن قراءتها في الفاتحة جائزة بل مستحبة، ولا يسنّ الجهر بها .

٣ ـ أنها ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها، وأن قراءتها مكروهة سراً وجهراً في الفرض دون النافلة، وهذا مذهب ضعيف .

وكان **الرسول** ﷺ يجهر بالبسملة تارة ـ في الصلاة ـ ويخفيها أكثر مما يجهر بها .

ت

تلاوة القرآن وآدابها :

يستحب **للقارىء** أن يكون على وضوء، أن يجلس بهيئة حسنة مستقبلاً القبلة، أن يقرأ بخشوع، وتمعن، منصرفاً إلى القراءة بحواسه جميعاً، أن تكون قراءته احتساباً لوجه الله تعالى، أن يراعي ظروف السامعين، ألا يقطع القراءة لأمر دنيوي، ويعفى من رد السلام، أن يكرم المصحف، فلا يضعه في مكان منخفض وألا يضع فوقه شيئاً .

ويستحب **للمستمع** : أن يستمع وينصت ويخشع بقلبه، ألا يعلق على التلاوة بعبارات من عنده، أن يمتنع عن الشراب والطعام في مجلس القرآن وعن التدخين والضحك، ألا يستخفه الطرب وحسن الصوت، أن يغلب عليه الخشوع والخوف .

ث

المثاني :

ورد لفظ « المثاني » في القرآن الكريم مرتين :

● الأولى : مصاحبة للعدد سبعة في قوله تعالى : **﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾** (الحجر : ٨٧) . والثانية صفة للكتاب الكريم : **﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني ﴾** (الزمر : ٢٣) . **والسبع المثاني** اسم من أسماء فاتحة الكتاب التي سُميت ـ أيضاً ـ : أم القرآن ـ والواقية ـ والكافية ـ والنور ـ وسورة الحمد ـ وسورة الشكر . . . **أما اطلاق السبع المثاني عليها فقد قيل لأنها سبع آيات، وقيل فيها سبعة آداب في كل آية أدب، بيد أنه يحتمل أن يكون من الثناء لما فيها من الثناء على الله تعالى، أو من التثنية لأنها تثنى في كل ركعة .** فعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : « السبع المثاني فاتحة الكتاب تثنى في كل ركعة » .

وأما المثاني في آية « الزمر » فقد اعتبرها **السيوطي** اسماً من أسماء القرآن الكريم التي عددها فبلغت خمسة وخمسين اسماً .

وقيل « المثاني » ما ولى المئين ثنتها أي كانت بعدها فهي لها ثوان، وهي : الأحزاب، الحج، القصص، النمل، النور، الأنفال، مريم، العنكبوت، الروم، يس، الفرقان، الحجر، الرعد، سبأ .

ج

تجويد القرآن :

التجويد في **اللغة** التحسين، **وتجويد القرآن علم من العلوم الإسلامية** يُعنى ـ أصلاً ـ بقراءة القرآن الكريم قراءة تلقي ومشافهة . وهو يدور حول كلمات القرآن وحروفه : مخارجها وصفاتها الذاتية كالجهر والشدة والاستعلاء والاستفال والغنة، وصفاتها العرضية كالتفخيم والترقيق . وأهم أبوابه الرئيسية :

أحكام النون الساكنة والتنوين، حكم النون والميم المشددتين، أحكام الميم الساكنة، حكم لام « أل » ولام الفعل، مخارج الحروف وصفاتها، أحكام التقاء الحروف، أحكام المد والقصر، الوقف والابتداء والقطع والوصل .

وعلم التجويد فرض كفاية على المسلمين والعمل به فرض عين

على كل قارىء من مسلم ومسلمة لقوله تعالى: ﴿ **ورتل القرآن ترتيلاً** ﴾ (المزمل : ٤) .



المُحْكَم :

وصف الله تعالى القرآن الكريم في آية (هود : ١) فجعله « مُحْكَماً » فقال : ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ ، وفي آية أخرى ، وصف بعض آية بأنها « مُحكمات » فقال تعالى : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب** ﴾ (آل عمران : ٧) . ووصف سُوَرَهُ بأنها « محكمة » فقال عز وجل : ﴿ **فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك** ﴾ (محمد : ٢٠) .

والمحكم هو الذي لا يختلف في معناه فهو بيّن واضح ، والظاهر الذي لا شبهة فيه ، ولا يحتاج إلى تأويل .



ختم القرآن :

لتلاوة القرآن الكريم فضل عظيم ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** ﴾ (البقرة : ١٢١) وقال **الرسول** ﷺ : « اقرأوا القرآن .. فإن الله يأجركم بكل حرف عشر حسنات » . ولذلك تبارى الصالحون ــ من السالفين والخالفين ــ في ختم تلاوة القرآن ، وكان للسلف الصالح عادات في قدر القراءة ، فأكثر ما ورد في كثرة القراءة من كان يختم في اليوم والليلة ثماني ختمات : أربعاً في الليل وأربعاً في النهار ، وذمت السيدة **عائشة** ـ رضي الله عنها ـ ذلك ، فعن مسلم بن مخراق قال : « قلت لعائشة : إن رجالا يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً ، فقالت : قرأوا ولم يقرأوا ، كنت أقوم مع رسول الله ﷺ ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء ، فلا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب ، ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ » .

ويستحب ختمه كل ثلاث ، وأوسط الأمور ختمه في سبع وهو عمل الصحابة رضي الله عنهم ، فعن **عبد الله بن عمرو** قال : « قال لي رسول الله ﷺ : اقرأ القرآن في شهر ، قلت : إني أجد قوة ، قال : اقرأه في عشر ، قلت إني أجد قوة ، قال اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » .

وروي عن **أبي حنيفة** أنه قال : « من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه ، لأن النبي ﷺ عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين » .



الذكر :

الذكر اسم من أسماء القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ **أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم** ﴾ (الأعراف : ٦٣) .

وسُمي القرآن « ذكراً » لما فيه من المواعظ والعبر وأخبار الأمم الماضية ، والذكر الشرف ، يقول تعالى : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ (الزخرف : ٤٤) ، أي شرف .

وقد ورد لفظ « الذكر » في القرآن الكريم ثنتين وخمسين مرة (٥٢) علماً على القرآن وللدلالة على ذكر الله تعالى وبمعنى التذكر .



رسم المصحف :

مر تدوين القرآن الكريم بمراحل :

فقد **كتب أول الأمر خالياً من النقط والشكل** ، بما يسمح بقراءته على الأحرف السبعة أو القراءات المتواترة المعروفة ، ثم :

١ ــ وضع **أبو الأسود** علامات الشكل بطريق النقط بمداد يخالف مداد الكتابة **(في خلافة معاوية)** .

٢ ــ ووضع **نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر** ــ بأمر **الحجاج** ــ نقط الإعجام بنفس المداد الذي يكتب به الكلام حتى لا يختلط بنقط الشكل **(في خلافة عبد الملك بن مروان)** .

٣ ــ ووضع **الخليل بن أحمد** الشكل بطريق الحروف الصغيرة **(أيام العباسيين)** .

وثبت رسم المصحف بعد ذلك على ما هو عليه ، برغم التعديل الذي أصاب الرسم العربي ، وذلك خوفاً على القرآن من التحريف ، ولذلك يجد المبتدىء صعوبة يسيرة في قراءة المصحف ، مثل : (الرحمن : الرحمان ، السموات : السماوات ، الصلوة : الصلاة ، حم : حا ــ ميم) .

وللرسم القرآني رموز ذات دلالة نذكر منها :

م : علامة الوقف اللازم ، ج : علامة الوقف الجائز الذي يستوي مع الوصل ، صلى : علامة على أن الوصل أولى ، قلى : علامة على أن الوقف أولى ، لا : علامة الوقف الممنوع ، س : علامة السكتة على ، : علامة اظهار الضم ، : علامة إخفاء الضم ، : علامة اظهار التنوين ، : علامة إخفاء التنوين .



زخرفة المصحف :

كان القرآن الكريم أول نص عربي كامل يكتب على هيئة كتاب ، وعلى الرغم من أن المصحف كان أول مخطوط تجلت فيه مظاهر فن الكتاب العربي ، إلا أن **فنون الزخرفة** لم تعرف طريقها إلى المصاحف إلا متأخرة نسبياً ، في القرن الثالث تقريباً ، ولعلهم قبل ذلك كانوا يتحرجون من أن يجددوا شيئاً في شكل المصحف أو أن يضيفوا إليه ما ليس منه ، فلم تكن هناك فواصل بين الآيات ، أو علامات تعشير ، وكانت الفواصل بين السور مساحات بيضاء تزيد قليلاً عن مساحة سطر من السطور .

ثم أخذت الزخارف تتسلل إلى المصاحف ، وتتخذ أماكنها في الصفحات الأولى والأخيرة ، وفي الفواصل بين السور وفي نهايات الآيات ومواضع علامات التعشير ، ثم أخذت الزخارف تتخذ شكل إطارات أو جداول زخرفية تحيط بالمساحة المكتوبة من الصفحة ، ثم امتدت لتشمل الصفحة كلها على هيئة فروع وسيقان ووريقات نباتية مختلفة تمتد في الفراغات التي بين السطور .

وكانت المصاحف تبدأ وتختم بصفحات كاملة تكتظ بالأشكال الهندسية والزخارف النباتية الملونة ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل امتد إلى غلاف المصحف وجلده ، فكانت جلود المصاحف تحلى بزخارف إسلامية ملونة حيناً ومطعمة بالعظم والعاج حيناً آخر .



أسباب النزول :

نزول القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال **ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية** ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسَبّب .

ومن فوائد العلم بأسباب النزول :

ــ معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ـ تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .

ـ الوقوف على المعنى وإزالة الأشكال ، فلا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها .

ويؤخذ علم أسباب النزول بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها .

وممن ألف في هذا العلم **علي بن المديني** شيخ البخاري **والواحدي ، وللسيوطي** فيه كتاب سماه «**لباب النقول في أسباب النزول**» .

ش

المتشابه :

المتشابه في القرآن هو ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة ، أو هو ما يحتمل عدة معان .

وقد جاء لفظ «**المتشابه**» وصفاً للقرآن كله في قوله تعالى : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً** ﴾ (الزمر : ٢٣) .

وجاء وصفاً لبعض آي القرآن : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** ﴾ (آل عمران : ٧) .

قال **أبو عبيدة** في الأول «كتاباً متشابهاً» أي يشبه بعضه بعضه ليس من طريق الاشتباه ، ويجوز أن يكون متشابهاً على أهل الزيغ كله فهو (أي القرآن) عم عنه قد اشتبه عليهم .

ص

المصحف :

المصحف في **اللغة** هو مجموع من الصحف في مجلد ، **وغلب استعماله في القرآن الكريم** ، ذلك أن الذي كتب في **عهد عثمان** ـ رضي الله عنه ـ كان مجلداً بعضه إلى بعض ، كما يوضح ذلك الخبر القائل بارسال نسخ من ذلك المصحف إلى الآفاق ، فلهذا أطلق عليه اسم «المصحف» ، وهذا أول اطلاق للفظ «المصحف» على القرآن الكريم ، وهو ما يعرف **بالمصحف العثماني** أو المصحف الإمام .

لا يسمى «مصحفاً» إلا ما كان قرآناً كاملاً مكتوباً باللغة العربية ، فإذا لم يكن قرآناً سُمي كتاباً ، وإذا لم يكن كاملاً سُمي جزء ، وإذا لم يكن بالعربية سُمي تفسيراً أو ترجمة للمعاني . وتوجد الآن مصاحف كثيرة بالخط المغربي والكوفي والفارسي والباكستاني .

اهتم حكام المسلمين وأغنياؤهم بالمصاحف منذ أمد واستنساخها وتعظيمها ، فهناك مصاحف مكتوبة بالذهب الخالص وأخرى معطرة الورق وغيرها ملونة ، وأخرى مجلدة أو لها صناديق فاخرة لحفظها ، وهناك المصاحف الكبيرة التي تقرأ من بعيد لغير الحفاظ من الأئمة في الصلاة ، وتقلب صفحاتها بعصاً طويلة ، كذلك هناك مصاحف مكتوبة سطراً من القرآن الكريم وسطراً من ترجمة معناه إلى اللغة الفارسية أو التركية أو الأندونيسية .

ض

مضمون القرآن :

حاول بعض العلماء إحصاء الأغراض التي تضمنها القرآن الكريم ، فبلغت عند **(جول لابوم)** وهو فرنسي ، ثمانية عشر باباً تنقسم إلى واحد وخمسين وأربعمئة فصلاً ، وفاته أشياء استدركها عليه مستشرق آخر هو **(ادوار مونتييه)** بوضع ملحق أسماه **(المستدرك)** ، تضمن ثمانية وخمسين ومئة باباً آخر .

ويمكن أن نشير إلى الأغراض التي اشتملها الكتاب الكريم فيما يلي :

العقيدة ـ الشريعة ـ التاريخ وتصحيحه ـ القصص والمعجزات ـ الآداب والأخلاق ـ شخصية النبي ﷺ ـ الدعوة والحوار .

ط

الطواسين :

هي السور التي تبدأ بحروف (ط) ، (س) ، (م) المقطعة . وهي :

سورة **النمل** التي أولها : ﴿ **طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين** ﴾ .

وسورة **الشعراء** : ﴿ **طسم تلك آيات الكتاب المبين** ﴾ .

وسورة **القصص** : ﴿ **طسم تلك آيات الكتاب المبين** ﴾ .

ومن السور التي بدأت بالطاء (ط) والهاء (هـ) سورة «**طه**» ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ .

وشاع هذان الحرفان اسم علم على الأشخاص ظناً من الناس أن (طه) اسم من أسماء الرسول ﷺ وكذلك «يس» .

ع

إعراب القرآن :

اتجه كثير من العلماء من أصحاب اللغة إلى **إعراب القرآن الكريم** ، لأن الإعراب يميز المعاني ويُوقف على أغراض الكلام . وقد صنف في هذا الفن كثير من العلماء منهم : **مكي ، وأبو البقاء العكبري ، وتفسير أبي حيان** .

وعلى الناظر في كتاب الله تعالى ، الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولا ، أو في مبادىء الكلام أو في جواب إلى غير ذلك ، ثم إن العلماء حددوا للناظر في إعراب القرآن أموراً عليه مراعاتها :

- معنى ما يريد أن يعربه مفرداً أو مركباً قبل الإعراب ، فإن الإعراب فرع المعنى .
- أن يكون ملماً بالعربية ، وأن يراعي ما تقتضيه الصنعة النحوية .
- أن يتجنب الوجوه البعيدة ، والأوجه الضعيفة ، واللغات الشاذة .
- أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة .
- أن يراعي الرسم القرآني .

غ

غريب القرآن :

غريب القرآن هو الألفاظ التي يبهم معناها على قارىء القرآن ومفسره ، وهذا الغريب يختلف من عصر إلى عصر ، ومن إنسان إلى إنسان تبعاً لثقافة كل ناظر في القرآن .

وهذا الفن (غريب القرآن) ينبغي الاعتناء به إذ إنه ضروري للمفسر ، ولما روي من حديث **أبي هريرة** ـ رضي الله عنه ـ : «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه» . ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة واسعة باللغة العربية : أسماء وأفعالا وحروفاً .

وقد جاء عن **الصحابة والتابعين** كثيراً الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر ، وأنكر جماعة ـ لا علم لهم ـ على النحويين ذلك ، وقالوا : إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن . وليس الأمر كما زعموا ، بل المراد تبيين اللفظ الغريب من القرآن بالشعر ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **إنا جعلناه قرآناً عربياً** ﴾ (الزخرف : ٣) ، وقال : ﴿ **بلسان عربي مبين** ﴾ (الشعراء : ١٩٥) ، والشعر ديوان العرب فينبغي التماس معرفة ذلك منه .

وممن صنف في هذا الفن : **أبو عبيدة معمر بن المثنى ـ وأبو عمر الزاهد ـ وابن دريد** ـ ومن أحسنها **المفردات للراغب الأصبهاني** .



تفسير القرآن :

التفسير في **اللغة** التوضيح ، **وتفسير القرآن واحد من العلوم الإسلامية** ، يقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحكم وأحكام .

وتفسير القرآن نوعان :

- تفسير بمأثور ، ويسمى **تفسير الرواية والتفسير النقلي** .
- تفسير الرأي ، ويسمى **تفسير الدراية والتفسير العقلي** .

ومما يمثل النوع الأول « جامع البيان في تفسير القرآن » **لابن جرير الطبري** ، و« الدر المنثور في التفسير بالمأثور » **لجلال الدين السيوطي** .

أما النوع الثاني فمنه : « الكشاف » **لجار الله الزمخشري** وهو معتزلي ، وتفسير **الآلوسي** « روح المعاني » **وهو متصوف** ، و« البحر المحيط » **لأبي حيان** وهو نحوي ، و« الجامع لأحكام القرآن » **لأبي عبد الله القرطبي** وهو فقيه .



القراءات القرآنية :

واحد من العلوم الإسلامية المتعلقة بقراءة القرآن الكريم . وهناك قراءات سبع مشهورة تعرف بـ **(القراءات السبع)** لسبعة من القراء هم :

عبد الله بن كثير (١٢٠ هـ) ، **نافع بن عبد الرحمن** (١٦٩ هـ) ، **عبد الله اليحصبي** المشهور **بابن عامر** (١١٨ هـ) ، **أبو عمرو بن العلاء** (١٥٤ هـ) ، **يعقوب بن اسحق الحضرمي** (٢٠٥ هـ) ، **حمزة بن حبيب الزيات** (١٥٦ هـ) ، **عاصم بن أبي النجود** (١٢٧ هـ) . كذلك أضيف إليهم اسم : **علي بن حمزة الكسائي** (١٨٩ هـ) .

وهناك شروط لمعرفة القراءات الصحيحة لا يتخلف منها واحد ، وهي :

١ ـ أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه .

٢ ـ أن تكون القراءة موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .

٣ ـ أن يصح سندها عن الرسول ﷺ .

وبهذه الضوابط عرفت القراءات الصحيحة من القراءات الشاذة التي تفتقد موافقة المصاحف العثمانية .

وإلى جانب القراءات السبع الصحيحة اشتهرت قراءات أخرى تمت بها عشراً ، وهي : **قراءة يعقوب** (الذي أثبت مكانه في القراء السبعة علي بن حمزة الكسائي) ، وقراءة **خلف بن هشام** (٢٣٩ هـ) ، وقراءة **يزيد بن القعقاع** المشهور بأبي جعفر (١٣٠ هـ) .



المكي والمدني :

نزل القرآن الكريم ـ على رسول الله ﷺ ـ **منجماً** خلال ٢٣ عاماً تقريباً . وفي مناسبات مختلفة ، ونزل بعضه في « **مكة** » ويسمى بـ « **المكي** » ونزل بعضه في « **المدينة** » ويسمى بـ « **المدني** » .

وللمكي خصائص وللمدني خصائص .

فالمكي يدور حول التوحيد وإقرار العقيدة ومشاهد القيامة ، ألفاظه قوية ، فقراته قصار ، أما المدني فهو طويل الفقرات ، يدور حول أحكام الشريعة وتنظيم الدولة وقصص الأنبياء والدعوة إلى الرحمة والتسامح ، الدعوة إلى الجهاد ، وورود أمر المنافقين .

وفي القرآن (٨٢) سورة مكية ، و(٢٠) سورة مدنية ، و(١٢) مختلف فيها .



النسخ في القرآن :

النسخ في **اللغة** الإزالة ـ ويقال نسخ الله الآية : أزال حكمها . وفي القرآن الكريم : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ (البقرة : ١٠٦) .

وهذه إشارة صريحة في أن النسخ في القرآن حقيقة واقعة . ولكن مفهوم النسخ أمر اختلف فيه العلماء . فمنهم من قال : إن النسخ بمعنى الإلغاء والتبديل لا يجوز في حق الله تعالى ، ومنهم من قال : إن المراد بالآية هو نسخ الشرائع القديمة باعتبار أن شريعة سيدنا محمد ﷺ تمحو ما قبلها . وإجماع المسلمين على أن النسخ وارد بمعنى رفع حكم شرعي سابق بحكم لاحق مع وجود فترة زمنية بينهما تطول أو تقصر ، وذلك لحكمة اقتضتها إرادة الله في تدرج التشريع مع التسليم بأن الله تعالى أنزل القديم والجديد معاً من عنده ، ولكنه أراد هذا التدرج رحمة بعباده ورفعاً للمشقة أو الحرج عنهم .



الهُدى :

الهدى **اسم من أسماء القرآن الكريم** ، يقول تعالى : ﴿ **الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ (سورة البقرة : الآيتان ١ ـ ٢) .

ويقول جل شأنه : ﴿ **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا** ﴾ (الإسراء : ٩٤) ، ويقول عز من قائل : ﴿ **وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به** ﴾ (الجن : ١٣) .

والهدى في اللغة التقدم ، يقال هداه يهديه إذا تقدمه ، ومنه قولهم : لنا يد ترد عمى الهادي ، والهادي في الدين هو الذي يتقدم الناس ويقودهم إلى الرشد .

والهدى في القرآن جاءت لمعان : الرشاد ، الدلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب ، الطاعة .

والهادي **اسم من أسماء الله الحسنى** ، والهادي الدليل ، والهادي العُنُق ، والهادي الأسد ، والهادي من السهم النصل . . وقد ورد لفظ (الهدى) في القرآن الكريم (٧٩) مرة .



الوقف والابتداء :

فن جليل يعرف به كيفية أداء القراءة ، ومواطن الوقف ومواطن الفصل ، ولا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل .

يقول **عبد الله بن عمر** ـ رضي الله عنهما ـ : « لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على **محمد** ﷺ ، فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه » .

وقال العلماء إن **الوقف على ثلاثة أوجه : تام :** وهو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ولا يكون بعده ما يتعلق به . **وحسن :** يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بعده . **وقبيح :** وهو ليس بتام ولا حسن .

والوقف اصطلاحاً : **قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة** ، لا بنية الإعراض ، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها ، ولا يتأتى في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسماً .





«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

المكتبة الصغيرة

عن سلسلة «المكتبة الصغيرة» التي تصدر في الرياض بالمملكة العربية السعودية لصاحبها الأستاذ عبد العزيز الرفاعي صدر الجزء «٢٧»، وهو عبارة عن دراسة قيمة على صغر حجمها كتبها الأستاذ المربي أحمد العربي من أدباء وشعراء الرعيل الأول في المملكة.. الدراسة تناولت الإمام الشافعي فقيهاً.. وأديباً.. وتأتي هذه الدراسة بعد احتجاب الأستاذ العربي فترة طويلة عن الكتابة، كتب مقدمتها صاحب السلسلة.. تقع في ٩٠ صفحة من القطع الصغير.

الأمير عبد العزيز بن مساعد حياته.. ومآثره

من تأليف الأستاذ حسن حسن سليمان، وهو كتاب يبحث في سيرة المرحوم سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد ودوره في خدمة بلاده ومليكه. والمعروف أن الأمير الراحل كان من أقرب المقربين إلى جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة، وقد شاركه في عدد من المعارك والمغازي، وكان آخر عمل قام به المرحوم توليه إمارة (حائل) التي ساهم في تطويرها.

والكتاب مزوَّد بالوثائق والصور، وقد تناول مؤلفه جميع جوانب حياة الأمير الشخصية والعامة.. والجدير بالذكر أن جلالة الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز، كان قد منح سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد (وشاح الملك عبد العزيز) وهو أرفع وسام في الدولة، وذلك تقديراً لجهوده الكبيرة وأعماله الكريمة. وقد رثاه صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بقصيدة من الشعر النبطي استهلها بقوله:

قالوا واها وما وثنه الصحافة

قلت السيوف وصهوة الخيل ترثيه

والكتاب يقع في ٢٩٢ صفحة من القطع المتوسط في طباعة أنيقة وورق صقيل.

* في ربوع الأندلس *

كتاب من تأليف **الدكتور عيسى الناعوري**، ينقلك من خلاله إلى مدن، وتاريخ، وآثار، وحضارة أندلسنا المفقود. والكتاب نوع من أدب الرحلات المتميز بالرؤية التاريخية، والحضارية، والإنسانية، والاجتماعية، فجاءت مادته نتاج رحلتين قام بهما المؤلف الأولى عام ١٩٦٧م زار **قرطبة**، وجامعها المشهور، وبعض آثارها، ثم **غرناطة، ومالقة، واشبيلية، ومدريد، وطليطلة**. والثانية عام ١٩٧٤م، زار ضمن ما زار خلالها **جيان، رندة، شريش، قادس، طريف، جبل طارق، مرسية، لقنت، دانية، بلنسية، وسرقسطة** وما حولها.. يقع الكتاب في ١٥٩ صفحة من القطع المستطيل اصدار **الدار العربية للكتاب (ليبيا- تونس)**.

* أوراق ذابلة من حضارتنا * دراسة لسقوط ٣٠ دولة إسلامية *

تأليف **الدكتور عبد الحليم عويس**.. وهو الطبعة الثانية من كتاب «الصفحات الأخيرة من حضارتنا» مع بعض الإضافات، وتذييل نقدي بقلم **الدكتور عماد الدين خليل**.. والكتاب كما يكشف عنوانه عن محتواه يتعرض لذبول ثلاثين دولة إسلامية بعد إزدهارها في المشرق، والمغرب، والأندلس.

يقع الكتاب في ١٧١ صفحة من القطع الصغير، **اصدار دار الاعتصام- القاهرة**.

* رحلة في كتاب من التراث *

من تأليف **الأديب السعودي الشيخ عبد القدوس الأنصاري**، وهو عبارة عن دراسة لأحد كتب التراث، وهو كتاب «**بدائع البدائه**» تأليف **علي بن ظافر الأزدي الخزرجي**.. وكانت دراسة تقويمية ناقدة تضمنت تقويم النثر الفني في أدب عصر مؤلف بدائع البدائه علي الخزرجي متطلعاً إلى أدب القرون التي مضت قبله، والموالية له من كتب، ومكانة كتاب بدائع البدائه من بين هذه الكتب والآداب.

الدراسة اصدار سلسلة «**المكتبة الصغيرة**» لصاحبها **الأستاذ عبد العزيز الرفاعي- الرياض- المملكة العربية السعودة**، يقع في ١٧٢ صفحة من القطع الصغير.

* الدين في مواجهة العلم *

تأليف **وحيد الدين خان**، ترجمة **ظفر الإسلام خان**، مراجعة **الدكتور عبد الحليم عويس**، والكتاب كما تشير المقدمة يعنى بإثبات حقيقة الإسلام في ضوء المقاييس الاستدلالية للعلم الحديث من خلال دراسة **قضية الاستدلال، وأفكار برتراند رسل، والتفسير الميكانيكي للكون**، كما يناقش قضية **الدين والعلم**، واخفاق العلم في اكتشاف حل لقضية الإنسان، إلى جانب مناقشته لنظرية الدين بغير الآلة، **والتفسير الالحادي للدين**.

الكتاب يقع في ١١٠ صفحات من القطع الصغير، **اصدار** المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

فهمي المدرس من رواد الفكر الحديث

من الكتب القيمة التي تعتبر من المراجع التي لا يستغني عنها الباحث في الفكر العراقي، فقد بذل مؤلفه الدكتور يوسف عز الدين جهداً كبيراً تميز بالعمق، والمنهج الموضوعي العلمي، والكتاب رغم أنه- كما هو واضح من عنوانه- يدرس حياة وفكر فهمي المدرس كرائد من رواد الفكر إلا أنه اشتمل على مواضيع لها أهميتها.. فقد تعرض للحياة الفكرية في العهد العثماني، وأما احيط بها، كما تعرض لدعوة التجديد، ومن خلال دراسته للمدرس تعرض لعدد من القضايا الاجتماعية والسياسية المرتبطة بحياة المدرس.. لهذا اعيدت طباعته مرتين، وساعدت على نشره جامعة بغداد.. الكتاب يقع في ٤٨٩ صفحة.

شعراء العراق في القرن العشرين

تأليف الدكتور يوسف عز الدين، جمع خلاله ترجمات لحياة عدد من شعراء العراق، ونماذج من شعرهم أمثال الزهاوي، والرصافي، والكاظمي، ونازك الملائكة، وهلال ناجي، وعدد آخر منهم مؤلف الكتاب.

وهذا الكتاب هو الجزء الأول الذي ضم طائفة من الشعراء العراقيين، يقع في ٤٩٥ صفحة- طبع بمطابع أسعد في بغداد.. وساعدت جامعة بغداد على طبعه.

صناعة الكتابة

الطبعة الثالثة تأليف الدكتور فيكتور الكك، وأسعد علي، من الكتب القيمة التي ترصد صناعة الكتابة من خلال البلاغة وأغراضها، مع ايراد النصوص الشعرية والنثرية.. وقد الحق بهذه الطبعة كتاب «التلخيص في علوم البلاغة» للإمام القزويني لأهميته بين كتب البلاغة.. يقع الكتاب في ٥٥٨ صفحة- طبع دار غندور- بيروت- لبنان.

رجال أنزل الله فيهم قرآناً

يقع في أربعة أجزاء، تأليف الدكتور عبد الرحمن عميرة.. قدم خلالها نماذج من رجال بأعيانهم كانت تنزل فيهم آيات قرآنية لتحول بينهم وبين عمل يقومون به، أو لتكشف عن عمل تم بعيداً عن أعين الرقباء، أو لتوضيح لهم حكماً، أو لتعلن قبول توبة من تاب منهم.. من هؤلاء الرجال سلمان الفارسي، عمار بن ياسر، سعد بن أبي وقاص، مصعب بن عمير، العباس بن عبد المطلب، حمزة بن عبد المطلب، أبو عبيدة بن الجراح، عبد الله بن رواحة، الوليد بن عقبة، الوليد بن المغيرة وغيرهم.. الناشر دار اللواء- الرياض- المملكة العربية السعودية.

ردود قصيرة

● **الأخ محمد خير أحمد المقداد ـ درعا ـ بصرى الشام ـ سورية**

المجلة حريصة على التعريف بالمدن السورية مثلها مثل غيرها من المدن العربية والإسلامية .. وقد كتبت عن حمص ، وحلب ، وتدمر ، وقريباً سوف تطالع استطلاعات عن دمشق ، واللاذقية ، وحماة ، وسوف يأتي الدور للكتابة عن بصرى الشام .. لك تحياتنا .

● **الأخ محمد النشار الرفاعي ـ دمشق ـ سورية**

نشكر لك غيرتك .. وملاحظتك .. ونرى أن إثارة مثل هذه القضايا في الوقت الراهن من تاريخنا يثير كثيراً من المشاكل ، وسوء الفهم فنسهم من حيث لا نريد في إثارة البلبلة من ناحية ، وشغل القارىء بقضايا غير مناسبة إثارتها في هذه المرحلة الصعبة التي تدعونا إلى تكاثف الجهود عرباً ومسلمين لتحرير أرضنا المقدسة في فلسطين من ناحية أخرى .

● **الأخ عبد الهادي نتوف ـ دمشق ـ سورية**

ملاحظاتك محل اهتمامنا .. ونحن نرحب بكل الملاحظات البناءة .. أما الاهتمام بنشر أدب الناشئة فليس من اهتمامات المجلة نشر المحاولات الأدبية لأنها مجلة ثقافية ، وهي بالتالي ليست مجالا للتجارب غير الناضجة بعيداً عن القضية التي أشرت إليها .. ورئيس التحرير يهديك تحياته ، ولو عرفت مشاغله لعذرته .

● **الأخ حسين مصطفى حسين ـ الخرطوم بحري ـ السودان**

في إمكانك البحث عن بعض مؤلفات الرازي في المكتبات إذ لا يوجد لدينا منها ما نستطيع ارساله إليك .. وحسب علمنا أن كتبه لم تطبع كلها .. وربما كان بعضها مفقوداً .

● **الأخ محيي الدين اليافي ـ دمشق ـ سورية**

شكراً على تهنئتك .. أما فيما يتعلق بالتسلية والكلمات المتقاطعة ، فقد أجبنا بأن لهذا اللون مجلاته .. فنأسف لعدم تمكننا من تحقيق رغبة القراء في فتح زاوية للتسالي .

● **الأخ جمال الدين ناشد ـ دمشق ـ سورية**

شكراً لك على اهدائنا قصيدة الدكتور الشاعر محمد محمد خليفة .. وتحياتنا للدكتور على مشاعره النبيلة .. لكن المجلة لا تنشر ما سبق نشره في مجلة أخرى .

● **الإخوان (درويش محمد مصبح ـ دبي) ، و(صالح عبد اللطيف صالح ـ الشارقة) الإمارات العربية المتحدة**

شكراً لكما على ملاحظتكما القيمة ، وقد صححنا ذلك في المجلة كما تلاحظان على الصفحة (١٦٢) .. ولكما تحياتنا .

● **الأخ عبد القادر أحمد عبد القادر ـ دمياط ـ مصر**

شكراً لمشاعرك .. والمجلة لا تعنى بالقضايا السياسية المعاصرة إلا ما جاء في إطار دراسة أدبية أو اجتماعية ، لأن الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية تغطي هذه الناحية بشكل موسع .

● **الأخ أحمد سالم زهراني ـ الطائف**

المجلة تعنى بالدراسات العميقة ، لا بالمقالات المبتسرة السريعة التي تناسب الصحافة اليومية .

● **الأخ صديق الإمام محمد علي ـ العريبات ـ شرق مدني ـ السودان**

نشكر لك مشاعرك .. بعض أسئلتك تحتاج للرد عليها إلى أعداد خاصة ، وبعضها تستطيع أن تجد الإجابة عليه من مدرس مادة الدين في مدرستك ، والبعض سوف تجد الإجابة عليها في باب « سؤال .. وجواب » . أما الأعداد الناقصة التي طلبتها فقد أحلنا ذلك إلى قسم الاشتراكات للرد عليك سلباً أو ايجاباً .

● **الأخ بهجت التجاني ـ الرباط ـ المغرب .**

نشكر لك مشاعرك التي فاضت بها قصيدتك .. نتمنى لك التوفيق في مجال الشعر .

● **الأخ حسن محمد السقا ـ القاهرة ـ مصر**

شكراً لمشاعرك .. وقد نقلنا تحياتك للجميع .. تحياتنا .

● **الأخت ربى الغياثي ـ دمشق ـ سورية**

رغم قسوتك على الكاتب إلا أنك على حق ، نأمل عدم تكرار حدوث مثل ذلك .. ولك تحياتنا .

● **الأخ غسان العظم ـ حماه ـ سورية**

انطلاقاً من مضمون رسالتك نقول لك إن محاولتك الشعرية لم تصل إلى ما تتمناه فلا تتعجل النشر ، واقرأ كثيراً ، واستشر من تثق بهم .. ونحن نعترف أن كل عمل ليس منزهاً عن النقد ، وخير للمرء أن يأخذ بالايجابيات ، ويترك السلبيات .

● **الأخ محمد توهان العبادي ـ أمريكا**

يسعدنا جداً أن يلقى إخواننا من الطلبة العرب في « الفيصل » ما كانوا يتطلعون إليه .. نشكر للجميع مشاعرهم ، ونسأل الله التوفيق .

● **الأخت آمال يوسف زكريا هاكوز ـ عمان ـ الأردن**

شكراً لك على تهنئتك .. ونأمل أن نكون دائماً عند حسن ظن كل الإخوة العرب الذين يقرأون المجلة .

● **الأخ مخلص صباغ ـ حلب ـ سورية**

نشكرك على مشاعرك الكريمة ، أما بالنسبة لاقتراحاتك فبعضها يمكن تحقيقه ، وبعضها تستطيع أن ترجع فيه إلى كتب التفسير مباشرة .. ولك تحياتنا .

● **الأخ راتب محمداه ـ حمص ـ سورية**

سوف نعهد لأحد المختصين لإعداد موضوع متكامل عن « الأطباق الطائرة » .

● **الأخ عبد الملك الضحياني ـ صنعاء ـ اليمن**

أليس من الأولى البحث فيما يعود بالفائدة لبلادنا وأمتنا بدلا من السفسطات والخزعبلات التي تروج لها الصحافة لمجرد الإثارة .. ننصح بعدم اشغال فكرك بمثل هذه الأمور .

● **الأخت خولة عناني ـ عمان ـ الأردن**

بمتابعتك أعداد المجلة اعتباراً من بداية عام الطفل إلى نهايته سوف تطالعين كثيراً من المواضيع العلمية والتربوية والدينية عن الطفل التي ستجدين من خلالها الإجابة على كل أسئلتك .. أما طرح موضوع تحديد النسل من خلال ندوة الشهر فهي فكرة جيدة وسنحاول تحقيقها .. ولك شكرنا الصادق على مشاعرك الطيبة .

● **الأخ عبد الله محمد أحمد أبو زيد ـ كفر الزقازيق البحري ـ مصر**

نحيي فيك شجاعتك في النقد رغم قسوتك وانفعالك .. ومع ذلك فنحن لا نغضب من أي نقد مهما كانت قسوته ، لأننا نركز على الجوانب الايجابية المشرقة فيه ، ونترك ما نلمس فيه بعض التجني .

أنت يا صديقنا ركزت في نقدك على المواضيع التي لا تروق لك في الوقت الذي توجد فيه مواضيع نفيست وجودها ، فهناك موضوع عن الصحافة الإسلامية ، وآخر عن أحد كتب التراث العربي ، وثالث عن سيف الدولة ، ولقاء مع رشدي فكار وغيرها من المواضيع التي تعنى بالحضارة والتراث العربي والإسلامي .. أما السياسة فالمجلة لا تعنى بها ، وفي اعتقادنا أن عشرات الصحف والمجلات السيارة كافية لتغطية أحداث السياسة ومتغيراتها .. وماذا تنتظر من مجلة ثقافية شهرية أن تنشر لك من أخبار الأحداث الرياضية ، الا يكفي ما تنشره الصحف اليومية ؟

ونسألك هل طالعت موضوع المعادن العلمي ، وموضوع الفصام في علم النفس ؟ ومع تقديرنا لنقدك فإننا نأمل متابعة أكثر من عدد لإصدار حكمك على المجلة بصورة موضوعية بدلا من التركيز على أشياء صغيرة كالأخبار .. لقد ضخمت صغيراً ، وصغرت كبيراً . وما بهذا المبضع يكون النقد .. وما هكذا ترد الإبل يا سعد !! ولك قبل كل ذلك وبعده تحياتنا ، وعميق شكرنا .



مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا - الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب - الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

جـ - الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢ - المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الاجابات على العنوان التالي :

(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص . ب . (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ - ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ - من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

نتيجة مسابقة العدد « ٢٠ »

● من سورية فاز بالجائزة الأولى وقيمتها (٣٠٠٠ ريال سعودي) ، الأخ بشار قنباز ، حماة شارع القوتلي .

● من مكة المكرمة فازت بالجائزة الثانية وقيمتها (٢٠٠٠ ريال سعودي) ، الأخت أسماء محمد عبد القادر متولي ، المعابدة الجميزة ، دكان محمد عبد القادر متولي بجوار المستوصف الأهلي .

● من السودان فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٥٠٠ ريال سعودي) الأخ جبريل اسحاق جبريل ، شمبات ص . ب ٣٢ كلية الزراعة في جامعة الخرطوم .

بالإضافة إلى سبع جوائز قيمة كل جائزة ٥٠٠ ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات وهم :

● من المغرب الأخت خيرة رحمة ، مستشفى محمد الخامس في مكناس .

● من مصر الأخ محمد محمود متولي ، الزقازيق ، قسم الحريري ، ٥ شارع صبحي النقراشي .

● من الكويت الأخ ناصر مشعل شبيب الصيفي ، الكويت ، الأحمدي ، بيوت ذوي الدخل المحدود ، قطعة ٣ منزل ٦٢٥ .

● من نجران الأخ علي مساعد الهمامي ، الشارع العام البنك الأهلي التجاري ، ص . ب . (١) .

● من لبنان الأخت سعدية فيصل طبارة ، رأس بيروت شارع السادات بناية باسيل ، بيروت .

● من الأردن الأخ مالك سعيد صالح ، ص . ب ٨٧١١ ، جبل الحسين ، عمان .

● من سورية الأخت هيام جودت إبراهيم ، حمص ، وادي السايح شارع ابن مالك ، منزل رقم ٦١ .



السؤال الأول :

« أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أخطأت فقوموني » .

قائل هذه العبارة أحد الخلفاء الراشدين .. من هو ؟

السؤال الثاني :

(العنقفة ــ الزائدة الدودية ــ البواب ــ الحجاب الحاجز ــ البنكرياس) .

أين يقع كل جزء من هذه الأجزاء في جسم الإنسان ؟

السؤال الثالث :

أذكر أسماء مخترعي الأجهزة والوسائل التالية :

القطار ــ التلسكوب ــ المحرك البخاري ــ الكهرباء ــ الهاتف .

السؤال الرابع :

ما السنة الضوئية .. وكم يبعد أقرب نجم عن الكرة الأرضية بالسنة الضوئية .. وما اسم النجم ؟

السؤال الخامس :

أين توجد القصور التالية :

قصر العظم ــ قصر فرساي ــ قصر وندسور ــ قصير الخير .

السؤال السادس :

من قائل هذا البيت .. وفي أي عصر عاش ؟

بالشام أهلي ، وبغداد الهوى وأنا بالرقتين وبالفسطاط إخواني

السؤال السابع :

ما اسم الأنصارية التي كانت من أخطب نساء العرب .. عرفت بالشجاعة والإقدام ، وفدت على النبي ﷺ في السنة الأولى للهجرة .. حضرت معركة اليرموك فسقت وضمدت الجراح ، ولما اشتدت الحرب أخذت عمود خيمتها ودخلت المعركة فصرعت تسعة من الروم ؟

السؤال الثامن :

الحواس عند الأسماك .. ما هي ؟

السؤال التاسع :

ما آذان الحدي .. وما خصائصه ؟

السؤال العاشر :

أذكر أسماء أصحاب الكتب التالية :

الجامع الصحيح ــ الصحيح ــ السنن ــ الجامع .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

العدد ٢٧

الاســم : --

المهنــة : --

العنـوان : --

أجوبة مسابقة العدد العشرين

ج ١ **ألوان قوس قزح هي :**
(الأحمر ـ البرتقالي ـ الأصفر ـ الأخضر ـ الأزرق ـ النيلي ـ البنفسجي) .

ج ٢ **أسماء مؤلفي الكتب الآتية هم :**
(الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب) **لابن فرحون المالكي .**
(الآثار الباقية عن القرون الخالية) **لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني .**
(التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم) **لمحمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردي .**
(الأوائل) **لأبي هلال العسكري** ، (البيان والتبيين) **لأبي عثمان الجاحظ.**

ج ٣ أول معركة بحرية أحرز فيها المسلمون بقيادة **عبد الله بن سعد بن أبي سرح** النصر على **البيزنطيين** تحت قيادة **قسطنطين الثاني ابن هرقل ..** هي معركة « **ذات الصواري** » ـ وكان ذلك عام ٣٥هـ/٦٥٥م .

ج ٤ عرفت المدينة المنورة تأريخياً بعدد من الأسماء منها : **طيبة ، دار الهجرة ، الإيمان ، الجابرة ، الجنة ، الحصينة .**

ج ٥ المد والجزر هما الحركتان المتعاقبتان يومياً في البحر من انحسار المياه عن الشاطىء مدة ساعات ثم رجوعها ثانية وارتفاعها إلى أعلى عن حدها الأصلي ، وسبب ذلك كما يراه العلماء هو جذب القمر ، وذلك أن القمر متى حاذى جهة البحر جذب مياهه إليه فتعلو وحينئذ تنحسر عن الشاطىء ، فيقال إن هناك جزراً ، فإذا بعد القمر عن تلك الجهة وزال تأثيره اندفعت المياه بثقلها الخاص لتصير إلى حالة الموازنة فتعلو جهة الشواطىء . فيقال إن هناك مداً .

ج ٦ كيميائي .. وفيزيائي إنجليزي .. أول من أنشأ النظرية في الذرة .. وضع قانون « النسبات المتعددة » في الكيمياء ، وقانون امتزاج الغازات في الفيزياء ، وإليه ينسب مرض عمى الألوان « الدالتونيسم » هو **جون دالتون .**

ج ٧ إحدى الغزوات الإسلامية .. لم يشترك فيها الرسول الكريم ﷺ .. اسمها ارتبط بعين ماء بالقرب من المدينة المنورة .. كانت الغزوة بقيادة عمرو بن العاص بعد إسلامه ، قاتل فيها المشركون من قبيلتي « بلي » و« عدرة » .. هي غزوة « **ذات السلاسل** » .

ج ٨ مشترع أثيني (نهاية القرن السابع ق . م) سن القوانين الأولى للمدنية .. اتصفت تشريعاته بالقسوة هو « **داركون** » .

ج ٩ أقدم كتابة عربية في التأريخ بالخط المسند اليمني وصلت إلينا في ثلاثة أنواع من نقوش متقاربة عثر عليها ما بين المنطقة الممتدة من دمشق إلى العلا .. هي : **اللحيانية ، الثمودية ، الصفوية .**

ج ١٠ الأسماء الحقيقية لأصحاب الألقاب التالية هم :
(زرقاء اليمامة) هي حذام ، **(ذو الأصبع العدواني)** هو حرثان بن الحارث ، **(ذو القرنين)** هو الإسكندر المقدوني ، **(الحيص بيص)** ، هو سعد التميمي أبو الفوارس بن الصيفي ، **(الدارقطني)** هو أبو الحسن علي بن عمر .

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4641968

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٤١٩٦٨

EUROPE – AMERICA – ASIA

Belgium	BF	100
Denmark	DKR	15
Finland	FMK	15
France	FF	10
F. R. G.	DM	7
Greece	DR	100
Italy	L	2000
Netherlands	DFL	7.5
Norway	NKR	15
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	80
Spain	PTS	100
Sweden	SKR	15
Switzerland	SF	7
United Kingdom	£	1.25
U. S. A.	$	2.50

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بسة
الأردن	٢٥٠ فلساً
ج.ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٢٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

ADVERTISEMENTS : By arrangement With Administration

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 100

Others : S.R. 200

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي

لغير الأفراد ٢٠٠ ريال سعودي

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

مطابع شركة الطباعة العربية السعودية العمارية ، الرياض